

# تاريخ مصر

منذ ١٩٤٥

تأليف  
جماعة من المؤلفين الغربيين

تقريب  
الدكتور نور الدين حاطوم  
الأستاذ في جامعة الكويت

دار الفكر

с 1971 - с 1970.

## المقدمة

يتضمن هذا الكتاب قسمين : الأول ، دراسات تاريخية خاصة بالمجموعات الكبرى القومية أو الدولية ، التي تتوزع فيما بينها حياة عصرنا السياسية ، مع دراسة عامة لتاريخ البلاد الأخرى .

والقسم الثاني ، خاص بقضايا العصر الكبرى ، وهي قضايا أساسية هامة ، قضايا حضارة ، كإخلاص من الاستعمار والعلاقات بين الشرق والغرب والتطور الديني والتقني والاقتصادي ، وكلها قضايا كبرى تتمثل فيها علاقات القوة والجاه والمنفعة . كما تظهر فيها أيضاً بعض الاختيارات الكبرى الروحية أو الجدلية التي تقدم للبشرية . وقد لا يبعد أن ينشأ عن المجابهة بين الشرق والغرب أو عن التطور الاقتصادي مفهوم جديد للعلاقات البشرية وشكل جديد لحياة الناس وأفكارهم .

عصرنا الحاضر ثوري في الفكر والأخلاق والعمل السيامي: إنه يبحث عن قواعد جديدة ويقين جديد وطرق جديدة . إن حضارة بكاملها تفرح من جديد على بساط البحث، وربما حضارة أخرى لا يعرف مداها ولا منتهىها .





# الفتىم الأول

الكيانات الكبرى لقومية ولفوقمية



## الفصل الأول

### فرنسا

لقد فتح فصل جديد من تاريخ فرنسا في صيف ١٩٤٤ ، ويبدأ به بعضهم في ٦ حزيران ، بانزال الوحدات الاولى من جيش الحملة الحليف على شواطئ نورمانديا ، وتحرير أول جزء من أرض الوطن الأم ، فرنسا ، وتصيب أول سلطة فرنسية حرة ويرجع آخرون الاحتفاظ بيوم ٢٥ آب ، الذي شهد دخول الجنرال دوغول ، رئيس الحكومة المؤقتة ، إلى باريس المحررة ، ووصوله إلى القصر البلدي حيث رجوه أن « يعلن الجمهورية » ، فأجاب : « إن الجمهورية مازالت موجودة ولماذا أعلنها ؟ » . وأحياناً أيضاً يذهب فريق ثالث من ٩ ايلول ، تاريخ أول مجلس للوزراء عقدته في باريس الحكومة الجديدة لفرنسا المحررة ، وحددت فيه تحت رئاسة دوغول زعماء المقاومة الخارجية ، الذين أتوا معه من لندن والجزائر ، وزعماء المقاومة الداخلية ، الذين كان يواجههم جورج بيدو ، والسياسيين ، من الشيوعيين إلى المعتدلين . فقد جلس لوي جاكينو إلى جانب شارل تيللون ، دون نسيان ممثلي الجمهورية الثالثة ، مع جول جانيني ، رئيس مجلس الشيوخ في ١٩٤٠ .

واستقرت السلطة الجديدة على رأس بلد شجي الحال : أولاً ، لأن الحرب مازالت مستمرة ، وستدوم أيضاً ، في اوروبا ، أكثر من ثمانية أشهر ، حتى ٨ أيار ١٩٤٥ . لقد تراجع المحتل الألماني ، ولكنه مازال يمسك

بصلابة - وسنلاحظ ذلك بعد قليل - بقسم من الأرض القومية ، والبؤس يهدد ، على عتبة شتاء فاس ، شعباً جائعاً تمزقه المحن والآلام ، ويعسكر في مدن لا يصل إليها التموين ، بسبب اضطراب المواصلات . وما كادت الحماسة الوطنية تسقط حتى فسحت مجالاً لأقصى مجاهات سلطات الأمر الواقع أو الكتل المسلحة ، المتعطشة للشأر والدم ، بعد أن استهزئ بالنظام والقانون وسادت الفوضى ولم يعد العدل محترماً في أي مكان .

ولم يكن للدولة أجهزة إدارية ، ولا للأمة قوانين ، وفقدت فرنسا مكانتها في العالم . ومن الممكن أن يتساءل ما إذا كانت هزيمة الغالب في ١٩٤٠ ، طاغية السنوات السوداء ، ستترك المجال رحباً لسيطرة جديدة تقوض الاستقلال القومي لزمان طويل ، وربما للأبد . لقد كان يعوز فرنسا كل شيء : السلام والنظام والحبز اليومي . هذه هي التركة الفظيعة .

لذا ينبغي ، في هذه البلبلة القصوى ، وضع تسلسل للحالات العاجلة ، أي الاخطار : فقبل كل شيء ، يجب على السلطة المركزية أن تقرض نفسها ، وأن تقبض بيدها على زمام الأمر ، وأن تسمع صوتها ، وأن تطاع ، لأن السلطة الحقيقية للحكومة الموقنة لا تتجاوز أبواب العاصمة ، وأيضاً . وفي الوقت نفسه ، يجب تأمين الاعاشة والتموين ، واستئناف العمل . ففي هذا البلد المفتت ، المجد ، يجب أن تعود المواصلات المائتية والحديدية ، والطرق كما كانت قائمة ؛ وأن تعود للخدمة محطات الراديو ، والمطارات ، والقاطرات والناقلات القابلة للاستعمال ومثلها المواني ، والمناجم ، ويجب أن تعود المعامل إلى نشاطها ، وأن تصلح التفريجات الخطيرة التي سببتها قنابل الحلفاء والمحتل عند ارتحاله .

ويجب أن يقوم هذا الجهد العظيم حسب الأولوية لصالح الحرب ،

التي مازالت قائمة لافي الشرق وفي الالزاس وفي الآردن فحسب ، بل أمام « جيوب » الأطلسي ، حيث تحصن العدو ليؤخر انزال السلاح إلى البر ، والعتاد ، والبتروول ، والتموين الضروري للفرنسيين والجيوش الحليفة . كان يراد الغلاب ، قبل كل شيء ، وكانت فرنسا تريد أن تكون حاضرة في الكفاح ، بالرغم من أن قرابة مليونين ونصف من الرجال مازالوا أمري أو منفين في ألمانيا : لأن استرجاع استقلالها واعتراف الحلفاء بحكومتها بهذا الشمن .

وإلى هذا الدمار المتراكم والعوز الفظيع تضاف أيضاً الحسائر ، والعبوديات ، والتقنينات التي يجب تحملها أيضاً حتى السلام . وولد الاحساس بالرشاء والرضى خلافاً فظيعاً : فقد استقبل الحلفاء كالفرسان البواسل لأنهم أنوا ليخلصوا الجميلة الناعسة وليغمروها بالهدايا ، من الأعمام الاميركيين من ذوي الموارد التي لا تنضب والتي كانوا على استعداد لبذلها . ولقد بدا المحررون ، مهما كانت بدلانهم أو لون أشرطة سواعدهم ، أبطالاً خلصاً جمعهم وحدة القلب في حب الوطن ، حتى ان المعارك التي يقومون بها كان يشعر بها كشكليات بسيطة . وإن تحسين الاعاشة ، وعودة الغياب ، كانا ، في ذهن الشعب ، قضية بضعة أسابيع ، وان عودة الانتاج والتعمير يتطلبان بضعة أشهر .

وكانت هذه الاوهام ، الكريمة غالباً ، تحمل في طياتها خيبات أمل فظيعة أحياناً ، وستكون ، في جزء منها ، في أصل الاخطاء التي سترتكب ، والاغلاط التي سنطبع لزمن طويل الحياة السياسية الفرنسية وإدارة الخير العام . وستدفع أيضاً السنوات الثلاث التالية ( ١٩٤٤ - ١٩٤٧ ) ، التي ستوى على مهل ، من الحرب الحارة إلى الحرب الباردة ،

تهية الجمهورية الرابعة وتأسيسها أخيراً ، وستدوي في أرجاء هذا النظام الذي سيجابه باستمرار خصوصاً فظيعين ( ١٩٤٧ - ١٩٥٤ ) . ونجد أثر ذلك في الفصل الثالث ، من هذا التاريخ الذي ندرسه ، المخصص لنهاية امبراطورية وأفول نظام ( ١٩٥٤ - ١٩٥٨ ) . وسيظهر الجنرال دوغول ، الشخصية الأساسية في هذه السنوات الاولى ، رئيساً للجمهورية الحامسة ويتزعم حركة التحرير من الاستعمار ( ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ) والتحرير الكبير لفرنسا والفرنسيين إلى ما بعد الغولية ( ١٩٦٢ - ١٩٦٨ ) .

### من الحرب الحارة الى الحرب الباردة ( ١٩٤٤ - ١٩٤٧ ) . —

كان يجب عمل كل شيء : فبعد ظهر يوم السبت الأغر ، في ٢٦ آب ١٩٤٤ ، نزل الجنرال دوغول من قصر الايبازية محاطاً بالهتاف الشعبي ، يحيه مليوناً فرنسي ، وسيستمد شارل دوغول شرعيته من هذا « الاجتماع ، الباريسي ثم القومي ويؤسس سلطته على هذا النحو . وفي الوقت ، الذي كان يوجه فيه عمل الحكومة الموقنة ، كانت يشجع المجهود الحربي . وحاول أن يعيد للفرنسيين النظام والوحدة ، وإلى فرنسا مكانها ، وطاف البلاد خلال شهرين : ففي ايلول ، زار ليون ومرسيليا وتولون وتولوز وبوردو وأورليان ونانسي وليل ولانس وآراس في ايلول ؛ وفي تشرين الاول ، زار روان ونورمانديا ورنس وشامبانيا وديجون وبورغونيا .

وفي كل مكان كان الشعب يستقبل الجنرال استقبال الظافرين ، وفي كل مكان كان الجنرال يرد الوجهاء إلى حظيرة العقل قليلاً أو كثيراً ويقطع دابر العصيان والتمرد ، ويحكم في الخلافات ، ويعلي القرارات ، ويفرض وزراءه ومفوضي الجمهورية والمحافظين . أما بالنسبة إلى المناطق التي لم يزرها إلا آجلاً وإلى مجموع الأمة فكان يتكلم غالباً بالراديو ويكثر الاحتفالات والخطب .

الحرب . - وزار الجيوش مرات عديدة وهي في الكفاح ، ويجب أن نتذكر أن ديجمون لم تتحرر إلا في ١١ ايلول ، وان الفرنسيين لم يدخلوا ملهوز إلا في ٢١ تشرين الثاني ، وستراسبورغ إلا في ٢٣ . وعلى الهجوم الحليف الذي قام في تشرين الثاني كان الجواب آخر رجفة كبرى ألمانية في منتصف كانون الاول ، وهو الهجوم المعاكس الذي قامت به قوى فون ووندشتيت في الأردن . وقد رفض دوغول باستعلاء ، في أول كانون الثاني ١٩٤٥ ، أن يجلو عن ستراسبورغ التي استودت حديثاً ، عندما أعطى القائد الأعلى للجيوش الحليفة ، الجنرال آيزنهاور ، الأمر للجنرال دولاتر دوتاسيني ، ولزم انتظار ٢ شباط ١٩٤٥ حتى سقطت كولمار بدورها ولم يعبر الراين إلا في آخر آذار . ولم تستسلم « الجيوب » الألمانية في رويان ولاروشيل ، كل في دوره ، إلا في آخر نيسان وأول أيار ، وتمسكت جيوب سن - نازير ولورويان حتى انهيار الراين .

وأخيراً انقضت جيوش الحلفاء على الارض الألمانية واستسلم الالمان في ٧ أيار ١٩٤٥ في رنس ، حيث حضرت فرنسا ، كما ستحضر أيضاً في ٢ ايلول القادم عندما تلقي اليابان بدورها السلاح .

التسيير . - ولكن لا يكفي توكيد السلطة ومتابعة الكفاح : بل يجب الحكم . ففي ١٣ ايلول ، قرر مجلس الوزراء زيادة الاجور بمقدار ٤٠ ٪ ، وفي ١٧ تشرين الاول رفع التعويض العائلي ٥٠ ٪ . وفي منتصف شهر تشرين الثاني ، طرح أول قرض كبير فكان نجاحاً ، وحاول أن يكبح تضخماً نقدياً جاعاً . فقد تكاثرت تداول الاوراق النقدية والدين العام بأربعة أمثال بالنسبة إلى ما قبل الحرب . ونصت موازنة ١٩٤٥ على ٣٩٠ مليار فرنك للمنفقات ، منها ١٧٥ مليار اعتمادات عسكرية ، بينما كانت الواردات ١٧٦ مليار وهذا يعني أن العجز كان ٥٥ ٪ .

ونجّاهت في الحكومة نظريتان : كانت **بيير مالديس** - **فوانس** ، وزير الاقتصاد القومي ، يفضل الجراحة وأراد أن يضرب الحديد وهو حام ؟ واقترح روليه بليفن ، وزير المالية ، دواء أخف ، علاجاً أكثر تقدّمية : وحكم **دوغول لصالح الطيب** ، وفي ٥ نيسان ١٩٤٥ سجلت استقالة **مالديس** - **فوانس** منعطفاً هاماً .

وجرى تبديل الأوراق النقدية من ٤ إلى ١٥ حيزران وقننت رقابة الاسعار في ٣٠ من الشهر نفسه ؛ وفرضت ضريبة التضامن القومي ، الاقتطاع على الثروة ، في شهر آب . وشيئاً فشيئاً أعطى الفرنك علامات النهوض ولم تعد صناديق الخزّانة فارغة ، وخرجت الاموال العامة بعد أن توقف نشاطها ، واستعاد الاقتصاد حياته .

**الاصلاحات** . - وفي الوقت نفسه طبقت الحكومة المؤقتة ، بدافع من عناصر اليسار ، التي كانت تسيطر فيها ، أهم اصلاحات بنوية عرفتها فرنسا وكانت أهم بكثير من اصلاحات الجبهة الشعبية في العام ١٩٣٦ .

وطوراً وطوراً ، وفي أقل من عام ، قررت براءات تأميم الفحم والغاز وبنك فرنسا ومؤسسات التسليف الكبرى ، ومعامل وينو ، التي أصبحت حصراً قومياً ، والطيران التجاري ، الذي ولد الطيران الفرنسي . وأوجدت قرارات أخرى مكتب البترول ، ومفوضية الطاقة الذرية ، ومفوضية التخطيط العليا ، والخزّانة المركزية لفرنسا ما وراء البحار ، والمدرسة القومية للإدارة . ونظمت من جديد التأمينات الاجتماعية ، وامتدت على جميع الأجورين ، وأعيد تنظيم التعويضات العائلية ووسعت . وأنشئت لجان المشاريع . وكل هذا يشبه ثورة تعطي للدولة سياء جديدة تماماً وتحول اقتصادها .



**التطهير .** - ولكن الاضطراب جاء أيضاً من الظروف التي وجد فيها تطهير العناصر التي كانت خالعة مع المحتل . وقد ذكر الجنرال دوغول في « مذكرات الحرب » الارقام الرسمية : ١٠٨٤٢ ميتاً ، منهم ٦٦٧٥ قاترا قبل التحرير ، واعدم الباقون بعده . ومنهم ٧٧٩ بنتيجة أحكام صادرة عن محاكم عدلية خاصة أنشئت في ١٣ ايلول ١٩٤٤ . وهذه المحاكم نفسها ، حسب « المذكرات » ، حكمت على ٣٩٠٠٠ شخصاً بعقوبة الاعتقال ، بينما حكمت محكمة العدل العليا ، التي بدأت في آذار ١٩٤٥ ، على رجال حكومة فيشي ، وبخاصة بينات ولافال ووزرائها وأعوانها .

وقد نوقشت هذه الارقام بشدة ، وذهبت التقديرات ، حسب المصادر ، من الضعف إلى العشرة أمثال في كل ما يتعلق بتنفيذ الأحكام بالاعدام الشرعية أو غير الشرعية ، مع الاخذ بعين الاعتبار تسوية الحسابات والاحكام العاجلة التي تلاحت خلال شهور أيضاً ، حتى الاستسلام الالمانى . ويجب أن نذكر هنا ، مع مااعتبار كل شيء ، أن حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ كلفت فرنسا نحو ٧٥٠.٠٠٠ ميتاً ، قتل ثلثام في الكفاح ، والباقون سقطوا اما تحت القنابل ، أو فتك بهم المحتلون ، واما أيضاً أسرى أو منفين عرقيين ، أو سياسيين ، أو ماتوا من العمل في الأمر ، واما ضحايا التطهير .

**المكالة .** - ومعنى الحكم أيضاً أن تعاد إلى فرنسا مكانها . فقد عارض دوغول منذ أربعة أعوام الحلفاء البريطانيين والاميركيين ، بحساسية يقظة دوماً ، وبتصلب متشدد وبكبرياء كامرة ، ومع انه كان خالي اليدين ولا يمثل في النضال في سبيل الحياة ، الذي يقدمه تشرشل وروزفلت ، إلا بديقاً على رقعة الشطرنج . فنذ أن استقر في باريس ، وقبض على زمام

البلاد بيده ، وقبلت سلطته المطلقة ، غير القابلة للنقاش ، ما فتية يضع فرنسا في الصف الاول بين « الكبار » . وان اعتراف لندن وواشنطن بحكومته سيأتي بنتيجة وقائع لا بنتيجة أعمال دبلوماسية . وما كاد يأخذ مكانه ، إلا وسمى السفراء ، واستقبل الدبلوماسيين المعتمدين لديه ، واستقبل تشرشل وايدن في باريس ، وبضربة بوكسر فائقة للعادة ، أبرم مع ستالين الميثاق الفرنسي - السوفياتي ، في ١٠ كانون الاول ١٩٤٤ ، كمرحلة أساسية للصعود . ومع هذا فان الحلفاء الثلاثة لم يدعوه إلى مؤتمر بالطا ، ولذا رفض بشدة ، في ١٣ شباط ١٩٤٥ ، الذهاب إلى الجزائر للقاء الرئيس روزفلت على طريق العودة .

غير ان الجراءة والعزم بل والزهو لها ثمنها عندما يراد استسلام العدو واقتسام مناطق الاحتلال وإدارة المانيا المغلوبة ، وأخيراً الوصول إلى مجلس أمن الأمم المتحدة بين الخمسة الكبار . وفي واشنطن ، حيث التقى دوغول بالرئيس ترومان في نيسان ١٩٤٥ ، وفي بروكسيل ، حيث ذكر لأول مرة في تشرين الاول ضرورة وحدة اوروبا ، كان يكرر نفس العبارة : عظمة فرنسا واستقلالها .

الامبراطورية . - وبصورة موازية ، تشكلت الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وتجمعت بشكل جزئي حول فرنسا الحرة والحكومة المؤقتة في الجزائر . وكان سلطات مراكش في باريس لحضور احتفالات ١٨ حزيران ، وباي تونس لحضور استعراض ١٤ تموز ، وأعلن زعماء افريقية السوداء ولاءهم .

ولا يوجد في هذه اللقطات الجديدة إلا نقطتان خاطئتان : أولاً مذابح سيتيف ، في يوم النصر نفسه ، في ٨ أيار ١٩٤٥ ، وتدبير القمع الصارمة التي حملت في أصلها يقظة القومية الجزائرية وحرب النمازة

أعوام التي نشبت في ١٨٥٤ . ومن ثم ، وبخاصة ، حرب الاسترداد القاسية في الهند الصينية في خريف ١٩٤٥ ، التي أثرت على اليابانيين المغلوبين ، والصينيين الوطنيين الذين كانوا على رأس السلطة في بيكين ، والحلفاء الاميركيين الذين قرروا انهاء العصر الاستعماري : وهنا أيضاً انعقد القدر التاريخي فأدى إلى ثمانية أعوام حرب بعيدة .

السياسة . - وأخيراً ، السياسة التي لم تفقد أبداً حقوقها لا في لندن ، ولا في الجزائر ، حتى ولا في المقاومة الداخلية . ومنذ التحرير ، ظهرت من جديد في وضوح النهار .

حدث أول صدام بين الفرنسيين الاحرار الذين أنوا من لندن والجزائر ومقاومي الداخل المتجمعين حول مجلس المقاومة القومي (C.N.R) الذي يرأسه جورج بيدو . إن الاحزاب التي تشكلت من جديد في السر مثلت في مجلس المقاومة القومي ، وأخذت مقاعدها في المجلس الاستشاري في الجزائر وكان لها بضعة رجال في الحكومة الموقفة . ولكن ، منذ اللحظة الاولى ، حدث التصدع في هذه الدرجات المختلفة : فقد اعتبر اليمين ضالعا مع المحتل وفيشي ، وسحق ، وكان الوسط غائبا ، وأراد الناس كلهم أن يكونوا في اليسار . وكان السياسيون يرون الذهاب ، كما أعلنت الخطوط العريضة لأكثر الجرائد حماسة الصادرة في السر ، مثل جريدة « كفاح » - آلبيرو كامو ، وآلبيرو اوليفيه ، وباسكال بيا ، وديون آدوت ، « من المقاومة إلى الثورة » . وكان أكثر الدوغرليين ، أنفسهم ، لا يفكرون ، على مثال زعيمهم ، إلا باعادة استتباب النظام ، وبتوطيد السلطة الجديدة .

وفي البلاد ، أحيا الشيوعيون ائتلافاً قوياً ، الجبهة الوطنية ، وأنقلوا ،

مع الجنود الفارين والانصار (F. T. P.) ، على الحوادث ، وأملوا في الغالب قانونهم .  
فقد سموا بلديات ، وسيطروا عليها ، وحكموا على لجان التحرير في  
المقاطعات وعلى مجلس المقاومة القومي نفسه . وكانت الميليشا الوطنية  
الذراع المسلحة لهذه السلطة الواقعية الجديدة .

وانتظر دوغول ساعته ، وفي ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٤ ضرب ضربته :  
بجل الميليشات الوطنية ، وتسليم الاسلحة ، والتسريح المدني والتجنيد  
العسكري للحرب المستمرة . وسجل الموجهون الشيوعيون لحظة تردد ،  
ثم انحنوا وشجعوا جيوشهم على استئناف العمل والكفاح ، ووقف الثورة ،  
ولزم شهران ، مع ذلك ، حتى سمعت تحريضاتهم وأوامر الحكومة  
الموقفة . ثم تألف مجلس استشاري جديد أوسع وأكثر سياسة وأخذ مكانه  
في ١٢ تشرين الاول ١٩٤٤ وانعقد لأول مرة برئاسة دوغول في ٩ تشرين  
الثاني . وشخص اليه أكثر من ثلاثين مرة خلال الأشهر الستة التالية  
ليوضح سياسته ويدعو الى الاتحاد والجهد .

الدستور . - واقتصر النزاع شيئاً فشيئاً على النقاش في الدستور  
ودام هذا النقاش قرابة عامين . وفي الحقيقة إن دستور ١٨٧٥ ، دستور الجمهورية  
الثالثة ، لم يعد له إلا قليل من الانصار . وكان دوغول جَزِعاً إلى  
مشاورة البلاد ، والسير باعداد الدستور الجديد ، والجمهورية الجديدة .  
هذا ولما كان الشيوعيون والانصار وضعوا يدهم على السلطات المحلية ،  
فمن هنا يجب البدء . وجرى الانتخابات البلدية ، أول استشارة حرة  
للبلاذ منذ ستة أعوام ، في ٢٩ نيسان و ١٣ أيار ١٩٤٥ ، قبل عودة  
الاسرى والمبعدين ، وستتبع ، في ٢٣ و ٣٠ ايلول ، بانتخابات في المناطق  
عند عودة السلام واستعادت الاحزاب أماكنها ، وانطلقت  
العجلة السياسية .

وفي ٢١ تشرين الاول ، جرت الانتخابات التشريعية والاستفتاء الحامم . وقد سبقها كثير من الجدل اشترك فيه ليون بلوم ، وقد عاد من المنفى ، وموريس تويرز ، بعد أن رجع من الاتحاد السوفياتي ، وادوار هريو ، بعد أن حرره المحتل . واسهم هؤلاء الثلاثة ، في كل منصات المؤتمرات وفي جرائدهم ، بنصيب نشيط . ورأى بلوم الزعيم الاشتراكي القديم ، الذي ا طرح دستور ١٨٧٥ ، أن الاستفتاء مناسب ، ولكن المجلس الذي سينتخب يجب أن يقبض في آن واحد على السلطات الدستورية والتشريعية . وأراد تويرز الزعيم الشيوعي ، هو أيضاً ، أن يلغي قواعد الماضي ، ولكنه رأى أن الاستشارة المذكورة مضادة للديموقراطية . أما الرئيس القديم لمجلس النواب ، هريو ، فيرى أن الجمهورية الثالثة مازالت مستمرة ويجب أن تستمر بكامل حقها . وبعد مشاورات طويلة فصل دوغول في الامر . وكان على البلاد أن تقول ما إذا أرادت العودة إلى دستور الجمهورية الثالثة : فأجابت « لا » بنسبة ٩٦٪ من الاصوات . وكان المجلس الذي انتخبته ، في الوقت نفسه ، مجلساً تأسيسياً ، ولم يارس كاملاً السلطة التشريعية ، ولذا فان مشروع الدستور يجب أن يعرض من جديد على البلاد .

كان المجلس يضم ١٥٩ شيوعياً ومن حالفهم ، و ١٤٦ اشتراكياً ، و ١٥٠ من الحركة الجمهورية الشعبية ، ووسطاً ضعيفاً ب ٤٢ من الاتحاد الديرقراطي والاشتراكي للمقاومة ، ومن ٢٩ راديكالياً أو مناصراً للراديكالين ، ويمينا معتدلاً اقتصر على ٥٣ منتخباً . ولأول مرة ، وحتى الآن لآخر مرة في التاريخ الانتخابي الفرنسي ، كانت للشيوعيين والاشتراكيين الاكثوية المطلقة في التصويت في البلاد وفي المجلس . وانعقد

وكان كل ارتفاع للأسعار ، - هذه الاسعار التي تضاعفت في ثمانية عشر شهراً ، بينا الاجور الحقيقية تناقصت - يمد الاضرابات بجذوة جديدة . وفي تشرين الاول ١٩٤٨ أخلى الجيش مناجم الشمال وبا - دو - كاليه ، حيث أدت اضرابات « السنة الفظيعة » إلى ضياع ٦ ملايين طون من الفحم ، وحيث كلفت اعادة الاجهزة إلى حالتها الاولى ٨ مليارات فرنك .

تهديم أو غزو . - ووجد ما هو أخطر من ذلك : ان المسؤولين السياسيين ، وزراء روبرت شومان ، وآندريه ساري ، وهنري كوي ، الذين نالوا على السلطة أثناء هذا الدور الدرامي الذي رأى من « ضربة براغ » إلى حصار برلين ، نشوء الحرب الباردة ، كانوا جميعهم مقتنعين بأن الشيوعيين يحاولون قلب النظام وأخذ السلطة في فرنسا منتظرين بأن يحتاج السوفيياتيون أوربة الغربية . وستظل آثار الجروح المفتوحة ، أثناء أشهر الأزمة الخارجية والداخلية ، مرئية الى عشرين عاماً . ومن إرادة مقاومة تهديم الشيوعيين وغزوهم نشأت خطة مارشال في مساعدة أوربة ، ولكن سرعان ما كشف بعضهم عنها بأنها أداة عبودية ؛ وميثاق الاطلسي الذي أبرم لعشرين عاماً في ١٩٤٩ ، ودستور الجمهورية الاتحادية الالمانية ، وإعادة تسليحها ، وبدايات الوحدة الأوربية ... وفي الداخل ، انفجرت الحركة العمالية الموحدة من جديد ، وولد الانقسام ، في كانون الاول ١٩٤٧ ، قوة عمالية من وحي اشتراكي بينما ظل الاتحاد العام للعمل في أيدي الشيوعيين .

وفي أثناء ذلك نما تجمع الشعب الفرنسي الذي أسسه الجنرال دوغول ، وأعلن عن مليون مشترك ، ( ولم يكن في الواقع أكثر من ١٠٠٠٠ ) ، وقام بمعارك منظمة ضد جيوش الصدام الشيوعية . وعدد زعيمه المظاهرات ، وبشكل لا يكل ولا يمل أخذ يهاجم ويفضح ويذري

نهایتاً على تأميم الغاز والكهرباء ، ثم على تأميم التأمينات ، والفهم ، والتسليف . أما التقنين الاعاشي ، الذي أبقى عليه ، ولزم معه في آخر كانون الاول ١٩٤٥ إعادة فرض بطاقة الحبز التي حذفت من قبل ، فقد كان موضع نقاش غنيف . وفي وسط هذا القلق والتضخم النقدي القافز ، والعوز المستحكم ، كانت الأعمال الدستورية تثير المناقشات الحارة .

الاصفاق الأول . - وصوت المجلس ، بعد مناقشات صاخبة على القانون الانتخابي ، افتراع القائمة في المحافظة ( المقاطعة ) ذي النسبة مع توزيع البواقي ، وهو نظام يفقد بصورة عظيمة الاحزاب الكبرى . ثم هاجم دراسة مشروع دستور مهيأ من قبل لجنته التي كان مقررها ف . دومانتون ، وهو من الحركة الجمهورية الشعبية . وبعد قليل تمت القطيعة بين الاحزاب الثلاثة المتشاركة ، الشيوعي والاشتراكي والحركة الجمهورية الشعبية . واستقال فرنسوا دومانتون وخلفه التقدمي نصير الشيوعيين بيير كوت . وتدخل فيليكس غوث ، وفنسان اوربول عبثاً . وهذا المشروع ، الذي سيعرض على البلاد ، يعطي السيادة للمجلس الوطني ، الذي ينتخب وحده رئيس الجمهورية ويقلد رئيس مجلس الوزراء منصبه ، ويوافق على تشكيل الحكومة ، ويراقب بشكل وثيق سياستها ، ويشرع دون أن يخول هذا الحق أو أن يتنازل عنه ، ويسيطر على السلطة القضائية ، وباختصار يحكم دون تقسيم .

وفي ٥ أيار جرى الاستفتاء . وقام الشيوعيون ورفاقهم على الدرب والقطاع الفرنسي من الدولة العمالية ( الحزب الاشتراكي ) بجملة من أجل « نعم » . وأوصت الحركة الجمهورية الشعبية والاتحاد الديمقراطي والاشتراكي للمقاومة ، والرايكاليون ، والدغوليون والمعتدلون بـ « لا » ،

وتغلب هذا الجواب بـ ٥٣ ٪ على ٤٧ ٪ « نعم » . ولذا يجب إعادة كل شيء . ولم يكن للدولة اجهزة ، بينما كانت بواكير حرب الهند الصينية تثير القلق أكثر من الاتفاق الفرنسي - الاميركي في ٢٨ أيار ، الذي تفاوض به ليون باوم مع أمين دولة الولايات المتحدة بونوز ، وكان موضع نقاش كثير .

وهذا الاتفاق الذي يقضي بتصفية الديون ودبون الحرب ، وفتح اعتماد جديد الى فرنسا بواسطة بنك الاستيراد والتصدير ، وبسمح من جهة أخرى للانتاج السينائي الاميركي باجتياح الشاشات الفرنسية قد صودق عليه ، مع ذلك ، في الاول من شهر آب .

وفي ٢ حزيران ، كرس انتخاب المجلس التأسيسي الثاني فوز الحركة الجمهورية الشعبية التي حصلت على ٢٨١ ٪ من الاصوات و ١٦٦ مقعداً . واحتفظ الشيوعيون بنسبة ٢٦٢ ٪ و ١٥٣ نائباً . وتراجع الحزب الاشتراكي ، فقد حصل على ٢١١ ٪ و ١٢٨ مقعداً . وتضاءل الاتحاد الديمقراطي والاشتراكي للمقاومة والوسط ، وتقدم المعتدلون قليلاً . وفي الجزائر بدأت نتائج مذابح سبتيف تظهر بانتخاب ١١ نائباً قومياً بوجههم فرحات عباس .

عهد بالحكومة الى جورج بيدو ، وكاث حزبه ، الحركة الجمهورية الشعبية ، وهي التشكيل الوحيد ، من بين التشكيلات الكبرى ، الذي حمل على مشروع الدستور ، في نقطة الأوج . ثم قطع دوغول صمته الذي راعاه حتى الآن . وفي خطاب مدو ، ألقاه في ١٦ حزيران في باتو ، عرض مطولاً نظرياته الدستورية التي ظلت تقريباً دون تغيير حتى ١٩٥٨ ، عندما وضعت موضع التنفيذ بشكل واسع .

الآزمات . كان التعمين يجري بشكل سيء ، وكانت المالية



والاقتصاد في عز الأزمة . وكان صاحباً هاتين الحقيبتين يتغيران في كل شعور وزاري . وضاعفت الأزمة الاجتماعية الأزمة السياسية وأدت الى زيادة الاجور بنسبة ١٨٪ وسطياً ، وإلى دفع تضخم نقدي جديد . وبعد أن تأخر المجلس في معركة طعون طويلة ، وانهم بخاصة الزعيمين القديين في الجمهورية الثالثة ، بول رينو و ادوار دالادييه ، وثبتت صحة انتخابها أخيراً ، استأنف عمله الدستوري . وبينما كان مقدم المسرح مشغولاً بمؤتمري فونتينبلو ودالات بشأن الهند الصينية ، وبالجدل في التمويل والعوز ، وبالمؤتمرات السياسية ، وبحركات الموظفين الاجتماعية ومناقشات الموازنة انتهت المناقشات الدستورية إلى نص يشهد بالتنازلات التي قام بها الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي والحركة الجمهورية الشعبية . وبوجهه يستعيد رئيس الجمهورية ، الذي ينتخب بالاقتراع السري من قبل المجلسين ، قليلاً من الأهمية ، ويمارس المجلس كامل السلطة التشريعية . كما أعيد توطيد نظام المجلسين مع مجلس الجمهورية ، وازداد دور الحكومة . وكان ذلك تسوية بين حكومة المجلس والسلطة التنفيذية القوية .

وا طرح دوغول دستور ١٩٤٦ كما فعل مع الاول . ودعا في ابدنال ، في ٣٠ ايلول ، إلى التصويت بـ « لا » . وبالمقابل ، في هذه المرة ، نصحت الحركة الشعبية بـ « نعم » . مع الشيوعيين والاشتراكيين الذين وضعوا على رأسهم ، في آخر آب ، أميناً عاماً جديداً ، غي مولليه . وكانت أولى « فضائح » النظام ، قضية الخمر ، التي كشف عنها ايف فاراج ، وتجارة المنسوجات ، وقد استرعت القضيتان انتباه الجمهور أكثر من حملة الاستفتاء . وفي ١٣ تشرين الاول صودق على الدستور بأقلية هبة وإحسان : ٨ ملايين امتناع ، ٩ ملايين « نعم » ، ٨ ملايين « لا » . وولدت الجمهورية الرابعة

## الحياة الصعبة للجمهورية الرابعة (١٩٤٧ - ١٩٥٤)

ان كل وجود هذا النظام ، الذي أقر عند بداية الحرب الباردة ، ثم حدوث مجابهة الكتلتين في كوربا ، سيكون صعباً ومهدداً . فقد كان عليه أن يناضل تباعاً وأحياناً تواجداً ضد تهديد الشيوعية بالتهديم وضد مخاطرة الاستيلاء وتولي الغولية السلطة . ومن ثم كان على هذه الجمهورية أن تواجه البوجادية ( من بوجاد ) والدفع المانديسي ( من مانديس فرانس ) ، وان تحشى تهديد القيام بحركة عسكرية ، وأخيراً أن تتحمل موجة المد النشط الذي تقوم به الاحزاب وسيتغلب أخيراً . وكان عليها أن تأخذ على عاتقها التعمير ، وأن توجه تعمير الطاقة الصناعية واقتصاد البلاد ، والقيام بارجاع كل شيء إلى النظام وإلى حاله في جميع الميادين وتمهئة الخواطر . وفي الوقت نفسه ، وجدت في نزاع ، فيما وراء البحار ، مع قضايا الخلاص من الاستعمار وستقوم بحربين موقوتتين ، في الهند الصينية أولاً ، ومن بعد في الجزائر ، وبالأممال الدامية للحفاظ على النظام في مدغسكر ، حيث قضي على تمرد ١٩٤٧ بفضاعة لا تصدق ، وفي افريقية الشمالية ، حيث نهباً المأساة . ومع هذا فالتاريخ مدين بالخطرات الأولى نحو الاتحاد الاوربي إلى هذه الجمهورية الرابعة الضعيفة جداً والمهددة جداً ، والمنقسمة جداً .

لقد جرى وضع النظم الجديدة الفرنسية موضع التنفيذ في اللامبالاة : وانتخب المجلس في ١٠ تشرين الثاني ، وكان يضم ١٨٢ شيوعياً و ١٠٢ اشتراكياً ، و ١٧٣ جمهورياً شعبياً ، و ٦٩ راديكالياً ومن الاتحاد الديموقراطي والاشتراكي للمقاومة ، و ٦٧ منتخباً من اليمين ، من حزب الحرية الجمهوري والجمهوريين المستقلين . ورفع إلى رئاسته الاشتراكي ، فانسان

أوريول ، ولم يشغل هذا كرسيه إلا ستة أشهر ، لأنه أصبح ، في ١٦ كانون الثاني ١٩٤٧ ، أول رئيس للجمهورية الجديدة وترك مكانه عندئذ في قصر بوربون ( المجلس النيابي ) إلى رئيس مجلس الجمهورية الثالثة ، ادوار هريو .

طرد الشيوعيين . - وبعد محاولات غير مثمرة قام بها الزعيم الشيوعي موريس توريي ، ثم جورج بيدو ، الفليون بلوم ، في ٦ كانون الاول ، لمدة شهر ، مع أصدقائه الوحيدين الاشتراكيين ، حكومة انتقالية متجانسة سلكت سياسة تخفيض استبدادي ورمزي للأسعار بمعدل ٥ ٪ . وكان الرئيس الاول ، الذي دل عليه رئيس الدولة منذ انتخابه ، بول راماديه ، وتوصل هذا بمشقة ، في آخر كانون الثاني ، إلى تأليف جهاز حكومي مع شيوعي واحد ، فونسوا بييـو ، للدفاع الوطني ، ويمثلين بلجميع الأسر السياسية حول الكتبتين الضخمتين اللتين جهزهما الحزب الشيوعي والقطاع الفرنسي للدولة العمالية ( الحزب الاشتراكي ) .

وكان هذا التشكيل اتحاداً قومياً تقريباً . وسيدوم ثلاثة أشهر ، أي بالضبط الوقت الذي انفجرت فيه الحرب في الهند الصينية في الواقع في ١٩ كانون الاول السابق ، وتم فيه ما لا يمكن علاجه وآخر حظ للسلام المبعد ؛ وحدثت فيه اضطرابات جديدة في مراكش ، وثورات دامية في مدغشكر ، وكرس في مؤتمر موسكو ، في ٢٤ نيسان ، محضر القطيعة بين الشرق والغرب ؛ وفي فرنسا بلغ التضخم النقدي كل الارقام القياسية ، بينما انهار الانتاج ؛ وإذا أخذنا بالاستعلامات العسكرية ، كانت الحكومة تتوقع في كل لحظة ضربة قوة شيوعية ؛ وأخيراً في برونيغال في ٣٠ آذار ، ثم في ستراسبورغ في ٧ نيسان ، ومن جديد في تصريح

١٤ نيسان ومؤتمر صحفي ، في ٢٤ منه ، أعلن دوغول تأسيس « تجمع الشعب الفرنسي » .

وفي كل مناسبة وجد توتر ومناقشات وحتى منازعات بين اشتراكيين في السلطة . واتخذ بول راماديه قراراً حذف بوجه الشيوعيين من حكومته . وسيسهل هؤلاء له العمل بالتصويت ، في ٤ أيار ١٩٤٧ ، ويدخل في ذلك وزراءهم ، ضد الحكومة التي كانوا يمثلين فيها ، والتي حصلت مع ذلك على ثقة المجلس بـ ( ٣٦٠ ) صوتاً مقابل ١٨٦ . وفي اليوم التالي ، صدر قرار صغير في « الجريدة الرسمية » بالوظائف الوزارية التي يحتلها موبس توريز واصدقاؤه . وعاشت الثلاثة الحزبية . وتحمر النظام تبعاً من الجنرال دوغول ومن الشيوعيين ، وبقي عليه أن يحكم وأن يحكم ضدهم .

القوة الثالثة . - وسيكون هذا الحكم عمل ائتلاف يضم ، تواجداً أو نوالياً ، كل من يؤلفون ما سمي « القوة الثالثة » ، من الاشتراكيين إلى اليمين الحزبي مروراً ( بالحركة الجمهورية الشعبية ) ، والوسط الراديكالي ، وكانت المراد منها مسلمة واقع ، لا قوة حقيقية متجانسة ومتحركة . وبالحال كان يجب مجابهة مشاريع المعسكرين الآخرين . فمنذ حزيرات شعر بتصاعد مدّ الاضرابات في البلاد ، وشهد الصيف القطيعة النهائية بين الغرب والشرق التي تجسّمت باطلاق مشروع مارشل من جهة ، واعادة تأسيس الكومنفرودم من جهة أخرى . ومنذ توز بدأ دوغول يجوب فرنسا ويتخذ بين خطاب وآخر ومن مدينة لمدينة ، نغمة قاسية وكفاحية بالقاء التبعة على الشيوعيين ، الذين أطلق عليهم اسم « الانفصاليين » وعلى النظام اسم « المذهب » .

وفي الحزيف كانت المعركة على جبهتين . وفي الانتخابات البلدية ، في تشرين الاول ، اهتزت أكثرية القوة الثالثة تحت ضربات تجمع الشعب

الفرنسي ، وحاولت الحكومة عبثاً أن تضع السد أمام موجة الاضرابات ، التي طغت ، في الواقع ، حتى آخر ١٩٤٨ . وقتت ائتلاف السلطة بعد أن اهترا ، حتى ان زعيمه نفسه انحى في ١٩ تشرين الثاني عندما أعلن غي موليه أنه وجد خلفاً لبول راماديه في شخص ليون بلوم الذي نقصته ٩ أصوات ليصل إلى مقاليد الحكم .

أحد عشر رئيساً لمجلس الوزراء . - ومن ١٩٤٧ إلى ١٩٥١ ، من حكومة ليون بلوم الموقته إلى الانتخابات التشريعية التي أنهت الدور التشريعي الاول للجمهورية الرابعة يعد ما لا يقل عن احد عشر تقليداً لرؤساء مجلس الوزراء و ٩ حكومات . وحسب الترتيب الزمني : اشتراكي ، بول راماديه ، ظل في مكانه عشرة أشهر ( من ٢٢ كانون الثاني إلى ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ) ؛ ورئيس من الحركة الجمهورية الشعبية ، روبير شومان ، دام ثمانية أشهر ( ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٧ - ١٩ تموز ١٩٤٨ ) ؛ ورئيس راديكالي ، أندويه ماري ، ولم يتم الصيف ( من ٢٦ تموز - ٢٨ آب ) . ومن جديد روبير شومان الذي قلد الوزارة ولم يبق إلا يومين ( من ٥ - ٧ ايلول ) ؛ ثم الدكتور كوي ، الراديكالي الذي ضرب الرقم القياسي لجميع فئات العصر بما يقارب ثلاثة عشر شهراً ( ١١ ايلول ١٩٤٨ - ٦ تشرين الاول ١٩٤٩ ) ؛ ثم قلد رئيسان ، جول هوك ، الاشتراكي ، ورونيه ماير ، الراديكالي ، ولكنهما لم يستطيعا تشكيل حكومتها ، وترك أمر حل عقدة الازمة إلى جمهوري شعبي ، جورج بيدو ، وماركته مشرفة : ثمانية أشهر ( ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٩ - ٢٤ حزيران ١٩٥٠ ) وللمرة الثانية دنري كوي الذي لم يبق في هذه المرة إلا يوماً واحداً ( ٣ - ٤ تموز ) ؛ ورونيه بليفين ، وهو رجل من الوسط بقي في الرئاسة ستة أشهر ونيف

( ١٣ تموز ١٩٥٠ إلى ٢٨ شباط ١٩٥١ ) ؛ وأخيراً ، للمرة الثالثة ، هنري كوي ، الذي قام بالانتخابات بعد أربعة أشهر فقط من وجوده في الوزارة ( ١٠ آذار - ١١ تموز ١٩٥١ ) .

وإذا تركنا تقليدين دون نتيجة وهما تقليدا جول موك ورونيه ماير والوزارات المؤقتة لكوي وشومان طبعة ثانية فان استراكيأ واحداً ، بول راماديه ، وجمهوريين شعبيين ، روبير شومان وجورج بيدو ، وثلاثة راديكاليين أو رجال الوسط ، آندريه ماري ، هنري كوي ، رونه بليفين ، هم الذين حكموا خلال هذه السنوات الأربع والنصف . وهذا يعني ، حسب قول مؤرخة الجمهورية الرابعة ، جورجيت الجيه ، « جمهورية ماندارن » ( موظفين ) .

كان رؤساء الوزراء في هذه الفترة تحت رحمة أجهزة الاحزاب ، ويخضعون لمزايدات لا تنقطع من قبل أصدقائهم السياسيين الخاصين ، ويقبلون طاباً على يدهم ، وتزعجهم مطالب كتل الضغط من مقطرين ، ولحامين ، ومدافعين عن المدارس العلمانية أو أنصار اعانة التعليم الخاص ، ونقابات أصحاب العمل ، والعمال الصناعيين أو العمال الزراعيين ، وحتى أحياناً « الكواليس » الاجنبية ، ولم يكن رؤساء مجالس الوزراء إلا منفذين لسياسة مهيئة خارجاً عنهم ، ووضعوا أنفسهم ، خلال بعض الوقت ، في الحل الهندسي لتناقضات ائتلاف أكثوية غير متحد ، وغالباً دون مذهب بل ينشأ فقط عن وجود نظريتين متطرفتين « غولية وشيوعية » . وفي الحقيقة كان الوزراء يتغيرون أقل من زعماء صفهم : وهكذا ، في خمسة أعوام ، تولى على وزارة الخارجية ( كيه دورسيه ) الفرنسية رجالان فقط ، روبير شومان وجورج بيدو ، بينما ظل دانييل ماير ثلاثة أعوام في وزارة العمل ، وجول موك عامين في وزارة الداخلية .

ولا توضع القضايا ، وعندما تفرض ، تسمح الازمة بالتفاوض بحل  
مبهم ونصف - ملون حتى تصطدم الحكومة ، ثمرة التسوية ، بالعقبة التالية  
وتنهار بدورها .

السنة الفظيعة . - وكانت سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، بالنسبة إلى  
مؤرخ آخر لهذا النظام الذي يلفت الانتباه ، وهو جاك فوفيه ، « السنة  
الفظيعة » ودامت في الواقع ثمانية عشر شهراً ، من ٤ حزيران ١٩٤٧  
إلى ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ . وقد توالى في هذا الدور ، منذ أول  
اضراب كبير إلى نهاية الاخير ، المظاهرات ، والصدامات ، وحتى العنف  
دون انقطاع تقريباً ، ومدأت فقط في الصيف دون أن تقف حقاً  
للتسأنف في الحريف .

وفي شهرين من آخر ١٩٤٧ ، ضاع ٢٣ مليون يوم عمل نتيجة  
للاضرابات مقابل أقل من ٤٠٠.٠٠٠ لكل سنة ١٩٤٦ . وأكثر من  
١٠٠٠ توقيف ، وفيها أكثر من ١٠٠ بسبب اعمال الاحباط والتخريب. ووقعت  
مشادات في مارسيليا هاجم فيها الجمهور قصر العدل والقصر البلدي واعمل  
فيها الدمار ، وسقط قتلى ، وكذا الأمر في فالانس . وتسببت حيدة  
( جنوح ) قطار باريس - ليل بـ ١٦ ضحية : كما وقعت أحداث بمائلة في  
طرق أخرى في الاين والرون والسوم ، ولحسن الحظ لم يقع جرحى .  
وفي كل مكان ظهرت الاسلحة التي كانت مخبأة للتحرير . وتوصل  
وزير الداخلية ، جول موك ، إلى أن طلب التصويت ، بعد معركة مارانون  
برلمانية دامت دون انقطاع من ٢٩ تشرين الثاني الى ٢ كانون الاول  
وانتهت بمرادف غاية في العنف - من اخلاء قاعة المجلس بالقوة وملاكمة  
ومشاجرة ، بينما أحاطت الجنود بقصر بوربون - ، وصدرت القوانين  
المسماة « قوانين الدفاع الجمهوري » التي سماها الشيوعيون « القوانين الآثمة » .

وكان كل ارتفاع للأسعار ، - هذه الاسعار التي تضاعفت في ثمانية عشر شهراً ، بينا الاجور الحقيقية تناقصت - يد الاضرابات بمجنونة جديدة . وفي تشرين الاول ١٩٤٨ أُخلى الجيش مناجم الشمال وبا - دو - كاليه ، حيث أدت اضرابات « السنة الفظيعة » إلى ضياع ٦ ملايين طون من الفحم ، وحيث كلفت اعادة الاجهزة إلى حالتها الاولى ٨ مليارات فرنك .

تهديم أو غزو . - ووجد ما هو أخطر من ذلك : ان المسؤولين السياسيين ، وزراء رويبر شومان ، وأندرية ساري ، وهنري كوي ، الذين توالوا على السلطة أثناء هذا الدور الدرامي الذي رأى من « ضربة براغ » إلى حصار برلين ، نشوء الحرب الباردة ، كانوا جميعهم مقتنعين بأن الشيوعيين يحاولون قلب النظام وأخذ السلطة في فرنسا منتظرين بأن يحتاج السوفيياتيون أوربة الغربية . وستظل آثار الجروح المفتوحة ، أثناء أشهر الأزمة الخارجية والداخلية ، مرتبة الى عشرين عاماً . ومن إرادة مقاومة تهديم الشيوعيين وغزوهم نشأت خطة مارشل في مساعدة أوربة ، ولكن سرعان ما كشف بعضهم عنها بأنها أداة عبودية ؛ وميثاق الأطلسي الذي أبرم لعشرين عاماً في ١٩٤٩ ، ودستور الجمهورية الاتحادية الالمانية ، وإعادة تسليحها ، وبدايات الوحدة الأوربية ... وفي الداخل ، انفجرت الحركة العمالية الموحدة من جديد ، وولد الانقسام ، في كانون الاول ١٩٤٧ ، قوة عمالية من وحي اشتراكي بينما ظل الاتحاد العام للعمل في أيدي الشيوعيين .

وفي أثناء ذلك نما تجمع الشعب الفرنسي الذي أسسه الجنرال دوغول ، وأعلن عن مليون مشترك ، ( ولم يكن في الواقع أكثر من ١٠٠٠٠ ) وقام بمشارك منظمة ضد جيوش الصدام الشيوعية . وعدد زعيمه المظاهرات ، وبشكل لا يكل ولا يمل أخذ يهاجم ويفضح ويزدري



النظام ، ورجاله ، وطرقه ، وعجزه . ولكننا ، بعد الحساب الدقيق ، في خريف ١٩٤٩ ، عندما خلف جورج بيدو هنري كوي ، نجد أن « الانطواء المطاط ، الذي طبق امام الدوغولية ، وسياسة القوة التي جوبه بها الشيوعيون قد أثرا .

الحرب و « القضية » . - ومع هذا فإن إرادة كسر اليأس المتطرف لم تظهر في فرنسا فحسب بل أيضاً في الهند الصينية ، حيث أوقفت محاولات جديدة للمفاوضات بوضوح ، وحيث وجدت فرنسا ، مع « حل الامبراطور باؤ - داي ، في حرب سيكون الخروج منها حزيناً .

وفي الوقت الحاضر ، كلفت قضية مظلمة يوميات الشرطة السياسية والعسكرية ، وذهبت طوال السنة ١٩٤٩ من قفزات إلى تغييرات . وذلك ان تاجراً من مستوى منحنط ، عميلاً مريباً ، يسمى دوجيه بيرييه ، عرف كيف يصبح رجل ثقة ، وعلى الأقل وصيفاً لعدة جنرالات ، وكان رئيس أركان الجيش أحدهم . فقد أثار نشر تقرير مري من هذا الرئيس ، الجنرال دوفير ، عن الوضع العسكري في الهند الصينية - الوضع الذي يتردى بشكل خطر - هذه القضية التي عرفت باسم « قضية الجنرالات ، وخنقت الفضحة ، واقلع العميل السري إلى البرازيل ، و « استدعي » رئيس الأركان العامة ولكن سوء الظن الذي تفجر على النظام واستغلال الفضائح الغربية والمناورات السياسية أو البوليسية ، والصدى الذي أعطي إلى الاذاعات المضلة والمقلقة للجنة التحقيق البرلمانية التي كلفت بالتنوير في القضية ، وبكلمة بالكشف عن القذارات ، أفادت المعارضات وزادت في الخلاف بين الجيش والأمة .

واستمرت حرب الهند الصينية مع ذلك ، وللتقويم الوضع الذي جاء النزاع الكوري وجعله أكثر خطراً أيضاً ، سميت حكومة بليفين عام ١٩٥٠ الجنرال دولاتر دوتاسيني وخولته جميع السلطات المدنية والعسكرية . وبدأ الوضع يقوى لولا أن موت هذا القائد ، في ١٩٥٢ ، عجل بحل القضية .

وبالرغم من كل هذه التقلبات ، فإن هذا النظام أطلق مشروعا كبيرا وهو مشروع الاتحاد الاوربي . فبايحاء من حان مونيه ، اقترح روبير شومان تشكيل اسرة الفحم والفولاذ ، بين فرنسا والمانيا واربعة بلاد أخرى مجاورة في الغرب الأوربي . ولكن قيل ان كل ما حاولته الجمهورية الرابعة عاد بعد قليل ضدها : فمن هذه الاسرة الاولى تم الانتقال إلى الحلف العسكري ، اسرة الدفاع الاوربية ، وقد سمى هذا المشروع الثاني الحياة العامة القومية حتى أثقل وجود النظام .

التحالف الانتخابي . - ومع ذلك قرب الوعد: وهو ان النواب، الذين انتخبوا عام ١٩٤٦ ، قربوا من انتهاء مدة انتدابهم . وكان الموظفون (ماندارن) مأخوذون بين فكي كاشة بين الغوليين والشيوعيين ، فحاولوا خرجاً وذلك أن هذه الاحزاب التي حكم عليها أن تعيش معاً ، في السلطة ، أخذت تبحث عن واسطة للائتلاف أمام الناخبين .

لقد وجدوا عمليات المزج التي تساعد القوائم الكثيرة المتحالفة على أن تجمع أصواتها ، وإذا بلغت الاكثوية المطلقة ، أن تأخذ جميع مقاعد مقاطعة من المقاطعات .

عندئذ ارتكب دوغول عدة أخطاء كلفته أن يبقى سبعة أعوام أخرى خارج القضايا العامة . فلم يدر في خلده ان يتوصل خصومه الى

التفاهم فيما بينهم ، وانتظر ، بالمقابل ، من الناضحين ان ينفروا منهم ويتحولوا عنهم . ولذا حرم على مرشحي تجمعه كل تواصل معهم ، وطرح بذلك المعتدلين نحو القطاع الفرنسي لدولة العمال ( الحزب الاشتراكي والحركة الجمهورية الشعبية .

وأثناء الانتخابات ، في ١٧ حزيران ١٩٥١ ، عزل الشيوعيون ، ولكنهم احتفظوا بأكثر من ربع الاصوات ؛ وتوصل الدغوليون الى المرتبة الثانية بـ ٢١,٥٦٪ من الاصوات . وكان هذا النجاح بالنسبة الى هؤلاء ، وإلى الآخرين نجاحاً انتخابياً ، ولكنه هزيمة سياسية . لأن التنازع ، رغم انهيار الحركة الجمهورية الشعبية التي خسرت نصف جنودها ، والبقاء على المستوى الضعيف الذي وضع الراديكاليون والمعتدلون أنفسهم فيه ، والتراجع الجديد للحزب الاشتراكي ، أوجد نحو ٣٤٠ مقعداً لأجل القوة الثالثة التي حافظت على الاكثريّة .

قانون « بارانجه » . - لقد أنقذت الجمهورية الرابعة ، ولكنها متضخمة . وللبداء ، وجدت قضية سيطرت قليلاً أو كثيراً على الحملة الانتخابية ، ولكنها ما لبثت أن صممت الجوز وقسمت حلفاء الامس : وهي قضية مساعدة التعليم الخاص فقد اتحدت من جديد الحركة الجمهورية الشعبية وتجمع الشعب الفرنسي والمعتدلون للمطالبة بهذا العون . وبعد ان تشكلت الحكومة الاولى للهيئة التشريعية ، برئاسة رونييه بليفين ، وهو من رجال الوسط ، وقد قلد السلطة من قبل حلفاء ١٧ حزيران ، طلبت التصويت على اقتراح أعدّه منتخب جمهوري شعبي وهو شارل بارانجه . وقبلت هذا القانون « قانون بارانجه » بسرعة بـ ٣١٣ صوتاً مقابل ٢٥٥ . فانفجر الائتلاف . وذلك أن الاشتراكيين حماة العلامة مع الشيوعيين والراديكاليين لم يعودوا الى الحكم خلال الدورة التشريعية

كلها ، ومع ذلك ظهرت تصدعات أخرى أثناء الاقتراع ، وهكذا فإن الاكثرية الاجتماعية التي صوتت على السلم المتحرك للأجور وجدت في هذه المرة الشيوعيين والاشتراكيين والجمهوريين الشعبين والدغوليين ضد المعتدلين والراديكاليين وحدهم . وشهد التصديق على خطة شومان ، التي أوجدت الوحدة الأوروبية للفحم والفولاذ ، نشوء أكثرية اوروبية تضم الحزب الاشتراكي والحركة الجمهورية الشعبية والراديكاليين والمعتدلين ضد المتطرفين من الشيوعيين وتجمع الشعب الفرنسي .

وخلال خمسة أعوام ، كان توجيه الحكم يذهب من المعتدلين الى الراديكاليين ، وخرج الاشتراكيون أما الحركة الجمهورية الشعبية فقد جنبت بالرغم من أنها الوحيدة التي يمكن ان ترى في الاكثريات القوية الثلاث ، المدرسية والاجتماعية والاوربية . وثلا حكومة بلفين ( ١١ آب ١٩٥١ - ٧ كانون الثاني ١٩٥٢ ) أولاً وزارة ادغار فور وكانت تضم اربعين عضواً ودامت اربعين يوماً من ٢٠ كانون الثاني الى ٢٩ شباط . سقطت الوزارة الاولى على التدايير التي وضعتها لمسكافة التضخم النقدي بانقاص مستوى حياة الدولة وبخاصة مساعدات الشركة القومية للخطوط الحديدية والمبالغ التي تدفع للتأمين الاجتماعي . وتعثرت الوزارة الثانية بالموازنة التي اقترحتها للتوازن بزيادة جميع الضرائب ١٥٪ . وعندئذ ظهر فجأة ابطوان بينيه وكان هو ريمير مانديس فرائس بعده يطبعان هذه الدورة التشريعية بطابعها الخاص .

معجزة بينيه . - سياسياً ، لم يكن له أي حظ بأن يقلد الوزارة . وعندما دعاه فانسان اوربول ، لتشكيل الحكومة ، كان يلزمه ٣١٣ صوتاً ، وما من أي إشارة تخول الى هذا المعتدل المعروف قليلاً اكثر من ٣٠٠ صوت . ولم يكن له أي حظ بالنجاح اقتصادياً ومالياً .

عندما انخرط في القضية لارجاع التضخم النقدي المتسارع وتحديد الضرائب .  
ومع ذلك فقد حدث ما يسمى « معجزة بينيه » المزدوجة .

اولاً ، فصل من تجمع الشعب الفرنسي سبعاً وعشرين نائباً وقلد  
الوزارة بـ ٣٢٤ صوتاً . ثم أنه جاء بالضبط في وقت انتهى فيه التضخم  
النقدي في البلاد المجاورة ، وصار يلهث في فرنسا ، واستطاع بما أوحاه  
من ثقة ان يعكس التيار . فقد كانت قرينة اسعار الفرق في آذار في  
١٤٨١ ، وستكون ١٤٤٥ في آخر أيار ، و ١٤٢٨ في آخر تموز .

وفي هذه السنة ولدت وحدة الدفاع الاوربية ووقعت المعاهدة في  
٢٧ أيار ، وآثار توقيف الوزراء التونسيين ، في ٢٦ آذار ، في المغرب  
دورة جهنمية من الارهاب والقمع . وهذان العملان ساعدا على تأكيد مصير  
نظام لا يستطيع أن يجابه مهامه .

وكانت « معجزة بينيه » قصيرة الأمد ، وانصرف في الايام  
الاخيرة من سنة ١٩٥٢ ، دون أن يقلبه البرلمان كالكثيرين من أسلافه  
وخلفائه : لأن دستور ١٩٤٦ لم يطبق بحق أبداً ومات دون أن يعيش .  
وكان خلف هذا الساحر ، بينيه ، ووليه هايم ، وقد سبقته شهرته بالذكاء  
والمهارة لدرجة لا نظير لها . ومع ذلك ، لم يتأسك إلا ثمانية عشر  
اسبوعاً في السلطة ، واحتس من أن يعرض قضية تصديق معاهدة وحدة  
الدفاع الأوروبية ، وسقط كأنطوان بينيه بسبب هذه القضية الشائكة  
كمثيلاتها من القضايا ، بالرغم من أن حجة سقوطه كانت اقتصادية  
ومالية .

وكيل الافلاس . - وعندئذ ظهر لأول مرة في سياق التقليد الوزاري ، بعد

إخفاق بول رينو ، الرجل الذي يطبع بعمله السياسة الفرنسية في السنة التالية ، وهو : بيير هانديس فوانس . وبعد خمسة أسابيع أزمة ، ودوران جورج بيدو وأندريه ماري ، قلد المجلس جوزيف لانييل ، وكيل الافلاس .

وفي ٦ أيار ١٩٥٣ تخلى الجنرال دوغول وأعطى منتخبي تجمع الشعب الفرنسي حريتهم ، ولزم الصمت في قريته . وانتهت ولاية فانسان اوربول المقررة لسبعة أعوام ، وزال التهديد الداخلي . وبعد هذا هل يستعيد النظام أنفاسه ، وإذا حدث ذلك ، هل سيلقى ثانية وضعاً دولياً ؟

دورات فرساي الثلاث عشرة - عقدت ثلاث عشرة دورة دون الكلام عن تأثير وحدة الدفاع الأوربية التي نسفت الأحزاب بكاملها ، وعن انهيار النظم التي بليت قبل أن تخدم ، وعن الثقل المتزايد الذي كانت الدرامة الهندية - الصينية تنقل به الدبلوماسية واستراتيجية ما وراء البحار والوضع الداخلي للنظام . لقد شلت الاضرابات العفوية والواسعة فرنسا ، في شهر آب ، ووسع خلع سلطان مراكش ، محمد الخامس ، رقعة جبهة ما وراء البحار . ولزم ستة أيام وثلاث عشرة دورة اقتراع في فرساي ، في شهر كانون الأول ، لتساعد البرلمان على انتخاب رئيس الجمهورية الجديد ، ستة أيام مناورات وتوقيبات ، كواليس ، ومساومات شهدت جوزيف لانييل يجابه قباعاً ، بين مرشحين آخرين ، جورج بيدو والاشتراكي م-أو. ناجيلين ومن بعده المعتدل بيير مونتل ، والمستقل الثاني ، لوي جاكينو ، قبل أن يضربه مستقل ثالث وهو رونييه كوتي .

إن مفتاح هذا المشهد الحزين يكمن ، أيضاً ودوماً ، في الكفاح حول وحدة الدفاع الاوربية . ولكن حصار موقع ديان بيان فو وسقوطه في

٧ أيار ١٩٥٤ ، والجهود البائسة التي بذلتها حكومة لانيل لمحاولة الخلاص من الوضع الحرج الهندى - الصينى بالسلام أو بتسليم الحرب الى الحليف الاميركي ، الذي يمولها كاملاً ، كانت الضربة المميتة . وفي ١٢ حزيران انهارت تلقائياً الوزارة غير الشعبية للجمهورية الرابعة . ويسكاد يلاحظ أن البلاد كانت ناضجة لتغيير النظام .

نهاية الامبراطورية وموت النظام ( ١٩٥٤ - ١٩٥٨ ) . - ودعا رئيس الجمهورية الجديد رونيه كوتي الزعيم بيير مانديس فرانس ، الذي بدا أن صوته لاقى في العام الفائت صدى في البلاد ، لتشكيل الوزارة دون أن يثق به . واحتفظ بآخرين « ممكنين » . وفي ١٨ حزيران رفض الوزير دون صعوبة أصوات الشيوعيين ، ورغم ذلك صوتوا معه ، وألف فريقاً من رجال جدد ، وواعد بالسلام في الهند الصينية قبل ٢٠ تموز ، وبلاستقالة إذا لم يتوصل الى ذلك . وقبل مهام منصبه وانكب على العمل .

وسيهن مانديس فرانس ، حتى في هذا النظام المناقض للمنطق على إمكان الحكم ، وفي الوضع غير الملائم جداً الذي وجد فيه الجيش الفرنسي في الشرق الأقصى والدبلوماسية الفرنسية في جوينف حيث عاود الاربعة اتصالهم وعقدوا مؤتمراً بشأن آسيا مع الصين منذ ٢٦ نيسان ، بل مع بلد فقد معنوياته وأصبح ربيباً . وأخفى الاسلاف ، وبخاصة جورج بيدو ، على رئيس الوزراء حالة المفاوضات مع الحضم . واستطاعوا أن يـكـتموا عنه أمر هانوي وانها فقدت فعلاً . وفي شهر من المناقشات الحمومة والمفاوضات المقطوعة ثم المستأنفة ، أدخل مانديس فرانس طوعاً أو كرهاً ، الحلفاء الغربيين ومحدثيه السوفياتيين والصينيين في محادثاته التي

عقدها مع الفيت - منه ، وكسب رهن السلام . فقد كلفت ستة أعوام ونصف حرباً ٣٠٠٠ مليار فرنك ، و ١٠٠ ٠٠٠ قتيل ومشلهم من الجرحى في جيوش الاتحاد الفرنسي ، الاشياء .

من جونييف الى تونس . - وبعد عشرة أيام على إبرام اتفاقات جونييف ، التي استقبلت براحة ، وأيدها البرلمان بأكثرية ساحقة ، طار رئيس مجلس الوزراء ، يصحبه المارشال جوان الى تونس ، ووعد بالاستقلال الداخلي ، وعين مقيماً عاماً جديداً ، كمقدمة للبدء بمحادثات مع الحبيب بوقريمة زعيم حزب الدستور الجديد الذي كان معتقلاً في فرنسا . وكان الحل التونسي بطيئاً لأن الثوار لم يلقوا السلاح إلا في ١٣ تشرين الثاني ، ولأن اتفاقات الاستقلال الذاتي لم توقع إلا في حزيران ١٩٥٥ في وزارة ادغار فود ، ولم يقبل الاستقلال إلا في شهر آذار ١٩٥٦ ، في عهد حكومة غي موليه . ومع هذا فإن البداية قد تمت .

واصطدمت حكومة مانديس فرانس بقضية وحيدة الدفاع الأوربية . فقد قام الشيوعيون والدغوليون بنضال مستمر ضد المعاهدة ، ولكن جميع الأمر السياسية الأخرى ، وجميع أركان الأحزاب انقسمت بل وتمزقت ، وإذا كان بول رينو ، وأنطوان بينه ، وروبير شومان ، ورونيه بليفين ، ورونيه ماير ، وغبي موليه ، مشجعين وباستشارة للجيش الاوربي ، فإن ادوار هريو ، وفانسان اوريول ، ودالاديه ، وتوريز وحزبه ، وفلاندا ، والجنازول دوغول ورجاله ، كونت باريس ، والمارشال جوان ، وكل الجنرالات تقريباً ، لم يكونوا أقل عداءً وفضاعة للتصديق على المعاهدة . وانقسمت الحكومة وانصرف بعض الوزراء الدغوليين بعد أن رأوا أن رئيس مجلس الوزراء ضعيف بشكل خطر مع «المتخلين»



ثم انسحب وزراء آخرون واتهموا بييرمانديس فرانس بأنه كان سبباً في إخفاق مشروع الوحدة .

منازعة وحدة الدفاع الأوروبية . - وللخروج من المأزق حاول رئيس الحكومة أن يتفاوض مع رفقلاء فرنسا الحمة في بروكسل ، بتخفيف نقاط المعاهدة المتعلقة بالفوقمية أي الفوق قومية . وعندما استقبل كدخيل ، ونسف في باريس ، قدم حساباته مؤكداً بأنه لا يوجد في البرلمان الفرنسي أكتورية لصالح المعاهدة . وكان خصومه الاوريون يكذبونه صراحة " ويجحدون من يصغي اليهم . وأخفق البحث عن حل وسط كتسوية .

وارتفع نسق الصوت . وكانت القضية شبيهة بقضية دريفوس التي أحدثت الاضطراب في الفكر وقسمت العالم السياسي إلى معسكرين . وفي هذا الجو المتوتر جداً ، عرضت القضية على قصر بوربون ( مجلس النواب ) ، في ٣٠ آب ١٩٥٤ ، ورفضت المعاهدة لأول وهلة دون أن تتخذ الحكومة موقفاً . وأبرمت اتفاقات بسرعة فخلزت المانيا جيشاً قومياً والوصول إلى ميثاق الاطلسي . ولا يغفر « الاوريون » الى مانديس فرانس ما أعماه عنهم جاك فوفيه « جريمة ٣٠ آب » .

المؤامرة . - وإذا أيقظت الحماسة والمشايعات، التي أثارها في الشبهة وبين الموجهين مانديس فرانس ، مواهب سياسية دائمة تتجاوز الحدود الضيقة ليعزب الراديكالي ، الذي لم يستطع رئيس مجلس الوزراء أن يطهره ويخضعه إلا لبضعة أشهر ، فقد كانت الاحقاد قوية أيضاً ، وسببت مؤامرة بشعة ، « قضية الفرار » دبرت خطأً ضد وزير الداخلية، فرنسوا ميتران ، وتغلذت بصورة متناقضة من الانفجار الذي حرك الجزائر في

الأول من تشرين الثاني ، وأدت ، في شباط ١٩٥٥ ، بعد بضعة أيام على تسمية جاك سوستيل حاكماً عاماً للجزائر ، إلى سقوط وزارة بيبو مانديس فرانس التي خانها أصدقاؤها الراديكاليون وضربها المتدخلون من رجال الحركة الجمهورية الشعبية واليمين .

وخلف ادغار فور ، وزير المالية ، صديقه في رئاسة مجلس الوزراء ، لاجتناب انتقال الحزب الى المعارضة ، وحكم تسعة أشهر مثقلة بالأحداث انتهت بمحل المجلس .

وتمت المصادقة على اتفاقات لندن وباريس بشأن إعادة التسلح الألماني ، وعاد الحبيب بورقيبة الى تونس ، واستعاد سلطان مراکش عرشه بعد دور عنيف حاد ، وانتهى هذان الحادنان في الواقع ، وراء الاحتياطات الخطابية ، بالاستقلال .

ومسح انطون بينيه وزير الشؤون الخارجية الخطأ الذي ارتكبه جرج بيدو في حكومة لانيل . ولكن الحرب ، في الوقت ذاته ، استقرت في الجزائر لبضع سنين .

حل المجلس . - وجنح المجلس في اصلاح القانون الانتخابي ، بعد أن طرح أحد عشر نظاماً انتخابياً ، إلى العودة الى اقتراع المنطقة ( الدائرة الانتخابية ) الذي كان قبل الحرب . وسيكلف هذا الاصلاح الانتخابي وزارة ادغار فور حيائها ، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، بعد أزمتين وزاريتين في أقل من ثمانية عشر شهراً بالاكتربة المطلقة : وساعد الدستور رئيس مجلس الوزراء على حل المجلس ، وقد صمم على ذلك رغم رأي أصدقائه الراديكاليين . إن جميع الخلافات ، الماضية - الخلافات على العلمانية والهند الصينية ووحدة الدفاع الاوربية - ، والحاضرة ، وبخاصة المجابهة على السياسة الجزائرية ، سيطرت على الحملة الانتخابية التي فتحت فجأة .

وارتسم حلف : « الجبهة الجمهورية » ، بين الراديكاليين الذين يغريهم مانديس فرانس ، واشتراكيي غي موليه والدغوليين الذين يقودهم ج . شابان - دلماس .

وقامت حركة يمينية جعلت هدفها الأسامي الدفاع عن التجارة الصغيرة ضد الضريبة والدولة ، وقد أطلقها شخص سام في لونه ، وراق من بلدة سنن - سيريه ، في محافظة اللوت ، وهو فائبي نوعا ما وطفل طيب واسمه ، بيير بوجاد ، وأثارت « البوجادية » تمكهم لمحتني السياسة وازدراءهم ، ولم تثر انتباههم .

ومع ذلك ، ففي انتخابات ٢ كانون الثاني ١٩٥٦ ، أعطى مليونان ونصف من الأصوات ٥٢ نائبا من البوجادية ، بينما جرت المانديسية الجبهة الجمهورية - أو على الأقل وسط الحزب الاشتراكي ، لأنت الحليف الدغولي انهار . وهذا النجاح فيه لبس ، وقابل للمناقشة ، لأنه لم ينتج إلا ١٥٠ منتخبا ، وسيفجر الشقاق بين بيير مانديس فرانس ، الزعيم الحقيقي للحركة ، وغي موليه الذي عهد اليه الرئيس روني كوني بالسلطة .

٦ شباط في الجزائر . - وأقام الأمين العام للحزب الاشتراكي في رئاسة مجلس الوزراء . وقد انتخب بناءً على برنامج كانت مادته الاولى السلام في الجزائر ، ولكنه اصطدم رأساً بمانديس فرانس الذي تخلى عنه بعد قليل ، ومن ثم يجمهور الجزائر بعد أن ذهب اليها في ٦ شباط . وفي هذا اليوم ، وفي ساعتين ، ختم مصير النظام بالمظاهرات الشعبية لصالح سياسة القوة ، وبضغط الجيش الذي لم يعد يقبل ما كان يراه ويسميه « تخلياً جديداً » .

وأقام غي موليه على رأس الجزائر صديقه في الحزب ، ووبير لاكوسست ، وطلب سلطات خاصة ، وزج نفسه في آن واحد في طريق القمع والحرب في الجزائر وفي توجيه المفاوضات السرية والحجلى مع الحشم القومي ، جهة التحرير القومي الجزائرية .

وقد جرت محاولة المفاوضات ثلاث مرات وأخفقت .

وكانت الأدوار الدرامية تتوالى على صعيد الكفاح ، واكثرها اثاره اختطاف الطائرة التي كانت تقل بن بيتلا والزعماء القوميين الجزائريين الى الرباط ، في تشرين الاول ، واكثرها ثقلاً بالنتائج الحملة الفرنسية - الانكليزية على السويس ، في تشرين الثاني .

المأساة الجزائرية - . ويجب أن نذكر لحساب هذه الحكومة ابرام وتوقيع معاهدات ٢٥ آذار ١٩٥٧ التي أقرت السوق المشتركة وأسرة الطاقة الذرية الاوربية ( اوراتوم ) . وعندما سقطت وزارة غي موليه في ٢١ أيار بسبب الضرائب ، كان خلفه راديكالياً بودجيس - مونوري وقد سقط في ٣٠ ايلول على مشروع القانون المبدئي ( الأساسي ) . وكانت الحكومة التالية ، حكومة فيليكس غايار: وسقطت هذه بدورها في ١٥ نيسان ١٩٥٨ على « المساعي الحميدة » التي اقترحها الانغلو - اميركيون بعد ضرب الطيران الفرنسي بالقنابل القرية التونسية ، ساقية سيدي بن يوسف . ولكن هذه الضرائب ، وهذا القانون الأساسي ، وهذه المساعي الحميدة تسمى كلها : الجزائر .

وكانت الجزائر الدامية والممزقة توغل كل يوم وإلى الأمام في الحرب وفي الظلام : الجيش فيها يقف ، والشباب يفقد روحه في افراط القمع الفظيع والضال معاً ، والأمة تلقي فيها أبناءها ومواردها وكل استثمارها ،

في خسارة محضة ، وتنقسم بشكل أعمق من أي وقت منذ الحرب العالمية .  
وتبدأ من جديد مأساة الهند الصينية ، ولكن على أبواب العاصمة ،  
على أرض مستعمرة فرنسية يعيش فيها أكثر من مليون أوربي وشيئاً فشيئاً  
فقد التوجيه وسائل عمله ، والحكومة نفوذها ، والجيش قيادته ، ومضى  
كل شيء دون قوة ودون ارادة .

ولم تكن قضية الأزمة الوزارية نهم أحداً عندما حاول جورج بيدو  
ورونييه بليفيين ، ثم بيير بفليمن طوراً وطوراً أن يشككوا حكومة  
في بداية أيار . وتوصل الثالث إلى ذلك ، وفي الساعة التي مثل فيها أمام  
الجلس ، في ١٣ أيار ، دوت الثورة وانفجرت في الجزائر ( المدينة ) وامتدت  
إلى حي الشانزيليزيه في باريس ، وكانت النهاية .

#### الجمهورية الخامسة والخلاص من الاستعمار ( ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ) - ٥ -

في مساء ١٣ أيار ، وبينما كان الجمهور يسير في شيطو الجزائر الفرنسية  
ويستولي عنوة في الجزائر على قصر الحكومة العامة ، لم يتصور أحد يجد  
أن الأزمة يمكن أن تعيد الجنرال دوغول إلى توجيه الشؤون العامة .  
وبعد سبعة عشر يوماً بالضبط ، وبعد عدة تقلبات متموجة فجرت في  
الأعين عجز النظام ، عهد المجلس ، الذي انتخب في ١٩٥٦ لابرار الصلح  
وقام بالحرب خلال حكومات ضعيفة ومنقسمة ، إلى شارل دوغول بجمع  
السلطات ، وبتحضير دستور جديد وعرضه على البلاد .

واستمرت مع ذلك حرب الجزائر بل وستدوم طويلاً أيضاً في عهد  
دوغول كإدامت في عهد الجمهورية الرابعة . ولكن النظام الجديد استقر في  
أربعة أعوام ، بعد أن ظن أنه موقت ، وقلب المنظر القومي كثيراً  
بشكل لم يحدث خلال الخمسين سنة السابقة ، إذا ما استثنينا فترة فيشي ،

ويرجع ذلك على الاكثر الى الهزيمة العسكرية والى الاحتلال أكثر منه إلى رجفة داخلية .

كان درغول يرى أن الاولوية ليست للجزائر ، بل للنظم وظلت السياسة الخارجية ميدان تفضيله . وكان الهدف الأول الذي رسمه لنفسه بامتلاكه السلطة بعد ستة أعوام من النضال ضد المذهب ، ثم بعد خمسة أعوام نقياً في الداخل ، « إعادة صنع الدولة » . ومنذ الصيف ، حررت الحكومة التي يرأسها مشروع دستور يستوحي بشكل عريض من المبادئ التي وضعها ، في ١٩٤٥ - ٤٦ ، رجل ١٨ حزيران . وكان محاطاً بزعماء الجمهورية الرابعة ، غي موليه ، انطوان بينيه ، بيير بفيلمين ، الذين أتوا كل بدوره يرجونه أن ينقذ البلاد . ودرست لجنة استشارية ، كان فيها البرلمانيون أكثرية ، هذا القانون الأساسي الفريد نوعاً . ورجبه يتصرف رئيس الجمهورية بسلطات واسعة جداً ، وبخاصة بالقدرة على حل المجلس ، وتكون فيه الحكومة تابعة لرئيس الدولة مع بقائها خاضعة لرقابة البرلمان . وبالأجمال كان هذا الدستور تسوية أو حلاً وسطاً بين النظامين الرئاسي والبرلماني .

دستور ١٩٥٨ . - لقد تم التصديق على هذا الدستور باستفتاء في ٢٨ ايلول ١٩٥٨ ، وصوت فيه أربعة ناخبين على خمسة « نعم » بالرغم من معارضة قسم من الأركان وبخاصة الشيوعيين .

وجرت الانتخابات التشريعية ، في ٢٣ و ٣٠ تشرين الثاني ، بالاقتراع الاكثري الوحيد الاسم ؛ وضعت دوغوايي اتحاد الجمهورية الجديدة في المرتبة الثانية من حيث الأصوات ( ١٧٥٦ ٪ ) وفي المرتبة الاولى من حيث المقاعد ( ٢١٢ ) وتقدمهم الشيوعيون ( ١٨٥٩ ٪ )

و ١٠ منتخبين ) ، وتبعهم المستقلون ( ١٣٧٪ و ١١٨ نائباً ) .  
وتراجع الاشتراكيون والوسط الأيسر ، وقاسمت الحركة الجمهورية  
الشعبية . وكما جرى في الاستفتاء ، صوت الناخبون الشيوعيون لدوغول  
ورجاله .

ولقد أظهر التطبيق الاتجاه الملاحظ بوضوح في تركيز السلطات في  
يدي رجل واحد ، رئيس الجمهورية ، هذا المنصب الذي احتله الجنرال  
دوغول في ٨ كانون الثاني ١٩٥٨ ، وفوراً ممي ميشيل دوبريه رئيساً  
للوزراء . وكانت الحكومة سيدة جدول أعمال المجلس ، ولذا كانت تستعمل  
وأحياناً تسيء استعمال نظام التصويت المجد والأصول الأخرى الجديدة ،  
ولا يمكن قلبها إلا بتبني اقتراح الرقابة بالأكثريّة المطلقة . أما التقنينات  
والتحديدات الخفيفة التي أتى بها الدستور للسلطات الرئاسية والحكومية  
فقد أهملت بسرعة ، وكان رئيس الدولة يستطيع أن يعمل كل شيء  
أو تقريباً كل شيء .

من « سلام الشجعان » الى تقرير المصير . - لقد بدأ الجنرال  
سياسته الجزائية على وهم : وهي الاكتفاء بأن يظهر ، ويتكلم ،  
ويضمن كلام الدولة ، ليسكت السلاح . وقد رافق عودة النشيطين  
إلى الصواب مع العناصر العسكرية الجزعة أكثر من غيرها التي أسهمت  
كثيراً في إعادة دوغول الى السلطة ، قرارات يبدو أنها ذهبت أحياناً  
في اتجاه معاكس . غير أن هذه المرحلة الاولى انتهت في ٢٣ تشرين  
الأول ١٩٥٨ باقتراح ممي « سلام الشجعان » ، وقد أسيء حسابه كما أسيء  
استقباله وظل دون مفعول .

ودامت المرحلة الثانية تسعة أشهر . واقتضت ، بعد الاستعاضة عن

المندوب العام والقائد العام ، الجنرال سالان ، بموظف مدني سام ، بول دولوفورييه ، ورئيس عسكري جديد ، الجنرال شال ، الاهتمام معاً بالحرب التي سميت حرب « التهذئة » أو حرب السلام والبدء بتنفيذ حل اقتصادي واجتماعي حسب « خطة قسنطينة » والبحث عن « قوة ثالثة » مسلمة لا توجد ، بين المعسكر الفرنسي ومعسكر الثورة . وأدى الاخفاق أخيراً ، في ١٦ ايلول ١٩٥٩ ، الى سياسة جديدة ، سياسة تقرير المصير . وذلك بأن تدعى الجزائر الى الحيار بين الاستقلال ( المسمى الانفصال ) ، والفرنسة الكاملة ، والاستقلال الذاتي . وفي ثماني مرات في ثمانية عشر شهراً شخص دوغول الى الجزائر .

ومن تقرير المصير تم الانتقال بسرعة الى فكرة المفاوضة ، ثم إلى تحقيقها . وأدى اسبوع المتاريس في الجزائر ( المدينة ) وثورة النشيطين في آخر ١٩٦٠ ، وتطور اللغة الرئاسية نحو « الجزائر جزائرية » ، و « الجزائر صاحبة سيادة » ، ومن بعد « الجزائر المستقلة » ، في ١٤ حزيران ١٩٦٠ إلى دعوة الخصم . ولكن لقاء هولن ، بعد أحد عشر يوماً ، بين مبعوثين من « جبهة التحرير الوطنية » ورسولين من قصر الايبايزيه ، دعا إلى التفكير بتحريف المفاوضات ولم يؤد الى شيء . وبينما كانت العمليات العسكرية تتلاحق بل وتتكاثر ، عقدت الخطوط المقطوعة من جديد وبشكل سري . وقطعت مرحلة من هذا التكييف البطيء والاصولي للأفكار وللنصوص باستفتاء ٨ كانون الثاني ١٩٦١ فأعطى إلى سياسة تقرير المصير ضماناً بـ ٧٥٪ من المصوتين و ٥٦٪ من الناخبين . حركة الجنرالات . - وعندما اقتربت ساعة المفاوضة الحاسمة ، قرر أربعة جنرالات : جوهو ، زللو ، سالان ، شال ، وبخاصة سالان وشال ، وهما ضابطان مسعورا الرأس ، أن ينعوا هذه المفاوضة مها



كلف الأمر ، وقاموا بحركتهم في الجزائر ، في ٢٢ نيسان ١٩٦١ ، وكانت هذه الحركة انفجاراً فاجأ العالم كله ، ولكنها انتهت ، بعد ثلاثة أيام من القلق ، تحت سهام خطاب لا يرحم من رئيس الدولة ، وأصبح الطريق حراً نحو المفاوضة .

بدأت المفاوضة في ٢٠ أيار في إيفيان وعرفت أيضاً كثيراً من التقلبات ، وتركت ، ثم استؤنفت ، ولم تدخل مرحلتها الأخيرة إلا بعد أن اعترف دوغول ، في ايلول ١٩٦١ ، بالصفة « الجزائرية » للصحرَاء . وأدت المفاوضات ، خلال اتفاقات آذار ١٩٦٢ ، إلى ميثاق تقرير المصير الذي أصبح باباً مفتوحاً على الاستقلال ، في استفتاء ٨ نيسان ، وبوجبه وافق الفرنسيون دون فرح ، ولكن بانفراج ، ب ٩٠ ٪ من المصوتين على الحل المقترح .

أما ما يتعلق بأفريقية السوداء الناطقة بالفرنسية فقد جدد دستور ١٩٥٨ بتأسيس الوحدة ، التي رفضتها غيمنة واختارت الاستقلال المباشر . وكان من الضروري عقد مناقشات طويلة لتحضير هذا الفصل الثالث ، الذي يبعد نهائياً الشكل الاتحادي ، ويرسم مجموعة مفتوحة بشكل واسع ومتشكلة بحرية . وفي أقل من ثلاثة أعوام ، في آخر ١٩٦١ ، تبأت جميع الدول الجديدة بحق اعلان استقلالها ، وسقط النظام في الازمالة ، وألغيت الاحكام الدستورية .

وهكذا تم الخلاص من الاستعمار في افريقية قبل أن يتدخل حل القضية الجزائرية وأصبحت فرنسا الكبرى اعتباراً من الآن لا تمثل على الكرة المسطحة إلا بأربع مقاطعات فيما وراء البحار ( غواديلوب ، مارتينيك ، غويانة ، ريونيون ) وبعض نقاط صغيرة مبعثرة على شاطئ

البحر الأحمر ، وفي أعماق المحيط الهندي أو في قلب المحيط الهادئ .  
ولكن فرنسا منذ الآن فصاعداً أصبحت في سلام . ولأول مرة منذ  
ربع قرن لم يقتل ولم يمت باسمها انسان .

انطلاق طيب . - إن عدم القدرة على حل القضايا بل وحتى وضعها  
أدى إلى زوال الجمهورية الرابعة . ولم ير أيار ١٩٥٨ انفجار ثورة بل  
هو أزمة أطول وأكثر تعقيداً من الازمات السابقة . ولذا يجب ألا ينتظر  
من النظام الجديد تقلبات عنيفة ، بل ضربة توقف وظروف انطلاق  
جديد . وكانت هذه خطة بينية - ووثيف في شهر كانون الاول ١٩٥٨  
التي كانت تتضمن تخفيض النقد وتوطيد مبادلة مع الخارج وخلق الفرنك  
الثقيل ، وعودة تحرير المبادلات ، والاقطاعات الكثيرة من المساعدات  
والنفقات العامة . وكانت النتائج ايجابية جداً : تعمير مربع للاحتياطي  
في الذهب والقطع النادر ، وتخفيض الدين الخارجي ، واطفاء الدين  
المتوسط الأجل ، والنهوض العجيب في ميزان الحسابات ... ومع ذلك  
فإن الأحكام الصغيرة نسبياً في هذه الخطة مثل حذف تحديد الاسعار الزراعية  
وبخاصة تقاعد المحارب أثارت حركات نشيطة في الرأي وأحياناً مظاهرات  
عنيفة .

وكان تسيير الخير العام ، ابتداءً من وضع الأمور في نصابها ،  
يسيطر عليه النمو التدريجي للسوق المشتركة الاوربية وامتدادها إلى الزراعة ،  
والنضال ضد التضخم النقدي وتقلباته وتقصيره وعدم كفايته ثم شدته .  
فمن ذلك أن الاضطراب الذي لازم القطاع العام وكانت نقطة الذروة  
فيه اضراب عمال المناجم ، في آذار ١٩٦٣ ، لم يكسر بتنظيمات صوت  
عليها تباعاً ، ولا بالوعد ، المتجدد في الغالب الأعم دون أن تتبعه نتائج ،  
بعد سنة اجتماعية ، واصلاح الاجور .

وكانت أشد الانتقادات وأكثر المجادلات حدة ترمي إلى انشاء مساكن واصلاحات متوالية في التعليم وإلى حالة سوق الاستخدام . وبالمقابل ، إن سياسة تنظيم البلاد وبداية الاصلاح الاداري وقوانين التوجيه الزراعي في ١٩٦٠ و ١٩٦٢ ، بالرغم من عدم كفايتها ، قد استقبلت بترحاب . وبصورة قاطعة ، إن القضايا الشائكة التي أثقلت الحياة القصيرة للجمهورية الرابعة ، من اضطرابات اجتماعية وحروب بعيدة ، والخلاص من الاستعمار ، وتعمير اوروبا ، والقضايا المدرسية ، لم تأخذ ، ولو من بعيد ، نفس الأهمية في عهد الجمهورية الخامسة وستفرغ بعد قليل ، ولو جزئياً ، من محتواها الانفجاري

الدبلوماسية المنسجمة . إن سياسة الجنرال دوغول الخارجية ، التي كانت لها في نظره شروط مبدئية وهي العودة إلى النظام الأساسي والاقتصادي والنقدي ، قد تجسدت منذ ٢٤ ايلول ١٩٥٨ . ففي هذا التاريخ وجه مذكرة سرية إلى الحليفين الاميركي والبريطاني طالب فيها باقامة توجيه ثلاثي للغرب . ومن هنا أو بالأحرى من عدم القبول المعارض لهذا الطلب ، ظهرت دبلوماسية النظام وستراتيجية .

لقد كانت هذه الكلمات : الجاه ، العظمة ، الاستقلال : مفاتيح اللغة الدغولية ، وقد أدت إلى صنع السلاح النووي ، وإلى البحث عن مناقشة ذروة بين الأربعة الكبار ، وثم ، بعد فشل مؤتمر باريس ١٩٦٠ ، إلى انفكاك تدريجي لروابط فرنسا مع الغرب ، توج بانسحابها من منظمة حلف شمال الأطلسي ، وإلى البحث عن الانفراج ، ثم التفاهم مع الشرق . كان دوغول يزور دون كمال أو ملل جميع البلاد التي كانت تظهر بوادر استقلال في هذه الكتلة أو تلك ، ويستقبل ، في باريس ، جميع ملوك ورؤساء العالم بحفاوة وبذخ ، ويتابع انشاء اوروبا الستة ،

ولكنه سحب منها كل أثر للفوقية ، وأخرج بريطانيا العظمى من هذه الوحدة وإبرم المصالحة مع ألمانيا . ونادى متمنياً بـ « أوربه الكبرى من الاطلسي إلى الاورال ، أوربه الأوربية بحق » .

وبصورة عامة ، إن هذه الدبلوماسية التي نشطت بكل سعنها وعظمتها بعد حل العقدة الجزائرية في ١٩٦٢ استقبلت جيداً في البلاد لأسباب لم تكن أفضل من غيرها دوماً ولم يتوصل خصوم النظام الى النيل حقاً في هذا المضمار من سلطة رئيس الدولة .

### نحو ما بعد - الدغولية ( ١٩٦٢ - ١٩٦٨ )

لقد أدت تسوية القضية الجزائرية، التي وافق عليها استفتاء ٨ نيسان ١٩٦٢ ، إلى أخطر أزمة هزت الجمهورية الخامسة . وذلك لأن ميشيل دوبريه دافع عن صالح انتخابات تشريعية مسبقة . وفي ١٤ نيسان دعاه رئيس الجمهورية إلى الانسحاب وعين رئيساً جديداً لمجلس الوزراء ، جورج بومبيدو ، وكان مديراً لمكتبه في عام ١٩٥٨ .

كانت بدايات رئيس الحكومة الجديد صعبة . ففي الجزائر كانت الفوضى ، وفي فرنسا نفسها ، كان الاضطراب . وكانت الاغتيالات ، والانفجارات ، وأعمال القتل تسجل انطواء مليون اوري من الجزائر إلى العاصمة ، وطغت موجة الارهاب بعد استقلال الجزائر في الاول من تموز . حاول جورج بومبيدو أولاً أن يوسع الأكتية ، وترك مَناً للحركة الجمهورية الشعبية في حكومته . وأخذ الوزراء الجمهوريون الشعبيون، بعد شهر، ينصرفون يوماً فيوماً، بعد أن سمعوا درغول، في مؤتمر الصحفي الذي يعقده كل ستة أشهر ، يتهم على أوربه الفوقية التي أصبحت تعبر عن نفسها بلغة عالمية .

وفي ٢٢ آب ، وقف مغير كمين في بوتي - كلامار ، على طريق رئيس الدولة ، وكاد أن يقتله : وكان الأثر المباشر لهذا الحادث : أن قرر دوغول أن يدخل في الدستور الانتخاب المباشر بالتصويت العام لرئيس الجمهورية ، لتوسيع القاعدة الشعبية لنظامه ، ويسير في هذا الإصلاح بالاستفتاء .

ثار البرلمان ، وتكلم رئيس مجلس الشيوخ عن الغدر . وفي ٥ تشرين الأول صوت المجلس على المراقبة وقلب الحكومة . وكان دوغول قد احتفظ بالنواب وتخلّى عن وزيره الأول في نيسان ، ولكنه ، في هذه المرة ، أقال النواب بجل المجلس واحتفظ بوزيره الأول .

حوية العمل . - وظهر الحساب صالحاً . وفي الحقيقة ، ان استفتاء ٢٨ تشرين الأول أعطى لأول مرة جواباً مبهماً سياسياً ، وان كانت حقوقياً غير منازع : فمع ٦٢٪ من الأصوات المعبرة ، لم تبلغ « نعم » الأكثرية المطلقة للمسجلين على قوائم الانتخاب . ولكن انتخابات ١٨ و ٢٥ تشرين الثاني أمنت إلى الدوغوليين الأكثرية المطلقة للمقاعد في مجلس النواب ( قصر بوربون ) .

وسحق المستقلون والمعتدلون ، وخسروا ثلاثة أرباع منتخبهم ، وخسرت الحركة الجمهورية - الشعبية أكثر من الثلث ، وحل أقصى اليمين النشط . وفي اليسار ، عززت التحالفات بين الشيوعيين والاشتراكيين والراديكاليين الحزبين الأول والثاني من هذه الأحزاب . وألف اتحاد الجمهورية الجديدة ( الدوغوليون ) ، بـ ٢٣٣ نائباً ، أكثر الكتل النيابية عدداً من أي وقت مضى من الكتل التي دخلت في مجلس فرنسي . غير أن أفول النظام البرلماني سيظهر طوال الفترة التشريعية التي كانت الدوغولية فيها تسن القانون وحدها .

وقد دل التسيير والسياسة الخارجية ، كل على شاكلته ، على حرية العمل المطلقة تقريباً لرئيس الدولة . وجاءت خطة تثبيت النقد في آن واحد متأخرة جداً وقاسية جداً فكسرت التضخم النقدي بكبحها التوسع بشكل خطر . وفي الخارج كان فساد العلاقات مع أمريكا تاماً ، وظهر بوضوح الاتجاه الجديد للدبلوماسية الدوغولية ، فأيقظ اهتماماً أكيداً ، ومع ذلك ، فإن التعاون ، ضمن ظروف خاصة بين فرنسا وبلاد المغرب المستقلة وأفريقية السوداء ، بما إجمالاً بشكل مرضي .

وحكم دوغول ، أكثر من أي وقت مضى ، بالكلام على أساس ثلاثة خطب أذيعت بالراديو والتلفزيون ومؤتمرين صحفيين في العام ، دون حساب الخطب العديدة التي خطبها أثناء رحلاته الكثيرة في الخارج ، وزياراته الرسمية للمحافظات في فرنسا وفي ما وراء البحار أثناء ولايته لمدة سبع سنين .

الذئس الثاني . - انتهت هذه الولاية في آخر ١٩٦٥ . وكانت الثمانية عشر شهراً التي سبقت الانتخابات الرئاسية مشغولة بحملة طويلة ، فإلى الاهتمام بالعظمة والاستقلال تضاف ارادة « تأسيس المستقبل » وإقامة النظام بصلابة . وكانت هذه الارادة تظهر تدريجياً . وبعد محاولة الزعيم الاشتراكي غاستون ديفير للاتحاد مع اليسار غير الشيوعي ، جابه دوغول أخيراً ، في ٥ كانون الأول ١٩٦٥ ، فرنسوا ميتران عن اليسار ، والشيوعيين ، وجان لوكانويه عن الوسط ، وبيير مارسيلهامي وجان - لوي - تيكسيميه - فينيانكور عن الوسط الأيمن واليمين ، وضربت المشاركة في هذه الجولة الأولى جميع الأرقام القياسية في كل التاريخ الانتخابي الفرنسي : أكثر من ٨٥٪ . ولكن دوغول لم يحصل إلا على

٤٦٪ من الأصوات ، وجرى انتخاب تكميلي . وفي ١٩ كانون الأول انتصر على فرنسوا ميتوان بـ ٥٥٪ من الأصوات .

ويبدو في هذه المرة ، أن النظام عادت له الحياة ثانية ، فريسه في مكانه لسبع سنوات أخرى حتى ١٩٧٢ . ويتصرف في المجلس بالأكثرية المطلقة ، أو بها تقريباً ، ويحافظ عليها ، ولو بأقصى الدقة وبفضل حلفائه المعتدلين الملتفين حول فاليري غيسكار ايستينغ ، في الانتخابات التشريعية في ٥ و ١٢ آذار ١٩٦٧ .

منعطف ايار ١٩٦٨ . - هل أثر ترشيح الجنرال إلى انتخاب الرئاسة عام ١٩٦٥ على سياء الشخصية التاريخية « رجل الأمة » الذي أصبح رجل حزب ؟ لقد كانت الاضطرابات ، طوال سنة ١٩٦٧ ، تمز أكترية ظهر فيها الرفيق « الغيسكاردي » ، صعب القيادة وعرف دعمه بأنه شرطي ، وأن معارضة يسارية أدت فيها الحادثات مع الشيوعيين أخيراً إلى « صعيد » مشترك في بداية عام ١٩٦٨ . وفي الوقت نفسه ، غذت المخاوف ، التي سببها ازدياد البطالة وبطء التوسع ، الجدل والمناقشات المختلفة .

وأخيراً ، إن اضطراب الطلاب ، الذي ظهر في بلاد عديدة ، وجد شيئاً فشيئاً ، في كلية الآداب الجديدة في نانتير ، أرضه المختارة .

ثم إن اغفاء السلطة ، ولا مبالاة الرأي ، وتفسخ المعارضة السياسية ، والحوار الثورية في الشبيبة المتطورة ، والهياج الأصم في جماهير العمال ، ولو لم تكن كثيرة ، حتى ولو لم يحسب لها حساب بعد ، تعتبر كافية لتجتمع كل شروط الانفجار .

وقد حدث ذلك في الأيام الأولى من شهر أيار ١٩٦٨ ؛ وذلك ان شرارة بسيطة ، ظهرت باديء بدء صغيرة وموضعية ، ثم ، في بضعة أيام ،

وبتسلسل فائق للعادة ، هددت النار بحرق كل شيء ، في نانتير ، حيث تكاثرت الحوادث منذ بداية السنة الجامعية ، وتشكلت منظمة جديدة « حركة ٢٢ آذار » حول طالب محرض ، دانييل كوهن - بنديت ، الذي أحاط به رأساً نائب رئيس الاتحاد القومي للطلاب الفرنسيين ، جاك سوفاجو ، والأمين العام لتقابة التعليم العالي ، آلان جيسمار . وبدأ هؤلاء الثلاثة ومناضلوهم بحركة ذهبت من الاحتجاج ضد تصلب التعليم العالي إلى منازعة الجامعة كلها ، وأخيراً المجتمع نفسه . ان شبيبة الشيوعيين الثوريين ومنهزي الحالة ، والماوتسيين ( من ماوتسي تونغ ) والتروتسكيين والفوضويين ، العنران بهم قليلاً ، كانوا في حالة غليان ينشرون أعلام الثورة الحمراء والسوداء .

وبإغلاق كلية الآداب في نانتير ، في ٢ أيار ، بلغ الفيروس السوربون ، ودار فيها ، في ٣ أيار ، اجتماع احتجاج ، فجن جنون السلطات ، وأرسلت الشرطة ، وأخرجت الطلاب بالقوة ، وأغلقت الجامعة العجوز . وكانت المشادات قاسية ، ولم تبلغ بعد الثورة الشعبية ، ولكنها لن تتأخر .

وانفجرت الثورة في يوم الجمعة ، في ١٠ أيار ، يوم الجمعة الأحمر ، عندما قام بضعة مئات من « المسعورين » من اليوم الأول والتحقت بهم كتلة الطلاب وألوف التلاميذ من المدارس الثانوية . ووجد في الحى اللاتيني حتمون متراساً ، ومئات الجرحى ، والسيارات المحروقة ، وحملات الشرطة وفرق الحفاظ على النظام ، والقنابل الاولى المسيلة للدموع وقتال الشوارع . وأمام هذا القمع ، أظهرت نقابات العمال والاحزاب المعارضة تضامنها مع الطلاب : ومر مركب كبير في يوم الاثنين في ١٣ أيار عبر باريس .



وفي اليوم التالي ، بدأت الاضرابات ، عفوياً في « القاعدة » :  
وامتدت بسرعة ، بالرغم من المندوبين النقابيين العاجزين ، ولأول مرة  
منذ ١٩٣٦ ، احتل المضربون المعامل والمشاغل ، وأصبحوا بعد بضعة  
أيام ٩ ملايين .

وفي هذا الاضراب العام ، الذي أحدث الاضطراب في حياة البلاد ،  
أصبحت الثورة يومية في الحبي اللاتيني ، ثم أخذت تنتشر في الأحياء  
الأخرى في العاصمة ، وامتدت في عشر مدن جامعية في الأقاليم . أما  
السلطة فبعد أن تصلبت في التعنت وعدم التسامح عادت فتاهت بين  
الافراط في الحزم وشبه الاستقالة ، وأقامت معارضة اليسار دون نجاح  
حاجزاً تافهاً اقترحت فيه الرقابة أمام القمع ، ثم انقسمت ، وكذلك كانت  
الادارات النقابية على أتم الاضطراب . واقترح دوغول ، في ٢٤ أيار ،  
كدواء لهذه الحالة ، استفتاءً على المشاركة . وفي الايام التالية ، وبصورة  
غير محسوسة تم الانتقال من مناخ التمرد إلى حالة مهددة للثورة . وأدت  
محدثات محمومة في ٢٦ منه إلى اتفاق بين أرباب العمل والنقابات  
والحكومة . ولم تقف الاضرابات ، بل تفاقمت وتضخمت أيضاً ، ومر  
يومان فظيخان دون أن يراقب أحد أحداً . وصرح اليسار ، بأصوات  
فرنسوا ميتران وبيير مانديس فرانس بأنه على استعداد للقيام بأعباء  
السلطة . أما دوغول فقد عقد صراً وبشكل مسرحي اجتماعاً مع الزعماء  
العسكريين . وجري تساؤل ما إذا كانت هذه الحركة حركة هدامة  
أو حرباً أهلية .

وألقي الرئيس خطاباً جافاً وقاسياً في ٣٠ أيار دام أربع دقائق  
فقوم الوضع الخطير لصالح النظام الذي تجمع أنصاره حالاً بثبات الألوف  
في الشانزيليزيه . وحل المجلس الوطني ، واجل الاستفتاء ، وانهمت

« الشعبية الجمعية » وأثير « العمل المدني » وعدلت الوزارة بشكل واسع ، ثم رفع الستار عن الفصل الأخير وهو الانتخابات التشريعية . جرت هذه الانتخابات التشريعية في ٢٣ و ٣٠ حزيران بعد حملة قصيرة ومتدافعة ، وفي جو مضطرب ومتوتر ، وتمت العودة إلى العمل والتوطيد التدريجي للحياة القومية ، وعاد الهدوء ببطء ومشقة . وخافت البلاد من شر كارثة محتملة الوقوع ، فبدأ لها أن النظام هو الحصن الوحيد ضد الاضطراب والبلبة . ولم يستطع اليسار منذ الجولة الأولى أن يحقق وحدة الترشيح ، وقام عزم الوزير الأول ومهارة الدعاية الدوغولية بالباقي . وكان النصر للأكثرية ، وحصل الدوغوليون وحدهم على ٢٩٣ مقعداً ، بزيادة ٥٠ مقعداً ، على الأكثرية المطلقة . وحصل الفيسكارديون ، وقد أصبح الدوغوليون بغير حاجة لهم ، على أكثر من ٦٠ مقعداً . وسحق اليسار ، وخسر نصف منتخبيه ، وباد الوسط أيضاً . ولم تحصل كتلة سياسية على عدد من المقاعد في مجلس فرنسي في ظل الجمهورية في أي وقت مضى كما حصلت عليه الدوغولية .

وكمفاجأة عامة ، انفصل دوغول بهذه المناسبة عن كان منذ ستة أعوام وزيره الأول ، جورج بومبيدو ، الذي تماسك وقاوم جيداً عند هبوب العاصفة ، وكان يعتبر ولي عهده ، وأصبح رئيس الحكومة الجديد مورييس كوف دو موفيل وخلف هذا الأخير في الكي دوسييه ( وزارة الخارجية ) ميشيل دوبريه . وكان وزير المالية في هذه الوزارة فرنسوا اورتولي ، وكان موظفاً كبيراً . وعهد بالتربية الوطنية الى ادغار فور . ودخل الدوغوليون اليساريون الذين يوجههم دوتيه كابينان وزير العدل بالقوة في الوزارة . وقد أمسك هؤلاء الرجال بزمام قيادة الأمور ، بعد ربيع مضطرب ، لمجاهة اللجنة الكبرى التي لاقتها الدوغولية في عهدها الثالث .

## الفصل الثاني

### بريطانيا - العظمى

لقد حولت الحرب العالمية الثانية الى نقطة لقاء سياسي للعالم الغربي الأرخييل الصغير المؤلف من ٢٤٢٤٤٣ ك م<sup>٢</sup> والواقع في عرض الشواطئ الشمالية - الغربية في أوربة ، بعد أن طرحه كتاب العصر الوسيط على مصوراتهم الجغرافية على هامش العالم المعروف . ان جزراً هامة مثل بريطانيا - العظمى ( انكلترا ، بلاد الغال ، وابكوسيا ) أو مثل ايرلندا الشمالية ، وغباراً من الجزيرات مثل جزيرة وايت وجزر سورلينغ ، آنغليزي ، وجزيرة مان ، والاوركنيز والشتلاند ، أي ان كل أراضي المملكة المتحدة قد ساقها الحرب فقلبتها تماماً ، حتى ان الحياة فيها لم تعد أبداً شبيهة بحياة سنوات الثلاثينات . وعندما استسلم الرايخ الثالث ، في ٧ أيار ١٩٤٥ ، دون شرط ، لم يبق إلا ذكرى ما كان في السابق يؤلف المجتمع البريطاني ، وسياسته الخارجية أو العسكرية وحياته الاقتصادية .

وعلى عكس ما مر في بعض البلاد المحررة من أوربه ، لم يبدأ ما بعد الحرب الانكليزي في ١٩٤٤ ، بل في ١٩٤٥ . ان النزول في نورمانديا ( ٦ حزيران ١٩٤٤ ) ، والانسحابات المتوالية للجيش الألماني ( فرماخت ) سجلت للبريطانيين تواريخ أساسية ، ولكنها تواريخ نصر ،

ولم تسجل لهم عودة للسلام . لأن أسلحة ال ف<sup>١</sup> وال ف<sup>٢</sup> المطلقة من الأراضي التي ما زالت محتلة بعد ، ظلت تمطر البلاد ، و ٥ ملايين من الرجال بدأوا في العام ١٩٤٥ خدمة العلم ، و ٤ ملايين من المدنيين وقفوا أنفسهم لنشاط الحرب ، والناس رجالاً ونساءً استنفروا من ثمانية عشر الى ستين عاماً .

وكانت الجنود تقاتل على جميع الجبهات ، وتمسك بالحاميات في ألمانيا ، في النمسا ، في البندقية الجولينية ، في اليونان ، في الشرق الأوسط ، في آسيا . والتقنين قائم - كامل ، متكيف مع الحال ، ولكنه منفر ومضجر في جميع النواحي . ولم تستأنف الحياة العادية الا مع النصر ، وعندئذ سارت الأمور بسرعة .

الكلام للبلاد . — إن هذه البلاد التي لم تستشر منذ ١٩٣٥ والتي انتجت آئنثد برلماناً مؤلفاً من ٣٨٧ محافظاً و ١٧ حراً ليبرالياً ، و ١٥٤ عمالياً ، عادت في ٢٥ تموز ١٩٤٥ الى صناديق الانتخابات . وفي الرقم ١٠ دوننغ ستريت ، مقر الوزير البريطاني الأول ، حيث توالى ، منذ الانتخاب العام الأخير ، ستانلي بالدوين ، نيفيل تشمبرلن ، ونستون تشرشل ، أقام زعيم حزب العمال ، كليمنت آتلي الذي أصبح فيما بعد اللورد آتلي .

لقد حدثت تغييرات كبرى في ال ٦٣٠ دائرة انتخابية ، بالافتراع الوحيد الاسم ، وبجولة واحدة . فقد قدم الشيوعيون الانكليز ، لأول مرة في تاريخهم ، ١٠٠ مرشح وحصلوا على مقعدين ، ثم أضاعوهم بسرعة . وخلق الحزب الليبرالي بين الحزبين الكبيرين التقليديين . ونصر العماليون ، حسب كلمة تشرشل ، « نصراً ميبناً » . واستمرت الحياة ظاهراً . و « ما زال الملك في لندن » ، كما كان يغنى أثناء الحرب . وظلت أجهزة الحياة العامة : حتى ان مجلس العموم الذي أصيب بقنبلة مباشرة أعيد انشاؤه

بشكله المستطيل التقليدي . وازيحت الانقاض ، ونظفت واجهات الوزارات في شارع الهوابتبول . ومع ذلك ، فإن وصول جهاز جديد إلى السلطة مع الوجوه التي أصبحت مألوفة : آتلي ، السير ستافورد كرييس هيربرت موريسون ، هونغ دالتون ، ارنست بيفين ، والحاد الطبع انورين بيفان ، وهارولد ولسون وآخرون ، يعتبر تحولاً في أعماق انكسار العجز . ولم يعد المحافظون للسلطة الا في ١٩٥١ ، وظلوا فيها ثلاثة عشر عاماً . وفي ١٩٦٤ انجحوا من جديد أمام حزب العمال يوجهه في هذه المرة هارولد ولسون ، « الرجل ذو الغليون » .

ولكن الذي لا يظهر بالقراءة البسيطة من هذه اللوحة ، هو غليان الأفسار ، وضغط الحوادث ، وشجاعة « صغار الرجال ذوي السيوف الصغيرة » ، المصممين والرحيدين ، الذين يطلقون تحديهم النجيل إلى سعة الفجر . ان توالي الصعوبات والأزمات ، والقضايا والأخطار ، وكل هذه التبعة قالت إلى ماكيلان : « إننا نعيش عصرأ جديداً اليزابيثياً » .

ولم تتغير الأطر الحقوقية - الادارية في الحياة السياسية فحسب ، بل الوجود الاقتصادي والاجتماعي ، والسياسة الخارجية وسياسة الدفاع . وكان جورج السادس أولاً ثم اليزابث الثانية ، ابتداء من ٦ شباط ١٩٥٢ ، شاهدين ، أكثر من الممثلين ، على هذه الثورة الصامتة .

وفقد مجلس اللوردات آخر سلطاته ؛ وظهرت في الوزارات وظائف جديدة ، وتجددت الأحزاب ، كمجلس العموم . وقامت هيئات جديدة متكيفة مع أعمال غير منتظرة .

ثم ان المغامرة ، التي بدأت مع تفجير القنبلتين الذريتين الأمير كيتين على اليابان ، - وهما تحقيق علمي أسهم فيه العلماء البريطانيون - ، استمرت مع نهاية الاعارة والتأجير و « الحلف الكبير » والحلاص من الاستعمار

والعودة إلى أوربه ، وعدم الالتزام ، وفي المضمار الاقتصادي ، حالة الرفاه ، ، و « قف وانطلق » ، والحطة .

إخلاص من الاستعمار دون دموع . - وبشكل مناقض ، إن هذه الأمبراطورية البريطانية ، التي جعلها خيال دزرائيلي قديماً أداة قوة وشوكة واسطورة ، أخذت تتحول إلى رابطة شعوب بريطانية ( كومنولث ) ، بل وتنحل دون اثاره أزمات ولا دموع ، ودون أن تعرض النظام القومية للخطر . ومن عجب أن من جهد أكثر من غيره « للإخلاص من استعمار الأمبراطورية » كان رجلاً محافظاً وهو هارولد ماكميلان .

في ١٩٤٢ كان تشرشل يؤكد بأنه لم « يصبح الوزير الأول لصاحب الجلالة ليأمر قصفية الأمبراطورية » . وفي ١٩٥٦ ، كتب اللورد هايلي : « ليس للاستعمار من مبرر الا تهيئة الطرق لالغائه » . إذن ماذا بقي من الأمبراطورية ؟ ومن الكومنولث ؟ لقد أعطى هيوغ سيتون - وتسون عنها في « الانكوتتر » ، في تموز ١٩٦٣ هذا التحليل :

« شبكة علاقات شخصية وتنظيمية تتحدى الوصف ... ان انكوترا ليست مركزاً لامبراطورية كبرى ، حتى ولا لوحدة عالمية من أهم من الألوان لها نفس المثل الأعلى وتقبل زعامة المملكة المتحدة المعنوية ... » . ومع ذلك فقد بقيت رابطة عراطف رخوة جداً .

وأكثر من ذلك أيضاً أن حكومة آتلي ، عندما استلمت السلطة فكرت بازدهار المملكة المتحدة أكثر مما فكرت بمجد الكومنولث .

ان « رفاه الدولة » ، واصلاحات التعليم ، وتوظيف الموظفين الاداريين ، والسكن ، والتأمينات ، والمكان الذي منح لتعليمات العلم

أو التقنيات ، والاستخدام الكامل ، ان كل هذا هيأته جزئياً وزارة ائتلاف الحرب ، ويؤلف برنامج وعمل سنوات السلطة الست لحكومة العمال الأولى بعد الحرب .

ان انكلتوا ، التي قامت من قبل بثورتين صناعيتين : ثورة الفحم والحديد في القرن الثامن عشر ، وثورة الكهرباء والبترو في القرن التاسع عشر ، تقترب اليوم من الثورة الثالثة : ثورة الذرة والآلية . كانت الثورتان الأوليان فظتين تدمغان الطبقة العاملة بخاتم البطالة ، والمرض ، والبؤس . أما رجال الثورة الصناعية الثالثة فيريدون أن يوجهوها وجهة العدالة الاجتماعية .

الرفاه وسوابقه . - أما بالنسبة لرجال السياسة في حكومة تشرشل ، فقد كان لظرف العمل وجهان عرفوها خلال سنوات الـ ٢٠ وهما البطالة والاضراب العام في الأول من أيار ١٩٢٦ ، الوحيد في تاريخ الحركة العمالية الانكليزية . وقد أثير بسبب عدم قدرة بالدوين على أن يجعل من انكلتوا « عالماً أهلاً بإبطاله » . وصوت عليه ٣٥٠٠٠٠٠ مندوب مقابل أقل من ٥٠٠٠٠ « لا » ، و ٣٥٠٠٠٠ متروك ، فشل الأمة وفرض عليها صدمة صحية . ولكنه جعل الطبقة العاملة واعية لقوتها وطبع في ذهنها بذلك معنى المسؤوليات . وجعل المحافظين المعتدلين ، الذين يعلنون « بأنه يجب الا يرى هذا أبداً » في أمرهم يتفكرون .

غير أن استئناف التسليح ازال قسماً من البطالة وانتهى النفير العام بجذفها . وفي الوقت نفسه تبلورت فكرة سياسية اشتبك فيها مأتى العمال ومأتى « المحافظين الشبان » . وعندما حان النصر ، قال الرجال السياسيون ، الذين جاهدوا في أن تبقى الأمة في النزاع ، بأنهم إذا كانوا

قادرين على إنشاء عجلة حرب مدهشة قنتج بوفرة « أشخاصاً حادي المزاج » لمعركة انكلترا وعصير « الليمون » العزيز على البحارة الانكليز ، فمن الممكن اشادة عمل عظيم للسلام : « مجتمع الوفرة » .

وفي فيض الحماسة البريطانية القليلة كثيراً ، في ١٩٤٥ ، استمكنت الحكومة أماكن وضعها اللوردات تحت تصرف مجلس العموم ريثما يستطيع رجال مجلس العموم الدخول إلى حرمهم التقليدي المتضرر بشكل مؤسف . كما أن الاصلاحات ، التي بدى بها أثناء الحرب ، بدافع من حزب العمال الذي كان يعلن أن اسهامه في حكومة ائتلاف لا يقتضي منه « التخلي عن مبادئه » ، تمت بسرعة .

وطلب المحافظ ، ويتشارد اوستن بتلر المسمى ( راب ) التصويت في ١٩٤٤ على ديموقراطية التعليم الابتدائي والثانوي ، دون أن يهاجم بالمقابل ، لنلاحظ ذلك ، قلاع النظام أي « المدارس العامة » والجامعتين الجليلتين ، جامعتي اوكسفورد ( ١٢٥٤ ) وكامبريدج ( ١٣١٨ ) . ولكن العمل الأهم كان عمل الحر السير وليم بيفيريدج ( وهو اليوم اللورد بيفيريدج ) الذي كلف بعمل جرد القوانين الاجتماعية الموجودة ، واقتراح صهرها من جديد وامتدادها . ونشرت دراسته بشكل « كتاب أبيض » في ١٩٤٢ ، وكانت حصيلة هذه الدراسة مؤثرة . فقد دخلت بكاملها في تشريع متجانس وغني جداً حول من ١٩٤٥ الى ١٩٥١ ظرف العامل بتنظيم الاستخدام الكامل والحماية ضد جميع آلام الانسانية ( الخدمة الصحية ) ، والوصول إلى كل ما يجعل الحياة أكثر انسانية ، من المصحات الى المساكن ، ومن الراحة للعمل ، ومن رفع مستوى الحياة الى التقاعد . وهذه هي « حالة الرفاه » ، إنها تحقيق وحيد في العالم الغربي ، وقد ألهمت شكل يلفت النظر التشريع الاجتماعي في تشيكوسلوفاكيا اليوم .



وبنفس القوة ، في هذا البلد ، الذي وجدت فيه مدن كثيرة أكوماً من الانقراض النظيفه ، وأكثر من ذلك ، أن القرن التاسع عشر ترك فيه اراثاً ثقيلاً من فيض الاستيطان ، جابهت الحكومة قضية جعلتها الحرب العالمية الثانية واسعة ودون حدود . فقد وجد مليون ونصف من الولادات بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، على حين أن داراً على ثلاث دور خربت أو تضررت .

وللعالجة ما هو عاجل ، استعمل أولاً ما يمكن استعماله ، وأصلحت دور وأقيمت في كل مكان دور أخرى جاهزة ومعدة من قبل وانتهى هذا البرنامج الموقت في ١٩٤٩ . ومنذ ذلك الحين لم ين إلا ما هو قطعي ونهائي ( ٤ ملايين ونصف سكنا بين ١٩٤٥ و ١٩٦٣ ) . أما الأحياء الفقيرة التي لم يسحقها سلاح الطيران الألماني ، مثل الايست اند في لندن ، فقد سحقها كاسحات السلام . وأقيم السكان بمناطق كاملة في شوارع ، وأحياء ، ومدن - حدائق ، أو « مدن جديدة » ( ٢١ مدينة جديدة ظهرت في بريطانيا - العظمى ) . ويوجد اليوم نحو ١٧ مليون دار تملك ربعها هيئات عامة . وأكثر من دار على ثلاث دور ( وكلها ٦ ملايين ونصف ) يسكنها مالكةا . وأسرة واحدة على أربع أسر تسكن بناء شيد بعد الحرب . وهذه المساكن جميعها تقريباً ، هي دور فردية وتتألف من طابقين تقريباً ، والباقي موزع بين « الدور الصغيرة » وكتل الأجنحة المؤلفة من طابقين الى عشرين طابقاً . وقد أسهمت في هذا الجهد السلطات المركزية أو الاقليمية والهيئات العامة أو نصف العامة ، والجمعيات الخاصة التي لا تستهدف الربح ، وعمرت للايجار أو البيع . وفرضت مبادئ وقواعد للبناء وحددت الأسعار . ويسمح البيت النموذجي ٨٢ م<sup>٢</sup> ويتألف من غرفتين ، وغرفة جلوس ، ومطبخ ،

وحام ، ومكان للقمامة ، ومرآب ( كراج ) ، وقد كان ثمنه ٢١٢٩ جنيه في ١٩٦٣ ويبدو اليوم أنه بلغ ٣٠٠٠ جنيه .  
وأخيراً ، ان اصلاحات العمالين الاجتماعية وضعت في اقتصاد جديد مطبوع بتأميم التسليف والقطاعات الاساسية في الصناعة .

ومنذ ١٩٤٥ ، سقطت النصوص بكميات كبرى : توزيع قوانين الصناعات لعام ١٩٤٥ و ١٩٥٠ ، قوانين تخطيط المدينة والريف عام ١٩٤٧ ، وقوانين الخدمة القومية ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥١ ، تأميم الفحم ، والطيران المدني ، وبنك انكلترا ، في ١٩٤٦ ، والخطوط الحديدية ، والنقل على الطرق ، والكهرباء في ١٩٤٧ ، والغاز في ١٩٤٨ ، والحديد والفولاذ في ١٩٤٩ ، وقد تمت هذه الاصلاحات في مناخ سياسي صعب ، في الخارج كما في المضمار المالي .

نهاية الحلف الكبير . - منذ ١٩٤٥ ، شهد الانكلايز المكلوموت تصدع حلف الحرب ، وارتخت الروابط التي عقدت أثناء النزاع بين شاطئ المحيط الاطلسي .

لقد كان الحلف الكبير قليل التنظيم جداً ، ويعتمد قبل كل شيء على العلاقات الشخصية بين تشرشل وروزفلت . وقد مات روزفلت في ١٢ نيسان ١٩٤٥ . وفي ٢٥ تموز الذي يليه ، ضرب تشرشل في الانتخابات . وعندئذ ، كما كتب الورد سترايف ، كانت القضايا ، التي جابهها ارنست بيفن وزملاؤه ، تتطلب ، قبل كل شيء ، ضرورة ملوك سياسة خارجية معقولة تتناسب مع ضعف بريطانيا - العظمى الاقتصادي والعسكري .

والواقع ، ان بيفن ما أن أقام في وزارة الخارجية ، محاطاً بالدبلوماسيين ، وكان بعضهم يوحى اليه بثقة محدودة ، حتى أبدلهم

بما أمكن من السرعة بما يسمون اليوم « غلمان بيغن » بعد مسابقة جديدة قل فيها اعتبار المحسوبة ، ووجد الوزير في نزاع مع أزمة عظيمة .

فمنذ ١٩٤١ ، كانت بريطانيا - العظمى تعيش بفضل الإعارة والتأجير . وكما قال مورغنشاو الأمين الاميركي للمالية في عهد روزفلت ، دون أن نصدقه تماماً ، « ان انكلترا على الشاطيء . » لأن الخول من الإعارة والتأجير اولا حتى ١٩٤٣ لم يمدد إلا حتى ١٩٤٥ . وكان يراد في لندن تمديداً جديداً يساعد على تصحيح الوضع ، ولكن مورغنشاو ، بالضبط ، كان يخالف هذا الرأي . لأن الإعارة والتأجير في نظره تدير حرب ؛ فإذا كانت لندن بحاجة الى مال ، فلتجر قرصاً . ولما علم اللورد كينز بانخاذ هذا الوضع وصفه بأنه « دنكر ك دبلوماسية » . ومع ذلك فقد كلفه آتلي بأن يفاوض بهذه القروض الاميركية الشهيرة ، التي خول أحدها في كانون الاول ١٩٤٥ ، والآخر في كانون الاول ١٩٤٦ . وكانت شروطها مخزية . فقد رفضت واشنطنون أن تأخذ بعين الاعتبار وجود كومونولث أو « تفضيل امبراطوري ، أو « منطقة استرلينية » ، وفنت بغبطة شوكة بريطانيا . وأكثر من ذلك ، ان مورغنشاو - وهو اقتصادي مدرسي جداً - طلب ان تعهد لندن بإعادة توطيد مبادلة الجنيه الاسترليني في تموز ١٩٤٧ على أبعد حد . ولما لم تكف هذه الضربة ، فقد انهالت ضربة أخرى على انكلترا وهي « انتهاء التعاون النووي » بين البلدين .

وكانت انكلترا تملك في الحرب ثروات مختلفة . ففي ١٩٤١ ، كان الانكليز متقدمين في دراسة الذرة على الاميركيين ، وكانوا يأبون تقاسم ثمرة أعمالهم . وفي آب ١٩٤٢ عوض الاميركيون تأخرهم ، وفي كانون الاول ١٩٤٢ ، شع أول بيل أميركي في شيكاغو ، وأعطى الرئيس

التعليمات التي تفيد كأماس لـ «مذكوة كوفانت» ، وكان ذلك بداية لقطيعة بين البلدين . ولم يستأنف العمل المشترك إلا في ايلول ١٩٤٣ ، خشية من أن يرى الرايخ الثالث بصنع أول قنبلة ذرية ، وكان يجمل في أي نقطة كان بعيداً عن هذه المرحلة . وفي أيلول ١٩٤٤ ، التقى روزفلت وتشيرشل في هايد بارك ، في الولايات المتحدة ، وتفاهما على متابعة التعاون الذري الوثيق بعد الحرب .

والشيء الغريب ، أن التقرير الذي كتب عن هذه الحوادث اختفى خلال عدة سنوات من المحفوظات الاميركية . وفي آذار ١٩٤٦ ، أوقف الانكليز آلان نان ماي ، وهو عالم شاب يبشر بمستقبل عظيم ، واعترف بأنه بلغ معلومات نووية مصنفة سرية الى الروس ، فتمسكت الولايات المتحدة بهذا العذر . وفي نيسان ١٩٤٦ عاش التعاون الذري الانكليزي - الاميركي . وفي آب ١٩٤٦ ، صوت الكونغرس على « قانون ماكماهون » الذي يحرم إعطاء الأجانب أسراراً نووية عسكرية . ولزم الانتظار حتى كانون الاول ١٩٤٦ ليشع أول بيل سوفيائي ، ويتبعه أول بيل انكليزي في آب ١٩٤٧ ، لتستأنف الاعمال الانكليزية - الأميركية ، في أضيق الحدود تقريباً .

وبينما كانت انكلترا تجابه ضربات القدر هذه ، انفجرت في كانون الثاني ١٩٤٦ الحرب الأهلية في اليونان ، التي اعتبرها مؤتمر موسكو في تشرين الاول ١٩٤٤ ، أرض صيد لانكلترا . وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٤٤ نزلت الجنود البريطانية في بيريه لتهيء عودة الملك جورج . وفي كانون الاول قمعوا ثورة آثينة . ولكن الأمور تغيرت في ١٩٤٦ . فقد رأى بيفن بأنه لا يملك الوسائل ليلقي بنفسه في عملية مكلفة وطلب من الاميركيين ان يقوموا مقام الانكليز . وهذا ما فعلوه . فقد أفادوا

من ذلك وفرضوا وجهات نظرهم في اليونان ، بل وفي اسرائيل ، وبرلين ، وبراغ ، ورومانيا وفي غيرها ، ولم يكن ترومان ليدافع دوماً عن الموقف البريطاني في هذه البلاد . ولكن بيغن كان مضطراً إلى التنازل . فقد كان مائلاً في ذهنه تفكير ترومان في مؤتمر بوتسدام وهو : « ان بريطانيا - العظمى تابعة اقتصادياً للولايات المتحدة ، وما عليها إلا أن تنحني أمام قراراتها . وليتخلص بيغن من هذه العبودية ، فصل في الأمر بشكل لا يرحم في موازنة الدفاع . وفي ١٩٤٤ - ٤٥ كانت هذه الموازنة ٨٣٪ من النفقات العامة الاجمالية . وفي ١٩٤٥ - ٤٦ ، لم تكن إلا ٨٠٪ ( ٤٢٪ في ١٩٤٦ - ٤٧ ؛ ٢٩٪ في ١٩٤٧ - ٤٨ ؛ ٢٤٪ في ١٩٤٨ - ٤٩ ؛ ٢٢٪ في ١٩٤٩ - ٥٠ ) . فهلل المحافظون لهذه الجهود . وقد أشار ايدن في « مذكراته » فيما بعد بأن بيغن ناور ما أمكن في حالة مستحيلة .

توازن ميزان المدفوعات . - وفي الواقع ، ان حساسية انكلاترا الاقتصادية بطبيعتها ، تسيطر عليها ضرورة توازن ميزان المدفوعات ، ولهذا السبب لم تكن الحرب ولا ما بعد الحرب مؤاتيتين لها ، بالرغم من « مساعدة مارشل » .

في ١٩٣٨ كان الميزان التجاري في عجز خفيف . ثم أقيم التوازن « بالموارد غير المرئية » التي تمرل ما يقارب ٣٠٪ من واردات البضائع . وفي الحقيقة ، ساعدت سياسة الحكومة الغذائية منذ ذلك الحين على انقاص الواردات الغذائية . وبـ ٥٪ من مجموع العمال في الأرياف قدمت الارض الانكليزية ، في آخر النزاع ، ٥٠٪ من الغذاء . ولكنها ، من جهة أخرى ، بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، وفّت أكثر من مليون جنيه من تاريخ عصرنا (٥)

أموالها في الخارج لدفع واردات الحرب وقطعت طوعاً الصادرات نحو أمريكا اللاتينية وآسيا . وتحمل الاسطول التجاري خسائر فادحة ، وراكت المملكة المتحدة ديون الولايات المتحدة وبعض البلاد في منطقة الاسترليني . وفي ١٩٤٥ ، قدرت الحكومة بأنها إذا زادت صادراتها ٥٠٪ بالنسبة إلى ١٩٣٩ استطاعت بالضبط أن تستورد ما كانت تستورده قبل الحرب . وإذا كان الانكاي ، في ١٩٥٢ ، ردوا عجز ميزان الحسابات إلى ١٠٪ فهذا النجاح يعود جزئياً إلى الظروف : فمن جهة ، كانت أوربة بكاملها بحاجة إلى الفحم ، وانكاي تملك منه الكثير . ومن جهة أخرى أفادت انكاي أيضاً من التقدم الذي حققته أثناء الحرب في ميادين الملاحة الجوية والكيمياء ، والالكترونيك والاجهزة الحفيفة ، والتجهيز الثقيل ، وتقنية العمارة والصناعة النووية .

وهكذا تم التحويل بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ بأسرع مما كان منتظراً . وكان الانتاج القومي الحامي يزداد بأكثر من ٤٪ في العام . ولكن لم يتوصل إلى هذه النتيجة إلا بالمحافظة على الاشراف الذي كان في زمن الحرب وبتوجيه الصناعات الأساسية نحو التصدير . وهذا الوضع ضعيف . حتى ان الانكاي شكروا ، بعد قليل ، من أن حياة الالمان رغم مصابهم كانت أسهل من حياة الانكاي . وقد وعدهم هارولد ولسون ، رئيس بورد العمال ، « نار فرح عظيمة تغذيها بطاقات التقنين . ولكنه ، في رأيهم ، تأخر كثيراً بإيقاد الحطب .

أقول الآلهة . - بدأ التشريع بحماسة وانتهى برارة . ونسي الناس ماعمل ، وجزعوا لما لم يعمل بعد ، وأساءوا الفهم بأن « الاميركين كفوا عن اغراق البلاد بالكوكاكولا ، .

وفي السياسة الخارجية ، لم يتحرك شيء . فقد تنازل الملك مهربت الثاني

عن عرش ايطاليا وغادرها في ١٣ حزيران ١٩٤٦ ، فكان ذلك دواءً مخففاً عظيماً لواشنطن ، وعويل وزارة الخارجية . وفي ٣٠ كانون الأول ١٩٤٧ ، تنازل ميشيل ملك رومانيا عن العرش وأصبحت البلاد « ديموقراطية شعبية » وانفجرت « ضربة براغ » في ٢٤ شباط ١٩٤٨ . وفي ١٩٤٧ ، رفض الاتحاد السوفياتي الاسهام في برنامج مارشل و « أسدل الستار الحديدي على العالم » في وقت لم يكن فيه جيش لانكلترا . وأخذ الاميركيون على عاتقهم وحدهم الجسر الجوي لبرلين . وطبعوا جمهورية المانيا الاتحادية بطابع ديموقراطي مسيحي قوي بعيد عن الاشتراكية كانت تحلم به لندن لهذا البلد « العجيز » .

ثم ان توقيع ميثاق الأطلسي ( ٤ نيسان ١٩٤٩ ) أنجد حقاً الوجود الاميركي في اوروبا ، أمام القوة السوفياتية . ولكن القضية لم تكن إلا قضية وقت لأن الاتحاد السوفياتي في هذه السنة نفسها ١٩٤٩ فجر أول قنبلة ذرية .

وفي ٢٣ شباط ١٩٥٠ جزت في انكلترا الانتخابات العامة وحصل العماليون على اكثرية ٦ مقاعد . وكان بينن مريضاً فحل محله موديسون وطبق آتلي مع ذلك تأميم الفولاذ في ١٥ شباط ١٩٥١ ، واستمرت السلسلة الدبلوماسية السوداء . وبين حزيران وتشيرين الأول ١٩٥١ ، فقدت انكلترا بتول ايران ، وفسخ النحاس باشا الاتفاقات الانكليزية - المصرية لعام ١٩٣٦

وعاد آتلي عندئذ امام البلاد . وفي ٢٥ تشيرين الأول ١٩٥١ ، انتقلت السلطة إلى المحافظين ، ولكن بأكثرية قليلة ، لأن أكثرية ال-١٧ مقعداً لحكومة تشيرشل - ايدن قد كسبت بمجموع وطني من الاصوات

أدنى من المجموع الوطني الذي انتقل إلى حزب العمال . وهذه نتيجة الاقتراع الاسمي الوحيد في جولة واحدة الذي يفوز فيه مرشح الرأس ، لأن رجال حزب التوري ( المحافظين ) الذين وجدت أصواتهم موزعة أيضاً في البلاد ، كان منتخبهم أكثر من حزب العمال بجاهايره العاملة المقيمة في مناطق محدودة ضيقة .

وهكذا حكم المحافظون لأول مرة منذ نهاية الحرب .

« الحرية المحافظة تسير » ( ١٩٥١ - ١٩٥٥ ) . - وتمسكاً بالعود المقطوعة للهيئة الانتخابية ، بدأ المحافظون ، في ١٩٥١ ، بتطبيق تدابير التحرير الموعودة : أعيدت حرية الاسعار تدريجياً ، في ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ . وتحورت أسعار الغذاء في ١٩٥٤ . ولم يبق إلا الرجوع إلى مبادلة الجنيه والسماح بممارسة التجارة الخارجية دون قسر أو اكراه .

والشيء المفاجيء ، في بلد يبدو فيه أن تجديد توجيه التيارات التجارية العالمية غير ملائم ، بلد نسبة البطالة فيه لا تتجاوز ١٥٪ ، وليس فيه احتياطي يد عاملة جاهزة ، هو أن هذه السياسة نجحت . « الحرية المحافظة تعمل » ، كما تنسادي كراريس دعاية التوري . وإذا ارتفعت الأسعار ، ارتفعت الأجور أيضاً بأسرع منها ، وازداد الطلب على سلع الاستهلاك الدائمة . وإذا وقف الافلاس الناجم عن حرب كوريا لحظة واحدة هذا التقدم فما كان ليشر به إلا قليلاً . وبالعكس ، إن النزاع ، الذي دام منذ ٢٥ حزيران ١٩٥٠ ، ولم ينته إلا في ٢٧ تموز ١٩٥٣ ، خلق نقوداً جاهزة في حسابات الدومنيون في لندن ، وسوقاً للطلب وجد الصناعيون البريطانيون كل المتاعب لارضائه . وحتى ١٩٥٥ ، عرف الاقتصاد نسبة زيادة مدعومة . وكان بتلو آتند وزيراً للمالية قد طرح



شعاراً وهو : « وظفوا أموالكم في النجاح » ، ١٩٥٤ . وكانت القضية قضية وقت لأن سنة ١٩٥٥ كانت سنة وصل في الاقتصاد الانكليزي ، وهي سنة نهاية « الرخاء الاقتصادي الكبير » . وفي هذه السنة ، اصطدمت البضائع الانكليزية في الأسواق الخارجية بمنافسات جديدة . وانخفض ميزان المدفوعات . وأخذت حكومة المحافظين بين أمرين : لزوم الابقاء على الحرية الاقتصادية دون اشراف ، ولزوم دعم الرخاء والاستخدام الكامل لليد العاملة الجاهزة .

انهم بعضهم « حالة الرفاه » بأنها تكلف غالباً جداً ، ولكنها لا تمثل ١٠٪ من الانتاج القومي الخام ، وهذا ما يجعل العبء مساوياً بشكل محسوس إلى العبء الذي تتحمله البلاد الأخرى من هذه النقطة . وكانت النفقات العسكرية موضع تساؤل بدورها . ولكنها لا تمتص إلا ٧٪ من الانتاج القومي الخام - كما في فرنسا - فضلاً عن أن منحة اميركية جوهرية ظهرت في موازنة الدفاع ، منذ ١٩٥٢ ، كإسهام في البحوث النووية العسكرية .

وهكذا نرى أن ١٩٥٥ تقارن بشكل غير ملائم بالسنوات السابقة التي يبدو أنها كانت بحق « عصر الرخاء » . ولكن رجال حزب التوري لم يفقدوا ثقتهم : لقد اكتشفوا « قف وانطلق » .

من « قف وانطلق » الى نيدي ( ١٩٥٥ - ١٩٦١ ) -

رفع التأميم عن الفولاذ في ١٧ آذار ١٩٥٣ . وكاث ذلك وسيلة ضغط من الحكومة على السوق فزالت ، وبشكل اضطر وزير المالية ، في ١٩٥٥ ، إلى حيل سياسة ظروف صرفة ( أي إلى وسائل عمل قصيرة الأجل مؤثرة على الظروف ) . وحتى ١٩٦١ ، أعطت هذه الوسائل إلى نحو العصر منحني بارزاً قوياً بشكل اسنان المنشار . وهكذا تم دور

توسع مربع ، من ايلول ١٩٤٩ ( انخفاض قيمة الجنيه ) إلى حزيران ١٩٥١ . ومن حزيران ١٩٥١ إلى كانون الاول ١٩٥٢ ، عقب نزيف الذهب والعملة الصعبة ، ضيقت الحكومة الاعتمادات ، والواردات ، وسببت ركوداً صناعياً مصحوباً بزيادة في البطالة . وعندئذ فرجت . عن الاشراف ، ومن بداية ١٩٥٣ إلى تشرين الاول ١٩٥٥ عاشت انكساراً دور ثمر مدعوم أكثر من أي دور عاشته منذ ١٩٤٥ . ثم تلا ذلك دور « توقف » جديد من تشرين الاول ١٩٥٥ إلى تشرين الاول ١٩٥٨ ، ثم توقف جديد للنمو الاقتصادي : بلغت فيه البطالة ٢١٤٪ . ثم عودة إلى « الانطلاق » من تشرين الاول ١٩٥٨ إلى نيسان ١٩٦٠ ، « ووقوف » بين نيسان ١٩٦٠ و كانون الأول ١٩٦١ . وفي الحقيقة إن عودة تقويم الفلورن الهولندي ودوتشمارك غربي المانيا ، أحدثت بالفعل موجة استغلال ضد الجنيه . ولذا ، وبالرغم من مساعدة المصارف المركزية الأوروبية ، في آب ١٩٦١ ، اضطرت المملكة المتحدة أن تسحب ٧١٤ مليون من الجنيهات على بنك النقد الدولي . وفي تموز لجأت إلى تدابير جديدة لضمور النقد مثل رفع سعر الحسم وتضييق الاعتمادات وزيادة الضرائب غير المباشرة وتجميد الأجور .

إن أزمة ١٩٦١ والوسائل المتخذة لمواجهتها اعتبرها الاقتصاديون أخيراً كالحكم بالاعدام على سياسة « قف وانطلق » التي طبقتها منذ ١٩٥٥ هارولد ماكميلان ، بيتر ثور نيكروفت وهيتشكوت اموري الذين توالوا على المنصب الخفيف ، منصب وزير المالية .

أما هارولد ولسوت ، الذي خلف في ١٤ شباط ١٩٦٦ هيوغ غيتسكل كزعيم عمالي ، فقد أشار إلى عقم ولا معقولية هذه اللعبة ،

وسياسة « قف وانطلق » التي كانت فيها أدوار « انطلق » تحدث في كل سنة انتخابية .

وقال : إن الضمور النقدي الذي سببه تضيق الاعتمادات ، واستعمال كتلة الأموال العامة ، ونظام الضريبة ، وندرة توظيف الأموال ، والسياسة النقدية ، لم تكن فقط غير كافية ، بل كانت مشؤومة ، وبالغت في أسنان منشار الاقتصاد وثبطت همة الصناعيين .

وهذا التثبيط لأكثر دعائم حكومة المحافظين حزماً سيضطرها الى إيجاد حل آخر ، ولذا اعتنقت فكرة الحطة .

التخطيط المحافظ ( ١٩٦١ - ١٩٦٣ ) . - وكما في فرنسا ، كانت الحطة في انكلترا ابداعاً عملياً ، وغير علمي ، وقد أعده أناس لم يكونوا مذهبياً مخططين ، ولكنهم أخفقوا في بحشهم عن ليبرالية دون أزمة . ولذا دعا وزير المالية ، في تموز ١٩٦١ ، أبواب العمل ويمثلي العمال للنقاش معه في نظام تخطيط للاقتصاد . ومثل هذا العمل يتضمن تنسيقاً للطلبات وعملاً على اقتصاد سوق مفتوحة بسعة باتجاه الأجنبي ، وبالرغم من كل شيء ، وبعد أن اتخذت التدابير المباشرة للحيولة دون أزمة ١٩٦١ ، دعا ساوين لويدي ، في ٨ آب ، اتحاد الصناعات البريطانية ومؤتمر نقابات العمل برسائل متشابهة يقترح فيها عليها « مائدة مستديرة » بغية تأسيس هيئتين جديدتين « مجلس التنمية الاقتصادية الوطنية » وساعده الزمني « مكتب التنمية الاقتصادية الوطنية » .

وجاء ( المستخدمون ) مباشرة واحتلوا أماكنهم في المجلس ، أما مندوبو نقابات العمل فقد ندبوا عنهم في مؤتمر ايلول ١٩٦١ ، ولم يشاركوا فعلاً بالأعمال إلا ابتداءً من شباط ١٩٦٢ عندما لينت الحكومة تجميد الأجور ،

الذي فرض منذ صيف ١٩٦١ . وشوهد عندئذ أن أبواب العمل بل وأيضاً النقابات لم يتصوروا فكرة تخطيط حتى أن تقنيات هذا التخطيط كانت غريبة عليهم كلياً . ونشأ « النيدي »<sup>(١)</sup> ، في ١٩٦٢ ومكتب التنمية الاقتصادية الوطنية ولجنة التنمية الاقتصادية ، لعام ١٩٦٤ ، وكانت كلها ثمرة تفكير وزير المالية المحافظ : سالوين لويدي .

اقترح « النيدي » أخيراً خطة اختيارية ، عامة جداً ، يعمل بها حتى عام ١٩٦٦ . وتنبأ بأن يزداد الانتاج الوطني الخام بنسبة ٤ ٪ في السنة وأن يزيد عرض اليد العاملة خلال هذا الدور بـ ٠.٨ ٪ في العام ، والقوة الانتاجية للعامل بـ ٣.٢ ٪ في العام . وأن يتصا الاستهلاك المنزلي ٥٠ ٪ من زيادة الثروات ، بين ١٩٦١ و ١٩٦٦ ، بزيادة ٢.٩ ٪ للشخص وفي العام ( عوضاً عن ٢.١ ٪ في السنوات الخمس السابقة ) . وأن يزداد التوفير أيضاً ، لأن هذه ٢.٩ ٪ ظلت أخفض من نسبة ازدياد الانتاجية ( ٣.٢ للعامل ) . وأن يخصص باقي الانتاج الوطني الخام إلى تسميرات ( ٥.٣ ٪ في السنة ) . ويجب أن تزداد الواردات ، من جهتها ، بـ ٤.٧ ٪ ، وهذا يفترض زيادة في المصادرات بـ ٥.١ ٪ بالسنة ، وهذا التنبؤ مشروط بيقين ، أن المملكة المتحدة تكون قد دخلت السوق المشتركة « قبل ١٩٦٦ . وأخيراً نص على التجديد التكنولوجي ، والتجزئة الإقليمية للخطة المخصصة لمعالجة فقر الشمال وشمال - شرقي البلاد . وإذا لم يتوطد ، بالرغم من كل شيء ، ميزات المدفوعات من نفسه في وضع ملائم ، فسيعالج بالتقنين المفروض على حركات رؤوس الأموال ، وبتقليص

---

(١) « نيدي » Neddy تصغير ادوار Edouard ، وكان لقباً ودياً للمؤسسة .

الواردات ، وبالعون المالي الذي يقدم للمصدرين ، وبتقوية تعادل الاسترليني وربما أيضاً بتخفيض قيمته .

وابتداءً من ١٩٦٢ ، بدأت الحكومة ، واثقة بفضائل الحطة ، بتطبيق تدابير توسعية . وفي ١٩٦٤ ، استجاب الطلب الداخلي بجرارة جداً لهذا الدافع ، وتم تجاوز نسبة زيادة ٤٪ فسبب خللاً أساسياً في ميزان المدفوعات . وكانت النفقات المنزلية والتوظيفات المالية ، وكانت هامة في ١٩٦٣ ، مسؤولة عن هذه الحالة .

ومن المؤكد أن الصادرات زادت هي أيضاً ، وأن ميزان المدفوعات الجارية لـ ١٩٦٢ - ٦٣ أبدى زيادة . ولكن فجأة ، في ١٩٦٤ ، انتقل العجز إلى ٨٧٤ مليون جنيه استرليني ، منها ٥٥٣ مليون جنيه لحساب ميزان البضائع وحده . وكان هذا العجز أكبر عجز سجل منذ ١٩٥١ . وأعيقت الحركة التجارية بتطور غير ملائم لحدود المبادلة . وتجاوز تصدير رؤوس الأموال بأكثر من ٢٠٠ مليون جنيه صادرات ١٩٦٣ . وبدا ميزان الدور ١٩٦١ - ١٩٦٣ يظهر عدم تلائم بين الزيادة الاقتصادية وتوازن ميزان الحسابات ... إلا إذا كان اقتصاديو « النيدي » ببساطة أناساً أغراراً وقليلي الخبرة . وعلى أي حال ، إذا تنبأوا برؤوس حادة عابرة من الحلل ، فما كانوا ليتوقعوا عجزاً بـ ٨٧٤ مليون جنيه ! وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤ ، سجل الناخب عدم موافقة بطرد المحافظين ودعوة العمال للسلطة .

من الحلف المعتدل الى السويس ( ١٩٥١ - ١٩٥٧ ) . -

لقد سيطرت على الدبلوماسية العمالية ثلاثة مبادئ وهي :

١ - ضرورة عدم أخذ تعهدات تكلف غالباً في الخارج .

٢ - ضرورة الحفاظ على علاقات طيبة بصورة كافية مع الولايات المتحدة لإمكان متابعة سياسة نووية وطنية .

٣ - ضرورة توطيد الحالة الاقتصادية لإمكان العمل بحرية على المائدة الدولية .

وبوجب هذه القاعدة الثالثة ، اعتقد بيفن في ١٩٥٠ بأنه على درجة من القوة كافية لاقامة علاقات دبلوماسية مع الصين الشيوعية ، بالرغم من استياء الاميركيين . وكان العماليون يباهون بقواهم : ففي ١٩٥١ ، أبرمت واشنطن ميثاقاً دفاعياً عسكرياً مع أستراليا وزيلنده - الجديدة ، دون أن تعلم به انكلترا ، كما لو لم يكن عليها أن ترى شيئاً في قرارات دومينيوناتها !

أما تشرشل وايدن اللذان عادا إلى السلطة بعد انتخابات تشرين الاول ١٩٥١ فقد سلكا طريقاً يختلف تماماً عن الطريق الذي اختاره العماليون ، ربما لأن الحادث أعطاهما درساً ، وربما لأن هذا ميلها الطبيعي ، وربما لأن حرب كوريا ، التي نشبت في ٢٥ حزيران ١٩٥٠ ، أعطتها انطباعاً بأن لها منذ الآن دوراً هاماً ليلعبه . وكان هدفها مثلثاً : التقارب مع الاميركيين ، وصيانة المصالح الانكليزية في العالم ، وحض بلاد القارة الأوربية على التجمع في ميثاق دفاع ، وحفظ نفسها ، على هذا النحو ، من أخطار عدوان سوفياتي ممكن .

أما ما يتعلق بالولايات المتحدة فان تشرشل لم يصل إلى الاعتقاد بأن الحلف الأعظم قد مات إلى الأبد . وكان يباهى بأنه يريد احياء روابط الحرب ، على حين أن ترومان أو آيزنهاور الذي خلف ترومان ، في كانون الثاني ١٩٥٣ ، لم يمتا بانكلترا بخاصة . وقد توصل البريطانيون بشقة إلى

استئناف « المشاورات الضيقة جداً بين البلدين » ، كما تقول بلاغات اللقاءات الانكليزية - الاميركية .

وعلى الصعيد النووي ، لم تكن الولايات المتحدة التي جربت على الارض المحرك النووي للغواصة « ناوتيلوس » ، لتتوغل باستئناف التعاون مع بلد لا يأتيها شيء عظيم ، لولا أن السوفييتين فجروا ، في آب ١٩٥٣ ، أول قنبلة هيدروجينية فقبل الاميركيون بتنظيم العون الذي قدموه ، منذ عام ، للبرنامج الذري الانكليزي ، وتعهدوا بأن يجددوه من سنة لأخرى .

ومن البديهي ، في كوريا ، حيث حرم ماك آرثر من وظيفته أخيراً ، وفي الهند الصينية ، حيث فكر الاميركيون ، بعض الوقت ، بالتدخل إلى جانب الفرنسيين بضربات قنابل ذرية ، أن الانكليز كانوا يبشرون بالاعتدال وانتصروا . ولكن ، إلى جانب ذلك ، كم من الاهانات !

وبالرغم من التنازلات البريطانية ، رفض الاميركيون التدخل عندما تخلص جمال عبد الناصر تباعاً من الملك فاروق وعبد نجيب واستلم السلطة . وفي قبرص ، وفي كينيا ، وفي الشرق الاوسط ، وفي آسيا ، وفي افريقية ، وفي اوروبا الشرقية ، وفي كل مكان لاقى فيه الانكليز صعوبات ، كانت الولايات المتحدة تتدخل بحجة الوساطة ، وتقيم في الواقع الحوصم الواحد ضد الآخر بقصد واضح وهو لم يقطع الساقطة من التركة البريطانية . وإذا قنعت في ١٩٥٤ و ١٩٥٥ بالاهتمام بميثاق دفاع ، على طراز منظمة حلف شمال الاطلسي ( ١٩٤٩ ) ، منظمة جنوب شرقي آسيا من أجل آسيا ، وميثاق بغداد ، الذي اصبح ميثاق الحلف المركزي من أجل الشرق الأوسط ، فذلك بشرط أن تخصص نفسها بحصة الأسد لا من أجل تسهيل دبلوماسية لندن .

وفي أوردية ، لم تحصل حكومة المحافظين كذلك على أي فوز .  
وقد بدأت الاعمال المتعلقة بإشادة وحدة الدفاع الاوردية بمؤتمرات في  
باريس منذ آخر ١٩٥١ . وكان التقدم ضعيفاً هزيباً ، ورفضت الحكومة  
الفرنسية أن تقبل بأي شكل كان إعادة تسليح المانيا ، وعلى أي حال ،  
لا تريد ذلك في هيئة يكون فيها الانكليز غائبين أو تلعب فيها قاعدة  
الفوقية . وقد وثق الفرنسيون بخطب تشرشل الحماسية ، واعتقدوا بأن  
وحدة الدفاع الأوردية تضم بريطانيا - العظمى . وعندما اجتمع في مؤتمر  
برمودا ، من ٤ - ٨ كانون الاول ١٩٥٣ ، يمثلو فرنسا والولايات  
المتحدة والمملكة المتحدة ، فهم المندوبون الفرنسيون بأن العوت  
الانكليزي - الساكسوني ، غير ذي موضوع ، وان اهتمامهم بوحدة  
الدفاع الاوردية حار دحاناً .

وعبثاً حاول انطوني ابدن ، الذي وضع شرفه في التمسك بوحدة  
الدفاع الاوردية على الاحواض العمودية ، جميع الوسائل لتذليل العقبات  
بما فيها التهديد . وفي عدة جلسات برلمانية صعبة ، بين ٢٣ و ٣٠ آب  
١٩٥٤ ، اطرحت فرنسا نهائياً كل مشاركة في وحدة الدفاع الاوردية  
المحتملة . وأسدل الستار . وعندما اضطر ونستون تشرشل ، في ٦ نيسان  
١٩٥٥ ، بعد احتقان دماغي خطير إلى الاستقالة ، وتخلي عن منصبه  
لإبدن ، عاشت وحدة الدفاع الاوردية . ولم تكن إلا ذكرى سيئة .  
وكان الجميع على اتفاق في أن إعادة تسليح المانيا تفرض نفسها أمام  
التهديد السوفياتي ، ويبقى إيجاد الاطار .

وعوضاً عن هذا المخرج السيء ، جرت المفاوضة باتفاقات باريس ،  
التي دخلت في حيز التنفيذ ، في ٥ أيار ١٩٥٥ ، وتمت اتفاقات بروكسل



( ١٧ آذار ١٩٤٨ ) ، وولدت اتحاد اوروبا القوية ، المكلف بمراقبة إعادة التسليح الألماني الذي يجب ألا يتجاوز بعض الحدود ، ومقابل ذلك دعيت جمهورية المانيا الاتحادية بالاجماع إلى المشاركة في ميثاق الاطلسي .

كانت سنة ١٩٥٥ مشؤومة على انطوني ايدن . فقد كانت نهاية ازدهار حزب المحافظين ، وبداية الاضطرابات في قبرص وحرب الماو - ماو في كينيا . وانتزع السودان الانكليزي - المصري استقلاله . وحاول ماكميلان ، وزير المالية ، أن ينقذ هطام ديمقراطية الملاكين الصغار ، هذه التي وعد المحافظون بها البلاد .

ولكن ١٩٥٦ كانت أكثر بلاء أيضاً . فقد شهدت هذه السنة ، في الواقع ، في ٢٦ تموز ، تأميم قناة السويس على يد جمال عبد الناصر ، وثورة هونغارييا المناوئة للسوفييات من ٢٣ تشرين الاول - ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ وقمعها ، والانزال الفرنسي - الانكليزي في بور سعيد ونهايته الخزية في ( ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ ) . حتى ان اللورد سترايف ، وهو الدبلوماسي المتعود على الصيغ الدقيقة الألوان ، حكم دون مراعاة على مغامرة السويس . فقد كتب : « ان العملية لم تثقل كاهل الحكومة بلوم دولي كامل لا مشيل له منذ حرب البوير فحسب ، بل انها قسمت الرأي العام بعمق ، كما قسمته حرب اسبانيا واتفاق مونيخ » .

والواقع ، ان ايدن ، في ٩ كانون الثاني ١٩٥٧ ، بعد مظاهرات صاحبة في ميدان طرف الغار في لندن ، قدم استقالته الى الملكة ، وكان يشكو من التهاب مرارته . وأصبح هارولد ماكميلان الوزير الاول .

ماكميلان و « ريج التغيير » . - اسلوب ماكميلان خاص . فما كاد يقيم في رقم « ١٠ » دوننغ ستريت ، إلا وأراد أن يحاول ثلاثة

مشاريع في آن واحد : مد بلاده بأحدث الاسلحة النووية ، وبشمن قضيات كبرى ؛ والدخول في السوق المشتركة لتلعب انكلترا في اوروبا الدور السيامي والاقتصادي الخاص بها ؛ وأخيراً ، انتهاء الخلاص من الاستعمار دفعة واحدة .

وفي هذا المضمار الأخير ، كان الفوز مدوياً . فقد توصل خمسة عشر بلداً ، بانتظام ، الى الاستقلال بين ١٩٥٧ و ١٩٦٤ . وفي ٥ كانون الثاني ١٩٦٠ ، قام ماكملان برحلة كبرى في افريقية . وظل فيها حتى ١٥ شباط . وخطب أمام برلمان الاتحاد جنوبي - افريقية خطاباً معادياً يعزم الى التمييز العنصري ، وبأهى فيه بحسنات « ربيع التغيير » . ففهمت افريقية الجنوبية . وعندما وضعتها الدومنيونات الأخرى موضع اتهام ، خرجت من الكومنولث ، رابطة الشعوب البريطانية . واستطاع ماكملان ان يخلص بلاده من روابط الاستعمار ، ولم يرتفع في انكلترا أي صوت مسؤول للرمه .

وأتى بعد ذلك دور المشاريع النووية . ولم ير هارولد ماكملان فيها أي رمز ، أو أي اداة للجاه . وببساطة ، عندما اطرح الاميركيون مشروع واباكي في نزع الاسلحة الذرية الاقليمية في اوروبا ( في ٣ أيار ١٩٥٨ ) بالرغم مما يبدو من تقدم المفاوضات في معاهدة لوقف التجارب العسكرية النووية ، ( لقد أدت في الواقع ، في ١٩٦٣ ، الى معاهدة موسكو ) ، عندما أخفق مؤتمر قمة الشرق - والغرب المنعقد في ١٦ أيار ١٩٦٠ في باريس ، قال البريطاني الاول ان الانفراج ما زال بعيداً ويلزمه مظلة نووية لبسطها فوق الجزر البريطانية الصغيرة . واتجه نحو أمريكا ، الدولة الوحيدة التي يمكن أن تساعد ، وقبل ببخطة ، عندما طلب اليه اينهاور ، في ٢٤ شباط ١٩٥٨ ، قواعد

في بريطانيا العظمى لطائرات قيادة الجو الاستراتيجية . ألم يأخذ مكافأته في تموز ١٩٥٨ ، بشكل ثلثين لقانون ماكماهون : فقد كانت لرئيس الولايات المتحدة الحق في ان يشرك في الاعمال النووية الاميركية السرية أعمال حلفائه الذين حققوا لحسابهم الخاص « تقدماً جوهرياً » . ولذا ، ففي ١٣ نيسان ١٩٦٣ ، تخلى الانكليز عن صنع صاروخ « بلوستريك » المخصص لتسليح طائرات قاذفات قنابل القوة ٧ (فالينانت ، فولكان ، فيكتور) وغواصات المستقبل ذات الدفع النووي ، وكانت أول واحدة منها وهي الدريدنوت في رجة الصناعة .

وعوضاً عن صاروخ بلوستريك عرض الاميركيون ، الذين يشتغلون لتحقيق سلاح مشابه وهو السكايبولت . على الانكليز ان يضموا اليهم جهودهم . ومقابل ذلك ، أخذوا على عاتقهم تكاليف البحث كلها ، وتعهدوا بأن يقدموا للقوى البريطانية مائة سكايبولت ابتداء من ١٩٦٥ بسعر الكلفة .

اعتقد ماكميلان بأنه لأمس الهدف : وهو استئناف التعاون النووي الانكليزي - الاميركي . وفي الواقع ، باع القوة النووية الانكليزية بصحة عدس ( بثمان بنجس ) . فعندما يريد الاميركيون التخلي عن « السكايبولت » لتعذر نجاحه ، وعلى أي حال ، عندهم صواريخهم من طراز « بولاريس » التي تستطيع أن تؤدي نفس الخدمات ، وبفرضون هذا التبديل في البرنامج على ماكميلان ، لايسع هذا الاخير إلا أن يتنل لما يريدون .

ففي ١٨ كانون الاول ١٩٦٢ ، أثناء لقاء ماكميلان - كينيدي ، في ناسو (عاصمة جزر باهاما ) ، قال الرئيس الشاب ما على الانكليز إلا أن يشتروا صواريخ « بولاريس » ، وان يكيّفوا حسبها عقوداً ،

رؤوساً نووية انكليزية، ويستعملوها على متن طائرات القوة V أو على غواصاتهم ذات الدفع النووي في المستقبل .

وامتد العرض الى الجنرال دوغول فرفضه : ولم يكن لديه غواصات نووية أو عقود صواريخ ، فماذا يعمل بصواريخ « بولارس » .

والمؤسف، أنه آلى على نفسه، في الوقت ذاته، بأنه سيدع ماكميلان يدفع غالباً عن هذا الخضرع لرغبات الاميركيين . وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٦٣ ، قال ، في مؤتمر صحفي : « انكالترا جزيرية ، بحرية ، ترتبط بمبادلاتها ، وأسواقها ، وتموينها ، ببلاد مختلفة وغالباً بعيدة . . . ولها ، في عملها ، عادات وتقاليد ملحوظة جداً وأصيلة جداً . وباختصار ، ان الطبيعة ، والبنية ، والظروف الخاصة بانكالترا تختلف عما في البلاد الأخرى القارية » . وفي ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٣ ، استعمل موريس كوف دو مورفيل ، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي ، في بروكسل ، حق الفيتو ، حق رفض فرنسا بهذه العبارات : « ان بريطانيا العظمى ليست بعد في حالة تجعلها تقبل انظمة المعاهدة » .

وكان الاخفاق خطيراً لحساب لندن، عندما تفاوض لورد الخاتم الخاص، ادوارد هيث ، مع حكومات دول اربعة الست في ٨ تشرين الثاني ١٩٦١ ، واعتقد بأنه قريب من الهدف . وأشرف الاقتصاد الانكليزي كله على الخطر ، لأن مشاريع « الليندي » ، كما رأينا ، وضعت على أساس اشتراك بريطانيا بمعاهدة روما .

وفي هذه السنة المضطربة التي شهدت معاهدة الصداقة الفرنسية - الالمانية ( ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ ) تؤيد مصالحه البلدين الكبارين القاريين ، فرنسا والمانيا ، انفجرت ، لزيادة المصيبة ، قضية بروفينمو . لقد اتهم جون بروفينمو ، أمين الدولة للشباب الوسيم في وزارة الحربية ،

في آذار ١٩٦٣ ، بأنه قبل عطف جملة مشابهة كانت تمنحه في الوقت نفسه للملحق البحري السوفياتي لدى بلاط سان جيمس . وفي ٥ حزيران ١٩٦٣ اجبر الوزير على الاستقالة .

وفي ١٣ نيسان ١٩٦٤ ، أكد ايان سميث الوزير الأول الجديد في روديسيا الجنوبية عن عزمه على ترك الكومنولث ، إذا لزم الأمر ، وعلى أي حال على جعل المستعمرة المجاورة لاتحاد جنوب افريقية جنة صغيرة جديدة للتمييز العنصري .

وقد اضنى سوء الحظ والمرض هارولد ماكميلان فالتجأ إلى مستوصف ، ومنه ارسل استقالته إلى الملكة ، في مؤتمر محافظ كامل في ( ١٠-١٨ تشرين الأول ١٩٦٣ ) ، ولم يكن لدى نوابه الاوفياء وقت لتهنئة خلافته في الكواليس . وأخذ المدعون يتنافسون عليها في وضع النوار في قاعة لياقة بعيدة جداً عن حزب التوري ( المحافظين ) .

وكان الفائز والعائم ، كما قال ماكميلان ، وزير الشؤون الخارجية اللورد هيوم « الكونت هيوم الرابع عشر » ، وقد تخلى عن لقبه ليأخذ مقعده في مجلس العموم ويصبح الوزير الاول تحت اسم السير اليك دوغلاس هيوم .

وبقي له بالضبط عام واحد لتنظيم الانتخابات ، وفيه بذل جهده بالقيام بحملة ضد العماليين واتهمهم فيها بأنهم يريدون تأميم نشاطات البلاد الاقتصادية كلها ، واستحوذ الحزب المحافظ على هذه الفكرة اللامعة وجعل منها كراس دعاية تحت عنوان : « للبلاد الحق في أن تعرف » . فنار هارولد ولسون لنفسه ولقب السير اليك « الكونت هيوم الرابع عشر » و تاريخ عصرنا (٦)

« عدم التوافق الرشيق ، وأخيراً ، في ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤ تغلب العماليون بأكثرية قليلة ، ٤ أصوات ، على وجه الصحة .

الرجل ذو الغليون في الرقم ١٠ دولنغ ستويت . - أصبح هارولد ولسون الوزير الأول عندما فجرت الصين أول قنبلة ذرية ( ١٦ تشرين الأول ١٩٦٤ واستقال نيكيتا سرغيفيتش خروتشوف ) في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٤ ) .

كانت وزارته عياراً علمياً من الوزراء العالميين المعتدلين ، مثل باتريك غوردن ووكو ، ومن شخصيات من الجناح الأيسر لحزب العمال (فوانك كوزن، بربارا كاسل ) ، ومن انصار اوربه (جودج براون) ، ومن خصوم هذه المغامرة (دوغلاس جاي) وبهذا الجهاز الغريب الحليط وضع مباشرة طابق افلاس المحافظين ، واعلن في خطاب العرش ( ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤ ) تأميم الفولاذ من جديد ، والاقتطاع من برامج الوجهة . وبدأت « الكونكورده » الطائرة الفرنسية - الانكليزية ، بعض الوقت ( ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٤ ) في خطر ؛ ومن الممكن أن تكون أكثر من ذلك لو لم يحاول ولسون أن يكسب على الأقل حصاد الجنرال دوغول في القضايا الأوروبية . وفي ٢٧ تشرين الاول أيضاً « طبق زيادة رسم ١٧ ٪ على الواردات التي وصل بها تدريجياً إلى ٧ ٪ قبل حذفها . وأخيراً ، في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، أقرض أحد عشر بنكاً مركزياً الحكومة البريطانية ٣ مليارات من الدولارات « لانقاذ الجنيه » .

وعلى اثر ذلك ، أراد ولسون ، أن يعطي « اسلوباً حركياً » لحكومته فطلب مائة يوم لتنظيم الحياة الاقتصادية الانكليزية من جديد . وفي الواقع ، يعلم اليوم ، ان القصد من ذلك كان « وسيلة دعابة » وان الحطة

نفسها ، التي يعمل لاجلها جهاز مختار بكل عناية بوجه الاستاذ بولوغ ، لا تكون جاهزة الا في ١٩٦٥ ، وبانتظار ذلك ، خولت د تدابير قف ، ، التي كان ينتقدها ولسون ، عندما كان في المعارضة ، فترة استراحة .

ولم تكن له أحلام عظيمة في السياسة الخارجية . لانه لم يكن له ، في الحقيقة ، الا حلم واحد لعوامل اقتصادية : وهو أن يرفع ترشيح بلاده إلى د الامرة الاقتصادية الاوربية ، وان ينجح في ذلك .

ولهذا أطلق وسيطاق عصا التسيار دون امهال . وبين ١٩٦٤ و ١٩٦٧ جاء مرتين إلى باريس ، ومرتين إلى روما ، ومرتين إلى بون ، ومرة إلى بروكسل ، ومرة إلى لاهاي ، عدا عن الزيارات التي قبلها من هذه العواصم ، وعن زيارات وزرائه « بقصد المشاورة » وفوق ذلك ، أرسل الملكة اليزابيث الثانية إلى بون ، وهذه أول زيارة لعاهل بريطاني لهذه البلاد منذ ١٩١٣ ، ودوق ادمبره إلى فرنسا حيث استقبله الجنرال دوغول في قصر تريانون الكبير . ولم يزر ، في الوقت نفسه ، كلاً من واشنطن وموسكو الا مرة واحدة . وفي القطاعات الاخرى ، كانت سياسته الخارجية أقل نشاطاً بكثير ، وما كانت في الحقيقة لتقلق أحداً .

وطبق ، مع الولايات المتحدة ، لعبة ناعمة ، وهي لعبة القبان ، وذلك بأن شجب ، دون قوة ، حرب فيتنام ( الأول من تموز ١٩٦٦ ) ، وترك جورج براون يقترح على هانوي مشروع سلام دوت أمل ( ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٦ ) ، وحافظ على سكوته عن التدخل الاميركي في سان - دومينغ ( ٢٩ نيسان ١٩٦٥ ) ، وعن استلام العسكريين السلطة في اليونان ( ٢١ نيسان ١٩٦٧ ) ، وتبسع واشنطن دون أن يلعب دوراً من المستوى الأول في النزاع العربي - الامرائيلي ( حرب الستة

أيام : من ٥ - ١١ حزيران ١٩٦٧ ) ، ولم يخرج من هذا التحفظ إلا ليرفض بقوة مبادلة صواريخه « بولاريس » مقابل « بوزايدون » الأحداث ( وعلى ما يبدو أنه فكر بان ناسو واحدة تكفي ) .

واذا دعم ، مع ذلك ، في مفاوضات « دورة كينيدي » التي انتهت في ١٥ أيار ١٩٦٧ ، النظريات الاميركية ضد النظريات التي أوضحها بجد « اوربه الصغرى » ، فهذا يعني ، كما قال ، ان ليس له أي ارادة في توحيد منافعه مع كتلة الدول الست قبل أن يشارك بها .

وامتد اعتداله الدبلوماسي إلى جميع النواحي التي كانت بريطانيا العظمى تود بداعي التقليد أن تكون حاضرة بها ، فدل بذلك على أن هذه الأزمنة قد ولت .

وتحمل ، دون ان يقوم برد فعل ، « الالهات » التي تعرضت لها السفارة البريطانية في بكين ، وترك حامية هونغ كونغ محاصرة دون ان يحتج . وفي ٢٧ تموز ١٩٦٧ قرر ان يسحب ٤٠٠٠٠ رجل من ماليزيا وسنغافوره ، فأفهم بذلك واشنطن بأنه لا يهتم بدور المملكة المتحدة ، في « شرقي عدن » .

وفي روديسيا ، وجبل طارق ، وفي امارات الخليج العربي ، لم يشأ ولسون ان يحتذي احذية ايدن . ونظراً لأنه كان مضطراً ، في ١٢ أيار ١٩٦٥ ، أن يسحب ١٤٠٠ مليون دولار على بنك النقد الدولي ، وان يقبل بمساعدة البنك المركزي في ١٣ حزيران ١٩٦٦ ، وان يتخذ تدابير جديدة مضمرة للنقد ، في ٢٠ تموز ١٩٦٦ ، فقد شعر بأنه كان منزعاً لأنه لم يستطع دوماً أن يقطع من نفقات « الجاه » ، لدواعي السياسة الخارجية . وعندما استطاع ذلك ، تحلى براحة عن الطائرة 2 - TSR ووعده العسكريين بان يشتري



الـ F-111 الاميركية ، ومرجئاً دوماً ، هذا الشراء ليتخطى عنه أخيراً في بداية ١٩٦٨ ، وبأنه يريد أن ينسحب من مشروع E.L.D.O. ( منظمة تنمية اطلاق الصواريخ الاوربية ) في حزيران ١٩٦٦ بحجة أن القضية اسمي التزامها وانها تعيق تحقيق الطائرة ذات الهندسة المتغيرة . على حين أنه يرى ، بالعكس ، أن ترصد مبالغ هامة ( في ٢٣ شباط ١٩٦٧ ) لانشاء مركز نووي عملاق ينتج الكهرباء ، لأن الفحم ينضب والبتترول يدفع بالدولار ، أو للبحث ، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، عن مناجم جديدة للغاز الطبيعي المكتشفة في بحر الشمال واستغلالها .

وفي الوقت نفسه ، في ٨ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، طمن جناحه الأيسر ، على الصعيد الداخلي ، بنشر قانون يلغي عقوبة الموت . وظل يتبع الساعة الاوربية ، وتبني ، في ٢٤ أيار ١٩٦٥ ، النظام العشري ، وذكر ، بهذه المناسبة ، بأن بلاده تحسب الحرارة بالدرجات المثوية منذ ١٩٦٣ .

وفي ٣١ آذار ١٩٦٦ ، شعر بأن الرياح تدفعه ، فدها البلاد إلى انتخابات جديدة عامة . وعاد العماليون في هذه المرة إلى مجلس العموم بزيادة ٩٧ مقعداً على المحافظين .

وأصبح الآن بإمكان هارولد ولسون أن يستعيد انقاسه وينظر حوله . فقد عرف بأن لديه متسعاً من الوقت ، ولن يضطر إلى القيام بانتخابات جديدة قبل ١٩٧١ . واذا حدث واضع مقاعد في بعض الانتخابات الجزئية ، فقد بقي له ايضاً ، في ربيع ١٩٦٨ ، أكثرية ٧٤ صوتاً . وصارت الحطة ، المقررة في ١٩٦٥ ، في طريقها ونفذت بصمت .

ولم يبق له الا شيء واحد هام ليعمله وهو الحصول على دخول بلده في السوق المشتركة .

وشيثاً فشيئاً ، عدل وزارته ليخرج منها خصوم أوربة . ودخل دوغلاس جاي ، هوبرت باودن ، فرانك كرتز ، في الكواليس ، وصبات بربارا كاسل ، وزيرة النقل ، وشكلت مع انتوني كروسلاند مؤلف « مستقبل الاشتراكية » ، وروي جنكنز وجورج براون ، وزير الشؤون الخارجية ، حول ولسون نفسه وبيترشوف نواة « الأوروبيين » .

وفي ٢٨ نيسان ١٩٦٧ ، اعلم ولسون رسمياً إلى شركائه ، شركاء « أوربه السبعة » ، (أو الرابطة الاوربية للمبادلة الحرة : A. E. L. E.) بأنه ينوي بأن يقدم رسمياً ترشيحاً إلى الأسرة الاقتصادية الاوربية. وتبعت ايرلنده الشمالية ، والدانمارك ، والنورفيج ، ولحد ما السويد ، الحركة وقدمت ترشيحها .

وأخيراً ، في ٢٩ ايلول ، قدمت لجنة الوحدة الاوربية التي يرأسها البلجيكي جان دي تقريراً يحلل صعوبات التوشيع البريطاني ، ولكنه ختم تقريره بضرورة القيام بمفاوضات مع المملكة المتحدة . وفي ٥ ايلول ١٩٦٧ ، اجتمعت النقابات في مؤتمر اتحاد العمل وصوتت بأكثرية ساحقة لصالح دخول البلاد في اوربة الصغرى . وهكذا استطاعت الحكومة أن تعتمد في آن واحد على المحافظين وعلى العماليين وعلى النقابات وعلى مجلس العموم . وهذا دعم لاسابق له تحوله الأمة على هذا النحو لهارولد ولسون في مشروعه .

ولكن انكلترا هذه التي تمثل على باب نظام ما كان ليوحي اليها في السابق الا بالخطر ، بأي حال تعمل ؟ وبأي استعدادات فكرية ؟

الاتجاه نحو اوروبا . - يبدو من ، الوجهة السياسية أولاً ، ان  
الحكومة ضعفت وفقدت سرعتها : لأن الانتخابات الجزئية لم تكن  
في صالحها .

ثم ان تدابير « قف » التي لجأ اليها العالميون كانت سبباً في حركة  
المزاج هذه ، وفي الأمر مافيه : رسوم على الواردات ، مكافآت على  
الصادرات ، ارتفاع سعر الحسم ، قروض خارجية ، تجميد الأجور ،  
بطالة ، فكيف يمكن لكل هذا أن يكون شعبياً ، اي متمتعاً  
بثقة الشعب ؟

فن الحطة ، من هذا المجلد الضخم غير المهضوم والمؤلف من ٥٠٠  
صحيفة والمنشور في ١٩٦٥ ، من الذي يتذكر بعد ؟

ولكن هذه الحطة مازالت موجودة ، وترمي إلى ايقاف « نزيف  
الأدمغة » ، هرب الباحثين ، وحاملي جائزة نوبل العلمية ( منذ ١٩٤٥  
كان عند انكلترا ١٤ منهم ) وتجنيدهم الولايات المتحدة بأفضل شروط  
للعمل ، معرضة التقدم التكنولوجي الانكليزي للخطر .

وتنص الحطة ايضاً على زيادة الانتاج القومي الخام ب ٢٥ ٪ بين  
١٩٦٤ و ١٩٧٠ ، وعلى أن اصلاح البلاد يجب أن يعالج البؤس الجديد في الشمال  
والشمال الشرقي واولستر ويعوض على هذا النحو ٢٠٠ ٠٠٠ عامل .

وعلى المساعدة العسكرية الى الخارج حسب اقتصاد سنوي قدر من  
٥٠ إلى ١٠٠ مليون جنيه . وحتى ١٩٧٠ ، أرادت حكومة ولسون ان  
تعتدل في النفقة الداخلية التي ليست ثميراً ( الانتاج القومي الخام :  
٣٨ ٪ في العام ؛ والاستهلاك ٢٢ ٪ ) .

وكان مستقبل انكلترا ومستقبل الحكومة العمالية يلعبان على هذا هذا النحو على حظين : الحطة والدخول في السوق المشتركة .

ولكن يتساءل غالباً على القارة : هل هذا الايمان باوربة مخلص ؟ وكيف يوضع ؟

يبدو أنه مخلص . ولهمه يجب الصعود الى ما قبل ١٩٦٤ ، لأنه يؤلف ثروة صامتة كانت في حالة حمل خلال سنوات الخمسينيات . وان ما يعجب له هو أن نراه يحدث بزمن أقل من الزمن الموضوع لبوغه .

لماذا أنت انكلترا ببطء إلى أوروبة بين ١٩٥٠ - ١٩٦٧ ؟ ولماذا حافظت طويلاً على رؤية تشرشل للعالم ودورها في العالم ؟ ربما لأن الأجنبي لم يحتل المملكة المتحدة ، ولأنها كانت في آخر الحرب في معسكر « الغالين الحقيقيين » ، ولأنها قامت بهذه المعجزة بمساعدة الولايات المتحدة ورابطة الشعوب البريطانية أكثر منها بمساعدة باقي أوربة .

ويسبب هذا ، وبسبب الثقافة الماضية أعتقد رجال مثل آتلي ، ايدن ، ماكيلان أن بلدهم كان مركز ثلاث دوائر متقاطعة : الولايات المتحدة ، الكومنولث ، أوربة ، وان هذه الدائرة الأخيرة بالبداية أكثر عطياً .

والواقع ، فضلاً عن ذلك ، هو أن تفجير بريطانيا - العظمى بسرعة لقبائلها الذرية ثم قبائلها الهيدروجينية اخفى عنها الواقع القاسي : وهو أنه لا يوجد الا غالبان ، لا ثلاثة غالبين كبار ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

وعندما تكلم تشرشل عن امرة الدفاع الاوربي في ١٩٥٣ ، استطاع أن يقول : نحن معهم دون أن نكون تابعهم .

وهكذا التقى العماليون ، الجزيريون الاطهار الذين لا يتكلمون إلا الانكليزية ، مع المحافظين الذين يحملون بد الروابط الخاصة ،

وقد لزمت السويس لتري الحالة التي تصنعها واشنطون من هذه الروابط . ولزمت كوبا لتوضح أن التقام بين العملاقين يتم بسهولة «بمساعي حميدة» . ولزم ايضاً فظاظه رئيس شاب ، كينيدي ، يستقبل ما كميلات في كي وست ، متأثراً بتلميحات الوزير الأول الى «الروابط الخاصة» ، ويجب فجأة : « أي روابط ؟ » .

وبخاصة ، لزم جبل جديد . ففي ١٩٥١ ، كان نصف الوزارة يتألف من رجال عاشوا الحريين العالميتين . وأتى بعدهم جبل ، « الشباب الحانقين » الذي كبر اثناء الحرب ، ويحذر الغريب الأجنبي ويرفض أن يتعلم لغة اجنبية لأن هذا يجعل منه جيلاً معجباً بكل ما هو راجع في الأوساط الممتازة ويدعو الى الغرور .

ومن الممكن أن يكون هارولد ولسون منتسباً لهذه الموجة الثانية . ومع ذلك فقد قال الى دنكان مائنديس الذي عجب لغيرته الأوربية : « انني صابىء والصابئون دوماً اكثر الناس حماسة » . ماذا جرى له ؟

من البديهي ، ان الكومنولث يوحى اليه اليوم بالقلق أكثر من الرضى ، وكانت علاقاته مع الولايات المتحدة متوترة . وكان والرئيس جونسون يكره احدهما الآخر بود . كان جونسون تكساسياً واوربه في نظره غير موجودة ، حتى انه لم يأت جناز تشرشل ، على حين أن الجنرال دوفول شخص اليه .

وعندما لم يستطع ولسون أن يعتمد على الولايات المتحدة أو على الكومنولث ، كان طبيعياً أن يتجه نحو القارة . فهل لتخفيض قيمة الجنيه ،

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، ان يسهل له الدخول في الأمرة الاقتصادية الاوربية ؟ من السابق لاوانه ان نعرف ذلك . ولكن بريطانيا العظمى ، بالرغم من نكبة العملية ( لأن هذا هو ثالث تخفيض للنقد الانكليزي منذ ١٩١٤ ) ، لم تبد خالية اليدين كما يمكن أن يعتقد لأول نظرة .

ان النفقات الجسيمة العامة كانت في السنوات الاخيرة قد امتصت في قسم عظيم منها بالبحث وبخاصة من قبل « سلطة الطاقة الذرية » . وقد تقدمت بريطانيا بنتائجها الى دول اوربة الست . وهذا هو المهر « الدوطا » الانكليزي . فم يتألف هذا المهر ؟ .

إن ٦٠ ٪ من الاختراعات التقنية الكبرى ، منذ ١٩٤٥ ، جرت في أوربة والنصف في بريطانيا - العظمى . وان ٦٣ ٪ من الباحثين الأوربيين (الدول الست وانكلترا) هم بريطانيون . وان موازنة البحث البريطانية تساوي ٦٠ ٪ من موازنة الست دول مضافاً لها انكلترا . وان الرأسمال الوحيد المخصص للأدمغة الالكترونية في أوربة الذي نجا من الرقابة الاميركية هو L' I. C. T. البريطاني . وفي مركز كابينهوست<sup>(١)</sup> يشتغل «معمل جديد منخفض» لفصل اليورانيوم البريطاني على الكهرباء الذرية . وان سحابة الاسلاك A. G. R. تفوق السحابات الفرنسية في هذا المضمار . وبفضل المولدات الكبرى الجديدة التي دخلت في الاستعمال ، سيكون لبريطانيا العظمى في العام ١٩٧٤ أوفر كهرباء نووية وارخص كهرباء في العالم وارخص من الكهرباء التقليدية . وكابينهوست ، من جهة أخرى ، في تقدم في مضمار الصواريخ ، وفي تنمية العقود ( الرؤوس النووية ) . ولم ترغب بريطانيا العظمى كثيراً أن تلقي بنفسها في سباق الأتمار الاصطناعية ، ولكنهما ، قامت بجهد كبير في توضيح

---

(١) يقابل هذا المعمل في فرنسا معمل بيرلات .

وتحسين محطات الاستقبال التي تلتقط اذاعات هذه الأتمار . وهي ، في هذا المضمار ايضاً ، في تقدم ، وتفكر أن تبسح اثنتي عشرة محطة مستقبلية بعد قليل . وأخيراً ، في البحث الأسامي ، استغلت بريطانيا كثيراً في حقول فيزياء الطاقات العليا ، كما في المضمار الدارج على الموضة وهو « علم حياة الذرة » ، وبأتي في الطليعة مخبر كامبريدج ، الذي يمدّه مجلس البحث الطبي ، وهو يعمل على نفس القضايا كمعهد باستور في باريس ، ولكن في شروط مادية افضل .

وما فتئ هارولد ولسون يقول للجنرال دوغول بأنه سيأتي بهذه الطاقة العامة والتكنولوجية إلى دول اوروبا الست . قال ذلك في باريس ، في ٢ نيسان ١٩٦٥ ، وكرره في ٢٤ - ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٧ ، وايضاً في حزيران ١٩٦٧ . وأخيراً ، في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، عندما دعا اللورد - العمدة الوزير البريطاني الأول إلى مادية غايلدهول ، كرر الوزير عرضه ، واذاف بأنه يجب صنع « اوروبا العلم والتقنيات » رأساً ، دون أن ينتظر نهاية مناقشة الترشيع الانكليزي الى الامرة الاقتصادية الأوروبية ، لأن العلم لا ينتظر وبدون ذلك سيفوت الاوان لمقاومة الاميركيين والروس .

ومع ذلك ، فان فرنسا ترى بأن بريطانيا العظمى غير « ناضجة » من أجل السوق المشتركة ، وابتدت ، في ١٩ كانون الأول ١٩٦٧ ، فيتو جديداً خطراً على تماسك الأمرة الاقتصادية الاوربية . وحافظ الجنرال دوغول على هذا الرفض أثناء مؤتمره الصحفي ، في ٩ ايلول ١٩٦٨ ، دون أن يثبط لذلك عزم الانكليز الذين يقولون ان ترشيحهم ليس قضية حزب ، وانما هم الأمة بكاملها ، التي ستطرق الباب الى أن يفتح لها . وظل النزاع كاملاً بين باريس ولندن ، وبقيت هذه العاصمة الأخيرة تعتمد على المساندة الودية البلاد الأخرى الأعضاء في الأمر الاوربية .

## الفصل الثالث

### بريطانيا - العظمى والكومنولث

يتضمن التعبير « كومنولث » حقائق مختلفة . فهو ، بالمعنى الضيق والدقيق ، يدل على رابطة دول حرة ومتساوية ومستقلة تضم في ١٩٦٨ : المملكة المتحدة ، كندا ، أستراليا ، زيلاندة الجديدة ، الهند ، باكستان ، سيلان ، غانا ، ماليزيا ، نيجيريا ، سيرااليون ، قبرص ، فانزانيا ، جامايكا ، ترينيني ، توباغو ، أوغاندا ، كينيا ، مالاوي ، مالمطة ، زامبيا ، غامبيا ، سنغافورة ، غوايانه ، ليزوتو ، بوتشوانا ، بارباد ، المالديف ، ناورو ، ساموا الغربية ، جزيرة موريس ، وسوازيلاند .

ومع هذا ، فإن اللغة الدارجة لا تدل عفواً تحت هذا الاسم على هذه البلاد صاحبة السيادة فحسب ، بل على توابعها التي ترتبط في معظمها بالمملكة المتحدة . ويأخذ المجموع عندئذ الاسم « بلاد الكومنولث » . ونجد فيها بعض مستعمرات أو محميات تعرف في معظمها أنها موعود بها إلى أكثرية قريبة ، إلى جانب غبار من جزر بحر الكريبي والمحيط الهادئ أو جنوبي الأطلسي لم يتأخر وصولها إلى السيادة الكاملة إلا بسبب الصعوبات الاقتصادية التي تلقاها هذه البلاد إذا تركت وحدها . وأخيراً يجب أن نضع في طبقة جانباً روديسيا الجنوبية التي تعتبرها



المملكة المتحدة متمتعة باستقلال ذاتي داخلي ، ولكن لا بسيادة ، بالرغم من تصريحها غير الدستوري بالاستقلال في العام ١٩٦٥ .

يبلغ السطح الكلي للكومنولث ، « بالمعنى الواسع » ، نحو ٣٨ مليون كيلو متر مربع ، ونفوسه في ١٩٦٤ تقارب ٧٥٥ مليون نسمة ، منها ٤٣٩ مليون للهند ، أي أكثر من النصف ، و ٥٣٦ مليون في بريطانيا - العظمى ، و ١٩٥ مليون في كندا ، و ١١ مليون في أستراليا ، و ٥٩ مليون في نيجيريا ( وهي أكثر البلاد استيطاناً في إفريقيا ) . وبالمقابل إن دولاً مثل قبرص وغامبيا أو ليزوتو ( باسموتولاند في السابق ) لا تتجاوز المليون نسمة .

وأخيراً ، إلى جانب الامبراطورية القديمة والكومنولث الحاضر ، كان لبريطانيا - العظمى ، حوالي آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، محميات مثل الكويت وبلاد العرب الجنوبية . وقد حصلت الاولى على استقلال جزئي في ١٩١٤ ، وهي ، منذ ١٩ حزيران ١٩٦١ ، مستقلة تماماً . كما استقل الجنوب العربي ، في تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وترك الكومنولث .

والكومنولث ، كما يرى ، عظيم بآن واحد في سعته وفي تنوعه . ويجد فيها في الوقت ذاته مصدر قوة وسبب ضعف . وهو ثمة تحويلات الامبراطورية البريطانية تحت تأثير الحرب العالمية الثانية . وتعكس هذه التغيرات بشكل يضرب الحس التبدلات التي طرأت على سلطات المصالح التي كانت في السابق مكلفة بإدارة الامبراطورية .

ففي ١٩٤٤ ، كانت الاراضي الخاضعة للتاج البريطاني تنتمي لثلاثة أقسام وزارية كبرى : وزارة الدومنيون ، ووزارة الشؤون الهندية

( مع وزارة برمانيا الصغيرة الملحقة بها ) ووزارة المستعمرات . وعلى هذا يقسم الانكليز ، تحت الزاوية الادارية ، ممتلكاتهم إلى ثلاث فئات : اولاً ، الدومينيونات القديمة ، كندا واستراليا ، وزيلاندة الجديدة ، واتحاد جنوب افريقية ودولة ايرلنده الحرة ) ؛ وجانباً افريقية الجنوبية ، ولها وضع خاص ، وهي بلاد تستوطنها أكثريّة أوربيّة ، وتحكم دون استثناء على الطريقة الاوربية . ونظامها المعروف في ١٩٢٦ يتناز بالمساواة والاستقلال الذاتي ، والولاء للتاج . وفي ١٩٤٤ ، أصبحت ، في الواقع ، ذات سيادة كاملة ، لان كل واحدة منها في ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، باستثناء ايرلنده التي ظلت محايدة ، اعلنت ، لحسابها الخاص ، الحرب على المانيا واليابان . ومع أنها تحررت من كل رقابة بريطانية ، فقد ظلت تقيم مع المملكة المتحدة علاقات خاصة ، حتى ان وزارة الدومينيون تعرف طوعاً بـ « وزارة الشؤون الخارجية المكلفة بعلاقات مع الامرة » .

وقد وعدت انكلترا الهند بنظام الدومينيون هذا ، منذ ١٩١٧ . ولكن التقدم كان بطيئاً ، حتى ان نائب الملك في نيودلهي كان مكلفاً من قبل أمين الدولة في الشؤون الهندية بأن يصرح في ايلول ١٩٣٩ بدخول الهند الحرب دون أقل استشارة للرجال السياسيين في البلاد . وفي ١٩٤٥ كانت هذه الوزارة مسؤولة أمام برلمان وستمنستر عن حكومة الهند .

أما بلاد افريقية وجنوب شرقي آسيا والهند الغربية والمحيط الهادئ والبحر المتوسط أو التي توجهها وزارة المستعمرات فلم يعرض على بساط البحث تحويلها إلى دومينيون . إن وزارة المستعمرات تديرها مباشرة ، وتفرع شيئاً فشيئاً كلها تحت الخدمات الاقتصادية أو الاجتماعية : حتى يبدو أنها مصابة بمرض التضخم إلى جانب وزارة الدومينيون التي تتقلص كثوب الحزن . ولكن هذه الظواهر خادعة : لأن المستقبل سيكون لهذه

الأخيرة ، وزارة الدومنيون . ففي ١٩٦٦ ، كانت وزارة الشؤون الهندية قد زالت منذ زمن طويل ، واستعدت وزارة المستعمرات لتعمل مثلها ، وأطلق على وزارة الدومنيون اسم « وزارة العلاقات مع الكومنولث » ، في ١٩٤٧ ، ثم ورثت « وزارة الكومنولث » ، في ١٩٦٦ ، جميع علاقات المملكة المتحدة مع بلاد امبراطوريتها القديمة ، قبل أن تنصر مع وزارة الخارجية في ١٩٦٨ ؛ وفي عشرين سنة ، حازت جميع التبعيات الاستعمارية التي مازالت موجودة في ١٩٤٥ ، مع بعض الاستثناءات ، على نفس الاستقلال الذي وصلت اليه الدومنيونات القديمة . بل انها ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك ، لأنه اضيف إلى حق الاشتراك في الكومنولث حق الخروج منه ، كما فعلت بورما ( برمانيا ) في ١٩٤٨ وايرلنده عام ١٩٤٩ .

وكانت هذه الاستحالة النهائية للامبراطورية البريطانية ثمرة قناعة ، حقاً ، ولكنها أيضاً ثمرة تجربة وظروف

فن ١٩٣٩ إلى النصر ، كافحت المملكة المتحدة ودومنيوناتها معاً . دخلت كلها الحرب بعمل سيادة . وخلال عام ، حسب كلمة تشرشل ، « قاتلت وحدها » على جميع مسارح العمليات ، من المحيط الهادئ ، أو جنوب شرقي آسيا إلى البحر المتوسط أو إلى أوروبا الغربية . وقد رأت شعوب بريطانيا - العظمى والدومنيون فيها برهاناً ساطعاً لفوز تجربة رابطنها الحرة المؤلفة من دول ذات سيادة .

تحويل الهند وباكستان وسيلان . - لقد وصف الجنرال سميتس ، أثناء زيارته الأولى إلى لندن أثناء الحرب ، في ١٩٤٣ ، الكومنولث بأنه « أبدة سياسية وحيدة تدعو إلى الاعجاب » . ولكن لا أحد يمكن أن يقول كذلك في المستعمرات . وأكثر من ذلك أيضاً أن

الرأي العام الانكليزي ، والرأي العام في الدومنيون كان يؤملها كثيراً التوفيق بين حبهما للحرية وبين حالة تبعية الهند . حتى ان تشرشل ، والله أعلم ، وان لم يشارك في هذه الوسوسات ، وجد نفسه مكرهاً ، في ١٩٤٤ ، بأن يعلم الملك جورج السادس بأن أيام الملكية الانكليزية في الهند معدودة .

إن مفهوم الامبراطورية الاستعمارية نفسه قد سقط أثناء الحرب العالمية الثانية . فقد زالت حظوته بانتصارات اليابان في الجنوب - الشرقي الآسيوي ، وخاصة بسقوط سنغافوره الذي كان من أخزى الهزائم الانكليزية في العصور الحديثة . وان انتصارات الكومنولث ، بمقارنتها باخفاقات الامبراطورية ، ستقرر تطور الشعوب المستعمرة . يضاف إلى ذلك أن الحرب كانت تسيطر عليها الدولتان الكبريان في العالم ، وكانت كل واحدة منها ، لأسباب مختلفة ، مناوئة للاستعمار أيضاً ، وهذا ما شجع تمرد شعوب المستعمرات في الوقت الذي نقصت فيه قدرة ، بل وإرادة ، مقاومة الدول الغربية ، التي كانت ، كالمملكة - المتحدة ، تتباهى كلها بمعارضة تطورٍ يذهب في اتجاه التاريخ .

ولكن لا يراد من ذلك شجب كلي ودون فروق دقيقة . لأن التمييز يظهر بين الكومنولث والامبراطورية . فقد كان الاميركيون ، جيران كندا ، يحسون به بعمق . أو لم تكن هذه دومنيون من أقدم دومنيوناتها ، وعضواً مؤسسا مع المملكة المتحدة للكومنولث ؟ وما من اميركي عاقل يجرأ على أن يزعم بأن كندا هذه ، التي لعبت دوراً من المستوى الأول في النزاع ، ودافعت تحت قيادة ماكينزي كينغ بتعقل وحصافة عن استغلالها الذاتي ، يمكن أن تعتبر تابعاً سياسياً للندن . حتى ان الاتحاد السوفياتي ومن بعده الصين تعجبان من أن الكومنولث كان شيئاً آخر غير بقية

من امبراطورية . ويبقى مع ذلك أن نعرف عاطفة الشعوب نفسها :  
اما ان تكون معادية للامبريالية فذلك أمر لا يشك فيه ، ولكن ذكرى  
الفتح والاستغلال اللذين تحملتهما الا تحضها على الاندفاع إلى أقصى حدود  
القومية الافريقية أو الآسيوية ؟ في الهند كانت التجربة الاولى .

في ١٩٤٧ ، كانت شبه القارة الهندية منقسمة إلى بلدين ، ثم تحررت ،  
ولم يقبل حزب المؤتمر بذلك إلا مكرهاً . حتى ان المهاتما غاندي ،  
من جهته ، لم يقبل بهذا « التقطيع لأمتنا الهند » إلا كمن مؤلم للاستقلال  
المباشر . وقد وصف البلدان الحلفان ، الهند وباكستان ، بأنهما « دومنيونان » ،  
ولم يكن ذلك إلا وسيلة لتسهيل انتقال السلطات . ولا يجهل أحد  
أن هنالك قضيتين رئيسيتين لم تحل بعد وهما : هل الهند والباكستان يريدان  
أن يبقيا في الكومنولث ؟ وفي حال الايجاب هل يستطيعان أن يتلاوما  
والاشكال التقليدية لهذه الرابطة ؟

من الوجهة النظرية ، كانت القضية واحدة بالنسبة للبلدين ؛ وفي  
الواقع ، حلت الهند القضية ، لأن الباكستان ، دون أطر ادارية  
ولا عاصمة سياسية ، لا تستطيع ، وعلى الاقل في الفترة الاولى ، أن  
تستغني عن مساعدة الكومنولث .

وفي الهند ، كانت فترات الاستقلال الاولى مطبوعة ببقعة ذكريات  
وتقاليد ماضٍ قديم جداً . وبلد كهذا مشرب ومقتنع بآسيه القديمه  
وبأجاده العتيقة هل يستطيع بحق أن يتفتح في وسط كومنولث ظل  
حتى الآن اوروبياً ؟ كومنولث يشارك في رمز ملكية غريبة عن  
الهند تماماً ؟ الجواب بالنسبة للجيل القديم لحزب المؤتمر ، لا مجال للشك  
فيه : ألم يبدل ميثاق الحزب ، في ١٩٣٩ ، لاختيار الاستقلال الكلي  
تاريخ عصرنا ٧

المتخلص من الكومنولث هدفاً له ؟ ولكن وجد ما هو أكثر من ذلك .  
ألا تكون التبعية مستحيلة على أمة أعلنت عن عزمها في أن تمنح نفسها  
دستوراً جمهورياً ؟ وأخيراً ، ألا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الدعاية  
اليابانية التي كان شعارها خلال سنوات « آسيا للآسيويين » والتي امتدت  
اصداؤها إلى المؤتمر الآسيوي في نيودلهي ( آذار - نيسان ١٩٤٧ ) ،  
ومطالبه بالتحرير من الأنظمة الاستعمارية ، والقطيعة التامة مع السادة  
القدامى ؟ والواقع ، ان برمانيا (بورما) تأثرت بخاصة بالاحتلال الياباني ،  
وقررت ، في ١٩٤٨ ، الخروج من الكومنولث . وبالعكس ، إن  
هذا المثال الذي يري قوة النزعة القديمة والانفصالية كلها كانت له نتائج  
غير متوقعة . فمن ذلك ان اللورد ليستاول صرح بشكل تفسيري : « لا نريد  
شركاء مسكرهين » . ولاحظ الرأي ان لا أحد يمارس ضغوطاً على الهند ،  
وانها ، كبرمانيا ، حرة تماماً في أن تختار وحدها طريقها .

ومع ذلك ، فقد شرع في هذه القضية كلها حيث يجب أن تنتهي .  
وكان من الواجب ان يتساءل ما اذا كانت الهند تريد أو لا تريد أن  
تشارك في الكومنولث قبل أن يبحث ما اذا كان من الممكن ان تجد  
فيها الجمهورية الشعبية مكاناً أو لا . وفي الهند كما في انكلترا وفي  
الدومينيونات الأخرى ، نوقشت النقطتان معاً لا لأنها كانتا بشكل  
لا يمكن فيه فصل الواحدة عن الأخرى فحسب ، بل أيضاً ، لأن طبيعة  
الكومنولث نفسها تستوضع من جديد على بساط البحث .

وضعت عدة حلول ، منها حل كومنولث يضم دولاً أعضاء ودولاً  
شريكة . ولكن آتلي صرح ، في وثيقة قدمها الى الملك جورج السادس ،  
بأنه لا يرى للكومنولث الا مخرجاً واحداً عاماً مشتركاً وهو : الولاء للتاج ،

حتى انه كان يتصور بمشقة كيف يمكن ان يضم « جمهوريات » . ولكن  
الكثيرون ، لحسن الحظ ، لا يشاركون آتلي في هذه الريبة . وفي  
كانون الأول ١٩٤٨ ، صرح حزب المؤتمر ، في جايبور بأن « الاستقلال  
المطلق » يتلاءم تماماً مع تبعية الجمهورية الى الكومنولث . وبالحال ،  
اكادت الدومنيونات القديمة بأنها تكونت جد سعيدة اذا ارادت الهند أن  
تكون واحدة منها . وقد كتب بيتو فوازو ، رئيس وزراء  
زيلاندة الجديدة ، الى البانديت نهرو : « ان التبعية للكومنولث تؤلف بالمعنى  
الخاص الاستقلال مع شيء آخر » ، وهذا ما لحصه الصحفيون في التعبير  
« أكثر من الاستقلال » .

ولانتهاء القضية عقد مؤتمر لرؤساء وزراء الكومنولث في لندن في  
نيسان ١٩٤٩ . وحضره ، فضلاً عن رؤساء وزراء الدومنيونات القديمة ،  
رؤساء وزراء الهند وباكستان وسيلان . ونشروا بلاغاً أشاروا فيه الى  
ما أعلمتهم به حكومة الهند من أن دستوراً سيدخل قريباً في حيز التنفيذ  
وستصبح الهند بوجبه جمهورية ، ولكنها ترجو البقاء في الكومنولث وتقبل  
بالتالي بالملك كرمز للرابطة الحرة بين الدول الأعضاء . وإيماناً بذلك ،  
ودون تبديل أسس ولائها الخاص ، تستقبل دول الكومنولث الهند  
في رابطتها .

كانت تصريحات لندن في نيسان ١٩٤٩ هامة بخاصة . فقد نوجت  
الامكان للجمهورية ان تشترك في الكومنولث ، وهذا ما كان يربحاً كثيراً .  
ولو قبلت قبل هذه الآونة ، لكانت العلاقات الانكليزية - الايرلندية  
في السنوات ٣٠ - ٤٠ وما بعدها أقل توتراً . حتى ولو امكن اعتبار  
هذه الحاتمة ثمرة للتجربة الايرلندية لعام ١٩٢١ ، فمن المؤسف انها

حدثت بعد فوات الاوان بالنسبة لآيرلنده . ففي ١٩٤٨ ، قطعت آخر روابطها مع الكومنولث وانفصلت رسمياً باعلان الجمهورية في أحد الفصح ١٩٤٩ ( الذكرى السنوية الثالثة والثلاثون لثورة ١٩١٦ ) .

وأصبحت الهند جمهورية ، في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٠ ، وبقيت في الكومنولث رافضة كل ولاء للتاج ومؤكدة بأنها لا تعترف إلا على رئيسها ودستورها .

كان هذا التحويل المكرس على هذا النحو عميقاً وذا مغزى . لأن الكومنولث لم يعد بخاصة « بريطانياً » بالمعنى التقليدي للتعبير بعد أن اطرح لزوم رابطة خاصة مع التاج . وفتحت السابقة الهندية الطريق لجمهوريات آسيا وافريقية ، حتى انتهى هذا النظام بأن أصبح ممثلاً بشكل أوسع من الملكية . ولكن قرار المبدأ هذا يؤلف ، نفسياً اكثر منه دستورياً ، خطأ فاصلاً . لقد زال مفهوم الكومنولث المتجانس الذي يضم بريطانيا العظمى مع بعض مؤسساتها او مستعمراتها القديمة متحدة بلغة وبولاء مشتركين . وحل مكانه كومنولث أهم واجناس ، وثقافات مختلفة ، مترابطة بحرية بارادة واحدة في الدفاع معاً عن مصالحها المشتركة والأسباب التي تحركها قلبياً . والآن ، فإن هذا الكومنولث الجديد الموسع بانضمام الهند ، وباكستان ، وبسيلان في ١٩٤٨ ، سيلقى في طريقه ، على حد سواء ، ظروفاً طيبة وظروفاً سيئة .

١٩٤٧ - ١٩٥٤ ، عصر الكومنولث الذهبي - ان تقلبات الكومنولث الجديد يجب ان توضع ثانية في منظور نمو نظام جديد رأى النور في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

لم يكن للكومنولث المتشكل على هذا النحو سلطة تنفيذية اتحادية



ولا سلطة تشريعية ، ولكن اكثرية الرجال السياسيين في البلاد الاعضاء وجدوا ان هذه الحالة جيدة على هذا النحو .

لقد استعيض عن المؤتمرات الامبراطورية القديمة وقواعد احتفالاتها الصارمة الدقيقة بمؤتمرات رؤساء وزارات وتبادل وجهات نظرهم مرات عديدة دون نتيجة . ولم يبدل شيئاً قبول الهند ، وباكستان ، وسيلان في هذه الاعراف . وهذا النظام المرت غير المركزي الذي يترك السلطة بأيدي الحكومات القومية ، هو الذي اقنع هذه البلاد الثلاثة بالاشتراك في الكومنولث .

وسار هذا الأصول كاملاً بين ١٩٤٧ و ١٩٥٤ . ولكن ما من أصول ، مها كان تاماً ومرضياً ، يمكن ان يساعد على حل التناقضات الداخلية الأساسية . وبدا من الصعب تجنب مجابهة في قضايا الاستعمار أو العرقية .

وظلت بريطانيا - العظمى ، في هذه الفترة ، الدولة الاستعمارية الأساسية ، وأصبحت افريقية الجنوبية في كل يوم اصلب بطل في التفاوت العرقي . واذا كان بالامكان تهدئة بعض الحساسية بالقول بأن انكسار تعهدت بتحرير امبراطوريتها كلها ، وان تحقيق نهاية الاستعمار ليس إلا قضية زمن ، فإن حجة كهذه تصبح باطلة اذا كان القصد بقاء التمييز العنصري في افريقية الجنوبية ، بعد أن أصبح التمييز فيها مذهب الدولة ولا يمكن مخالفته دون التعرض لصواعق القانون .

وقد يوجد في ذلك ما يعرض وحدة الكومنولث للخطر . ولكن لاشيء من هذا ، لأن الخطر جاء من مكان آخر . فقد حدثت الهجمات الخطيرة ، في الواقع ، على السياسة الخارجية . وطوراً وطوراً ، أثار تنظيم اوروبا والمواثيق العسكرية وعملية السويس أزمات وتصادمات عميقة .

لقد وضعت القضية في اوروبا أولاً ، لأن بريطانيا - العظمى ، وقد ضعفت بشكل خطير ، كانت تبحث ، زيادة عن الكومنولث ، عن تحالف يساعد على التماسك تجاه عملاقي العالم الجديدين : الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

وبالرغم من دعم الكومنولث ، ظهر عليها الكيبراث ولم تقم التوازن إلا بنجدة اوروبا الغربية . ولكن كان يفهم ، في هذا الحلف ، بأنه يجب على جميع الاعضاء الحفاظ على كامل سيادتهم . وكان الكومنولث يعتبر هذه النقطة الأخيرة رئيسية دوماً ، وحتى بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يكن هذا رأي القارة دوماً . ولكن انكلترا ، في هذا المضمار ، كانت تقف دوماً الى جانب الكومنولث ، ولم تخف ، خلال فترة طويلة ، عند الاختيار بين الحلف الاوربي وهذا الكومنولث ، بأنها تفضل كثيراً الكتلة الثانية من الاصدقاء .

ولأسباب أخرى وجد هذا القلق طينياً في آسيا ، حيث جرى تساؤل حول ما إذا كان حلف انكلترا واوروبا يمكن أن ينشئ كتلة امبريالية قوية . والفرصة الثانية للاحتكاك بين لندن وعواصم الكومنولث الأخرى كانت في توقيع معاهدة شمال الاطلسي ، وهي فرصة أضيفت لها فيما بعد فرصتا توقيع ميثاق دفاع آخرين : ( اوستاليا - زيلاندة الجديدة ، الولايات المتحدة ) و ( منظمة معاهدة جنوب - شرقي آسيا ) .

لقد وقعت ميثاق شمال الاطلسي ، عام ١٩٤٩ ، كندا مثل انكلترا ودافع لوي سان - لوران ، وزير الشؤون الخارجية الكندي ، عن اختياره أمام المجلس ، في ٢٩ نيسان ١٩٤٨ على هذا النحو : « يجب أن نتجنب ، مهما كان الأمر ، تكرار تاريخ سنوات ما قبل الحرب ، عندما كان للعادي النازي كل الحرية في اختيار ضحاياه الواحدة بعد الأخرى » . وتركزت

الحجة بلاد آسيا باردة ، فلم تشاطر في هذه التجربة . لقد كانت قلقة وقالت ذلك . وكانت أكثر قلقاً أيضاً من توقيع ميثاق أستراليا - زيلاندة الجديدة - الولايات المتحدة - وهو أول ميثاق أبرمه عضوان في الكومنولث مع بلد ثالث دون حضور بريطانيا العظمى وباستسكار تشرشل ، وفي ذلك ما يجعل بشكل خاص تبعية هذه الدومينيونات فجأة حيال الولايات المتحدة فيما يتعلق بالدفاع ، مع أن معاهدة شمال الأطلسي أشارت إلى تبعية انكلترا وكندا العسكرية حيال الولايات المتحدة نفسها . ولكن الحالة تفاقمت أيضاً ، من وجهة نظر الآسيويين ، عندما امتدت ، في ١٩٥٤ ، شبكة التحالف الإقليمية هذه الى جنوب وجنوب - شرقي آسيا ، شاملة بذلك الكومنولث كله أو جزءاً منه .

ونشأت منظمة معاهدة جنوب - شرقي آسيا من ميثاق ماليزيا ، وأظهرت بفضاعة اختلاف وجهات النظر بين بلاد آسيا . فقد وقعت الباكستان هذا العهد ، ورفضته الهند وسيلان . وطالب بنمرو ، في استنكاره ، لماذا تناقش قضايا آسيا وسلامها وأمنها ، ويفصل بها ، وتحل ، بمعاهدات تبرم بالأكثريّة بين بلاد غير آسيوية .

كان لهذا العداء سببان أساسيان : فمن جهة ، حاولت الدبلوماسية الهندية أن تحمي آسيا من المخاطرة بحرب ، لأن امتداد الموائيق العسكرية لا يسهل شيئاً ؛ ومن جهة ثانية ، اوجدت حرب كوريا عاطفة : وهي أن العالم الغربي ، ومن ضمنه الولايات المتحدة ، لا يشعر اليوم بالآلام شعوب آسيا ، كما كان في السابق لا مبالياً بشرور الاستعمار .

غير أن الحذر ، الذي أبدته الدومينيونات القديمة والباكستان من منظمة معاهدة جنوب - شرقي آسيا ، أثار حماساً جديداً لسياسة عدم الانحياز ، في الدومينيونات الجديدة في آسيا . وبينت الهند ، بالإضافة الى الحجج

التي أدلت بها سابقاً ، أن عدم الانحياز لعب دوراً لا يمكن إهماله في تسوية قضية كوريا . ولذا فمن الطبيعي أن تتضمن معاهدة ١٩٥٤ السارية على التبت مع الصين تأكيداً جديداً للمبادئ الخمسة ( بانث شيلا ) في التعايش والتعاون وعدم التدخل . وفي سنوات الخمسين وحتى اجتياز الجيوش الصينية الحدود الهندية ، في ١٩٦٢ ، اعتبرت دول الكومنولث الجديدة الأفريقية والآسيوية والجنوبية الآسيوية ، هذه القواعد حجر الزاوية في سياستها الخارجية . وكانت تؤلف ، فوق ذلك ، خط التقسيم بين الدومنيونات القديمة والجديدة .

ومع هذا ، فإن هذه البلاد ، التي يسلك سيرها نحو السلام طرقاً مختلفة ، استمرت على الأقل في حوارها المستمر في داخل الكومنولث . وظل هذا النظام ، كما قال في ١٩٥٥ السير ونستون تشرشل ، الذي كان يرأس ، لآخر مرة في حياته ، مؤتمر رؤساء وزراء الكومنولث ، « رابطة أخوية » . ولا مشاحة في أن الكومنولث ، بفضل ما أسماه ماكزوي كينغ المشاورة غير المنقطعة للحكومات ، قد جعل ، خلال زمن على الأقل ، رجالاً سياسيين من جميع القارات يعيشون ، خلال فترة من الزمن ، في تفاهم طيب . ومع ذلك ، فإن هذا الانسجام لا يمكن أن يدوم .

في ١٩٤٨ ، توصلت سيلان الى الاستقلال وتعهدت باحترام مبادئ وتطبيق المشورة في داخل الكومنولث في قضايا السياسة الخارجية . ولكن هذا النموذج الممتاز لم يستأنف عندما دخل « النادي » أعضاء جدد . وربما سارت الأمور من نفسها ، ولكن ما من أحد يرغب أن يقول ذلك .

وكذا الأمر بالنسبة لانكلترا . ففي ١٩٥٥ ، قالت الملكة منية

خطاب العرش : « ان حكومتي ستعافظ وستقوى مشاورات في داخل الكومنولث لانجاز سياساتنا المشتركة » . وهذه الجملة ايضاً زالت من خطاب العرش .

وهكذا تمياً ترتيب المبادئ ، وظهر في السنة التالية ، عندما انطلقت بريطانيا العظمى مع فرنسا في عملية السويس دون أن تشاور أو تعلم اعضاء الكومنولث الآخرين . ولم يكن هذا منها عن عدم انتباه ، بل عن ارادة واعية ، لأن لندن مقتنعة بان باقي الكومنولث كله سيكون معادياً لهذه العملية العسكرية . وهكذا ارتأى الرفيق الأسامي في الحلف ان يزوج نفسه ، دون أن يعلم احداً ، في طريق يخاطر ، على الأقل ، بنسف تماسك الكومنولث ، على حين أن المشاورات المبدئية يمكن ان تجنب على الأقل عدم التفاهم الناشيء عن المفاجأة ، اذا كان حقاً انها ستظهر اختلافات عميقة في الرأي .

وفي الحقيقة ، انطلقت ردود فعل الدومنيونات القديمة ، من العطف المتفهم الذي أبداه السير دوبرت هانزيس ، في اوستاليا ، الى عدم اللامبالاة القاسية الجافة من افريقية الجنوبية ، مروراً بالانتقادات الليبرالية في كندا ، حيث اظهرت الصحافة ، عند حد تعبير مراسل « الاقتصادي » ، من الحزن اكثر من الغضب ، « قليلاً كما لو علمت ان عمها المفضل اتهم بالهتك » .

واعتبرت آسيا ، بالمقابل ، ان مثل هذا الاعتدال غير مقبول ، واكد نهرو بالرغم من « تجربة قديمة في القضايا الخارجية » بأنه لم ير في الماضي « حالة تتصف بالعدوان اكثر منها » ، واننا في عز القرن العشرين نعود ظاهراً « لطرق القرنين الثامن عشر والتاسع عشر العدوانية » .

ولم يكن الهندي الأول وحيداً في اظهار امتعاضه ، فقد اتهم ليستر بيرسون ، وزير الشؤون الخارجية الكندي آنذاك ، انكسرتا بعبارة أكثر تنوعاً ، بأنها كادت تنسف الكومنولث عن عمد .

والواقع ، اذا لم يحدث ذلك فلأث جميع الأمم الاعضاء رصت صفوفها ، واستخلصت من الأزمّة درماً خطيراً ، واعجبت من ان بريطانيا العظمى ظلت عضواً أساسياً في تحالفها ، ولكنها أضافت في الحال بأن هذا لا يلزمها بأن تتمثل لدبلوماسيتها .

وجرح هذا الاستقلال الفكري بعمق المحافظين البريطانيين القائمين على السلطة آنذاك ، لدرجة انهم تساءلوا فجأة ما اذا كان الكومنولث يبدي احيانا من المحاذير أكثر من الفوائد .

ولما كان من الواضح في كل يوم أن التغلب على الصعوبات الاقتصادية الانكليزية غير ممكن بمساعدة الكومنولث وحده ، فقد فكر شيئاً فشيئاً بالانضمام الى السوق المشتركة ، وفي ذلك ما يؤثر على تماسك الكومنولث .

افريقية في الكومنولث . - وفي السنوات العشر التي تلت قضية السويس سيطر على الكومنولث وصول البلاد الافريقية الى القوة . أما ان يكون تحررها قد قلا تحرر آسيا فلا غرابة في ذلك ، ولكن المفاجيء بالنسبة لانكسرتا ، هو وقع وصولها الى السيادة . فتحت غانا الزحف في ١٩٥٧ . وتلتها نيجيريا في ١٩٦٠ ، ثم جاء سيراليون وتانغانيكا ( ١٩٦١ ) ، اوغاندا ( ١٩٦٢ ) ، وكينيا وزنجبار ( ١٩٦٣ ) ، ونياسالاند ( مالاوي ) وروديسيا الشمالية ( زامبيا ) في ١٩٦٤ ، وغامبيا في ١٩٦٥ ، والحميات الثلاث ، باسوتولاند ، بتشوانالاند ، وسوازيلاند في ١٩٦٦ - ١٩٦٨ . وهذا الوايل لا يتضح بالضغط الصاعد للقومية وحده

فهناك بلاد أخرى ، مثل الهند أو أيرلنده ، ظلت قديماً تحت النير بالرغم من أنها كانت قومية وافضل تنظيمياً . ولكن الحادث الجديد هو ان المطالبين الافريقية وجدت أرضاً صالحة ، وأن بريطانيا - العظمى ، كسائر الدول الاستعمارية ، كانت معجلة بالخلاص من عبء الامبراطورية .

ان التوازن الدولي الجديد في العالم ، والتقدم التكنولوجي ، والثورة الصناعية الثالثة في الغرب ، وتفجر قومية الدول الناشئة ؛ ان كل هذه العوامل تختلط مع بعضها لتصرف النظر عن المستعمرات القديمة التي أصبحت تعتبر اليوم عبئاً أكثر منها حظاً .

ولذا فان هارولد ماكملان ، اثناء رحلته الى افريقية ، في ١٩٦٠ ، عندما كان رئيساً لمجلس الوزراء المحافظ في بريطانيا العظمى ، قال ، في ٣ شباط أمام المجلسين المجتمعين لبرلمان افريقية الجنوبية ، بأنه اخذ د بالقرعة التي وعت فيها افريقية شخصيتها . وان اشكال الظاهرة تختلف حسب الامكنة . ولكنها حدثت في كل مكان . وان ربيع التغيير تهب على هذه القارة .

ولاحظ المعمرون الانكليز بأنفسهم في افريقية ، معمرو كينيا وروديسيا بخاصة ، بعد قليل ، لحسارتهم ، ان ربيع التغيير هذه لانهب على افريقية وحدها ، بل على بريطانيا العظمى ايضاً . وكانوا حتى الآن يقولون في انفسهم ، اذا عاد العماليون الى السلطة كانوا قادرين على أن يسلكوا في افريقية سياسة الاستقلال القومي التي طبقوها في آسيا . ولكنهم لم يتصوروا مطلقاً بأن حكومة المحافظين يمكن ان تختار هذا الطريق ؛ ومع ذلك ، كان عليهم أن يتذكروا ان النظام السيامي الانكليزي يعمل بشكل يجعل المحافظين الاقوياء براكزهم قادرين بخاصة

على سلوك سياسة يسارية عندما تأخذهم الرغبة . ولقد لوحظ ذلك بسرعة في افريقية ، بل وفي كل ما بقي من الامبراطورية في البحر الكريبي والمحيط الهادي والبحر المتوسط . وفي قبرص فقط ، في ١٩٥٤ ، قررت الحكومة ان تقاوم ، واضطرها ذلك بالتالي الى بهلوانيات فظيعة عندما ارادت أن ترجع عن هذا القرار دون أن تعترف به . وأخيراً ، في فجر سنوات ال ٦٠ ، لم تكن القضية بالنسبة للندن معرفة أي المستعمرات ستتوصل الى الاستقلال ، بل بكل بساطة متى وبأي ترتيب ستتوصل اليه جميعاً .

وفي الأول من تشرين الأول ١٩٦٣ ، اعرب وزير الشؤون الخارجية ، الكونت هيوم ، عن أمله بأن « تتفاهم انكلاترا مع اكثرية الأمم المتحدة في النطاق الاستعماري ، لأنها تتكيف مع مبادئ تقرير المصير ، وتفقو الاكثرية وحماية الاقليات » . وهذه المبادئ ، التي تكون في الغالب سهلة الاعراب أكثر من وضعها موضع التطبيق ، سنرى منها مثلاً يلفت النظر في مدينة جبل طارق .

ففيما يتعلق بهذه المدينة كانت القضية الموضوعية بشكل متناقض هي معرفة ما اذا كانت يجب اعتبار أمانى الاكثرية ، التي يعبر عنها بوضوح بالتصويت . وقد طالب الاستفتاء ، الذي تم في ١٩٦٧ ونظمته بريطانيا العظمى ، بدوام الارتباط مع هذا البلد بنسبة مئوية ساحقة . ومع هذا فان منظمة الأمم المتحدة اعطت الحق لاسبانيا التي ظلت تطالب بعودة جبل طارق الى الوحدة الاسبانية ، وتدعي بأن « الصخرة » لا تؤلف كياناً ذاتياً مستقلاً ، وليس لها الحق في تقرير المصير ( قرار لجنة ال ٢٤ في الاستعمار ) . والى الآن ، لم يؤت بأي حل لحوار الصم .



ومع هذا ، فإن هذه الأمور ليست إلا « مراحل » ، ولكن الصعوبات الشائكة أكثر من غيرها ، كما سنرى ، حدثت في افريقية .

لقد حيا جميع اعضاء الكومنولث بفرح وصول غانا وامم افريقية السوداء اليهم والجلوس بينهم . وانحنت افريقية الجنوبية . ولكن لم يذهب عن بالها أن صفة الكومنولث كانت تتبدل بتركيبه ، وان مستقبله يتعلق قليلاً ببريطانيا العظمى والدومنيونات القديمة البيضاء ، وأكثر فأكثر بالشعوب غير الأوروبية . وكانوا كلهم معادين للتمييز العنصري . وبهذا الاعتبار لم يعد بالامكان الاحلان : إما انفجار الكومنولث على قضية المساواة العرقية أو ذهاب افريقية الجنوبية . وهذا الفرع الثاني من الاختيار هو الذي تحقق ، ومن سخرية القدر ، أن يحدث بعد قضيه اثارها افريقية الجنوبية نفسها .

كانت هذه القضية قضية الحفاظ في داخل الكومنولث على البلاد التي تبنت النظام الجمهوري . فمذ سقطت جمهورية كروغر ، كان أكثرية الافارقة يتمنون رجوعها . وكانت بالنسبة لهم رمز الأمة نفسه ، ودليلاً على ارادة الشعب الحية . وقد ساعد استفتاء عام ١٩٦٠ ، الخاص بالأوروبيين ، على تبني الدستور الجمهوري في ١٩٦١ . وهنا فسدت الأمور . وكان متوقعاً أن يدخل الدستور الجديد في حيز التنفيذ في ٣١ أيار . وقبل هذا التاريخ ، تكيفت حكومة جنوبي افريقية مع سابقة الهند ، وطلبت السماح بالبقاء عضواً في الكومنولث على الأقل .

وإذا تمسكنا بالنطاق الدستوري الصرف ، لتغلب اتحاد جنوبي افريقية . ولكن معظم رؤساء الوزراء وسعوا النقاش وأفادوا منه للإشارة إلى أن التمييز العنصري مخالف للمبادئ التي تحكم كومنولث متعدد الأجناس .

وعرفت النتيجة : وهي أن فصل افريقية الجنوبية وتصويت كندا انفتحت مصالحهما مع خصوم التمييز العنصري الافروآسيين . وباعتراف الجميع يبدو أن هذا الحل يقوي تلاحم الكومنولث . إلا أن السير ووبرت مانزيس وحده اعترف بأنه اضطرر بعمق بهذه الأحداث . وسيبرهن المستقبل ، مع ذلك ، على أن الخصوم الأنسانيين لنظام جنوبي - افريقية بالغوا بشكل عظيم في تقدير نتائج هذا الطرد ونجسوا امكانات بقاء افريقية الجنوبية على قيد الحياة . أما حكومة لندن فقد تبنت موقفاً ذرائعياً ورأت بأن تبقى افريقية الجنوبية في الكومنولث ما دامت سياستها لا تتحاطر بتفجير نظام متعدد العروق ، ولكن لا لزم من طويل .

ولقد وقفنا عند هذا المثال لأنه يساعد على فهم كيف أت وضع الأعضاء الآخرين في الكومنولث يمكن أن يؤثر في السياسة البريطانية ، وسترى السنوات التي قلى طرد جنوب افريقية ظهور مشالين آخرين من نفس النمو وهما : ترشيح انكلترا للوحدة الاقتصادية الأوروبية وقضية روديسيا الجنوبية .

### الكومنولث والوحدة الاقتصادية الأوروبية . -

في ١٣ حزيران ١٩٦١ ، أرسل هارولد ماكيلان ، الوزير البريطاني الأول ، ثلاثة من أهم وزرائه لزيارة عواصم الكومنولث والتباحث مع الحكومات في توطيد علاقات جديدة بين لندن والوحدة الاقتصادية الأوروبية . وكان هذا الأصول في المشورة مطابقتاً تماماً لقواعد الوحدة المألوفة ، أما في الأعماق فقد ظهر أن الدومنيونات كانت أكثر تردداً ومقاومة بما كان يتوقع بكثير . ومع قبولها بأن تقوية اوروبا الغربية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ستكون مفيدة لها ، واعترافها ،

في البلاغ الذي تلا هذه الزيارات ، بأن الترشيع الانكليزي يتعلق وحده بالحكومة البريطانية ، لم تخف قلقها عندما رأت المملكة - المتحدة تباعد عنها كلما تقربت من البلاد القارية في اوروبا . ورجعت القضية للمناقشة أولاً أمام المجلس الاقتصادي الاستشاري لوزراء الكومنولث ( في اكتوبر ، في ايلول ١٩٦١ ) ، ثم في مؤتمر رؤساء الوزراء في الكومنولث ( في لندن ، ١٩٦٢ ) . وأثارت للمرة الأولى سيلاً من الانتقادات ، وفي المرة الثانية ملاحظات محدودة متزنة ولكنها مع ذلك انتقادات . وفي الوقت ذاته ، كان الكومنولث يخشى من أن تضحي مصالحه الخاصة ( ومن هنا يظهر ، جزئياً ، بطء مفاوضات بروكسل ) ؛ ولأجل طويل ، خاف من أن يعايش - ويستطيع ذلك - انكلتوا جديدة ومغايرة . وتصور بريطانيا - العظمى كما وصفها الجنرال دوغول في مؤتمره الصحفي ، في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٣ ، الذي أبدى فيه رفضه للترشيح البريطاني ) : « ... جزيرية ، بحرية ، مرتبطة ببادلائها ، وأسواقها ، وتمويلها ، ببلاد مختلفة وغالباً بعيدة . » ؛ ولم يتمكن أن يراها تتغير . وقد لزمه زمن طويل وتفكير كثير حتى انحنى أمام ما لا يمكن اجتنابه واستطاع أن يرى فيه بعض الفائدة .

وفي ١٩٦٢ ، بدا أن المعارضة ملحوظة جداً بين الكومنولث والسوق المشتركة . فقد كانت الصحافة المحافظة تحبذ الترشيع الانكليزي للوحدة الاقتصادية الأوروبية ، ولذا كانت تهتم بأن تقلل أهمية الروابط مع الكومنولث . وكان العماليون ، بالعكس ، يعتزون بأنهم دشنوا ، في ١٩٤٧ ، بنسج الاستقلال إلى الهند وباكستان ، تقاليد الكومنولث المتعدد الاجناس ، وكانوا ، رغم انقسامهم على أساس النقاش ، يميلون إلى منح أهمية خاصة جداً للروابط مع الكومنولث .

كانت الحالة من الوجهة الجذرية مغايرة ، في ١٩٦٧ ، عندما قدم هارولد ولسون الوزير الاول العمالي الجديد للمرة الثانية ترشيح بلاده للوحدات الاوربية . ولم يظهر الكومنولث ، في الواقع ، في النقش بشكل متفوق . بل كان بالضبط موضع تصريح ، في مجلس العموم ، في ٨ أيار ١٩٦٧ ، من جانب أمين الدولة للعلاقات مع الكومنولث ، يؤكد بأنه لا يوجد تعارض مبدأ بين الانتساب للكومنولث والانتساب للوحدة الاقتصادية الاوربية ، عدا أن مجموع الكومنولث له ما يكسبه اقتصاديا وسياسياً من تقوية الاوضاع الانكليزية ، وانهى حديثه قائلاً : « هذه هي النتيجة التي توصل إليها الرجال السياسيون في الكومنولث » . ولكنه لم يصف بأن الامر إذا كان على هذه الحال فذلك لأن بلاد الكومنولث منذ ترشيح ١٩٦٢ - ١٩٦٣ قد بدلت بشكل عظيم اتجاه تياراتها التجارية ، حتى ان التجارة ، مثلاً ، بين استراليا واليابان ، في ١٩٦٧ ولأول مرة ، تجاوزت في الاهمية تجارة استراليا مع بريطانيا العظمى . وكذا الحال مع الدومينيون القديم ، الجمهورية الايرلندية : ففي ١٩٦٥ ، وقع هذا البلد مع لندن اتفاقاً بإنشاء منطقة تبادل حرة بين البلدين ، ودخول هذا الاتفاق في حيز التنفيذ تدريجياً ليكون في مكانه تماماً ، في العام ١٩٧٥ ، بغية تسهيل دخول الطرفين السامين المتعاقدين في الوحدة الاقتصادية الاوربية . ومن سخرية القدر التي تلفت النظر ، ان ايرلندة التي ما فتئت تقول بأنها تنفصل عن الكومنولث وعن المملكة المتحدة ، أصبحت فيما بعد مرتبطة بشكل وثيق بالاقتصاد البريطاني أكثر من أي عضو في الكومنولث الحالي .

ونظراً لتواجد الترشيح الثاني الانكليزي للوحدة الاقتصادية الاوربية مع أزمة ميزان المدفوعات ، ومع تخفيض قيمة الجنيه ، فقد لفت الانتباه

العام إلى روابط بريطانيا العظمى والكومنولث مع نظام مؤسسة المنطقة الاسترلينية .

وفي الحقيقة ، ان الكومنولث ومنطقة الاسترليني لا تتواجدان تماماً . فهناك بلاد ليست ولم تكن أعضاء في الكومنولث ولكنها تابعة لمنطقة الاسترليني . وكذلك ، يوجد بعض أعضاء في الكومنولث ، مثل كندا ، ولا تشترك في هذه المنطقة . ومع ذلك ، يوجد بين هذين النظامين رابطة لا يمكن نكرانها . وقد نشأت منطقة الاسترليني ووجدت المنطقة الاسترلينية ، لأن بعض الأمم ، وهي غالباً أعضاء في الكومنولث ، كانت تتمنى توازن ميزان مدفوعاتها بالاسترليني ، وتجد في ذلك فوائد اقتصادية وتجارية . وعلى هذا النحو جعلت هذه البلاد من الاسترليني عملة من العملات الصعبة الدولية الهامة . وعلى العموم ، وهذه الحالة كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، إن التوازن مادام قائماً بين فائض البلاد الخارجة عن منطقة الاسترليني وبين عجز بريطانيا العظمى حيال البلاد غير الاعضاء في هذه المنطقة ، فلا يوجد مشكلة . ولكن ، في السنوات الحديثة ، عندما استدانّت أكثرية بلاد منطقة الاسترليني من البلاد الخارجة عن هذه المنطقة ، وجد أن هذه الحالة قد انقلت بشكل فادح على احتياطات الجنيهات واضطرت بريطانيا - العظمى إلى تدابير دراكونية .

وقال جيمس كلاغان ، وزير المالية ، في ٩ أيار ١٩٦٧ : بالرغم من هذه الضغوط الدورية على الجنيه ، فإن الحكومة البريطانية ترى أن يبقى الاسترليني عملة من العملات الأساسية الدولية ، سواء اشتركت بريطانيا - العظمى أم لم تشترك في الوحدة الاقتصادية الأوروبية . وأضاف ان هذا الدور لا يمكن أن يتخلى عنه ، لأن موازين بلاد منطقة

الاسترليني قدّين بريطانيا العظمى ، . ومن الواضح « أننا لا نستطيع أن نتخلص من التزاماتنا ، ولا أن نبدل طبيعة موازين الاسترليني للكمونولث أو بلد غيره دون موافقتها » .

وأضاف الوزير بأن دور الاسترليني لم يكن قضية جاه ، بل قضية فوائد عملية ، متبادلة ، وسيكون للوحدات الاوربية منها نصيبها إذا دخلت بريطانيا العظمى في الوحدة الاقتصادية الاوربية . وستكون أمم أوربه الصغرى بعيدة عن تحمل مسؤوليات جديدة ، بل ، على العكس ، سترى مور طاقتها الاقتصادية والمالية . ولم يكن هذا وضع فرنسا ، فقد كانت باريس ترى بأن الدور الدولي للاسترليني كان عقبة في دخول بريطانيا العظمى في السوق المشتركة .

قوى الكومونولث المتشعبة . إن الكومونولث المتعدد الأجناس ، والمؤسس على مساواة الحكومات وشعوب الأجناس المختلفة ، يجب ، كما يؤمل على الأقل ، ان يسهل تعايش وتساكن الأجناس في داخل الأمم . وهذا الأمل وضع أكثر من مرة على محك قاس ، كما يرى في نيجيريا أثناء الحرب الداخلية التي أثارها بيافرا في ١٩٦٧ .

لقد بدا الهدف صعباً في أكثر من نقطة على سطح الكرة الأرضية . وهكذا قسمت الهند تبعاً لاختلافات دينية ، أو محلية أكثر منها عرقية . وظلت قبرص وغويانسه ، وفيجي والدول الأخرى ميداناً مغلقاً للاعراق والثقافات المختلفة . ولقد أظهر مصير الاتحادات ، التي شجعت بريطانيا - العظمى على نشوئها ، صعوبة القضايا الاقتصادية والثقافية والعرقية واختلاطها . وما من اتحاد من الاتحادات الهامة الأربعة : الهند الغربية ، ماليزيا الكبرى ، افريقية الوسطى والجنوب العربي ، استطاع أن يعيش بشكل متكامل .

فمن ذلك ان الجنوب العربي ، المؤلف من دول غير متجانسة ويخضع لضغوط مصر المعادية ، لم يكن له أقل حظ بالتأصل والروسخ . وخضعت بلاد بحر الكويي لمعضلة المنافسات الجزيرية والتفاوت العميق في مستوى الحياة . إلا أن الاتحاد الماليزي وحده عاش بعد انفصال ميناء سنغافوره ( ذات سيطرة صينية ) ؛ وظل ، مثل سنغافوره ، في تبعية الكومنولث ، وبخاصة في منطقة الدفاع الانجليزي - الاوستراي . وهذا ما خوله سنداً رصيناً في منازعاته مع اندونيسيا ، وهذا ما ساعد بريطانيا - العظمى على التصرف بقاعدة سنغافوره ، باتفاق مع الحكومة المحلية ، من أجل الدفاع عن مصالحها ( في شرقي السويس ) . ولكن هذه الحالة انتقالية ، لأن لندن ، بالرغم من قاتى الحكومة الاوسترالية ، لم تخف عزمها ، الذي أعادت توكيده ، في كانون الثاني ١٩٦٨ ، على انطواء قواها في الشرق الأقصى ، ومن ضمنها سنغافوره ، قبل ١٩٧٢ ، في الحد الذي تسمح به الحالة العامة . وفي الوقت ذاته ، بعد أن غادرت المملكة المتحدة عدن ، في ١٩٦٧ ، أعلنت الجنوب العربي بأنها لا تنوي ابرام موانئ دفاعية في الخليج العربي .

ولكن آخر قضية خطيرة للخلاص من الاستعمار وضعت أمام بريطانيا - العظمى بتفجر اتحاد افريقية الوسطى ( روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند ) . فقد تشكل هذا الاتحاد في منتصف عام ١٩٥٣ ، وتطور نحو تقسيم ديوقراطي للسلطة بين الاقليات البيضاء والاكثريات الافريقية في البلاد الثلاثة . وكان هذا الحل مفيداً للجميع ، وخاصة بالنسبة لبلد أفقر من غيره وهو نياسالاند . ولكن هذه الفوائد ، في أعين الافريقيين كانت خفيفة الوزن أمام بقاء الأقلية الاوربية في السلطة .

وفي ٣١ كانون الأول ١٩٦٣ انفجر الاتحاد ، فاستنكره المعمرون ودعمته بريطانيا . واحتلمت حكومات افريقية السلطة في نياسالاند (مالاوي اليوم) وفي روديسيا الشمالية (زامبيا اليوم) . وفي روديسيا الجنوبية ، حافظت الاقلية البيضاء على الإشراف السياسي . وكافح القوميون الافريقيون هذه الحالة علناً وبشكل مفتوح ، كما نسفها جزع البريطانيين بعد أن رأوا بسرعة اقامة حكم الاكثوية . ولما رأت الاقلية الاوربية في روديسيا أنها تركت في الخارج ، وافلقتها حوادث الكونغو، رفضت أن تتخلى عن امتيازاتها ، وقررت أن تنتقل إلى الهجوم . ونشرت حكومة ايان سميث ، في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، تصريحاً جانبياً بالاستقلال .

دعم الكومنولث كله الحكومة البريطانية فأجابت بزيادات ضد المستعمرة المتمردة ، وفي الأشهر التالية حاولت أن تفرض إجراءات قسر اقتصادية، ولكن هذه التدابير احترمت بشكل متفاوت . ورفضت بريطانيا العظمى والدومينيونات القديمة اللجوء إلى القوة . وهذا ما آخذتها عليه أكثوية الدول الافريقية . لأن هذه الحالة كانت اختباراً شديداً لانسجام الكومنولث المتعدد الأجناس . وقد شوهد ذلك عندما هددت بعض الدومينيونات الجديدة بالانفصال وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع لندن .

وفي مؤتمر رؤساء وزراء الكومنولث (لندن ١ ايلول ١٩٦٦) أشار معظم رؤساء الحكومات إلى الإخفاق الجزئي للعقوبات الاقتصادية وطلبوا بالتالي أن يخضع معمر روديسيا بالقوة . إلا أن البريطاني الأول ، هارولد ولسون ، ولم يكن منعزلاً ، رفض ذلك بقوة ، ولكنه وعد بشد الاجراءات القسرية متعمداً في الوقت ذاته بالا يخول الاستقلال ما لم تطالب به أكثوية البلاد .



مستقبل الكومنولث . - لقد كانت السنوات ١٩٤٥ - ١٩٦٨ ، بالنسبة لبريطانيا - العظمى والكومنولث ، مطبوعة بوصول آسيا وافريقية إلى الاستقلال . وكان هذا التحويل رئيسياً وستكون له انعكاسات هامة على تطور الكومنولث . حقاً ، لقد فقد قسماً من تلاحمه القديم . ولكنه انفتح على عوالم جديدة . لقد وضعت فيه قضايا التربية والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية بمجدة ظلت مجهولة حتى ذلك الحين . ففي جنوب شرقي آسيا ، تفوق التعاون ، الذي نص عليه في خطة كولومبو ، التي أوحى بها الدومينيونات ، على منازعات « المناحزين » و « غير المناحزين » . وفي افريقية ، كانت الجامعات ، ومدارس الطب ، والمبادلات الاكاديمية أو المسلكية ، والمساعدة الفنية من البلاد الأكثر تطوراً إلى البلاد التي هي في طريق التنمية ، تشكل مآتي إيجابية ، بما كانت قليلة لو لم يكن اطار الكومنولث موجوداً . ولذا ، فإن الدول الافريقية كانت أول من طالب بالتنظيم الاداري للكومنولث : فقد تأسست أمانة السر في ١٩٦٥ ، وكان الأمين العام الأول لها كندياً . وهكذا كانت الدول الافريقية نفسها تمنى أن ترى الكومنولث يغامر في هذه العوالم الجديدة . ولم يكن هذا ممكناً لو لم تستمر الدومينيونات القديمة بمشاركتها . وفي الحالة الاقتصادية لبريطانيا - العظمى بعد الحرب ( وهذا مظهر للقضية اليه لم يشر دوماً بصورة كافيّة ) ، كانت دومينيونات آسيا السائرة في طريق التنمية تعتمد كثيراً على اوستراليا . فقد أسهمت جيوشها في الدفاع عن ماليزيا ، وسهل عونها الاقتصادي تطبيق مشروع كولومبو .

وكذا الحال بالنسبة لكندا . فلولاها لتقدم جنوب شرقي آسيا أولاً ، ومن بعده افريقية الغربية والشرقية ، ابتداء من السنوات ٦٠ ، بسرعة

أقل من الواقع ، ولكانت كندا نفسها أقل اهتماماً بنمو هذه البلاد ، لو لم تكن كلها أعضاء في كومونولث واحد .

ولعبت كندا في كل هذه المشاريع دوراً رئيسياً ، لا لأن مآثها يجيء نواً بعد مائى المملكة المتحدة فحسب ، بل أيضاً ، لأنها بلد استيطان اوروبي ، ومدينة إلى أصولها المزدوجة الثقافة بتفهم خاص للقضايا التي توضع للأمم المتعددة الأجناس في آسيا وأفريقية . وهي ، فوق ذلك ، اليوم ، الحارس اليقظان للتقاليد الليبرالية في الكومونولث . وفي الهند ، في فترات الاستقلال الاولى ، نسجت الحكومة الكندية روابط وثيقة بخاصة مع حكومة المؤتمر . وما من شك في أن هذا التفاهم الهندي - الكندي الذي تم في بداية سنوات الـ ٥٠ قد أسهم في تجنب الهند عن قطع علاقاتها مع الكومونولث اثناء أزمة السويس ١٩٥٦ . وكذلك كان دور اوتوا مقيداً حقاً في طرد افريقية الجنوبية من الكومونولث . فقد اصطفت كندا في جانب الافرو آسيين ولم تدل بهذا على عدالة قضيتهم فحسب ، بل حالت دون انقلاب النقاش إلى مجابهة بين الاوربيين وغير الاوربيين . ولذا فان كندا ، كما يدعم لوي سان لوران ، الوزير الاول ، الذي خلف ما كنزي كينغ ، ترى بأنها كانت الصانع الأساسي للكومونولث الجديد ، ولم تخطيء في ذلك ، لأنه ملحوظ . ولهذا السبب فان العداء المتعاظم بين الوجدتين الكنديتين قد اهاج بعمق باقي الكومونولث .

وعند اقتراب الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس هذا الدومنيون وفي خلال هذا الاحتفال ( في الأول من تموز ١٨٦٧ - ١ تموز ١٩٦٧ ) كان كل انسان يتساءل بقلق ما إذا كان هذا الاتحاد سينفجر . ولكن بدا أن التعديل ، على كل حال ، لا مندوحة عنه ، وأصبح ضرورياً لمتطلبات كيبك التي يجعل ثورها الاقتصادي الحديث أكثر مطالبة .

لقد لاحظ هذا الاقليم ، في الواقع ، أن كندا ليست بلداً مزدوج اللغة ومزوج الثقافة ، لأن الدستور الصادر عن المعاهدة الانكليزية - الشمال - أميركية عام ١٨٦٧ وملحقاتها لا يجعل من كيبيك الا اقلية من أقاليم الأمة العشرة . ولكن هذا ليس كافياً بالنسبة للكيبكيويين ، الذين لا يطالبون باحترام حقوقهم الاقليمية فحسب ، بل بالمساواة التامة مع الكنديين الناطقين باللغة الانكليزية في اتحاد متجدد .

حتى ان بعضهم يذهبون أيضاً الى ابعد من ذلك ويريدون لانفسهم دولة شريكة ناطقة باللغة الفرنسية .

ولكن الواضح المؤثر المرئي تحت زاوية الكومنولث ، هو الأهمية التي تعلقها جميع الدومنيونات على قضايا قد تبدو لأول وهلة أنها كندية بخاصة . وهذا يرجع إلى الوضع البارز لكندا في الكومنولث اليوم . ويبرهن لأي درجة أصبح تضامن امم هذا الكومنولث حقيقة حية .

## الفصل الرابع

### المانيا الاتحادية والمانيا الديمقراطية الشعبية

ان التعابير بلجيكا ، فرنسا ، بريطانيا - العظمى تدل ، في اللغة العامة ، على مفاهيم جغرافية وتاريخية معينة جيداً . وإذا استثنينا ما في الوثائق الدبلوماسية ، فان الكلمتين « مملكة » او « جمهورية » لا تشترك فيها أبداً . وهذه الملاحظة ضرورية لوضع لوحة تاريخ المانيا الحديث في معناها الدقيق الثابت المحدد .

فمن جهة ، لا يوجد ، في الواقع ، منذ آخر الحرب العالمية الثانية ، أي كيان متجانس تربط به موافقة الدول الاجماعية وبندود المعاهدات اسم « المانيا » . وهو ، من الوجهة الحقوقية والسياسية والعرقية ، لا يرجع الى شيء واضح دقيق . ومن الثابت ، من جهة أخرى ، ان الوحدات السياسية ، التي تضم شعوبا ناطقة بالالمانية ، كان يدل عليها دوماً بارتباط اوصاف تعبر لامعان طبيعية ارتباطها الصوفية مثل الامبراطورية الجومانية المقدسة ، الريح الأول ، الثاني ، الثالث ، أو عن ارادات وبنية نظامها في الحكم : مثل : المانيا الجمهورية الاتحادية « أكثر من جمهورية المانيا الاتحادية والجمهورية الديمقراطية الالمانية » (١) .

لقد ضمت تقاليد اللغة مع ذلك « المانيا » الى تاريخ اوربه ما بعد

---

(١) من أجل هذه الجمهورية راجع الفصل الثامن في هذا الكتاب .

الحرب ، على حين أن مصيرها لن يحدد إلا في ختام مفاوضات معاهدة سلام مشكوك فيه وغير يقيني . ان الحدود الأرضية ، التي يعيش بينها الالمان ، رسمت في العام ١٩٤٥ بيد الجيوش المنتصرة ، ولم يؤيدها الدبلوماسيون ، بالرغم من أن دوام حالة الأمر الواقع جعلتها غير قابلة للإلغاء خارجا عن كل نزاع جديد .

خلال هذا الدور ، قام الألمان معاً بجهود متناقضين : أحدهما ينزع إلى الخروج من دمار الهزيمة الجذرية وظروف الحياة الضعيفة لينشيء بشكل نهائي بنىات توسع اقتصادي وتوازن اجتماعي مطمئن ؛ والآخر يحاول ، بالعكس ، أن يحافظ في النظام السيامي على الأوهام التي تظهر بالبداية ان تقسيم المانيا موقت .

ان الاطار البدائي ، الذي يدل عليه اسم هذه الأمة ، قد رسمته حدود ١٩٣٧ ، التي خطتها معاهدة فرساي . وقد اخذه الغالبون الأربعة على عاتقهم كما هو في عام ١٩٤٥ ، ولكن السطح الذي يحتويه هذا الاطار كان مقسماً إلى خمسة أقسام .

١ - مناطق الاحتلال الثلاث ( الاميركية والانكليزية والفرنسية ) في الغرب ، التي تؤلف ، منذ ٧ ايلول ١٩٤٩ ، « الجمهورية الاتحادية ( الفيدرالية ) » ؛

٢ - منطقة الاحتلال السوفياتية التي أصبحت « الجمهورية الديمقراطية الالمانية » ، في ٧ تشرين الأول ١٩٤٩ .

٣ - العاصمة القديمة ، برلين ، التي ظلت حقوقياً موضوعة تحت اشراف المحتلين الاربعة منذ ١٩٤٥ ، بالرغم من تقسيمها إلى قطاع سوفياني وقطاعات غربية .

- ٤ - سيليزيا وبوزنانيا ، وقد عهد « بادارتهما الموقنة » إلى بولونيا وأصبحتا تماماً أقليمين من أقليمها .
- ٥ - بروسيا الشرقية التي قسمت بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا بصفة موقنة ثم أصبحت نهائية .

ان الدمج المطلق لهذه الاراضي الاخيرة بالسيادة السوفياتية أو البولونية لم يثر نزاعاً ابداً ، ولو من حيث المبدأ ، من جانب الدول الغربية الثلاث . حتى ان نزوح الشعب الألماني طوعاً أو كرهاً ونشوء اجيال بولونية جديدة قد أوجدا حالة واقع لارجعة لها .

لقد جاء من ثلاثة عشر إلى أربعة عشر مليوناً ألمانياً مضطربين بعد أن دفعتهم الجيوش السوفياتية المنتصرة أو ازاحتهم واقتلعتهم من جذورهم ، بين الراين والاورد ، في الأشهر الاولى من ١٩٤٥ . ودخلوا في مناطق كانت حتى ذلك الحين غربية عنهم . وهذا الحشد الذي تم لهؤلاء الألمان بين حدود دقيقة واضحة المعالم شكل ألمانيا الحالية .

فقدت ألمانيا ، بالنسبة الى ألمانيا ١٩٣٧ ، ١١٤٠٠٠ كم<sup>٢</sup> . وشطرها « الستار الحديدي » إلى شطرين : فعلى الحد الاداري لمناطق الاحتلال السوفياتي والغربي ، الذي ثبتته مصلحة التحديد والتحرير ( المساحة ) الألمانية بموجب اتفاقات كيبيك في أيلول ١٩٤٤ ، نجد أن القوى السوفياتية ، التي لم تبلغه على كل رسمه ، قد اتخذت مواقعها في الأول من تموز ١٩٤٥ . وابتداء من أيار ١٩٥٢ ، بدأ خط الحدود الفاصل بالتحول إلى منطقته مية ، إلى شريط صجراوي مجهز عسكرياً في قلب ألمانيا ، على طول ١٣٨١ كم ، من لوبيك الى هوف وبذلك سدت ٣٦ خطاً حديدياً ، وثلاثة طرق سيارات ، ومائة طريق وطني ، ومثلها

طرق محلية ، دون الكلام عن الممرات والطرق الصغيرة . وعلى جانبي هذا الحد الاصطناعي الصرف وضعت كل من ألمانيا الشرقية والغربية جيوشاً خاصة لا تنقطع جولاتها المتنافسة . ففي الشرق يسهر رجال الشرطة الشعبيون على منع أبناء وطنهم من محاولة مغامرة فرار عبر حقول الألغام والأسلاك الشائكة : وفي القوب نجد حرس الحدود ، الذين كانوا أول تشكيل عسكري واق تأسس في الجمهورية الاتحادية ، يقفون ، بالعكس ، يقظين لاستقبال الفارين . ووراء هؤلاء الاخوة الأعداء ، وعلى بضعة كيلو مترات في داخل البلاد ، يقيم حلفائهم ، الجنود السوفييتيون من جهة ، والاميركيون والانكليز والفرنسيون من جهة أخرى .

وفي الاطار الذي رسمته الحرب وجد شطرا ألمانيا وجهها الغرب المكسب من ردود الفعل المنعكسة الجديدة . وكان يظن أن عقوداً ستمضي بالضرورة لتجعل كل واحد منها أجنبياً عن الآخر ، وأن اختلاف النظامين لن يتوصل إلى ذلك . وفي الحقيقة ، لقد أفادت ألمانيا الغربية ، الديموقراطية الحرة الليبرالية في الخمسة عشر عاماً التالية ، كقطب لجذب المان الشرقي ، وكل من لم يتكيفوا على الأقل مع روح وطرق ديموقراطية شعبية صارمة بنحاسة . ان ما يقارب الثلاثة ملايين منهم يقتحمون الاخطار المتزايدة عاماً بعد عام ويغادرون منازلهم للوصول الى « ألمانيا الأخرى » ، ويكفي الكثيرين منهم أن يأتوا الى برلين ، ويأخذوا المترو لبلوغ القطاعات الغربية . ومن هناك ، الطائرة للغرب . ولكن العاصمة القديمة قسمت ، في ١٣ آب ١٩٦١ ، الى قسمين : وسد سور من الحجر ، مثقوب بعدة نقاط رقابة ، آخر ثغرة مواصلات بين ألمانيا الشرقية والغربية ، بين شرقي اوربة وغربها . وحول هذا الجدار ، حول هذه الحدود الداخلية ، كتب كل تاريخ ألمانيا الحديث العهد .

بين الشرق والغرب . - في ١٩١٩ ، لم تضع الهزيمة العسكرية استمرار الدولة الألمانية موضع اتهام ، وبقي تغيير النظام قضية خاصة بالامان وحدهم ووقف وجود الأجنبي الغالب على الراين ، بل وعرف أيضاً حدوده : لأن الادارة الالمانية بقيت منوطة ببرلين . ومع ذلك لم تكن معاهدة السلام في فرساي موضع مفاوضات ، بل فرضت على المغلوب .

وفي ٩ أيار ١٩٤٥ ، بعد توقيع استسلام الريح الثالث دون شرط ، زالت الدولة الألمانية وزال النظام . وأخذ الأربعة الغالبون والمحتلون على عاتقهم مصير الأمة . وهيأت مؤتمرات زمن الحرب ، طهران ١٩٤٣ ، بالطا في شباط ١٩٤٥ ، القرارات ، وحددت المبدأ بأن تبقى المانيا وحدة سياسية تدار بالاتفاق معاً . ويرمز احتلال برلين من قبل الثلاثة الكبار الى هذه الحالة . وفي الأول من أيار ١٩٤٥ ، صدر برونوكول اضافي احدثت بموجبه منطقة احتلال فرنسية اقتطعت من المنطقتين الانكليزية والاميركية . وفي الأول من تموز احتلت القوات المنتصرة الحدود الادارية : فقد اخلى الاميركيون قسماً من الساكس وتورنجه ، حيث أوصلهم تقدمهم ، ودخلت الجيوش الغربية برلين بعد أن ظلت الجنود السوفياتية وحدها تقبض عليها حتى ذلك الحين . واحترمت جميع الاطراف المعنية الاتفاقات المبرمة .

وفي ٢ آب ، ضم مؤتمر بوتسدام ستالين ، والرئيس ترومان ، وتشرشل ثم آتلي ، وتقرر فيه « أن تعامل المانيا في فترة الاحتلال ككيان اقتصادي وحيد » ، ونص على اعادة تأليف الأحزاب السياسية في المانيا بجمعها وعلى انشاء مقاطعات ادارية مركزية .



وعندما دعيت حكومة الجنرال دوغول الموقنة لمشايعة ترتيب مؤتمر بوتسدام ، الذي انعقد ولم يحضره أي ممثل فرنسي ، أبدت في ايلول تحفظات باقة بروح عبوت عن نفسها بهذا الشكل : « لو كان تقسيم المانيا الى عدة دول نتيجة تطور طبيعي ، لانتجة حل مفروض ، لكان ملائماً للحفاظ على الأمن في اوروبا » . وطالبت عندئذ « بفصل المنطقة الرينانية - الوستفالية » فصلاً نهائياً ، ومن ضمنها ، الرور ، عن المانيا .

وإذا كانت المعارضة الفرنسية للوحدة ملحوظة جداً ، وناجعة جداً أيضاً لأن ممثل باريس في مجلس الرقابة ( الاشراف ) ، الجنرال كونيغ ، كان يتمتع بالمساواة التامة في الحقوق ، فقد رافقت ، أكثر مما أثارت ، الحركة نحو تقسيم المانيا . وبسرعة لوحظ انشاء أربع دول المانية ، دولة في كل منطقة احتلال . وكان القادة الاعلون في منطقة احتلالهم سادة مطلقيين ، ويطبقون فيها سياسات وطرقاً لا يمكن التوفيق بينها ، وعلى كل حال ، غير مهيأة معاً .

وفي وسط مجلس الاشراف ، كان الاختلاف على المعاملة الاقتصادية الخاصة بألمانيا يستلهم من مذاهب أو من مشاريع متعارضة تماماً . لقد كان السوفييتيون والفرنسيون يريدون تعويض الخسائر التي سببها الألمان لبلادهم ، ويتطلبون تعويضات تستأصل جذور كل ما تبقى من البناء الاقتصادي التحتي . وبالعكس ، كان الانغلو - ساكسون يتمنون إعادة الاقتصاد الألماني الى مجراه لاختصار الدور الذي تتعلق فيه حياة مناطق الاحتلال بالموارد التي يقدمها الحلفاء .

وكانت الاختلافات في المضمار الاجتماعي والسيامي أيضاً . فقد ظهرت ، منذ ٢ ايلول ١٩٤٥ ، بادخال اصلاح الاراضي في المنطقة السوفياتية حيث

أوحى تحويل البنيات الاجتماعية لصالح الطبقة العاملة والحزب الشيوعي بالتطور كله . إن تطهير الإدارة والشعب قد فهم فيها عملياً كتعويض عن « صغار النازيين » . وفي المناطق الغربية أدى التطهير بهم الى طرد صارم .

وكان المنعطف الكبير ملحوظاً في ٦ ايلول ١٩٤٦ بالحطاب الذي خطبه في شتوتغارت أمين الدولة الاميرالية بورنز ، بعد مضي ثلاثة أشهر على مؤتمر وزراء الشؤون الخارجية غير المثمر . لقد رأى استحالة تأليف كيان اقتصادي الماني ، والغاء تقسيم المناطق ، ورفض نهائياً أن يقدم للحكومة السوفياتية تعويضات تأنيها من المناطق الغربية ، ولكن يدفعها عملياً الانغلو - ساكسون . وأعلن انتهاء دور عقوبة الاحتلال ، وامتدح ذوبان المناطق الغربية وأوحى بنص حياد المانيا .

هل يؤدي تقسيم اوروبا الى تقسيم المانيا ؟ من العبث الفصل هنا بين العلة والمعلول : لقد كانت المانيا الاختبار ، الحقل المعلق الذي ظهرت فيه بشكل بمتاز منازعات لم يحذفها تحالف زمن الحرب . وفي ١٩٤٧ ، بعد اخفاق مؤتمر موسكو ، بدأ التطور الذي أخذت ترسم فيه بشكل أقوى كل مرحلة من المراحل فردية كل من المانيا الشرقية والغربية . وحافظ الكبار - ويحافظون أيضاً - على الدقة الحقوقية القصوى : فقد قبلوا بالتدريج هوامش اتفاقات بوتسدام ، وجابهوا روحها ، ولكنهم عنوا دوماً عناية كبرى بالحفاظ على نواتها ، أي على وضع نظام برلين . وان دقة الاصول فيه قضية وجدانية . ومع ذلك فان الانتهاكات لم تمس الجوهر أبداً . ولنقل ما بقي منه : ان العاصمة القديمة مازالت مقسمة الى اربعة قطاعات ونحكم بحكام عسكريين ولا تضم أي حكومة من المانيا الشرقية أو الغربية . وان نواب برلين الشرقية في مجلس الشعب

في الجمهورية الديمقراطية لهم نفس وضع نواب برلين الغربية في بوندستاغ  
بون : وهو صوت استشاري بسيط . وبالرغم من « الجدار » فان ظاهر  
المرور الحر محترم من أجل مغتربي المحتلين الاربعة في داخل حدود  
« برلين الكبرى » . وأخيراً ، يتمتع الغربيون بكامل حرية الدخول  
بالجو ، والطرق والسكك الحديدية ، على الطرق المحددة في ١٩٤٥ .  
وهذه الحالة الدائمة هي واقع سياسي ، وهذا الارتباط الاداري يرمز إلى  
بقاء المانيا بكاملها تحت الوصاية .

وفي هذه البلبلة الألمانية أخذ رجل على عاتقه أبوة اجراء لم يلق في  
باديء الأمر الا العداء العام ، وهو : لودفيغ ارهارد ، وكان مديراً ، ان  
لم يكن بصورة مطلقة موجداً ، للإصلاح النقدي ، في ٢٠ حزيران ١٩٤٨ .  
لقد كلف باقتصاد المنطقة الانكليزية - الاميركية ، بفرض بين عشية  
وضحاها صرف الويخشمارك مقابل الدويتشمارك ، الذي هو أقل منه  
بعشر مرات . وهذه العملية في ضهور النقد مباشرة شجعت ملاكي  
الأموال العينية على حساب الموفرين . ولكن المضاربة توقفت صراحة :  
وظهرت البضائع من جديد في المخازن ، وعاد الانتاج الصناعي . ولزم  
عامان لامتناس البطالة ، وتوطيد ميزان التجارة الخارجية ، وتعميم  
الليبرالية التامة . وقد جرى هذا الظفر في قوانين السوق على حساب  
العدالة الاجتماعية ، ولكنه ساعد الصناعة على استعادة قواها ، بفضل  
سياسة التسليف وتدابير رعاية التمويل الذاتي التي أتمت الإصلاح .

وفي ١٩٤٧ نشأت بذور التمثيل الشعبي : ففي ٢٥ حزيران نشأ  
المجلس الاقتصادي الألماني في « المنطقة المزدوجة » الانكليزية - الاميركية ؛  
وفي ٦ كانون الأول ، مؤتمر الشعب الألماني في المنطقة السوفياتية . واثناء

الازمة الطويلة لحصار برلين ، من ٣١ آذار ١٩٤٨ ، إلى ١٢ أيار ١٩٤٩ ، الذي يسجل اخفاق السوفيائين الذين يرغبون بالغاء نظام العاصمة أدمج الغربيون مناطقهم الثلاث في الأول من آب ١٩٤٨ ، ودعوا إلى « مجلس برلاني » انتخب على رأسه كونراد اديناور . انعقد هذا المؤتمر في فونكفورت وتبنى في ٨ أيار ١٩٤٩ « قانوناً اساسياً » ليفسد دستوراً للجمهورية الاتحادية المستقبلية . وفي ٣٠ أيار ، وافق مؤتمر شعب المنطقة السوفياتية بدورته على دستور ديمقراطي الحرف بشكل لا يقبل النقاش . ولكن كل شيء يتعلق باستعماله .

لكل كتلة المانيا خاصة بها - شهد خريف ١٩٤٩ تاريخي المانيا الشرقية والغربية الرسميين : ففي ١٤ آب ، انتخب برلمان الجمهورية الاتحادية ، وانعقد في بون ، التي اختيرت في ١٠ أيار الفائت عاصمة مؤقتة ، وسمي الأستاذ تيودور هويس الليبرالي من تقليد ١٨٤٨ القديم ، رئيساً للجمهورية ، وفي ١٥ أيلول قام بتعيين المستشار . وبأكثرية صوت واحد فاز كونراد اديناور ، رئيس الاتحاد الديمقراطي - المسيحي . وفي الشهر التالي ، اعطت المانيا الشرقية لنفسها بدورها جهاز دولة : فقد انعقد مجلس الشعب في ٧ تشرين الأول وانتخب في ١٢ منه حكومة يرأسها اوتو غروثفول الاشتراكي - الديمقراطي القديم وهو الذي أذاب معزبه بالحزب الشيوعي في الحزب الاشتراكي الموحد . وأصبح فيلهلم بيك رئيساً للجمهورية وكانت رفيعاً قديماً إلى كادل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ في ايام ثورة برلين في ١٩١٩ .

ومنذ الآن ، وضعت كل من المانيا الشرقية والغربية نفسها في داخل الكتل المتجابهة على حدودهما المشتركة . ولاحر مرة ، في ١٠ آذار ١٩٥٢ حاول الاتحاد السوفياتي بشيء من الاقتناع الظاهر ان يلقي ثانية بميكانيكية

التوحيد في نظام الحياض المسلح ، ولكن مثل هذا المخرج لا يتصور في مناخ الحرب الباردة .

كانت الجمهورية الاتحادية تابعة ، في الواقع ، على قدم مساواة تامة ، لبداية منظمة الوحدة الأوروبية ، رغم أنها ما زالت خاضعة لبنود اتفاقات الاحتلال التي وسعت تدريجياً . إن ثورة ١٧ حزيران ١٩٥٣ في برلين - الشرقية وفي المنطقة السوفياتية كلها ، تمعها الروس بقساوة ، دون أن يستطيع الغربيون فعل شيء آخر سوى إظهار عجزهم عن التدخل . ولم ينه الاتحاد السوفياتي بعد حالة الحرب مع المانيا ، وهذا الحادث يمكن أن يبرر عملياته في معاودة أخذ كل شيء بيده . ولم يتخذ هذا التدبير الحقوقي إلا في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٥ ، أي بعد أربع سنوات على ما فعله الغربيون ( في ٩ تموز ١٩٥١ ) .

وإذا كان القصد الحصول على السيادة ، فقد سبقت المانيا الشرقية المانيا الغربية . ففي ٢٦ آذار ١٩٥٤ ، بعد إخفاق مؤتمر جديد لوزراء الأربعة للشؤون الخارجية ، في برلين ، اعترف الاتحاد السوفياتي بهذه الصفة للجمهورية الديمقراطية . وأفادت الجمهورية الاتحادية من ذلك بدورها على اثر المفاوضات التي أثارها اجهاض وحدة الدفاع الأوروبية . وفي ٥ أيار ١٩٥٥ ، ألغى نظام الاحتلال ، مع الحفاظ ببعض التحديدات النظرية ؛ وفي ٩ أيار ، دخلت في منظمة معاهدة حلف شمال الاطلسي بصفة العضو الخامس عشر ، وبكامل المساواة . وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٦ ، قبلت الجمهورية الديمقراطية في ميثاق فارسوفيا ( وارسو ) .

عندئذ جمد التطور ، لكل ما هو أسامي ، لأث كلاً من المانيا الشرقية والغربية ادبجت بشكل وثيق في نظام الاحلاف الذي أدخلها

في جسمه ، حتى ان كل اتحاد لهذين الجزأين من جسم واحد يمكن أن يعني انفجاراً اما لحلف الاطلسي واما لميثاق وارسو . ان اتحاداً كهذا الاتحاد يمكن أن يرافقه بالضرورة بالحياة العسكري . وكل تفكير في هذه النقطة يتعثر في واقع بسيط وهو انه لم يكن لواشنطن ولا لموسكو دواع استراتيجية ، وسياسية ، وعقائدية ، في التخلي عن نصيبها من قطاع لعالم تكون فيه مصالحها المتعارضة على اتصال مباشرة . ان تقسيم المانيا بالنسبة للسياسة الاميركية كما هو بالنسبة للسياسة السوفياتية « أقل الضررين » وضمن بأن الدولة الثالثة في العالم في قلب اوروبا لا تأتي ، عندما تقوى ، فتدخل بشكل خطير بالتوازن العالمي لصالح معسكر تمنحه تحالفها ، أو لسبب بسيط لتردها .

ولدينا الدليل على ذلك بعدم وجود رد فعل من الولايات المتحدة عندما شيد جدار برلين ، في ١٣ آب ١٩٦١ . فقد عبر الاستنكار عن نفسه باحتجاجات دبلوماسية ، في بضعة أسابيع من التوتر . وبعد عامين جاء جون كينيدي يقول للامات ، من شرفة القصر البلدي في برلين : « خذوا مسؤولياتكم » ، الأمر الذي لم يبدل في شيء الهوامش الضيقة لحرية مناورة بون أو برلين - الشرقية .

ومنذ ١٨٦١ ، تعمق انقسام المانيا بضربات صغيرة ، على اثر اجراءات حقوقية تقررت جانبياً من قبل الجمهورية الديموقراطية ، وأدت ، في شباط ١٩٦٧ ، إلى التصويت على قانون ينشئ ، بمفعول رجعي ، مواطنة الجمهورية الديموقراطية الألمانية . وكانت النتيجة مزدوجة : فمنذ الآن فصاعداً يعتبر المان الغرب كأجانب مجبرين على طلب تأشيرات المانية - شرقية للذهاب إلى برلين - الشرقية . والألمان الشرقيون اللاجئون في الغرب يمكن توقيفهم وتسليمهم إلى الجمهورية الديموقراطية

الألمانية ، إذا سافروا إلى الديمقراطيات الشعبية . وهذا النص ، الذي كانت بون حياله عزلاء من السلاح ، أنهى الفترة التي كانت فيها كل من المانيا الشرقية والغربية تعتبر المانيا ومغتربها بشكاون وحدة غير قابلة للقسمة ، ينطبق عليهم قانون ١٩١٣ ، المنتم في ١٩٣٤ ، في وحدانية المواطنة الالمانية .

إن تغير المفردات ، وإن كان صغيراً في شكله ، ولكنه عظيم في معناه ، تدخل في بون في ١٥ كانون الأول ١٩٦٦ : فبعد تشكل حكومة الائتلاف الكبير ، كان الناطق الرسمي له فون هازه ، يستعمل لأول مرة التعبير « المانيا الشرقية » متخلياً عن كل التعابير السابقة : منطقة الاحتلال السوفياتي ، المانيا الوسطى ، الجمهورية الديمقراطية المزعومة .

وإن تطور اللغة ينسب بالاعتراف المؤول الذي لا يمكن اجتنابه لحقائق الواقع من قبل حكومة المستشار كيسنغر : فمئذ ربيع ١٩٦٧ ، لم يرفض اتصالات غير مباشرة مع رئيس حكومة المانيا الأخرى ، فيلي شتوف . وهذه مرحلة جديدة على طريق ربما يؤدي إلى الاتحاد ( الكونفدراسيون ) الألماني . وفوق ذلك ، أبرم اتفاق لعقد علاقات دبلوماسية مع رومانيا ، وهذا ما حصل في ١٩٦٧ ، ومع يوغوسلافيا .

ولكن اتفاقات ١٩٤٥ بقيت ، واحتس موقعوها دوماً من أن يحفظوا عنها علامة مشخصة بالابقاء في برلين على الشكليات البروتوكولية التي تصعد إلى أزمة « التقسيم الرباعي » النشط . إن علاقات الجمهورية الاتحادية ( الفدرالية ) مع حلفائها هي في الحقيقة غامضة . وهؤلاء الحلفاء الحماة والرفقاء هم الذين يتصرفون أخيراً بتنظيم التطور الألماني .

وحبال الولايات المتحدة ، كانت الحماة قاعدة في عهد اديناور ، وأكثر

من ذلك أيضاً في عهد المستشار ارهارد ، ولكنها فقدت كثيراً من شدتها . وشيئاً فشيئاً بدا أن بون قبلت الفكرة الفرنسية في أن ضمانات المساعدة الاميركية ربما لا تلعب دورها في وقت الخطر . ومن جهة أخرى ، تحولت العلاقات البشرية . ولكن القوة الاميركية لا تتحدى بسهولة ، وما فتئت بون تحشى من أن تعمل تسوية شرقية - غربية على حسابها . وعدا عن وجود الرساميل في الصناعة الألمانية ، كانت واشنطنون تتصرف بهذه الرساميل كوسيلة ضغط ضمنية لن تفقد نفاذها زمناً طويلاً .

وحيال فرنسا ، ان معاهدة التحالف عام ١٩٦٣ لم يكن منها إلا أن أيدت تقارباً كانت بوارده سابقة لوصول الجنرال دوغول إلى السلطة . ولقد نظر إلى باريس باستياء عندما ارتدت وخرجت من القيادة الاطلسية وتقربت من الشرق . ولكن فات الوقت الذي كانت فيه بون تتسائل دون نهاية عن نقطة معرنة ما إذا كان ينبغي الاختيار بين صديقها . وكان السؤال غير مجدي . لأنه لا يوجد اختيار ممكن ، حتى ولا اختيار يرتجى من هؤلاء الأصدقاء .

لأن كليهما يقومان حيال بون بدور مغاير . ان الجيوش الاميركية ( نحو ٣٠٠.٠٠٠ رجل ) تحمي أرض الجمهورية الاتحادية باسم منظمة معاهدة حلف شمالي الاطلسي ، بينما الجيوش الفرنسية ظلت مقيمة فيها بعد انسحابها من هذه المنظمة اثر اتفاق ثنائي في كانون الأول ١٩٦٦ . وقد عرضت فرنسا زميلاً دبلوماسياً في داخل أوربة الست كما عرضت في الوقت نفسه كاشفاً لمنظورات ( آفاق ) يمكن أن تفتح في الشرق .

وإذا كان جيش الاتحاد بـ ٤٠٠.٠٠٠ رجل ، وتجهيزاته الحديثة واسلحته الذرية ، التي يملك الاميركيون « مفتاحها » ، يؤلف أساس القوى المربطة في المانيا ، فقد ردت الجيوش الأجنبية الأخرى إلى شيء



قليل : يكاد يوجد ٥٠٠٠٠ بريطاني ، وبضعة الوف بلجيكي ، ونحو ١٠٠٠٠ كندي . ان محتلي ١٩٤٥ ظلوا حتى ١٩٥٥ . ومنذ هذا التاريخ ، أصبحوا رفقاء سلاح ، وغادرت الجنود المرابطة مناطق الاحتلال القديمة . وكان هذا الوجود الطبيعي ضرورياً ليعادل القوى السوفياتية التي ظلت في المانيا الشرقية . لأن كل مجاهدة بين القوى الألمانية المتنازعة يؤدي إلى دخول الجيوش الأجنبية في النزاع ، والحرب العالمية . وأخيراً هذا هو معنى الوجود في نظام لم يعرف معادلاً ، ويبدو أن ليس له نهاية يمكن تصورها . إلا ان حياد المانيا وحده يمكن أن يضع له حداً . ولكن من يفكر فيه يجد ؟

فوائد الدوام . - ولكن المانيا الغربية والشرقية ، في هذا النطاق الدولي ، الذي يشدهما بقوة ، وجدتا ، على الأقل ، مع الزمن ، ضمانات لل عمران السياسي والمعنوي والاقتصادي .

فبالنسبة للجمهورية الاتحادية ، انطوت مرحلة كبرى عندما استلم السلطة كورت - جروج - كيسنغر ، في كانون الأول ١٩٦٦ ، على رأس ائتلاف الديمقراطيين - المسيحيين والاشتراكيين . ف منذ ١٩٤٩ ، حتى ذلك الحين ، حكم اديناور ولودفيغ ارهارد ، ابتداءً من ١٦ تشرين الأول ١٩٦٣ ، مضيفين الى حزبها ، الاتحاد الديمقراطي - المسيحي ، تحالف الحزب الليبرالي الصغير ، وكان جلياً أن كونراد اديناور ، منذ ١٩٦١ ، لم يكن بالرجل الذي تطالب به قضايا المانيا في النصف الثاني من القرن العشرين . ولكن الموازنة التي اقيمت عند وفاته ، في ربيع ١٩٦٧ ، كانت ايجابية بشكل واسع : فهو لم يوطد من جديد دولة مستقرة مع كثير من الفطنة والتعقل والحنكة فحسب ، بل إنه اعاد الثقة الى كلام بلاده بدجها بقديم راسخة وبحرية في أوربة . ان صورة شعبه وبلاده ، وردود الفعل

التقليدية من الأجني أمامها تحولت بصورة جذرية . وكان الموكب  
الجنائزي للمستشار العجوز في كاندراية كولونيا يؤلف احتراماً لم تراه ألمانيا  
منذ دفن ملوك بروسيا .

من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٥ حصل حزبه ، الاتحاد الديمقراطي المسيحي  
حليف الاشتراكيين - المسيحيين البافاريين ، على اكثرية أصوات الناخبين ،  
حسب منحى صاعد يتبع بشكل وثيق استعادة الجمهورية الاتحادية  
استقلالها الذاتي : ٣١ ٪ في ١٩٤٩ ، ٤٥٢ ٪ في ١٩٥٣ ، ٥٠٢ ٪ في  
١٩٥٧ ، ٤٥٣ ٪ في ١٩٦١ ، ٤٧٦ ٪ في ١٩٦٥ .

اما المعارضة الاجتماعية - الديمقراطية فقد انطلقت من ٢٩٢ ٪ في  
١٩٤٩ ، وانتقلت الى ٢٨٨ ٪ في ١٩٥٣ ، ٣١٨ ٪ في ١٩٥٧ ،  
٣٩٢ ٪ في ١٩٦١ ، ٣٩٣ ٪ في ١٩٦٥ .  
وتراوح الحزب الليبرالي من ٧٧ ٪ في ١٩٤٩ ، الى ١٢٨ ٪ في  
١٩٦١ ليعود منها الى ٩٥ ٪ في ١٩٦٥ .

وهذه التغيرات النسبية تحدد جيداً صورة المجتمع الألماني ، المدفوع  
بدوافع اقتصادية واجتماعية اكثر منها سياسية . لقد أصبح الاتحاد  
الديموقراطي المسيحي الحزب المستقطب للطبقات الوسطى والصناعة الكبرى ،  
منذ أن صبا في ١٩٤٨ وترك البوادر « اليسارية » التي كان عليها جناحه  
في دوسلدورف ، عندما أراد ان تسيطر فيه المسيحية الاجتماعية . لقد كان  
حزب الحيلة اكثر من المحافظة ، وباعتباره حزب الاصلاح ، تقدم  
كملاجا طبعي لكل من كانوا يجتازون الرايخ الثالث متكيفين ، ليعيشوا ،  
مع حلول تسويات لا يمكن اجتنابها . ولم تنتابهم الاضطرابات العقائدية :  
فقد كان يجب قبل كل شيء انقاذ ما بقي من تقاليد الطبقة البورجوازية  
والفضائل المنزلية ، ونظام التسلسل الطبيعي التي اقترح المستشار اديناور

تجسيدها الحي . وخلفه سعدت اجيال دون ماضي سيامي وافادها الاتحاد الديموقراطي المسيحي كوسيلة شريطة أن يكون عندها من الصبر ما يجعلها تحترم التشريعات .

وهكذا لزم ما يقارب الخمسة عشر عاماً حتى ترك المستشار العجوز المكان لمن هم اصغر منه : شرودير ، وكان وزيراً منذ ١٩٥٣ ، ولكنه ظل تحت الوصاية ولم يجد ولا شك الا في ١٩٦٦ ، بحقيبة وزارة الدفاع ، وسيلة اطاحه المستقبل ؛ وغوستاير ، الذي ظل في دور رئيس البرلمان ؛ وكيسنغر الذي لم يتردد في ترك بون ليتأس حكومة فرتامبرغ - باد . وهذا الرهن الذين خاطر به رجحه في اليوم الذي استدعي فيه لاستلام المستشارية .

اما الحزب الاشتراكي نفسه فلم ينم زبائنه الا ابتداءً من يوم مؤتمر ١٩٥٩ الذي لم يتردد فيه بترك الارذثوكسية الماركسية التي كانت ترتبط بالنسبة لكثير من الناحيين ، على الأقل اسمياً ، بنظام المانيا الشرقية . وكف عن أن يكون حزباً للعمال ، وسمى نفسه « حزب الشعب » ، وهذه التسمية غامضة لتجذب البورجوازية الصغيرة ، « الطبقة الكادحة في الياقة البيضاء » ، القلقة من اظهار انها كانت تشارك في التطور العام نحو الاصلاحات المعقولة التي يحافظ فيها المشروع الخاص على اليد العليا . وهو يضم عقولاً سياسية ممتازة ، مثل فويتز اولر ، كارلو شميد ، وقد دمروا مواهبهم وآمالهم في انتظار لم ينته الا في ١٩٦٦ عندما أتت أخيراً الاجتماعية - الديموقراطية ، بتوجيه فيلي براندت ، عمدة برلين ، واشتركت في السلطة .

البنيات والقضايا . - لقد تركت نهاية عصر اديناور - ارهارد

فضايا مفتوحة ، وهي جزئياً قضايا يضعها الازدهار ، وجزئياً قضايا يثيرها الجدل في مطالب مبدأ وحقائق نظام موقت أصبح دائماً .

القضايا السياسية ؟ بعضها خاص بجميع الديمقراطيات : مثل الأهمية التي يأخذها كبار الموظفين ، وزعماء المشاريع الاقتصادية والأمناء العامون للأحزاب ، وتكون هذه النخبة . ، اجمالاً ، من الشخصيات غير المنتخبة بالتصويت العام ، ولكنها تمسك في الواقع بحقيقة سلطات القرار السياسي . ومعظم العمل البرلماني في بون يسرى في اللجان التي تكون أكثر حساساً بالضغوط الخارجية أو بمعنى النفاذ والتأثير .

إن الصفة الوسطى للـ ٤٩٦ نائباً لم تعط لمناقشات مجلس البندستاغ الوضع والاندفاع اللذين كان يحلم بهما واضعو القانون الأساسي عام ١٩٤٩ الذي أفاد كنص دستوري . ان الطابع الذي فرضه بحزم المستشار أديناور ترك أثره في عادات العمل والفكر . فعندما يقبض زعماء الأحزاب في الوقت نفسه على السلطة ، كما هي الحال بالنسبة الى كينغزور وبرانديت ، لا يكون اشراف الأحزاب البرلمانية على السلطة التنفيذية أكثر من فضيلة مهمة .

وفوق ذلك ، بعثت الطبقة السياسية الألمانية طاقاتها ومواهبها في برلمانات الدول العشر التي تؤلف الجمهورية الاتحادية . وأكثر من ذلك ، ان هذه الدول مدينة بوجودها الى ارادة المحتلين في ١٩٤٥ أكثر منها الى التقليد التاريخي ؛ وخارجاً عن بافاريا ، التي تحافظ على اسمها : « دولة حرة » وعلى حدودها لعام ١٨٠٦ ( عدا بالاتينا ) ، فإن هذه الدول صنعت من اجزاء من كيانات قديمة كانت في السابق ذات سيادة . وحكوماتها التي تعينها المجالس المنتخبة ، تتمتع بسلطات غير قابلة للإهمال في مضمار التشريع ، والشؤون الثقافية والمدرسية . ويثير توزيع الموارد

المالية بين الدول والاتحاد ( فدراسيون ) منازعات دائمة . وبون هاجزة عن تعويض كفاءات مركزية لم يقبل بها « القانون » الأسامي ويبرها تسيير دولة حديثة . لأن البندمرات ( المجلس الاتحادي ) الذي يلعب دور المجلس الأعلى ، مجلس العقلاء ، يضم رؤساء الدول - الوزراء الذين يكونون غير مهينين حقاً لأن يضمنوا موافقتهم على اصلاح دستوري يخرج دورهم متصاغراً .

أما رئيس الجمهورية فهو محدود في سلطاته بعناية لئلا تسول له نفسه باعادة تجارب الماريشال فون هندنبورغ في عهد جمهورية فيمار ، ولذا فليس له من نفوذ حقيقي إلا بما يتسامح به المستشار . ومع ذلك ، فان البروفسور تيودور هويس ، أول من حمل اللقب ، من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٩ عرف كيف يعرف السلطة المعنوية من النوع العظيم . وجسد خلفه هينريك لوبكه بأفضل منه حقاً شكلاً من الروح صان به التقاليد التي أفادت كدعامة قوية للمجتمع الرخاء .

وظهر خطر ان يهددان هذا المجتمع والاستقرار الذي هو مصدره . واحد هذين الخطرين سيامي وقد نجم عن ياس العاطفة القومية : فقد رأت الأجيال الفتية البريئة من الدكتاتورية القومية - الاشتراكية والحرب ان الاتجاه الذي اعطاه المستشار آديناور لم يخلص البتة المانيا من الارتباطات والرصايات الدولية . وان المنظورات المفتوحة بالدمج الاقتصادي والسيامي في اوروبا الست قد اتمحت شيئاً فشيئاً . لقد شعر الألمان انهم كانوا رهناً ، واوراق لعب في لعبة لا يوجهونها . وقد عبر بعضهم عن ثورتهم باعطاء اصواتهم لممثلي اقصى اليمين الذي كان يحركه النازيون القداماء جزئياً . ومن كانوا منهم يحنون الى العهد السابق اختلطوا بمثلي حالة الرأي الجدد « الحاقدين » الذين ساهموا كثيراً في خلل جمهورية فيمار . ولكن اكثرية الناخبين ومعظم الرجال السياسيين في بون ، الاكثرفاء

في الظاهر ، تطوروا ببطء في البحث عن وسائل الدفاع عن المصالح النوعية الألمانية . وارتسمت قومية حديثة ، كرد فعل ضد تمييز الجمهورية الاتحادية . ورأت واشنطن وموسكو ان تهرما على حسابها معاهدة في عدم تبذير الأسلحة النووية . ولم تترك باريس بتعهدات معاهدة التعاون المؤرخة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ وعاملت الجمهورية الاتحادية معاملة حليف غير متوقع . فعلى أي الآفاق ينفتح المستقبل ؟ ما من أحد يعد بالسيادة الحقيقية الأصلية . وخيبة الصداقة تخاطر غداً باعطاء صورة اخفاق لسياسة المستشار اديناور ، التي كانت مع ذلك نجاحاً حقيقياً .

والخطر الآخر اقتصادي : « إن المعجزة الألمانية » التي كانت البروفسور ارهارد اسبينها ، بله العامل الألماني الصانع الثابت والشجاع ، اصطدمت بنجاحها نفسه . لأن الاقتصاد ، الذي كان مضطراً دوماً الى التوسع ، والى فتح اسواق خارجية ، واصبح على أسسه القديمة ، انفتح فيما بعد على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية وبخاصة الاميركية ، وقاعدة الحرية التامة لم تحفظه تماماً من الازمات التي يمكن التنبؤ بها مع ذلك . فقد طرأ التدهور والبطالة على مقياس متواضع جداً . ولا شيء اليوم يدعنا نتنبأ باضطراب ظروف الحياة ، ولا بالحركات العميقة التي تتضافر على الآراء المتطرفة في السياسة . ان حكومة الائتلاف الكبير حددت عملها بوضع تخطيط واشراف على الاقتصاد لم يكونا يمكنين فنياً في وزارة فيمار .

وهذا الاسناد نفسه يعود غالباً الى تفكير المفسرين والرجال السياسيين الألمان . فلماضي يغمهم ويسيطر عليهم . اما لأنه يقدم صورة التنبؤات الصحية والسهلة التي كان عليها الريخ الثاني ، الذي كانت متانته وبقينه مثلاً اعلى واعياً لبناء الجمهورية الاتحادية المهتمين بتواجد النظام الاجتماعي ومفهومهم العاقل للنظام الطبيعي ؛ واما لأنه يذكر بالأممي التي أدت عبر

نظام فيمار الى وصول هتلر الى السلطة . فلا شيء يعيد نفسه ولا شيء ينيء بكتائب جديدة رمادية تعلن يوماً ما بعث أساطير الدم والعرق عبر مدن المانيا الغربية .

ومهما تكن فكرة المانيا غير دقيقة وواضحة جداً فهي حقيقة واقعية . فقد تمت في الشرق دولة شيوعية شادت صناعة واقتصاداً ومجتمعاً وحقت نجاحات لا سبيل لنكرانها . وقامت فيها اجيال ناشئة مناضلة مقام الشيوعيين الشيوخ الباقين من ثورات ١٩١٩ . وفالتر اولبرخت هو أحد الأواخر الذين يمثلون تقليدهم . ان وجوده في المركز الواقعي للسلطة كأمين عام للحزب الاشتراكي الموحد يكبح بعض التطورات . وربما يفتح زواله لألمانيا ، لألمانيا الشرقية والغربية ، ابواب المستقبل الذي تنتظرانه دون تمييزه .

المانيا في اوروبا الست<sup>(١)</sup> . - هناك قضية خطيرة توضع لأوروبا الست وهي : كيف يتبدل توازنها في اليوم الذي تشد المانيا الشرقية والغربية الأواصر بين اقتصاديهما ؟ ان هذه الفرضية ليست غريبة في شيء . ان مقارنة ارقام الانتاج الصناعي تدل دون نزاع ، ودون دخول بريطانيا - العظمى في الوحدة الأوروبية ، على أن التفوق الألماني في الحياة الاقتصادية للقارة سيكون ساحقاً . وفوق ذلك ، اذا عارضت الحكومة الانكليزية وحدها كل دمج سياسي ، فان هذا الدمج وحده قادر على وضع الاقتصاد في خدمة الوحدة كافة وعلى تجنب صدام المطامع القومية في وحدة صنعت ببساطة من أمم صفت ووضع بعضها الى جانب بعض . وفي آخر ١٩٦٦ ، أخذت الجمهورية الاتحادية في اوروبا الست مكانها في الصف الأول كما تبرهن على ذلك ارقام لوائحها الاقتصادية .

---

(١) دول اوروبا الست هي : فرنسا ، الجمهورية الاتحادية الألمانية ، إيطاليا ، البينيلوكس : بلجيكا ، هولندا ، لوكسمبورغ .

## الفصل الخامس

### إيطاليا

إن تاريخ ٨ أيار ١٩٤٥ يحسب لإيطاليا أقل مما يحسب لجيرانها ، لأن منظور ما بعد الحرب ، بوادر الجمهورية ، والدخول ثانية بلء الحق في اتجاهات الفكر والارادة السياسية التي توجه دول اوروبا الغربية قد ارتسمت بشكل سابق للهدنة ضد المانيا . إن ما بعد الحرب في ايطاليا يمكن أن يصعد إلى اضرابات العمال الكبرى التي انفجرت في تورينو ، في ٥ آذار ١٩٤٣ ، وغطت بعد ذلك المنطقة الصناعية كلها في شمال البلاد . ففي واقع ذلك الحين ، ظهرت في وضع النهار الحياة التحتية لمعارضة لم تقض عليها عشرون عاماً من الحكم الفاشي ؛ ولذا فان ايطاليا المعاصرة لا توضح إذا قطعناها عن أصولها السرية والمقاومة .

لقد انضجت الحرب إلى جانب المانيا أمارات الانفصال بسرعة عن الفاشية . فقد تابع الجنود الايطاليون دون حماسة أوامر النفي ، التجنيد ، ودون اندفاع قومي ووطني مالبث في آخر ( ١٩١٧ ) أن أثار على نهر البياف مقاومة شديدة ضد التهديد النمساوي . لقد عومل الجيش الايطالي معاملة حليف من المنطقة الثانية وجر إلى ميادين قتال بعيدة ، وضعت به القيادة الألمانية في روسيا بخاصة : ولذا لم يقامها الدواعي السياسية لحرب أخذت شيئاً فشيئاً شكل مشروع يدعمه الحزب الفاشي وحده . وهذا الاعياء ، الذي تغذيه عاطفة عنيدة مناوئة للجرمان ، والذي أفاد غالباً



كدافع لمناضلي أحزاب اليسار السرية ، كان شرطاً اولياً للارتدادات الكبرى في عام ١٩٤٣ .

دفع الأحزاب السرية . - في الأيام الأخيرة من عام ١٩٤٢ ارتبطت الاتصالات الاولى بين زعماء الأحزاب السرية التالية :

١ - الشيوعية التي صانت جزئياً تنظيمها ، معتمدة على المراكز الواقعة في البلاد الأجنبية ، وبخاصة في فرنسا .

٢ - الاشتراكية ، وكانت أغنى بالرؤوس الموجهة منها بالمناضلين ، ولكن تقليدها القديم ، ويعود لحسين عاماً ، مازال يوقظ اصداًء في كتلة العمال .

٣ - الكاثوليكية ، واثرة حزب الشعب عام ١٩١٩ ، التي ادينّت جزئياً باللعون الذي قدمه بعضها الى الفاشية ، ولكنها صيئت بالاستقلال الشديد عند بعض زعمائها ، مثل آلسيد دو غاسبييري ، وبالحظ الذي تمثله قوة العمل الكاثوليكي العظيمة .

٤ - وأخيراً ، الأحرار ، وكانوا غير منظمين ، ولكنهم متجمعون حول شخصيات وجمية مثل بينيدتو كروتشه الفيلسوف ، ولويجي آينودي ، الاقتصادي . وهم أقوياء بخاصة لأنهم الوحيدون الذين يصغي الملك اليهم .

٥ - حزب العمل ، والى هذه الأحزاب ، التي ظهرت في السنوات السابقة لوصول الفاشية الى الحكم ، يضاف حزب آخر ، مات في ١٩٤٧ ، ولكن تأثيره الفكري وتوجيهه مازالاً يميزن اليوم : وهو حزب العمل الناجم عن حركة العدالة والحرية التي أنشأها كادلو دوسيللي في عام ١٩٢٩ . فقد كان هذا الحزب يفضل الجمع بين الاشتراكية غير الماركسية ومطالب الحرية ، والاصلاح العميق للنظم ( المؤسسات ) والغاء الملكية .

وقد جعل التجديد والمطالبة بالحرية الفردية والاهتمام بجمع العقائديات ( الايديولوجيات ) غير المتجانسة تماماً من حزب العمل محلاً لبث التشكيلات السرية . واقترح على المفكرين والتقنيين ( الفنيين ) ، الذين ينسوا من الفاشية ، حلاً ناجعاً لاصلاح الدولة . وكان يجسد دوماً رغبة حاضرة ، ما زالت موجودة الى اليوم في الحزب الاشتراكي ، وهي التخلي عن النظريات العقائدية ليجد في العمل السياسي وسائل عمل عميق .

ومقابل هذه الأحزاب السرية ، المنحلة منذ ١٩٢٦ ، ولكنها حية ، يوجد « الحزب القومي الفاشي » ، وهو حزب وحيد ويتصرف بالسلطة وبقوته العسكرية الخاصة . هذا ولما كان كل نمرد مستبغداً ، فان انصار الفاشية لا يمكن أن يأتي إلا بقلب الميكانيكيات الدستورية التي رفعتها إلى السلطة ؛ وبالأجمال ، بقيام انقلاب يدبره الملك . وهذه الأحزاب المتعارضة ، بشأن مقدرات المجتمع الايطالي في المستقبل ، التقت على التدابير التعبوية الاولى التي يجب تبنيها .

ولاقى ضغط هذه الأحزاب غير المباشر ، المنضم الى ضغط حاشية الملك وعمل الفاتكان ، حلفاء في قلب المجلس الفاشي الأكبر . وعجلت حوادث الحرب بالأمر : ففي ١٠ تموز ١٩٤٣ ، نزل الانغلو - اميركيون في صقلية ؛ وفي ١٩ تموز ضرب الطيران الامريكي روما بالقنابل ، ونزعت الأركان العامة تماماً إلى فكرة الخروج من الحرب التي قامت بها إلى جانب الألمان . وأعطيت ضربة الوقوف في شروط مريحة بشكل عجيب . وفي ٢٥ تموز ١٩٤٣ صوت المجلس الفاشي الأكبر على جدول أعمال ينزع الثقة من موسوليني ، وأمر الملك بتوقيفه بعد الظهور . وشكل الجنرال بادوليو حكومة جديدة من كبار الموظفين ، وبأمر اتصالاته الاولى مع الحلفاء ، ووقع في ٨ ايلول هدنة ، وبعد خمسة أيام احتل

الالمان روما واصطدموا بمقاومة محلية من عناصر الجيش والشعب . وغادر الملك والحكومة العاصمة وذهبوا الى برنديزي دون أن يكون هنالك حل لمتابعة الممارسة الشرعية للسلطة على الأرض الإيطالية .

من المقاومة الى الاعتدال . - لقد شعرت الأحزاب انها خدعت بالنتائج التي استخلصها الملك من ذهاب موسوليني . فمن يستفيد من ذلك ؟ الجيش والطبقة الموجهة اللذان في الواقع أقاما الفاشية . ولم تلفظ القطيعة مع المانيا بوضوح أو مباشرة ، وما زالت الملكية في لبس كامل . أما أنصار الثورة الاجتماعية والثورة على النظم فرأوا أنفسهم وقد لعب عليهم الملك ، بل وحلفاؤهم الشيوعيون انفسهم المرنون جداً في تعريف الغايات واستعمال الوسائل .

وحال تطور الحرب دون توسع هذا النقاش . لأن إيطاليا قسمت توأ الى قسمين بجهة تذهب من غارييليانو الى بסקارا حيث ظلت قوى الحلفاء معسكرة حتى أيار ١٩٤٤ . وفي جنوبي هذا الخط انتقلت الحكومة الشرعية من برنديزي الى سالرنو ، برئاسة بادوليو ، وأخذت تحكم وتوجه ، أمام معارضة الأحزاب المنقسمة على وسائل انقاذ الملكية . غير أن مؤتمراً للأحزاب عقد في باري وطالب ، في كانون الثاني ١٩٤٤ ، بتنازل الملك فيكتور عمانوئيل عن العرش والدعوة لمجلس تأسيسى بعد نهاية الحرب مباشرة .

وفي شمال الجبهة ، في منطقة الاحتلال الألماني كلها ، نمت المقاومة المسلحة بطرق مختلفة . ففي سهل البو حشدت حرب الانصار ، التي تحركها لجان التحرير القومي ، طبقات الشعب كلها وبشكل واسع . وكان القمع فظيماً . ورافقت المقاومة ضد المحتل الحرب الأهلية ضد

العناصر الموالية للجمهورية الاجتماعية الإيطالية التي أحسها موسوليني . وحتى نيسان ١٩٤٥ ظلت إيطاليا الشمالية مسرحاً للعمليات .

ولكن إلى أي شيء يجب أن تؤدي المقاومة ؟ إلى الثورة ؟ إلى الإصلاحات ؟ إلى ارجاع البنيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القديمة ؟ لقد كان هذا التساؤل في إيطاليا كما في فرنسا أساس المناقشات . غير أن التنسيق العسكري بين الفئات المسلحة المختلفة الأصل قد تحقق ، فضلاً عن أنه عبر عن الانعكاس العام في ترجيح التدخل الايطالي النشط في الحرب ، ضد وجهات نظر الحلفاء . وظل التعاون السياسي معلقاً .

وفي حزيران ١٩٤٤ حررت جيوش الحلفاء روما ، واستقرت الحكومة الجديدة فيها برئاسة رجل يرجع إلى ما قبل الفاشية وهو الاشتراكي بونومي . وبضربة غير منتظرة جعل الحزب الشيوعي نفسه منقذاً للملكية والنظم . وعاد زعيمه تولياني من الاتحاد السوفياتي ، في نيسان ١٩٤٤ - في نفس الوقت الذي أعطى فيه الاتحاد السوفياتي اعترافه الدبلوماسي بالدولة الإيطالية ، وباغت بذلك الانغلو - اميركيين - وامتدح تشكيل حكومة اتحاد قومي وتأجيل مشكلة الملكية إلى ما بعد الحرب . وقبل الملك هذا الخرج وتعهد بتسليم سلطاته إلى ابنه همبرت ، الذي أصبح نائباً عاماً للمملكة بعد تحرير روما ، وبامتناء الشعب باحتفاء ( ريفراندوم ) .

والدرة الثانية في التاريخ الحديث أفاد أخذ روما في بلورة رجعة الوحدة الإيطالية . وصان وجود البابا بيوس الثاني عشر العاصمة وكفل نظاماً متجداً بالطبع بالنظام الذي مثله الملكية . وعاش الجنوب والشمال ، في نيسان ١٩٤٥ تجارب حرب مختلفة جذرياً عززت اختلافاتها الطبيعية . وأعلن بيترو فييتي الزعيم الاشتراكي القديم ، ورفيق موسوليني في صباه في رومانيو ، بأن «ريح الشمال ستجلب التجديد ، بإزالة كل مقاومة ،

في إيطاليا بعد أن أصبحت حرة . وجرت « ربيع الشمال هذه » منذ ذلك الحين في اللغة السياسية الإيطالية . وهذا هو مفعولها الوحيد .

لأن وجود الجيوش الحليفة ، وتأثير الكابج الذي مارسه بالطبع إدارة مفرطة عاشت بالضرورة بعد الفاشية ، والتدخل المباشر للبابا لدى الاكليروس والكاثوليك الإيطاليين لعبت دورها ضد أي فوضى واضطراب عنيف .

من حزيران إلى كانون الأول ١٩٤٥ حكم فيروتشيو باري ، ممثل حزب العمل ، بلداً كان فريسة المجاعة والتضخم النقدي والفوضى ، وخلفه آلسيد دوغاسيري زعيم الحزب الديمقراطي - المسيحي الجديد .

وظل غاسيري ثمانية أعوام في السلطة رسخ بصلابة الاكثوية الوسطى التي لم تعوض منذ ذلك الحين . إن جميع التغيرات الظاهرية في آداب وتوازن الأحزاب فقدت معناها الحقيقي . لأن انحلال الظاهر في تلاعب السياسة الإيطالية كان يخفي في الغالب الأعم دوام حقيقة واقعية شاد كافور سلطته عليها : وهي « الكونويو » ، أي اتحاد الوسط الأيمن والوسط الأيسر . أما العناصر الثورية للمقاومة فمن الواضح أنها كانت تحكم بشيء آخر . ولكن الحزب ، الذي دل عليه ، في ساليرنو ، بالميرو تولياتي ، ذهب إلى أبعد من مكيدة ( حيلة ) تعبوية بسيطة : فقد شوهد بعد قليل ان الاختيار الموقت للشعار : « الوحدة القومية » قد أدى إلى قبول وسائل برلمانية للسير نحو الثورة .

وهكذا كان في فرنسا الاختيار الذي فرضه موريس توريز . فهو لم يوفر العزلة على الحزب الشيوعي الفرنسي .

أما في إيطاليا فقد جعل الحزب الشيوعي منه مبدأ « الطريق الايطالي نحو الاشتراكية » . ونظراً لاضطراره إلى المعارضة البرلمانية كان في الواقع يندمج تماماً في بنيات النظام كلها . كما أن تضامناً دور المنفى أو المقاومة أبقى روابط الصداقة حية فحال دون معارضة مطلقة .

استقوار الجمهورية . - وعندما أخذ آلسيد دو غاسبري على عاتقه عبء رئاسة مجلس الوزراء ، في ١٠ كانون الأول ١٩٤٥ ، كان الاتحاد يعيش أشهره الأخيرة . وقد أخذ إلى جانبه بيترو نيتي نيابة - رئاسة مجلس الوزراء ، وبالبيرو تولياني حقية العدلية ، وكانت هذه المهمة ، في ذلك العهد من التطهير ، تسمح للحزب الشيوعي بأن يؤمن لنفسه ، باللين أو بالشدّة ، بمراقبة الفاشيين القدامى . وكذلك أسهمت الأحزاب الأخرى المناوئة للفاشية في الحكومة .

وفي بداية أيار ١٩٤٦ تنازل فيكتور - عمانوئيل الثالث عن العرش لصالح ابنه همبرت الثاني ، « ملك أيار » . وفي الواقع ألغى استفتاء ٢ حزيران الملكية بأكثرية مليوني صوت . وغادر الملك قصر « الكويرينال » ، دون أن يتنازل رسمياً وصراحة وترك بلداً برهنت فيه هذه القضية الدستورية مرة أخرى على الانقسام العميق : لقد كانت الاكثريات لصالح الملكية في الجنوب وفي الجزر ؛ وصوت الوسط والشمال للجمهورية . وبحرية اختار الناخبون ، في الوقت نفسه ، ولأول مرة منذ خمس وعشرين عاماً ، ممثلهم في المجلس التأسيسي : ٢٩٧ ديمقراطياً - مسيحياً ، ١١٥ اشتراكياً ، ١٠٤ شيوعيين ، ٢٣ جمهورياً ، ١٩ حراً ليبرالياً . أما الأحزاب الحديثة الصغيرة ، مثل حزب العمل ، فقد كسبته المروحة البرلمانية .

ولكن ، في الفترة التشريعية ، ظهرت في الجنوب « جبهة الرجل

العادي ، وهي تشكيل احتجاجي على « نظام الأحزاب » وسيطرة التأثيرات الشمالية وطموحها الثوري .

وتم تأثير الاكثرية أخيراً بين كتل ثلاثة أحزاب ، ظلت نسبها المثوية في التصويت منذ ذلك الحين في توازن نسبي ثابت تقريباً ، كما تدل على ذلك أرقام الانتخابات منذ ١٩٤٦ .

ومن هذه المعطيات تخرج الخطوط الموجهة وامكانيات المناورة في السياسة الداخلية الابطالية :

- لم تستطع أحزاب اليسار بمجموعها ولا الديقراطية - المسيحية أن تحكم وحدها .

- الديقراطية - المسيحية محور كل أكترية وهي التي تشكل الحكومات دوماً .

- تستطيع الديقراطية - المسيحية أن تبحث عن ١٢ إلى ١٥٪ من الأصوات التي تنقصها في كتل ال ٢٥٪ من النواب المنتخبين إلى التشكيلات الصغرى : الاشتراكيون - الديقراطيون والجمهوريون على يسارها ، والأحرار والملكيون على يمينها .

وأخيراً ، تستطيع الديقراطية - المسيحية أن تفصل الاشتراكيين عن الشيوعيين .

ولقد تمت محاولة جميع العمليات بين ١٩٤٧ و ١٩٦٣ ، التاريخ الذي تدخل فيه تآليف الأكترية التي تسمى « الوسط الایسر » الذي يذهب من الجناح الأيسر للحزب الاشتراكي الى الجناح الأيمن للديقراطية - المسيحية ، شاملاً الاشتراكيين - الديقراطيين والجمهوريين . وقد برهنت التجربة المكتسبة على أنه لا توجد صيغة غيرها قابلة للحياة منذ الآن فصاعداً ، عدا فوضى المهينة الانتخابية .

الوسط الأيسر وتوتراته الداخلية . - لقد ظهر دوماً أن الديمقراطية المسيحية تمارس دور التحكم ، حسب الجهة التي تحمل كتلتها عليها . ولكن الحزب الاشتراكي ، المأخوذ بين الشيوعيين والكتوليك ، لم يكن أقل منها دفعاً وقطعية . فما دام وفيّاً لدستور الجهة الشعبية ، وما دام بيترو نينّي يتخذ ميثاق وحدة العمل مع الشيوعيين مرجعاً لكل اختياراته فقد أجبر الديمقراطية المسيحية على الاعتماد على يمينه أو على يساره الاشتراكي - الديمقراطي المعادي جداً للشيوعية . ومنذ اليوم الذي بدأ فيه بيترو نينّي ، ابتداءً من ١٩٥٣ ، وتواجداً مع أفول نجم آلسيد دو غاسييري ، بالكلام عن « الاختيار الاشتراكي » ، وبطرح شعار دكتانورية الطبقة الكادحة رسمياً وعلناً ، وباطراء الاستقلال الذاتي ، أثار برد الفعل ، في الديمقراطية المسيحية ، ميولاً ملأته نحو « الانفتاح على اليسار » ، أي بالتعاون مع الاشتراكيين .

وفيما وراء الطرق الآنية ، فإن هذه التطورات تغير بوضوح في ملامح الحركات الكبرى للسياسة الدولية .

وكانت على الجمهورية الإيطالية ، منذ ولادتها ، أن تتحمل نتائج السياسة الفاشية والحرب : وبالرغم من الكفاح الذي قام به دو غاسييري وبونومي ، وساراغات ، فإن معاهدة السلام الموقعة في باريس ، في ١٠ شباط ١٩٤٧ ، أجبرت إيطاليا على التخلي عن ممتلكاتها الأفريقية ؛ ومن البديهي أن يسري ذلك على الحبشة ( إيثيوبيا ) ، أما ليبيا والارتيريا والصومال فقد فتحت بين ١٨٨٩ و ١٩١٢ . وجرحت القومية الإيطالية كثيراً بجعل تريبستا أرضاً حرة . وفي ١٩٥٤ ثبتت اتفاقات لندن « الوضع الراهن » : وهو أن نحافظ إيطاليا على المنطقة آ ، ويوغوسلافيا على المنطقة ب ، التي تحتلها من قبل . ومن الوجهة النظرية



لم تتخل إيطاليا عن المطالبة بالمنطقة ب . أما في الواقع ، فإن الاتفاقية الموقّعة التي صيغت في لندن فقد أصبحت قطعية ، وبدأت روما وبلغراد بسرعة سياسة تقارب أدت إلى تعاون وثيق وودي .

وتدخلت بعض تعديلات في الحدود لصالح فرنسا في شعب سان - برنار الصغير في جبل مونسيني ، وفي شابرنون وفي وديان : التينيه وفيزوي ولا رويلا . وادخل في معاهدة السلام اتفاق غاسبري - غروبر ، في ٦ نيسان ١٩٤٦ ، على المساواة في الحقوق بين المواطنين الإيطاليين والناطقين بالجرمانية في منطقة نهر الأديج الأعلى . ومالبت الحكومات النمساوية المتعاقبة أن تازعت تطبيقه . ولما ضغطت عليها الاستردادية التيرولية أخذت على روما سلوكها السياسية الإيطالية الاجبارية .

وفي البحر المتوسط أرجعت إيطاليا إلى اليونان جزر الدوديكانيز واعترفت باستقلال البانيا التام .

وحددت بنود عسكرية دراكونية قدرة القوات الإيطالية : فقد جعل الجيش ٢٥٠٠٠٠ رجل ، ومن ضمنهم الدرك ( الجندرمة ) المجهزين بـ ٢٠٠ دبابة ، و ٢٠٠ طائرة ، وجعل الاسطول أدنى من ٦٧٥٠٠ طون . ومنعت من إنشاء السلاح الذري والصواريخ والمدافع الثقيلة والطوربيدات البشرية ، وفرض عليها دفع تعويضات بلغ مقدارها ٣٦٠ مليون دولار .

وغداة التوقيع ، وجهت الحكومة الإيطالية إلى جميع الحكومات الموقعة مذكرة احتجاج على شدة المعاهدة وأسارت إلى خطورة انعكاساتها الاقتصادية . غير أن نص هذه المعاهدة لا يتلاءم مع زمانه منذ ولادته . ولم تستطع الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا أن تتطلع في آن واحد إلى إدخال إيطاليا في نظام التحالف والبناء الاوربي وهو في حال

التشكيل ، وإلى إبقائها في حالة فصل وانعزال . وفي خمسة أعوام ، وبدافع من الكونت سفوزا ، وزير الشؤون الخارجية ، أخذت إعادة النظر بالمعاهدة طريقها ، وبسرعة أدخلت إيطاليا بمساواة تامة في الحقوق في البنيات السياسية الجديدة وبخاصة في الحلف الاطلسي ، ومجلس أوربة ، ثم في الامرة الاوربية للفحم والفولاذ . وقد سجل قبولها في الأمم المتحدة ، في كانون الأول ١٩٥٥ ، في « جمع » يضم كل الدول القديمة ، حليفة المانيا ، في أوربة الشرقية ، ختاماً لهذه المسيرة والنمو . وعلى الصعيد الداخلي ، اقتضى تسلسل الحوادث اختياراً بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

أما انقسام الحزب الاشتراكي ، في كانون الثاني ١٩٤٧ ، الذي أثاره ساراغات ، زعيم الجناح الاصلاحى فقد تعال بدوافع ايديولوجية . وفي الواقع ، كان كل شيء كما في فرنسا في العصر نفسه ، وهو أن هذه الايديولوجية كانت تخبئ رهناً على الغالب . فقد كانت « ربيع الشمال » بالنسبة إلى بيترو نيتسي تنفخ في هذه المرة في الاشرعة السوفياتية ، قبل أن تأتي وفاة ستالين ، في ١٩٥٣ ، فتلعب دوراً أكيداً في ابتعاده عن الشيوعيين . وقد انتقل الاشتراكيون من العداء المطلق للحلف الاطلسي وللبناء الاوربي إلى الارثوذكسية الصارمة . وتوصلوا ، من المعارضة لكل تفاهم مع الديوقراطية المسيحية إلى التوفيق بين نيتسي وساراغات ، في ١٩٥٧ ، ثم إلى الدعم الخارجي لاکثرية الوسط الأيسر في ١٩٦٢ وإلى المشاركة التامة في السلطة في ١٩٦٣ . وكانت هذه المراحل كلها مترافقة كذلك بانقسامات الأجندة ، قبل الوصول الى توحيد الاشتراكيين « النينيين » مع الاجتماعيين - الديموقراطيين من جديد في ٣٠ تشرين الأول ١٩٦٦ .

وفي غضون ذلك ، رفع ساراغات في ١٩٦٤ الى رئاسة الجمهورية . وكان رجل توفيق ومصالحه ، ويعتبر المحرك الأول لسياسة الوسط . وقد ضمنت كفاله للديموقراطية المسيحية صلابة التحالف الاشتراكي . واستطاع الحزب بامساكه جزئياً بوسائل عمل السلطة أن يسعى جهده في تقسيم الحركة نحو هذا « الاختيار الاشتراكي » والعلماني ، ولم يتدخل عن اقتراحه على الناخبين .

وقد قال آلسيد دوغاسيري ذات يوم : « الديموقراطية المسيحية حزب الوسط الذي يذهب نحو اليسار » ، ولكنه ثبت بنفسه حدوداً آمنة للحركة ، وهي التي يدل عليها كل تهديد ببيترو وحدة الحزب . وقد توصل من ١٩٤٥ الى وفاته ، في آب ١٩٥٤ ، الى الحفاظ على التماسك المذهبي بالاستناد على من يؤلفون اليوم الجناح الأيمن ، بقايا الاحياء من حزب الشعب ، المقاومين اللاجئين في الفاتيكان ، انصار السياسة المحافظة بشدة التي فرضها بيوس الثاني عشر .

وفي بضع سنوات كان دوغاسيري يكبح في داخل الحزب فئة صغيرة من الجامعيين الذين تشكروا في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو ؛ وكانوا يسمون « الاساتذة الصغار » . وحول دوسيتي الذي أصبح كاهناً في بولونيا ، كان فانفاني ولايبرا ، ولا نذكر الا المعروفين اكثر من غيرهم ، مجاهدين بتطبيق صوفي جداً لاتجاهات الكاثوليكية الاجتماعية الاكثر تقدماً . وهم يرون أن العدالة تتوطد باتساع نطاق الدولة ونفوذها شريطة ان تكون هذه الدولة في قالب كاثوليكية متشددة ، وقد رجع هؤلاء اليساريون ، في عدة نقاط ، الى مفهوم ساد في العصر الوسيط وهو وجود الكنيسة في العالم .

ومنذ ١٩٥١ ينس دوسيتي من معارضة زعيم الحزب ، وانسحب من

الحياة السياسية النشيطة . أما فانفاني الاكثر واقعية ، فقد ظل شاهداً على احلامهم المشتركة . وسجل وصوله الى الامانة العامة ، في مؤتمر نابولي في ١٩٥٤ ، استبدالاً للجيل وبداية النزاع ، في وضع النهار بين الرجال والاتجاهات ، الذي استطاع دوغاسبيري ان يحتويه بنفوزه الخاص . وانتهت « التيارات » بأخذ شكل رسمي ، رغم انظمة الحزب ، وبالنسبة لرؤساء مجلس الوزراء ، كان كل تشكيل لأكثورية الحكومة يبدأ بالبحث عن أكثورية في داخل حزبهم الخاص .

ومنعت أكثر من عشرين سنة من السلطة الديموقراطية المسيحية أن تعرف عقائديتها ، وان تحدد أهدافها بعبارات سياسية ايجابية . فهي مرتبطة أشد الارتباط ، أكثر من أي حزب آخر ، بمجادث زبائنها . وتظهر أيضاً في الغالب كساعد زمي للفاتيكاني الذي لم يكن حضوره في السياسة الايطالية قوياً في أي وقت مضى كما هو قروي منذ الحرب . وتأتي قيادات ( كوادري ) الديموقراطية المسيحية من العمل الكاثوليكي ومن اتحاد الجامعيين الكاثوليك ، وكانت في هاتين الهيئتين مرتبطة بصدقة مع كهان أصبحوا أمراء الكنيسة .

وقد سار في صفوفها وجهاء الاقاليم والبورجوازية الصغرى والرأسمالية الكبرى « الحديثة العهد » وقسم من « الفنيين » ( التكنوقراطيين ) وتشرف جزئياً على الاحتكارات الضخمة للدولة مثل ادارة حصر البترول ومعهد الاعمار الصناعي ، عدا عن التحقيقات العظيمة النافذة . وهي تمسك ، أكثر من الحزب الليبرالي القائم على المعارضة ، عدداً من المفاتيح التي تضطر الصناعة الخاصة المتفوقة أن تطلبها من السلطة السياسية . وأي ايديولوجيا تتوصل إلى التوفيق بين العديد من الصعوبات والمتطلبات ؟ . لقد اعلنت الديموقراطية المسيحية أنها « بين الطبقات » وهذا التعبير

يدل على وظيفته في التوفيق . ولكن كثيراً من المؤتمرات حاولت أن تبني عليه مذهباً .

والموضوع الوحيد لنزاع محتمل الوقوع رفع عنها بفضل الدعم الشيوعي ، عندما صوت على المادة ٧ من الدستور ١٩٤٧ : الدولة والكنيسة الكاثوليكية ، كل في نظامه الخاص ، مستقلان وصاحباً سيادة . وتنظم علاقاتها بمبادئ لا تران . وان تعديلات هذه المبادئ ، التي يقبلها الطرفان ، لا تتطلب أي أصول لاعادة النظر الدستورية .

الكاثوليك والشيوعيون . ب . لقد أثار هذا النص اعتراضات مختلفة كما يأتي : هل كان من المذهب الصالح إدخال معاهدة دولية في دستور ؟! الا تحصر بعض البنود في الكونكورساتو ، التي هي جزء مكمل لاتفاقات لاتران عام ١٩٢٩ ، تطبيق مواد الدستور الضامن حرية الوجدان والاشخاص ؟! الا تشكو منه الأقليات الدينية ؟! وهل تبقى السيادة الإيطالية تامة في الحلقى المدني ؟ .

ومثل ذلك من الأسئلة التي نوقشت في جلسات هاجمت فيها الاحزاب العلمانية ( حزب العمل ، الأحزاب الاشتراكية ، الجمهورية ، أحزاب العمل الديمقراطية ) بعنف تحرير المادة ٧ محرمة على نفسها اثاره الشقاق بين الكنيسة والدولة .

وقد أعرب تولياني عن عزمه على تصويت ملائم ، لأن الحزب الشيوعي ، كما قال ، لا يريد انقسام الطبقة العاملة بسبب القضايا الدينية . وهذا التحالف ، الذي هو من محض الظروف ظاهراً ، كان يعبر عن استراتيجية مميزة للشيوعية الإيطالية التي تمسك دوماً في النار حديد التقارب مع الكاثوليك فوق الاشتراكيين . لقد كانت جاذبية « الحوار » تحقق دوماً على الصعيد القومي ، وتقترح دوماً كمال ، على درجات محلية ، لعمليات واضحة ،

على كاثوليك اليسار . وقد سمحت في الغالب ، في فلورنسا مثلاً ، حيث مارس لايبرا القضاء البلدي زمناً طويلاً ، بتهديد ائتلافات الوسط الأيسر من الداخل متلاعباً بانقسامات الديوقراطية المسيحية ، وبتفجيرها .

ومثل هذه المناورات تعين حدود القوة السياسية للحزب الشيوعي الإيطالي . ف منذ ١٩٤٧ لعب في البرلمان دوراً وحيماً ، بوضع نفسه حارساً دقيقاً للدستور . وبفضل استيلائه على المعدات والأكتريبات في المجالس الاقليمية ( وهي تقابل المجالس العامة في المقاطعات الفرنسية ) وتسييره فنياً الوف تعاونيات الشراء والبيع ، العمالية أو الريفية، استطاع أن يؤمن لنفسه الاشراف المنيع على وسط إيطاليا ( توسكانا وإميليا ) وهو ب ١٧٠٠ . ٠٠٠ مناضل يغطي البلاد كلها بشبكة كثيفة . ولكن تاريخه بقي بصورة أساسية كما وضعه رجل واحد ، بالميرو تولياتي ، مرناً وترك جميع الاختلافات الداخلية ، في مجلس امزجة لائنية لا يعرف ضبطها ، تفصح عن نفسها ، واثقاً بسلطته بحيث يفرض الخط النهائي الذي يجب سلوكه .

ويعرف تولياتي في الغالب انه مبادء جرىء في استقلال الرأي والواسطة العريضة الموصلة إلى الغاية . وفي الواقع ، كان ستالنياً دقيقاً جداً حتى ١٩٥٣ ، قبل اكتشاف مؤايد المركزية المتعددة . أما التذوق لشكل ما من الاستقلال فقد طرأ مع وصول خروتشوف إلى السلطة ، الذي يبدو ان انجمااته الاصلاحية كانت تبرر الوسائل التي اجبر وضعه البرلماني والسيامي الشيوعية الإيطالية عليها .

وبعد موت تولياتي ، في آب ١٩٦٤ ، الذي نال من جميع الاحزاب التكريم الخاص بأب الأمة ، انتخب لويجي لونفو أميناً عاماً . وكانت سلطته أقل حذافة من سلطة تولياتي حتى تفرض نفسها ، ولكن القضية

التي جابهها ظلت ، في الأساس ، القضية التي وضعت في ١٩٤٧ على الاستراكيين النينيين ، وهي : هل يجب على الحزب الشيوعي أن يقبل العزلة البرلمانية ، ويحاول في داخله تقوية الموهبة الثورية ، ويهيء مذهباً المستقبل ، ويعود ثانية حربة رمح ، وقطباً جاذباً للأجيال الفنية التي خيبتها اليسار المستقر ؟ أو ، على العكس ، يجب أن يتابع النمو المنطقي لاندماجه في سياسة الأحزاب ، ويستعمل جميع وسائط البرلمانية ، وسيادة الفطنة والتعقل على القوة ، ويحاول بشكل لا يئل في تهئية المناخ لانشاء « حزب عمال كبير » قريب من العمالية البريطانية تذوب فيه جميع التشكيلات القائمة على يسار الديمقراطية المسيحية ؟

مزايا التجوية . - ان الانتخابات التشريعية التي جرت في ربيع ١٩٦٨ لم تنجز بحق الحياة السياسية الإيطالية بالرغم من انتقال الاصوات الظاهري . فقد تماسك الحزبان الكبيران ، الكاثوليكي والشيوعي ، ببرنامج ، على العموم غامض بشكل فريد ، أقل من تماسكها بقوة رسوخ أجهزتها والمنظمات الملحقة ، وبروابط المصلحة المباشرة لا السياسية التي نسجت بين المواطن وهذه المنظمات ، كأن يكون القصد ، بالنسبة للكاثوليك ، اتحاد المزارعين ، والاتحاد النقابي ، أو ، بصورة هامشية ، العمل الكاثوليكي ؟ وبالنسبة لأحزاب اليسار ، النقابات ، والتعاونيات ، وبيوت الشعب .

ان استقرار الكتل الكبرى في الرأي ، والائتلاف الضعيف دوماً بين الاتجاهات اللامتجانسة في داخل كل حزب ، والمفاوضات الدائمة لرؤساء مجالس الوزراء لتأمين التماسك الداخلي للاكثرية ، تلك هي الصفات التي تجعل سير النظام البرلماني في إيطاليا ضعيفاً جداً وبطيئاً الحركة جداً . ومع ذلك فقد وجد عنصران يؤمنان بالحركة .

الأول : العمل السري ولكن المباشر الذي يقوم به اراء الجمهورية ( انريكو دو نيقولا ، الحر ، ١٩٤٦ - ١٩٤٨ ، لويجي اينودي ، الحر ، ١٩٤٨ - ١٩٥٥ ؛ جيوفاني غرونشي ، الديوقراطي - المسيحي ، ١٩٥٥ - ١٩٦٢ ؛ انطونيو سيغني ، الديوقراطي - المسيحي ، ١٩٦٢ - ١٩٦٤ ؛ جيوسيبي ساراغات ، الاجتماعي - الديوقراطي ، ١٩٦٤ - ١٩٧٠ ) وقد ساعد هذا العمل غالباً ، في حدود السلطات الدستورية ، على الحيلولة دون شلل الدولة .

الثاني : وجود هيئة دون بنية ودون ظاهرة خارجية وبدل عليها باسم « حكومة تحتية » ( سوتو غوفرونو ) ، يلتقي فيها في الواقع بعض كبار الموظفين ، وقد أمنت هذه الهيئة الاعمار والنمو العجيب لايطاليا بعد الحرب ، بالرغم من كل تمسك مذهبي .

والى القضايا المستوطنة : عدم توازن البنيات الصناعية ، والملكية الريفية ، والبطالة ، وبؤس الجنوب ، اضافت الحرب تخريباتها : ٢٠ ٪ من الثروة القومية المتهدمة ، افلاس الانتاج الزراعي ، الاضرار الواسعة في شبكة المواصلات التي تجعل من وحدة شبه الجزيرة الايطالية حقيقة اقتصادية واقعة ، وأخيراً ، التضخم النقدي ، وعجز موازنة الدولة عن تأمين الأعمال الكبرى .

وقد أسهم الفن الايطالي في الحلول العملية بشكل عريض في التغلب على حالة من الحالات الشديدة التي عرفتها أوربة بعد الحرب . ولم تقصر المساعدة الاميركية في توفير صناعة الشمال لما هو أساسي . ان الخلط ، الذي أملاه الحس بالانتهاز أكثر من الأهداف الطويلة الأجل ، بين الأدوية المختلفة ، كان مفيداً . فقد أمى التخطيط الهيئات الكبرى العامة المكلفة ببعض القطاعات الاقتصادية ، وجعل منها دولا في الدولة ،



ولكن أيضاً محركات لا بديل لها . وبدأ الإصلاح الزراعي ، بالرغم من أخطائه ، بتحويل أرياف الجنوب . ووجدت حركية الصناعة الخاصة في أجهزة السلطة احلافاً أكثر من رقابات . وهذا الضم للقوى المجرد من كل تصنيف عقائدي قد تغلب عملياً على مراحل الحرف وفقدان الثقة حيال السلطة السياسية وأوصل إيطاليا إلى الصف الذي وجدت نفسها ، في الوقت الحاضر ، في أوربة الست وفي العالم ، إحدى الأمم الأولى في دفع توسعها .

ولكن هذا الدفع كبخته مشكلة تنمية الجنوب ( الميزوجيونو ) التي يرجع عهدها إلى عدة قرون . وهذا « الجنوب » في إيطاليا يضم الجزر ، وتلامس حدوده الشمالية تخوم روما الجنوبية ، ويصعد على الشاطئ ، الأدرياتيك حتى بسكارا . فهو يشتمل على نصف شبه الجزيرة الذي يغطي في الواقع مملكة الصقليتين القديمة . وان تراجع هذه المنطقة المتخلفة لا يتعلق فقط بتدابير اقتصادية . وبالرغم من القوانين الجزئية المتخذة في بداية القرن ، شهد الجنوب تعاضم الفارق عن الشمال ، سهل البر ، الأخذ بالتصنيع دوماً وبقوة .

وفي ١٩٤٧ ، اتخذت الدولة القرارات العضوية الأولى لتمويل تنمية الجنوب . وفي ١٩٥٠ دشّن انشاء « صندوق الجنوب » تخطيط الاستثمارات والابحاث التكنولوجية بتقديم وسيلة تطبيق الإصلاح الزراعي . وتوجب بناء التحتية كلها : الطرق المعبدة ، الري ، طرق النفوذ ، التعميدات السياحية ، وإصلاح التربة . وكانت جميع الأهداف ذات اسبقية أيضاً ، ولكن سعتها بدت محدداً .

وفي قرابة عشرين عاماً أوشكت النتائج الأولى المكتسبة أن تعطي مردودها ، وعلى الأقل فيما يتعلق بالارادة الأساسية : وهي تثبيت الشعب

على الأرض والقيام بتربيته لاصلاح انعكاساته . وبعد سنوات طويلة مركزة على استغلال الزراعة ، فتحت مرحلة جديدة : فقد توخّت الحطة العامة ان تشيء في الجنوب صناعات ثقيلة لتصبح قطباً لصناعة التحويل . وان انشاء طريق السيارات « طريق الشمس » ، الذي يصل ميلانو بنابولي وينتهي عام ١٩٧٠ حتى آخر كالابر ، وسع بسرعة انفتاح الجنوب على باقي ايطاليا ، كما علم ثم التلفزيون ، في الارياف المنعزلة ، الجنوبيين تبعينهم المحسوسة المشخصة للوحدة القومية .

ولم تستطع ايطاليا وحدها في الماضي أن تزيل جميع التحديات التي نقلت اليها . وعرف الجنوب حركات توسعه الأساسية عندما أدخلته اللجنة التنفيذية للسوق المشتركة في برامجها . وقد اسهمت المساعدة الاقتصادية الأميركية في ذلك .

ونظراً الى ان ايطاليا عضو وفي جداً للحلف الاطلسي ، فقد تخلت ، عدا بعض التظاهرات الطارئة ، عن ان تلعب دوراً عظيماً في البحر المتوسط . ان نمو منافعها الاقتصادية في الخارج فاق نمو طموحها في العظمة القومية . وقد اندفعت ، دون بريق ولكن بشكل ناجح ، نحو أسواق الشرق ، وأبرمت مع الاتحاد السوفياتي اتفاقات اكثر فائدة من أي اتفاقات موقعة مع امة أخرى . ووجدت في الغالب بفنييها عندما حفرت آبار البترول الجديدة في الارض العربية . وعرفت كيف تستعيد صداقة الشعوب التي فتحتها سابقاً ، وتعطي اشكالا جديدة لنفوذها في افريقية .

وتوجد احياناً اشارة القومية في سياستها الأوروبية . فقد تركها الحلف الفرنسي - الألماني تشعر بالمرارة ، وتميل في الحكم على نفسها بانها وضعت في الصف الثاني . وتراودها نفسها في ان تقيم حيال هذا الحلف

تأميناً معاكساً بتقارب وثيق مع بريطانيا العظمى . ومن المؤكد أن السياسة الإيطالية ليست مسؤولة عن ذلك لولا أن شبح ميزان القوى الغابر في أوربة عاد من جديد على هذا النحو إلى حاضر ظاهر .

وبعد قرن على تحقيق الوحدة تشعر إيطاليا بأنها أمة فتية ناشئة لم تجد بعد توازنها الداخلي الصحيح . لأن تراث البعث ( ريزور جيمنتو ) والمقاومة لم يدخل بعد في جميع العقول ؛ ولأن الجماهير الصناعية الكبرى موزعة بشكل متفاوت جداً في البلاد ؛ ولأن كثيراً من الإيطاليين مضطرون للهجرة ؛ ولأن كثيراً من العادات القديمة التي أخفى عليها الدهر تحافظ على الأقطاعية في الجنوب والجزر . ولكن يلاحظ وجود تطورات شجاعة بشكل لا ينكر ، كما يرى وراء الحسابات اليومية ، ان ائتلاف الوسط الأيسر والموحدين به يريدون اصلاح الحياة السياسية ، وتحويل العادات الاجتماعية بطبعها بطابع الزخم الذي يدفع التنمية الاقتصادية .

والواقع ان إيطاليا تحتل في أوربة الست مكاناً مختاراً ، كما قدل على ذلك أرقام احصاءاتها .

## الفصل السادس

### البنيلوكس

لقد ضمت وحدة الاتحاد الاقتصادي ، في ٣ شباط ١٩٥٨ ، تحت هذه المجموعة من الأحرف الاولى بينيلوكس<sup>(١)</sup> ثلاث أمم تمثل كلها ٦٦٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، وأكثر من ٢٢ مليون نسمة ، أي بنسبة ٣٤٠ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد ، ولكن بجموع موزع بشكل متفاوت جداً كما يلي :

	لو كسمبورغ	بلجيكا	هولندا	
المساحة ( بالكيلومتر المربع )	٢٦٠٠	٣٠٥٠٠	٣٣٥٠٠	
السكان ( بألوف النسمات )	٣٢٥	٩٣٠٠	١٢٥٠٠	
الكثافة ( بـ كم <sup>٢</sup> )	١٦٥	٣٠٠	٣٦٠	

ويجتذب البنيلوكس ٧ ٪ من التجارة العالمية ( فرنسا : ٥٤ ٪ )  
وبآتي ، في هذا المضمار ، في الصف الرابع ، بعد الولايات المتحدة

---

( ١ ) إن كلمة بينيلوكس Bé - né - lux مركبة من الأحرف الاولى للكلمات :  
Belgium و Nétherlands و Luxembourg أي بلجيكا وهولندا ولو كسمبورغ .

وبريطانيا العظمى وجمهورية المانيا الاتحادية . ويصدر بـ ٤٠٠ دولار في العام بالنسبة لكل ساكن ( مقابل ٢٠٠ دولار لانكلترا ، و ٢٤٠ دولار لجمهورية المانيا الاتحادية ، و ١٦٠ دولار لفرنسا ) ونصف تجارته الخارجية تقوم على بلاد ليست أعضاء في السوق المشتركة . ويملك أول ميناء عالمي ، ووتردام ، وهو يفوق نيويورك بقليل . و ٤٥٪ من سكانه صناعي ، ونموذج اقتصاده كثيف .

ومن الوجهة الجغرافية ، يرى أن المناطق الطبيعية للبينيلوكس لا تتفق وأي حدود سياسية ، حتى ان هذه السوق المؤلفة من ٢٢ مليون مستهلك شهدت بسهولة كافية توطيد أقالمة النشاطات البشرية تتجاوز بسهولة حدود الدول .

وفي الحقيقة ، بقيت بعض التوترات ، بعض المنافسات ، فأقامت أيضاً تعارضاً بين مدينتين من قومية مختلفة ، مثل آنفوس وروتدام ، أو بين فروع الصناعات البلجيكية والهولندية ، مثل الصناعات الميكانيكية والكيميائية ، والنسيجية والقطنية ، والغذائية ، والنشاطات الزراعية ، مثل زراعات الحبوب الثانوية ، انتاج تربية الطيور والحليب أو الخضار ، وتعارضاً بين مناطق من بلد واحد ، كما يبدو من التوتر الديموغرافي ، في بلجيكا ، بين الفلاندر والفالونيا .

ومع ذلك ، فقد زادت المبادلات بين بلاد البينيلوكس بأربعة أمثالها ، من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٢ . حتى ان الحوف الذي عبر عنه غالباً في بداية المؤسسة لم يتحقق : من ذلك أن حذف الحواجز الجمركية لم يكن سبباً على الاطلاق في سحق المناطق المزدهرة للمناطق الضعيفة . بل ، بالعكس ، يرى ، بدافع الضرورة وأمام منافسة المناطق المتقدمة ،

ان المناطق الأقل نماءً قد تجددت بدورها . ومن وجهة النظر هذه ، فإن البينيوكس ، على الأقل ، « حقل تجربة السوق المشتركة » ، يؤلف « مخبراً » مطمئناً يوحى بالثقة .

مراحل البينيوكس . - لم يستطع التجمع الاقتصادي بلجيكا وهولانده واللوكسمبورغ أن يتألف إلا بعد الحرب العالمية الثانية . وقد لعب عنصران لصالح تبني البينيوكس : من جهة ، إن هذه البلاد الثلاثة ، التي تقوم على المبادلة الحرة ، ولم تر في الماضي ضرورة ملحة لتشكيل اتحاد جمركي ، وجدت مسوقة بتيار الجماية الجمركية العالمي وحاولت بالحال أن تصلحه . ومن جهة أخرى ، إن الحكومات التي كانت في المنفى ، في لندن ، وقررت أن تذيب معاً اقتصادها تدريجياً استطاعت أن تقرر ذلك بسرعة لا سيما وأنها لم تكن خاضعة للضغوط ، والخاوف ، والندم ، وبماطلة المنافع الخاصة . وهكذا أبرم ، في ٢١ تشرين الأول ١٩٤٣ ، اتفاق نقدي ، ثم ، في ٥ ايلول ١٩٤٤ ، اتفاق جمركي على أن يدخلوا في حيز التنفيذ عند التحرير وأن يفتحوا الطرق إلى الاتحاد الاقتصادي شامل . وفي الواقع ، سارت الامور بأقل سرعة مما كان يتوقع ، لأن صعوبات ما بعد الحرب المباشرة وانسجام السياسات قد تجاوزت ما كان منتظراً . وانتظر « اتفاق البينيوكس » نهاية المرحلة الاولى من التعمير ، ووضع موضع التنفيذ في الأول من كانون الثاني ١٩٤٨ . ويتوقع تنمية على أربع مراحل :

١ - وحدة تعرفه جمركية ، تعرفه جمركية عامة ، حيال البلاد الأخرى ، وتخفيض الرسوم الجمركية وتدرجياً حذفها بين البلاد الأعضاء .

٢ - تحرير تدريجي للمبادلات .

- ٣ - تقارب « الرسوم الضريبية » الذي بدىء به في ١٩٥١ ويساعد ، ابتداءً من ١٩٥٤ ، على الانتقال الحر للرساميل .
- ٤ - وأخيراً ، في ١٩٥٨ ، فتشح المرحلة الأخيرة ، مرحلة « الاتحاد الاقتصادي » .

ووضعت وثيقة من ١٠٠ مادة تقنن الاتفاقات المبرمة منذ ١٩٤٤ وتؤلف ميثاق « الاتحاد الاقتصادي » . وأبرم هذا الميثاق لحسين عاماً ، وهو قابل للتجديد حكماً لأدوار عشرة أعوام ، ودخل حيز التنفيذ في ١٩٦٠ ، ولم يشمل تجديد القطاع الزراعي وتحريره إلا ابتداءً من ١٩٦٥ .

والهيئات النظامية في البينيلوكس مرنة جداً وبخاصة فنية . وأهمها : اللجان المختلطة للاختصاصيين والموظفين وينسحقها مجلس الاتحاد ( استشاري ) ؛ والهيئة التحكيمية ، وتسوي الخلافات دون الرجوع إلى طريق من طرق المراجعة ؛ والمجلس البرلماني والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، اللذان يارسان بعض الاشراف على قرارات الاتحاد الاقتصادية .

وبالرغم من هذا الإحكام الحذر والتعقل العظيم فقد عرف الاتحاد أزمتهين خطيرتين :

الأزمة الأولى ، في ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، وفيها عارضت البلاد المنخفضة بلجيكا لأن السياسة الاقتصادية الموجهة العامة الهولندية كانت على ما يبدو آنذاك تتلاءم بصعوبة مع السياسة البلجيكية الحرة ؛ وأيضاً ، لأن بلجيكا توطد وضعها بسرعة أكثر من البلاد المنخفضة .

والأزمة الثانية ، في ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، وكان لها نفس الدوافع ، ولكن بوضع معكوس . فقد صعدت الأسعار البلجيكية بأسرع من الأسعار الهولندية ؛ وكان تحت تصرف البلاد المنخفضة مواد فائضة قابلة

للتصدير ، حتى ان الصناعيين والتجار البلجيكيين كانوا يتظاهرون بأنهم ضحايا « الاغواق » . وأجاب الهولنديون بأن تفوقهم يعود إلى امتياز تجهيزهم وخطتهم . وأخيراً عقد مؤتمر في كنوك - لو - زوت ، في تشرين الأول ١٩٥٢ ، فساعد على توطيد الرضع وعاد كل شيء إلى النظام .

دوس البينيلوكس . - لقد نجح البينيلوكس ، بفضل بنية تجارته الدولية ، وباتخاذ وضع « جسر » ، بين بريطانيا - العظمى وباقي السوق المشتركة ، استطاع أن يسهل توسع هذه الأخيرة ( السوق ) . كما أنه منع ، لحدا ما ، المجلس الاقتصادي الاوربي من الوقوع في الاكتفائية . والواقع ، ان البينيلوكس ، بجموعة المواثي : آفرس - روتردام - امستردام ، وجد منفجاً بشكل واسع على الخارج ، بينما كانت روابطه وثيقة مع الأمم الأخرى في اوروبا الصغرى ، بسائق التقليد والطبيعة .

وهذا الاستعداد الطبيعي المزدوج يعتبر نجاحاً ومثلاً معاً للبلاد الكثيرة النخوف .

ومن جهة أخرى ، لقد سبق الاتحاد الاقتصادي ، بعشره أعوام ، السوق المشتركة في مضمار دمج الاقتصادات القومية . والمثال يبرهن على أن هذا الدمج في الغالب مفيد للجميع . وهكذا ، فإن البلاد المنخفضة ، التي هي في الأصل أقل صناعة ، قد لحقت بشكل عريض ، بل تجاوزت اقرانها . وفي الواقع ساعد تركيز المشاريع وتخصصها على التكيف مع الحالة الجديدة . وأخيراً ، سهل الانحداد تحسين الانتاجية ، وانخفاض الأسعار ، وزيادة المبادلات التجارية بين الشركاء ، وكلها حوادث مشجعة لمستقبل السوق المشتركة .



أما في المضمار الرئيسي وهو « تنسيق السياسات الاقتصادية والمالية » فيظهر أن دور « صعيد محاولة » البينيلوكس أسامي ، لأنه يرى بأنه مدعو إلى حل قضايا لا توضع للسوق المشتركة إلا آجلاً .

ومن المعلوم أن هذا التنسيق يقتضي هدأً من التخلي عن السيادة ، لأنه يحرم ، مثلاً ، على بلد ما أن يختار طريق الشدة في الوقت الذي ينخرط فيه آخر في طريق التوسع النقدي . وفي ذلك حالة شائكة للدول التي تكون فيها التقاليد ملحوظة وأصلية جداً . إن مثال البينيلوكس يساعد على إظهار طبيعة المشاكل ومحتواها ، وامكانات الحل ، ويرى أخيراً أعضاء السوق المشتركة بأنه لا يمكن تجنب الفوقية باستمرار . وإن السوق المشتركة ، كالبينيلوكس ، ستوى ذات يوم بأن لا اختيار لها إلا بين الفوقية والانفجار ، وربما تساعد تجربة البينيلوكس رائدة على أن نعرف عندئذ إلى أين « يجب » الذهاب في هذا الطريق دون إثارة ردود فعل سياسية خطيرة .

### اللوكسمبورغ

لقد رفع مؤتمر فينتا ، عام ١٨١٥ ، هذا البلد الصغير إلى مصف « دوقية كبرى » ، وأصبح محايداً منذ مؤتمر لندن ١٨٦٧ ، وخرج من حياده في ٢٨ نيسان ١٩٤٨ للاستراك في الحلف الأطلسي .

وهكذا انتهى تطور أمة ترتبط فيها مناجم الحديد ، ثروتها الأساسية ، بمناجم الرور واللوهرين ، وتحلم بسائق التقليد بأن تفقد كصلة بين فرنسا وألمانيا . غير أن توازن هذا البلد ضعيف ، وقد لاحظت ذلك الدوقة الكبرى آديلاييد في آخر الحرب العالمية الأولى . وأخذ عليها تعاطفها

الجرماني واضطرت معنوياً إلى التنازل عن العرش لصالح اخنها شارلوت. وبالعكس شهدت الحرب العالمية الثانية اللوكسمبورغ تقف ضد الهتلرية، وتتخبط في معسكر الحلفاء. وأعلن الرايخ الثالث عن عزمه على معاملة اللوكسمبورغيين كـ « شعب آخ ». وعبر عن ذلك بزج ٦٠٠ مقاوم و ٤٠٠٠ موقوف في السجن، ونفي ٤٠٠٠ نسمة. وجاء التحرير من الجنوب، وجرى دون ألم. ولكن الهجوم من جبال الآردن خرب البلاد. ورقد ٥١٠٠ جندي من جنود الجنرال باتون، في مقبرة هام، ثم لحق بهم هذا الجنرال فيما بعد.

لقد حرر الجيش الاميركي اللوكسمبورغ، وعمرت بفضل مشروع مارشل، وسبق أن النجاة دوقتها الكبرى في الولايات المتحدة، ولذا فهي تكن احتراماً حقيقياً للجمهورية الاميركية الكبرى. وبالمقابل قلما تجذبها بريطانيا العظمى بالنسبة لشريكيتها في البينيلوكس.

وعدا ذلك استرجعت بغبطة دورها كجسر بين فرنسا والمانيا الغربية. ففي ١٩٥٥ و ١٩٥٦، بحث الفرنسيون والألمان في اللوكسمبورغ عن حل قضية السار فوجدوه، وأكثر من ذلك، في ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٦، أن رأى النور اتفاق ثلاثي فرنسي - جرمانى - لوكسمبورغي بغية تقنية نهر الموزيل. وكست اللوكسمبورغ في ذلك ميناء نهرياً كبيراً، وتدشيناً جميلاً أيضاً كان فيه الجنرال دوغول ورئيس ألمانيا الغربية، لوبكه، في ٢٦ أيار ١٩٦٤، إلى جانب الدوقة الكبرى.

تشكل اللوكسمبورغ ملكية دستورية وراثية في بيت ناستو، ولها سلطة تنفيذية: مجلس الوزراء؛ وسلطة تشريعية: مجلس مؤلف من ٥٨ عضواً يمثلون ٥ أحزاب. ومنذ تحرير البلاد لعب فيها ٦ رجال دوراً من الصعيد الأول، اما بصفة وزراء دولة، أو بصفة وزراء للشؤون

الخارجية : دوبونغ ، ييش ، فويدين ، فيرنير . شاوس ، غريغوار .  
وتعرف اللوكسمبورغ بأنها بلد تقليدي متعلق بأعراقه الدينية وما  
زال يؤلف مجموعة اجتماعية مبنية على نظام التسلسل يبدو فيها  
الاشتراكيون « حمراً » .

وفيها ثلاث شركات كبرى حديدية تشكل قوام الحياة الاقتصادية  
والاجتماعية وهي : هادير ، آدييد ، دودانج . وتنتج ٤ ملايين طن  
من الفولاذ في العام . وترتبط بكل معامل الفولاذ الكبرى في أوربه .  
وتستخدم ٢٤٠٠٠ شخص ، ويمثل ٥١٪ من الانتاج الحام الداخلي ،  
و ٨٠٪ من الصادرات .

ومنذ أزمة الفولاذ ، شجعت اللوكسمبورغ عن سعة ثمر الصناعات  
الغذائية والكيميائية ، والحشب واللباس ، وتأسس فروع لشركات غوديير ،  
ودوبون دونومور ، مونسانتو الكيميائية الاميركية .

والزراعة فيها حديثة جداً وتغطي ٥٢٪ من الاراضي ( البلاد  
الطبية وقسم من الآردن ) . وتبلغ نفوس عاصمتها ٦٣٣ ١٧١ نسمة .  
وتحلم بأن تخطف من بروكسل دورها كمركز لأوربه السياسية : ولم  
تتوصل إلى ذلك إلا جزئياً .

وفي ٤ أيار ١٩٦١ ، عهدت الدوقة - الكبرى بـ د وكالتها ، إلى  
ابنها الدوق - الاكبر جان . وتنازلت عن العرش لصالحه في ١٣ تشرين  
الثاني ١٩٦٤ بعد أن لبثت على كرسي الحكم ٤٥ عاماً .

### بـلجيكا

لقد حوت أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أكثر من الحرب ،  
بـلجيكا بشكل عميق . وفي الواقع ، ان الحرب ، مع بماطلة الملك ليوبولد

الثالث ، الذي كان يفضل الاستسلام في بلده على النفي إلى انكلترا مع الحكومة ، ومع الاحتلال النازي ، لم يكن منها إلا أن انتزعت بلجيكا من حياها . والقت بها بعد الحرب في طريق التعاون الدولي واضطرتها أن تشك بقيمة أבותها الاقتصادية والاستعمارية .

وقد أوحى بهذا التطور أحد كبار رجالها السياسيين ، بول - هنري سباك . وهذا الاشتراكي ، الشامخ في لونه ، الذي يعتبر نفسه مركز العالم ، الفوقي باخلاص ، لا سياً وأنه يرى أن مسرح السياسة البلجيكية صغير جداً بالنسبة له ، كان أول أمين عام لمنظمة الأمم المتحدة وظل زمناً طويلاً أميناً عاماً لمنظمة حلف شمالي الأطلسي . وباعتباره رئيس مجلس الوزراء أو وزير الشؤون الخارجية البلجيكي ، فقد غلب عليه حسه الحلي النشيط بارتباط الأمم ببعضها ، وبسقوط قيمة الحدود . وفضل الرأي اتباعه لا سياً وأنه كان يقاسمه ، بشكل غير واضح تماماً ، مفهومه في الوحدة الأوروبية ، واخلاصه العميق لتحالف لندن وواشنطن . وهو أحد الذين دعوا لقبول الحلف الأطلسي والسوق المشتركة في بلجيكا . غير أن الفصل العميق بين الماضي والمستقبل الذي نتج عنه ، قوي أيضاً بـ « أزمة ملكية » كادت تسقط فيها الملكية ، ولم يخرج منها النظام ، بالرغم من صفات بودون الأول الشخصية ، إلا بعد أن دان رأسه للضم .

وعدا ذلك ، فاجأت أزمة العالم على حين غرة : فعندما عادت حكومة بيرلو من لندن في ١٩٤٤ ، وجدت العرش شاغراً : فقد انتزع النازيون ، في انسحابهم ، الملك من قصره ، قصر لاكن . ولاحظ المجلسان « عدم كفاءته للحكم » فسميا أثناء قصور بودون ، وصياً ، الأمير شارل ، وكان سلوكه في المقاومة شجاعاً وكرماً . ولكن الملك

ليؤبولد عقد كل شيء بعد أن حرره الامير كيون في ١٩٤٥ ، وعاد إلى لاكن ، وأعرب عن عزمه على الحكم من جديد .

وقسمت انتخابات ١٩٤٦ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥١ والاستفتاء البلاد إلى « انصار ليؤبولد » و « خصوم ليؤبولد » . ويضم الأوائسل الطبقة الارستقراطية ، أصدقاءه الديموقراطيين - المسيحيين أو الأحرار ، والاكليروس ، والامواسط الكاثوليكية ، أي ، بالاكثوية ، الفلاندر . والآخرون ، الاشتراكيون ، والشيوعيون ، وعددهم يتناقص في كل انتخاب ، لأنهم من ٢٣ في ١٩٤٦ سقطوا إلى ٧ في ١٩٥١ ، والطبقة العاملة ، أي ، بالاكثوية ، الفالونيا . وعدا ذلك ، ثار الشعب ، وكان سبباً في اضراب ٥٠٠٠٠٠ رجل ، فقد تظاهر في غراس - بيرلور ، بالقرب من لياج ، حيث حملت الشرطة ، وقتلت ثلاثة أشخاص . ثم قام الحزب الاشتراكي البلجيكي أخيراً وأعلن في أول آب ١٩٥٠ اضراباً اضطر ليؤبولد الثالث إلى الانسحاب لصالح ابنه بودون الأول ، وتنازل فعلاً عن العرش في ١٦ تموز ١٩٥١ .

انتهت الأزمة الملكية ، ولكن التاج لم يعد رمزاً لوحدة البلاد غير منازع . فقد قسم العداء بين الفلامانديين والفالونيين الأمة . وتغلبت في الاستفتاء « نعم » بـ ٥٧٦٨٪ مقابل ٤٢٣٢٪ ، وكان ٧٢٪ من « نعم » فلامانديين ، و ٥٨٪ من « لا » فالونيين .

القضية الفلاماندية . - القضية الفلاماندية قضية لغوية ، أي ثقافية ، لا تخلو من الزهو ، ولكنها أيضاً سياسية ، لوجود تعارض بين التقليد والتقدم ، الديموقراطيين وأنصار « حكومة قومية » .

على الصعيد اللغوي ، تنقسم البلاد تقريباً إلى قسمين : فعلى ٩

أقاليم ، يوجد ٤١/٢ أقاليم ناطقة باللغة الفلاماندية : الفلاندر الغربية والشرقية ، آنفرس ، اليمبورغ ، نصف برابانت وبروكسل ، على حين أن هينوت ، ونامور ، واللوكسمبورغ ، ولييج ، والنصف الثاني من برابانت وبروكسل ناطقة باللغة الفرنسية . ولكن الفرنسية ، على الصعيد الثقافي ، تسيطر بوضوح . وهكذا ترأس الحكومات في بلجيكا من ١٩٤٤ إلى ١٩٦٨ ، السادة بييرلو ، فان اكر . سباك ، هويسمانس ايسكنس ، دوفيزوار ، فولين ، فان هوت ، لوفيفر ، هارمل ، فالدن بوينانتر . ومن من هؤلاء الرجال يقول في ذاته بشرف أن ثقافته فلاماندية ؟ وعند الدخول في الوظائف العامة يوضع امتحان باللغة الفلاماندية ، ولكن من من كبار موظفي بلجيكا يمكن أن يباهي بأنه يتكلم هذه اللغة بشكل يساري أو يفضل أي لغة أوروبية أخرى ؟ إن عاطفة صغار الفلامانديين تنأى عن ذلك . ولكن يوجد ما هو أكثر . فإلى هذا التعارض في الثقافة يضاف النزاع العمالي .

إن الفلامانديين بطبيعتهم فلاحون ، كاثوليك ، يؤسسون عائلات كثيرة العدد ويعتزون بـ « بقائهم » . والفالونيون ، في الغالب ، عمال ، ومفكرون أحرار ، يصوتون لليسا ، وهم في أصل حركة نقابية تضم اليوم ٧٠٠٠٠٠٠ نقابي اشتراكي ، ومثلهم ديوقراطي - مسيحي ، و١٠٠٠٠٠٠٠ حر ، وهم بالطبع أكبر تطلباً من الفلامانديين على صعيد الاجور والفوائد الاجتماعية . ونجم عن ذلك حسد ومنافسة عبر عنها بطلب ، مثل التمثيل النسبي للطائفتين ، وتصحيح الحدود اللغوية ، وتسهيلات مدرسية وجامعية . حتى أن الاصلاحات الممنوحة إذا كانت خجلى ، مثل قانون ٦ تشرين الثاني ١٩٥٨ في التعليم ، أو إذا ارجئت إلى زمن طويل جداً ، مثل الاصلاح الدستوري ، الذي أعلن عنه في ٦ شباط

١٩٦٢ وظل دوماً في حال الانتظار ، تقوم المشادات ، ومظاهرات الشارع من نوع التي طرحت ، في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٢ ، في بروكسل ٦٠٠٠٠ فلاماندي على قارعة الطريق دون عمل .

وفي ١٩٦٨ ، عاد الجدل بمناسبة مصير القسم الناطق بالفرنسية في جامعة لوفن الكاثوليكية الذي أراد الفلامنديون تهجيده إلى الفالونيا . وانتهى بسقوط وزارة فاندن بويـنانتز ، وحل المجلسين ، وانتخابات جديدة ، في ٣١ آذار ١٩٦٨ . وتضرر الحزبان الاشتراكي والاجتماعي - المسيحي بشكل عميق ، حتى انها انقسما في بادئ الأمر إلى قسمين ، أحدهما فلاماندي ، والآخر فالوني . وجرت محاولة اتحاد في وزارة تضم هذين القسمين حول غ . ايسكنس الوزير الأول للمرة الثالثة .

الحرية الاقتصادية لا تسير . - لقد ظهر كل شيء في البداية وردأ ، وعالج البلجيكيون قضية الإعمار بعد الحرب في ظروف ملائمة ، ولم يخل الأمر من المجاملة والتنازل لجيرانهم الذين كانوا أقل منهم وضعاً .

إن « عملية غوت » ، بامم وزير المالية ، أي مبادلة أوراق البنك ، وتضييق الاعتماد ، والضريبة على ارباح الحرب ، وتجميد الأموال وضعت السد في وجه التضخم النقدي . وانتهت بلجيكا الحرب في وضع اقتصادي ملائم ، واعتبرت الحكومة ذلك دليلاً على مزاياها الفطرية ، بالرغم من أن الظروف كانت موالية بعض الشيء . فقد كان تخريب وتهديم المعامل محدودين ، وحرر ميناء آنفرس دون أن يس . وعدا ذلك ، قام الحلفاء ، لدواعي استراتيجية ، بحشود كبيرة للجنود في بلجيكا . وفي ختام « قانون الاعارة والتأجير » دفعت نفقات اقامة هؤلاء الجنود إلى البلد المضيف بالعملات القوية . وبين ١٩٤٨ و ١٩٥٢ ، أخيراً ،

يضاف ربيع د مساعدة مارشل ، ( نقداً وبضاعة " ، ٨٥ ٪ منها مجاناً و ١٥ ٪ تدفع لأجل طويل ) . وتمكنت البلاد من أن تتجدد جزئياً ، بينما كانت الارباح والأجور تتصاعد بشكل جدير بالتقدير . ولكن هذا التوسع تحقق في الفوضى ، وبخاصة ، صناعة استخراج الفحم التي كانت غير مجرزة بشكل كاف ، واكتفت ، تحت تأثير رؤساء مشاريع قصيري النظر ، بأن تفيد من عوز فترة ما بعد الحرب المباشرة . ومن الحمة أحواض البلجيكية : البوريناج ، الوسط ، شارلوروا ، ليج ، السكامبين ، يعتبر هذا الأخير سهل الاستغلال ويحتوي ٧٠ ٪ من الاحتياطات البلجيكية . وعندما انقلبت الظروف ، عاد الاستخراج في كل مكان في اوربة وفقد الفحم أهميته كمصدر للطاقة ، وكانت المناجم البلجيكية بين المناجم التي أصيبت اكثر من غيرها .

وفي ثلاث مرات ، أثناء دور الانتقال ، في ١٩٥٩ ، وفي ١٩٦٢ ، عززت الأمانة الأوروبية للفحم والفولاذ السوق البلجيكية ، بتطبيق المادة ٣٧ من المعاهدة ، بل وقبول سلف لتجنب تسريجات جماهيرية . ومن الطبيعي ، ان السلطة العليا لم تدخر انتقاداتها ، وباعتبارها الدافعة جعلت من نفسها ناصحاً أيضاً . واندفعت حكومة ايسكنس فتيات بالحال « القانون الوحيد في الاصلاح » لتنتقل على سعر كلفة الانتاج . وقدر العمال أن يقوموا وحدهم بنفقات العملية . واضربوا في ٢٠ كانون الأول ١٩٦٠ ولم يستأنفوا العمل إلا في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦١ . لقد وجهت الحركة أولاً ضد القانون الوحيد بتأثير نقابي يسمى روناك ، ثم أصبحت احتجاجاً على نقل الصناعة الثقيلة من الفالونيا إلى الفلاندر ، حيث كانت اجور العمال أخفض . وهكذا اختلطت القضية الفلاماندية بطاليب اقتصادية محضة في الأنصار ، وبنقد لتسيير المناجم قوي في معظمه ، كما يرى عندما



أظهرت نكبة ماوسينيل ، في ٨ آب ١٩٥٦ ، فساد الأجهزة وكانت حياة البشر مثقاله .

وهذه الصعوبات الاقتصادية المفاجئة بعد دور الوفرة السهلة والاكتفاء الذاتي ، زعزعت ثقة الاوساط الموجهة البلجيكية باقتصاد سوق دون معدلات ، وانصفت الهولنديين الذين يدعون دوماً إلى « تنظيم الاقتصاد » . وفكرت بلجيكا منذ ذلك الحين بالسوق المشتركة تحت زاوية جديدة : زاوية وحدة منفتحة على اوروبا الشمالية ، وبخاصة ، على بريطانيا العظمى ، وأيضاً زاوية كيان اجناعي ومالي واقتصادي ومخطط تدريجياً وبقوة . وهكذا ساعدت الأزمة الملكية والأزمة الاقتصادية على تشكيل بلجيكا جديدة مختلفة جداً عن سلوكها القديم ، لولا أن « أزمة الكونغو » جاءت بدورها وحفرت وحدة عميقة بين ما قبل الحرب وما بعدها .

كاشف الخلاص من الاستعمار . - وهنا أيضاً ، تجاوز الحادث بلجيكا واضطرت أن تفرض على نفسها تجديداً كاملاً في التفكير السياسي . فبينما كان العالم الثالث يتكلم عن الاستقلال ، كان يعتقد ، في بلجيكا أيضاً ، ألا تصل هذه الحركة إلى الكونغو المجردة من كل استقلال ذاتي في تسيير شؤونها . ولكن مستوى حياة أبناء البلاد كان أعلى مما في افريقية ، حتى ان الملك ، بعد دور مضطرب ، عندما اقترح ، في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٩ بعض الاصلاحات الحزبية ... إلى أجل ، استقبل استقبالاً سيئاً . وانعقدت المائدة المستديرة في بروكسل من ٢٠ كانون الثاني إلى ٢٠ شباط ١٩٦٠ ، وكانت فرصة حوار الصم بين بلجيكيين يتكلمون عن « الحزب » وكونغوليين يجيبون « الحرية » . وأخيراً ، في ٣٠ حزيران ١٩٦٠ أعلنت الكونغو استقلالها وحملت إلى السلطة باتريس لومومبا . وفي ١١ تموز انفجرت الثورة في اقليم كاتانغا . وانهم اصدقاء بلجيكا

أنفسهم الحكومة البلجيكية وشركة المناجم في كاتانغا العليا باثارتها بغية اخفاق السلطة الناشئة السوداء والحفاظ على اليد العليا على مناجم الاورانيوم والنحاس . وبالتالي أجبرت منظمة الأمم المتحدة بلجيكا ، في ٣ آب ١٩٦٠ ، على سحب جنودها من الكونغو وأرسلت اليها حملة مكائها . وتعاقب حينئذ على الحكومة الكونغولية كازافوبو ، وتشومبه ، وموبوتو ، في وسط الثورات والاغتيالات . ومن ١ إلى ٦ شباط ١٩٦٥ ، سوي الحلاف البلجيكي - الكونغولي ، ولكن الحرب الأهلية عادت في ١٩٦٧ ، بالرغم من أن بلجيكا لم تعد تهم بصير مستعمرتها القديمة . وأخيراً ، بدا لها أن لا غنى لها عن الكونغو فاتخذت منطلقاً جديداً .

الازدهار الجديد . - إن ازدهار بلجيكا الاقتصادي اليوم يغاير تماماً الازدهار المفاجيء والوهمي الذي كان دون غد في السنوات ١٩٤٥ - ١٩٥٥ . فهو مدين في جوهره المتين إلى التجهيز الجديد في الطاقة . لأن الصناعة الفحمية ومشتقاتها لم تنظم من جديد فحسب ، بل ان مفاعل مول 3 - BR ، الذي يعطي قدرة ١١٥٠٠ كيلوواط ، يؤلف خطوة اولى في استغلال الذرة السامي ، بينما تأتي مصفاة غاند ومصافي آنقرس الخمس بزيادة جديدة بالتقدير جداً من البترول والصناعات البتروكيميائية .

وإلى جانب الصناعة المعدنية ، الصناعة التقليدية ، ثم صناعة كيميائية ضخمة ، وصناعة غذائية ليست أقل أهمية منها ويعمل بها مليون عامل ، وتجهز مادتها الاولية زراعة جددت كلياً . وتستخلص بلجيكا اليوم من هكتار الأرض ٦ ملايين كالوري ، بينما فرنسا ٢٠٢ مليون ؛ ومردودها السنوي للعامل ٢٤٠٠ دولار ، بينما المزارع الفرنسي لا ينتج إلا من أجل ١٢٠٠ دولار .

وأخيراً ، ان ميناء آنفرس ، وهو أمرع ميناء في العالم يعامل في العام ١٨٠٠٠ سفينة ، أي ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طون من البضائع ويستقبل زيارة ٢٩٠ خطاً منتظماً .

وأخيراً ، قدم البينيلوكس أولاً ، وبعده السوق المشتركة إلى بلجيكا الحظ الضروري على صهر اقتصادي كامل يخولها اليوم مستوى عالياً في الحياة والانتاجية .

وبفضل هذا ، فان مملكة بلجيكا الصغيرة ، وقد تخلصت من بعض المحرمات ، دخلت في طريق التعاون الدولي الكثيف فبدل بعمق وجهها التقليدي ، بالرغم من أزمة بنيتها الداخلية في العام ١٩٦٨ .

### البلد المنخفضة

البلاد المنخفضة بلد الاختلافات والتناقضات ، حتى انها تعطي في البدء عاطفة الاستمرار في الجدل الذي كادت تقطعه معتوضة الحرب العالمية الثانية . انها بلد صغير مصاب بالضخامة ، ولد فيه اللاهوتيون السكالفنيون « دوافع » يوجه فيها الاقتصاد بحزم باسم المشروع الحر . وكما يلاحظ ديوكشتيكنر ، سكانها في نزاع عميق دائم على عدة موضوعات ... والقطيعة بين الكاثوليك والبروتستانت مستمرة إلى أيامنا ، وهذا هو الانقسام الكبير في الحياة الهولندية . حتى ان الذين يطرحون هذه القطيعة ، كالأشتراكيين ، لا يؤلفون جسراً بين الفريقين المتنافسين ، بل فئة ثالثة من الهولنديين .

لقد تصالح الهولنديون في عدائهم للنازية خلال خمسة أعوام ، ولكنهم استأنفوا منازعاتهم وكان شيئاً لم يكن ، بالرغم من ذكريات الاحتلال ، وكان شرساً عليهم بحاصة : فعلى ١٠ ملايين نسمة في ١٩٣٩ وجد

٤٥٠٠٠٠٠ منفيّ ، و ١٥٠٠٠٠٠ ميت ، منهم ١٥٠٠٠ جوعاً في آخر شتاء الحرب . وتهدم ٩٢٠٠٠ دار ، وغمرت المياه ٢٢٨٠٠٠ هكتار ، وخرب ٨٦٠٠٠ مركز صناعي أو نقل إلى المانيا . وتكاد قدرة الانتاج في ١٩٤٥ تمثل ٤٤٪ من قدرة ١٩٤٠ عندما مسح سلاح الطيران النازي روتردام من الخارطة ، وهذا يعني « الشرف » الخفيف من أن يعتبره الرايخ الثالث « شعباً شقيقاً » .

وعندما التجأت الامرة الملكية والحكومة في انكلترا نظم الشعب « حرب المتسولين » على الأرض القومية ، في اندفاع واحدة مثير . ودامت حتى التحرير ، أي حتى ٨ أيار ١٩٤٥ ، لأث اخفاق عملية آرنهم كلفت البلاد المنخفضة شتاءً أخيراً وفظيعةً تحت الجزمة النازية .

يقظة المنازعات القديمة . - وهذا الشتاء الأخير ، قبل التحرير الكلي ، يسجل يقظة المجاهات القديمة وعردة تأليف الأحزاب . فقد استطاع الاشتراكيون أن يجمعوا اليسار من جديد . ولكن الحركات المحافظة ، المنقسمة إلى كاثوليكية وبروتستانتية ، ظلت متفتتة بشكل لا يمكن تبسيطه . ولم تجد ما يشبه الاتحاد إلا لتهم ، أمام لجنة تحقيق لا تعرف التسامح ، حكومة غيربراندي التي عادت من لندن ، لعملها الحربي ، وهي في المنفى . ولذا اضطرت ، في ٢٤ حزيران ١٩٤٥ ، أن تتخلى عن مكانها إلى فيلتم شيرميرون بعد أث عاد من احتجازه في المانيا ، ويتضمن برنامجهم : التطهير ، وتجديد الاقتصاد والمالية ، وسياسة جديدة للأجور والأسعار ، وتجديد تنظيم الجيش والدبلوماسية والصحافة والراديو . وهذا كثير على عيين كان منذ أكثر من عام يتنبأ بالانزلاق نحو « الحمر » وانهم شيرميرون بأنه أفاد من عدم انعقاد البرلمان المنتخب في ١٩٣٧ ، لأنه لا يمثل شيئاً ، ليفرض دكتاتوريته .

وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٥ سمي « مجلس قومي استشاري » ؛ إلا أن شيروميرون استعاض عنه ، في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥ ، بـ « المجلس العام » ( هكذا سمي انعقاد المجلسين المؤلفين كل بفردة من ١٥١ و ٧٥ عضواً ) « الوقت » ، دون تطمين أحد . ومنذ ١٩٤٦ ، أجريت الانتخابات الاولى بعد الحرب . وهذا المجلس ، الذي لم يضم بعد إلا ١٠٠ نائب ، انتخب بسائق التقليد بالاقتراع النسبي فأعطى : ٣٢ كاثوليكياً ، ٢٩ عمالياً ، ١٣ مناوئاً للثورة ، ٨ مسيحيين تاريخيين ، ١٠ شيوعيين ، ٦ أحرار ، ٢ مصلحين حنيفيين ( ارثوذكس ) . وترأس بيل الائتلاف الاشتراكي - الكاثوليكي ، وهو نموذج الائتلاف الاكثر شيوعاً في البلاد المنخفضة ، لأنه وجد له ائتلاف ثان من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٩ ، وثالث ابتداءً من ١٩٦٥ .

وامتازت الحكومة النظامية في زمن السلام بتننازل الملكة ويلهلمين عن العرش لصالح ابنتها جوليانا ، وبأول قانون في الاصلاح الاقتصادي تم في ١٩٥٠ . وجرت انتخابات مسبقة ، لآث مدة المجلس عادة ٤ سنوات ، في ٧ تموز ١٩٤٨ ، فلم تبدل إلا بصورة غير محسوسة فسيقضاء الرأي الهولاندي الكلاسيكية . كان البروتستانت يطالبون دوماً « بتحديد سلطات الدولة ، وهم تقليدياً اكثر محافظة من الكاثوليك ، و الاحرار بـ « اللامركزية » ؛ والاشتراكيون « بتفوق السلطة العامة على المصالح الخاصة » . وقد تحالف هؤلاء الأواخر مع الكاثوليك وانجزوا عملاً مثيراً في التخطيط الاقتصادي ، وهذا شيء يكرهه الهولنديون ، ولكن الاحتلال عودهم ( لأنه كان يجب تنظيم الفاقة والعوز ) على التوجيه الاقتصادي دون أن يعلموا ذلك أو يلاحظوه إلا قليلاً .

قانون التنظيم الاقتصادي . - وهم من جهة ثانية فخورون جداً بقانون ١٥ شباط ١٩٥٠ الذي يعتبر في الواقع أبدة فريدة في التاريخ الغربي ، ومشروعاً متميزاً للبلاد المنخفضة بما أدخل من خطة شديدة لانجراً على قول اسمها .

وهذا القانون ينشئ ، في قسمه الأول ، د مجلساً اقتصادياً واجتماعياً ، ( ينتخبه المستخدمون والمستخدمون مع أعضاء يعينهم التاج ) ، وله قليل من السلطات التنظيمية ، ولكنه يتمتع بنفوذ فكري عظيم ؛ وفي قسمه الثاني ، د منظمات صناعية للحق العام ، أفقية وشاقولية تساعد القطاعات المسكبة على التجمع للدفاع عن مصالحها وتقرر مع المجلس الخطة اولا ، وتراقب تطبيقها فيما بعد . ويوجد منها اليوم ١٥ منظمة شاقولية و ٣٠ منظمة أفقية . وان ما يمنع هذه المنظمة الاقتصادية من أن تكون خاصة بشكل محض ، إنما هو الدور الأساسي الذي تلعبه السلطة العامة في انشاء بنية تحتية د خطة الدنا ، تخفيف زويدرزه ، وتعويض تلك الاراضي وازالة ملوحتها ، وتجهيز المواني ، والطرق المائية ، ووسائل المواصلات ، ومصادر الطاقة مثل الفحم والبتول والغاز الطبيعي ) وبدونها ما كانت للصناعة والزراعة الهولانديتين أن تبلغوا درجة الازدهار الحالي .

وهذا الازدهار الذي لا يمكن تقييمه إلا بمقارنة الحالة في ١٩٤٧ قبل خطة مارشل القديمة مع حالة اليوم .

من أعماق الهوة إلى الازدهار . - في عام ١٩٤٧ ، بالرغم من التدابير الدراكونية المطبقة منذ ١٩٤٥ ( تجريد الحسابات ، مبادلة الأوراق النقدية ، تجريد الأجور والأسعار ، مساعدات المنتجات الغذائية الأساسية ) ، وبالرغم من أن الصادرات غطت ٤٣٪ من الواردات

اضطرت البلاد المنخفضة أن تحقق ٧٤٧ مليون دولار من الأموال في الخارج ، وأن تستقرض ١ مليار و ٧٠٠ مليون ، منها ٧٠٠ مليون لأجل قصير ، وأن تنفق ٦٥٣ مليون بما في خزائنها من ذهب . ومثل هذا النزيف قد يؤدي لا محالة إلى تخفيض قيمة الفلورين المنكوب ، حتى ان « مساعدة مارشل » المخصصة بكاملها لتجهيز الأمة حسب خطة دقيقة ، لم تساعد على البدء بالنهوض ، الذي يعبر عنه اليوم بنشاط عظيم .

والتحقت بالصناعات القديمة صناعات جديدة في قطاعات الاستهلاك.

فقد حققت الرويال دتش رقم اعمال ب  $\frac{1}{4}$  مليار دولار في العام ؛

واونيليفر ب  $\frac{1}{4}$  مليار دولار . ويعامل ميناء روتردام سنوياً ٨٠

مليون طون بضاعة . وقد انشأت ٢٧٠ رحبة بحرية ، في ١٩٦٦ ،

١٢٧ سفينة لاختراق البحر العالي باستيعاب كلي ب ٢٣٣٠٠٠ طونو .

دبلغت الواردات في تلك السنة ٢٩ مليون فلورين ، والصادرات المئوية

٢٤٥٤ مليون ، واستقرت البطالة المتوسطة على ١٥٪ .

وأصبحت الزراعة نفسها صناعة ، نظراً لطرقها العقلانية ، لأن الفلاح

الهولاندي « أكثر الفلاحين ثقافة في العالم » ، وب ٨٪ من الشعب

العامل في خدمتها ، تحصل على غلات قياسية وتستطيع أن تصدر إلى

جميع جيرانها .

ولكن الأرقام لا تكفي للتعبير عن ازدهار هذه الأمة الصغيرة من

الملاحين الذين أصبحوا عمالاً أو فلاحين دون الانقطاع عن سماع نداء

البحر . فهي في « حزام المدن » التي تحيط بمحاذيقها امستردام ، روتردام ،

لاهاي ، في غدوبة القنوات ، ورشاقة البناء ، وخصب الأرياف ، وبريق

المعامل ، وفقدان الأكواخ الحفيرة ، ورفاه النقل العام ، ونظافة جماهير العمال المرفهة .

من اندنوسيا إلى السوق المشتركة أو القلق الميتافيزيكي . -  
ومع ذلك ، فمن خطأ الرأي أن تصور البلاد المنخفضة كبلد شعبات  
وغاف . ان القلق الميتافيزيكي ، ومجابهات الأفكار هي بالمعنى الدقيق رياضة  
قومية . فما من قضية عامة جداً إلا وتفحص تحت زاوية معنوية .  
وقد لوحظ ذلك خلال خلاص اندنوسيا من الاستعمار . وربما يفكر بعضهم  
بأن حركة الاستقلال ستحرم هولندا من مصادر التوابل المفيدة والبتروول ،  
والبوكسيت ( فلزات الالومنيوم ) والسكر والتبغ والقهوة أو الألياف  
النسيجية ، ولكن عندما يقوم نائب ليشجب مشاريع الرئيس سوكارنو  
ويقول بكل بساطة : « انظر الرسالة إلى أهل رومية ، الاصحاح  
الثالث عشر ، الآية ١ » ، ( كل سلطة تأتي من الله ) فإن هذا دليل  
على نقاش عنيف عظيم أقل في مصير اندنوسيا منه في تفسير النص المقدس .

ومن المعلوم ، أخيراً ، أن البلاد المنخفضة أذعنت لإفقدان مستعمراتها  
الغنية ولاحظت بأنها لم تكن ، بسبب ذلك ، أفقر مما كانت عليه .  
والشيء العظيم بخاصة في تقاليد هذا الشعب الصغير القوي هو أنه لا ينطوي  
مطلقاً على نفسه رغم انطباعه في أن جميع أصدقائه تخلوا عنه .

إن هولنده مهد محكمة العدل الدولية في لاهاي ، والمرتبطة ببيادلاتها  
ببلاد مختلفة وبخاصة البعيدة منها . وبتقاليد ملحوظة جداً وأصيلة جداً ،  
صنعت لأوربة وللصلحة العامة القومية ، ولم تكن بحاجة إلى الحرب  
لتعلم ما للحدود من قيمة قليلة . ولم تتعلم منها إلا التخطيط الاقتصادي .  
ولذا اتجهت بشكل غريزي نحو الحلف الأطلسي واوربة ، « اوربة دون  
شواطئ » ، منفتحة على رياح البحر التي تمب على اراضيها باستمرار . وهناك



وجلان فحنا صفات اوروبية التي تريدها هولانده : وهما جوزيف لوتز ،  
الاقتصادي ووزير الشؤون الخارجية ، وسيكو مانشولت الاختصاصي  
بالزراعة . كلاهما يدافع عن اوروبا التي لا توجد بعد ، التي يتجاوز فيها  
التخطيط ، الصناعي والزراعي ، الحدود ، ويعقلن النشاطات البشرية ،  
وينشر الوفرة ، ويطرد الاكتفائية ، وعدم الثقة ، واحترام السيادة  
القومية ، لصالح انفتاح بشري كريم .

ولا تعد المرات التي كان يلتقي فيها جوزيف لوتز مع الوزير الفرنسي  
للشؤون الخارجية ، موريس كوف دومورفيل ، في المجاهدة التي أصبحت  
كلاسيكية اليوم بين المجتمع الهولاندي المنفتح والمجتمع الفرنسي المغلق .  
إن القوة الفكرية عند رجال هذا البلد الصغير المبشر دونما كلل بالوعظ  
الذي يشجب الأفكار القديمة في توازن الدول ، إنما هي ظاهرة تولد  
الاحترام . وستبقى هولانده بلد المبشرين الأقوياء في خدمة الحريات  
البشرية الكبرى .

## الفصل السابع

### دمج أوربة

المدخل . - الفكرة الاوربية جديدة . ومن المؤكد ، في دور كانت الدولة صاحبة السيادة تسيطر على الحياة السياسية ، ان رجالا منعزلين حلوا بـ « دول متحدة أوربية » . ففي القرن الخامس عشر والسابع عشر فكروا بها لمجابهة التهديد التركي . ثم اوحى مقاومة الهيئات القومية وتنظيم السلام برودودهما . وفي العصر الحاضر يرى فيها اليسار تطبيقاً بحسباً لمذهبه الدولي الفوق قومي ( الفونمي ) الذي تلحق بموجبه المصالح القومية بالمصلحة العامة الدولية الفوق قومية . ولكن الفكرة في اي وقت مضى لم تصبح سياسية ولم تصبح الطوبائية حلاً كما في هذا الوقت ، وحتى أباونا ظلت « أوربة » مفهوماً جغرافياً ، وافضل من ذلك ، تعريفاً لثقافة . ومنذ آخر العصر الوسيط حدث انفجار المسيحية في أمم متعددة منفردة ، وفي الغالب متعادية ، وسيطر « داعي الدولة » على السياسة الخارجية ، وكل من لمع الى اي « اتفاق اوروبي » دل بذلك ، كما قال بشارك ، على ان له اهدافاً طموحة ويرغب في اخفائها تحت ظاهر محب للانسانية . فلم الشكوى من ذلك ، واوربه ، ولو بحزاة ، تسيطر على الكرة الأرضية ؟

وفي بداية عصرنا ، تحولت الحال ، وحدث حادثان هامان : من جهة ، ظهور الدول الجديدة العملاقة ؛ ومن جهة اخرى ، العلامات الاولى لثورة المستعمرات . وفي ١٩١٤ ، انفجرت الحرب ، دون ان تأتي

مجاول للمشاكل ، واستنزفت المتحاربين ، وبعد ذلك سوي سلام مميء قسم الحلفاء القدامى ، وأغاظ المغلوبين وقوض الوحدة الدانوبية وانشأ الوف الكيلومترات من الحدود الجديدة ، دون ان يحل بذلك مشكلة القوميات . وعندئذ ، نشأت ، للمرة الاولى ، حركة حقيقية للاتحاد الاوربي « الجامعة الاوربية » ( بان اوروبا ) التي قال بها الكونت ويشار كودنهوف - كالبرجي وبدأت تعد بتحقيقات ملموسة .

وفي ايلول ١٩٢٩ ، يبدو ان المشروع نجح . فقد اقترح آريستيد بريان ، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي ، على مجلس عصبه الامم انشاء « نوع من ولايات متعددة اوروبية » . ودعمه زميله الالماني غوستاف شتريزمان وأصبحت الفكرة مذكرة ، ثم غاصت . من جهة ، لأن ابطال المشروع زالوا بعد حين عن المسرح ؛ ومن جهة أخرى ، لان الازمة العالمية طرحت البلاد كلها نحو الحماية القومية . الا ان بريطانيا العظمى كانت قد صرحت في السابق بأنها لاتفكر بالمشاركة وأخذت ، على حق ، على الوثيقة المقترحة بأنها بقيت غامضة .

واقترح بريان ، رغم ضعفه ، كان محاولة محسوسة ومشخصة ، والوحيدة ، لتنظيم اوروبا ، وانتزع اخفاقه كل منظور للمستقبل بمن كانوا في المانيا و يناضلون ضد مد القومية الصاعد . وكانت النتيجة ، في ايلول ١٩٣٠ ، في انتخابات الرايخشتاغ ، ان النازيين زادوا عدد منتخبهم من ١٤ مقعداً الى ١٠٧ . وبعد حين كانت الحرب . ولكن بينما كانت الاسلحة تتكلم ، ما فتئت الفكرة الاوروبية تتأكد من جديد وبجزم .

الحرب وما بعد الحرب . - في سياق الحرب العالمية الاولى ، لم تظهر فكرة « هدف السلام » الا مع ولسون . وبينما كان يظهر كافياً في

بداية النزاع ان يكافح الحشم لتفرض عليه ارادة الغالب ، القى الرئيس الاميركي ، في عام ١٩١٦ ، بنقاطه الاربع عشرة . وهكذا دخلت حقيقة جديدة في الحياة الدولية : وهي حقيقة برنامج يوضع لما بعد النزاع .

ومن الممكن أن يفكر ، في سياق الحرب العالمية الثانية ، ان ضرورات الدعاية تضطر المتحاربين الى تعريف رؤاهم للمستقبل منذ بداية الحرب . الا أن الاقتراحات التي قدمها الجانبان كانت مخيبة .

فمن جهة ، التقى تشرشل وروزفلت ، في آب ١٩٤١ ، قبل دخول الولايات المتحدة الحرب على متن سفينة حربية ، ووقعا « ميثاق الأطلسي » ، الذي يعيد فيؤكد المبادئ الكبرى للديمقراطية الليبرالية ويعلن صهر عصابة الامم من جديد ، واعطاءها اسم « منظمة الامم المتحدة » . ولكن ، خلافاً لأمل الكثير من « المقاومين » لم يعمل أي تلميح الى اتحاد اوربي في المستقبل . ولا شك في ان الوزير البريطاني الأول قد فكر في حلول من هذا النوع ، وبعد عامين اطلق « منطاد تجربة » ، ولكن الظروف لم تكن مواتية بعد . ودخلت الحكومات المنفية في لندن ، اثناء التحرير ، فارغة الايدي ، دون مشروع للمستقبل . الا ان حكومات البلاد المنخفضة ، وبلجيكا واللوكسمبرغ وحدها وقعت ، بدافع من بول هنري سباك ، معاهدة لانشاء اتحاد جمركي يقتصر على بلادها ويسمى « البينيلوكس » . والواقع ان قضايا الدمج الفنية قد جربت في هذا الاطار .

غير ان الحصاد يمكن ان يظهر اغنى في الجهة الأخرى من المتراس . وبخاصة منذ غزو الاتحاد السوفياتي . فقد بدا ان الدعاية الهتلرية متركزة على « اوربه » ونظمت حملات صحفية على عرض دفاع اوربه المشترك ضد « البولشفية الآسيوية » ولم تبق هذه الدعاية دون بعض الاثر . حتى ان بعض « المتعاونين » قد استلهموا منها . فتحت ريشتهم ، نجد حججاً

تقرب من حبيب « الجامعة الأوروبية » . وهكذا يشار الى ان « البيون الحائنة <sup>(١)</sup> » ، بانعزاليتها التقليدية ، لم تفكر في الماضي الا بانقسام القارة الأوروبية على نفسها . ومن المؤكد ان مثل هذا الديموقراطي النادم بشكل مبيء يمكن أن يأسف على أن اتحاد اوروبا لم يتم باتفاق مقبول بحرية ، في اسلوب جونيف . وسواء اريد ذلك أو لم يرد فقد قدم مذهب الهيمنة حلاً ، أفلا يمكن تأنيس المذهب القومي- الاشتراكي من الداخل ؟ هكذا كانت ، على كل حال ، آمال بعض « التعاونيين » الذين يحاولون أن يتفهموا اختصارهم . ولكن الواقع هو أن هنار لم يفكر مطلقاً بالتعايير « الأوروبية » ، لأن المستقبل بالنسبة له في السيطرة الألمانية بكل بساطة ، أي أن يكون حول الرايخ توابيع تتطور ، وكل انحراف وطني من جانبا يعاقب بشدة . ولا شك في أنه يوجد في اوروبا الجديدة هذه كثير من الحواجز الجبركية ، ولكن جميع الشعوب تعمل فيها لقوة المانيا الدكتاتورية . والباقي ضلال .

وهكذا كانت الاتحادية الأوروبية غائبة عن اهتمامات الحلفاء وفي الوقت نفسه لاتتواءم مع الاهداف المتلوية . وبالعكس ، بدت قوية وحيية جداً في فكر كثير من المقاومين ، وهذا مفهوم . وبينما كانت بريطانيا العظمى تحارب - حرية العالم ، بالتأكيد ، ولكن في المحل الاول للدفاع عن ارضها ضد غزو العدو - ، كانت المقاومة تفكر فيما وراء العوائق المباشرة . وتتألف في الغالب من عناصر فتية غير مستعدة للمجازفة بحياتها لعودة نظام خيب رجاءها تماماً في ١٩٤٠ . وكان هؤلاء الوطنيون

---

(١) آلبيون Albion اسم اطلد القدامى على بريطانيا العظمى بسبب جرفاتها البيضاء ، ويعنون به شعرياً إنكلترا .

يشعرون بارتباطهم مع وطني البلاد الأخرى - وهذا ما كان يعدم عن القومية .

وفي منشورات لا تعد لها كانوا يقترحون الاتحاد الاوربي كهدف سلام ، . وفي ١٩٤٤ ، اجتمعوا في جنيف لإعداد بيان في هذا الروح . ولكنهم ما كانوا ليمثلوا أوربه الغربية على سبيل الحصر : بل شاركهم يوغوسلافيون وبولونيون ، ومن جهة أخرى ، كان المندوبون الايطاليون نشيطين بخاصة ، فهم الذين فكروا بقضايا بعد الحرب في منغام في جزيرة فالتوتين . وكان البيان المنشور ، في قسم كبير منه ، من عملهم . لقد استطاعوا أن يفكروا وأن يستخلصوا . ولنشر إلى أنه كان إلى جانبهم وفد ألماني ، برىء من كل قومية ، مثل الاتحاد كوسيلة وحيدة لاعادة اعمار ألمانيا دون أن تصبح تهديداً لجيرانها .

وهكذا ، كان لدى المقاومين وحدهم أفكار مشخصة عن الشكل الذي يجب به تحقيق الوحدة الأوربية - من نزاع السلاح الجوي ، والاشراف الدولي على الأنهار الكبرى ، وحماية الأقليات ، الخ .. ويبدو أن ساعتهم حانت بعد التحرير . ولكن الفرصة فرت منهم ، وذلك لعدة أسباب .

أولاً ، في بعض البلاد ، ضغط العائق الشيوعي بوزنه ثقيلاً على المقاومة ، وما كان ستالين ليؤرب بشيء أقل من رغبته في إنشاء أوربة : لقد كانت سياسته تهدف إلى ( تبعية ، القسم الشرقي من القارة وتجزئة الباقي . وبعد استسلام الجيوش الألمانية ، عدلت قضايا مباشرة قوى التجديد : لا سيما وان دعاوى التطهير كانت تتطلب جهوداً دائمة ، وبالاجمال عقيمة . وضاع الزمن الثمين بالجري على العاجل ، وهذا

ما ساعد قوى المحافظة على التجمع . وأخيراً ، انتهى الكفاح القامي ضد المحتل باثارة الحقد على ألمانيا ، ولم يكن التحرر منه إلا تدريجياً .

والحاصل هو أن الاتحاديين الاوربيين الاولين استطاعوا بعد الحرب أن يلتقوا في آب ١٩٤٦ في مؤتمر دولي عقد في هورنشتاين ، على شاطئ بحيرة الكانتونات - الاربعة ولكن العودة إلى القومية تمت من قبل . ومع ذلك ، فإن الحركات السياسية وليدة المقاومة ضربت في الانتخابات : وهذه هي حال « حزب العمل » وحزب « الاتحاد الديمقراطي البلجيكي » . وان تجمعات أخرى ، مثل الحركة الشعبية الهولندية ، أرادت أن تبقى خارجاً عن السياسة النشطة : وزالت دون مجد . وأخيراً ، الحركة الجمهورية الشعبية الفرنسية ، التي فهمت في البدء كتجديد ، أصبحت حزباً سياسياً تقليدياً ، وحلت محل الديمقراطية المسيحية التي كانت قبل الحرب . وكانت هذه الحركات كلها محشورة في معارك في داخل دولها الخاصة : ولم تكن أوربية إلا بيرنابجا ، حتى ان تصريحاتها في هذا الموضوع أصبحت افلاطونية .

وبعد الحرب كان يجب قيام الحركة الأوربية من جديد . وكانت مونتستاتين بداية هذا التجديد . وأعد برنامج وضعت فيه مبادئ أساسية في الاتحادية الاوربية : أوربة - المتحدة المعتبرة كعنصر تركيبي لنظام عالمي ، أوربة عصبه منفتحة ، ميثاق الحقوق المدنية ، التجمعات الاقليمية ذات السلطة في القول والفعل بل والمرتجاة ، تنسيق وتخطيط تكنولوجي واقتصادي على المستوى الاوربي ، انشاء سلطة فوقية للقضايا التي تتجاوز الأمم . وبعد بضعة أشهر أسس الاتحاد الاوربي للاتحاديين في باريس . وبسرعة تابعت المؤتمرات : مؤتمر امستردام في نيسان

١٩٤٧ ، ثم مؤتمر مونترال في آب - ايلول من السنة نفسها . ولكن بدا أن الاتحاديين لم يكونوا وحدهم يفكرون في أوربة .

وفي الوقت الذي كانت فيه جماعة هرتشتاين المتواضعة تحرر نصها النهائي ، القى ونستون تشرشل خطابه الشهير في زوريخ وأنهاه بهذه الكلمات : « انهضي يا أوربة » وكان تأثيره صاعقاً . وبالحال ، وضعت قضية الاتحاد الاوربي أمام الرأي العام الواسع . وبما أن الغالب في الحرب العالمية الثانية قد دافع عن الفكرة ، فلم يعد بالامكان أن تجنب باعتبارها طوبائية . وفي الحقيقة كان تشرشل في المعارضة ، وهذا ماخوله الحرية الكاملة في العمل . ولا شك أيضاً ، في انه لم يوضح تحت أي شكل يجب أن يكون الاتحاد : وفي الحقيقة ان تعبيره عن المشروع كان مبهماً أيضاً كتعبير بريان في الماضي . وأخيراً ، يبدو أن رجل الدولة البريطاني لم يفكر مطلقاً بإشراك بلده الخاص في المشروع : فقد احتفظ له بدور الاشبين ، ومع هذا فقد أصبحت القضية موضوعة منذ الآن .

وبالمقابل ، ان فكرة الاتحاد الجمركي سلكت طريقها في الأوساط الاقتصادية . وفي بداية ١٩٤٧ ، أنشأ الوزير البلجيكي الأول بول فان زيلاند العصبة المستقلة للتنسيق الاوربي ، وتضم رجالاً سياسيين أو أصحاب مصارف ، وصناعيين وخبراء . ثم التحقت بها فيما بعد عناصر أخرى . وقامت مباشرة اتصالات مع لجنة أوربة المتحدة التي شكلها تشرشل في لندن .

وأخيراً ، وفي الوقت نفسه ، عاد الكونت كودنهوف - كالجري من الولايات المتحدة ، حيث علّم طوال سنوات الحرب . وفي هذه المرة ، لم يشأ أن يستأنف العمل تحت شكله التقليدي ، بل قرر أن يؤسس العمل الاوربي على أعضاء من مختلف البرلمانات صاحبة السيادة



القومية . وبأمر العمل بالقيام بتحقيق ، وكانت النتائج مشجعة . وصرح عدد عظيم من النواب والشيوخ بأنهم على استعداد لدعم القضية الأوروبية . ثم عقد المؤتمر الأول في غشتاد ، حيث يقيم مؤسس « الجامعة الأوروبية » ( بان أوروبا ) . وتأسس الاتحاد البرلماني الأوروبي ، تحت رئاسة الاشتراكي البلجيكي جوج بوهي . ومع ذلك فإن الاتحاد البرلماني الأوروبي وقف في معزل عن الحركات الأوروبية الأخرى .

وهكذا ترى وفرة النشاطات الأوروبية ، وكان من اللازم العاجل التنسيق فيما بينها . وتشكلت لذلك لجنة مختصة وخرجت عنها الحركة الأوروبية ، التي فهمت على أساس كرنفدرالي . وتأسست هذه الحركة في بروكسل ، في تشرين الأول ١٩٤٨ ، تحت رئاسة وزير محافظ قديم ( وآت في المستقبل ) دونكان سانديز ( من بريطانيا - العظمى ) ولكن لزم بخاصة ، انتظار اللحظة التاريخية التي يمكن أن يجابه فيها المذهب قضايا الساعة . أي أن الفكرة يمكن أن تصبح سياسة وهذا ما حصل في ١٩٤٧ .

السنة الحامسة ١٩٤٧ . - في عام ١٩٤٦ بدأ إصلاح الدول المتحاربة يجري « بشكل » عادي ، ومن ثم جاءت عدة قضايا أمية حلها تنهال على البلاد الأوروبية « الغالبة » أو « المغلوبة » . وأولى هذه القضايا قضية الاعمار المادي وهودة الحياة الاقتصادية إلى مجاريا . ولكن الاعمار لا يكفي بل يجب الافادة من « الصفحة البيضاء » لعمل الجديد ، لأن التجديد الاقتصادي والتكنولوجي كان بخاصة ملازماً ولا سيما بعد خضاع عدد من الأسواق التقليدية . وقبل كل شيء ، يجب حقن عظيم من رؤوس الأموال التي تستطيع امريكا وحدها أن تسلمها . ولا شك في أن الولايات المتحدة قدمت في السابق مساعدة مباشرة عظيمة بواسطة منظمة تحمل

عنوان الأمم المتحدة وهي « منظمة الأمم المتحدة للغوث والتعمير » ، وأدارة الأمم المتحدة للغوث والتعمير ، ولكنها حلت بعد قليل . وكان من الضروري وضع خطة جديدة ، القيام باقتصاد جديد : اقتصاد الهبة . إلا أن هذه الهبة لا تخول إلا إذا أراد الاوربيون أن يعتبروا أوربة كـ « مجموعة » لا كوضع مصالح متنافسة إلى جانب بعضها .

وكانت الخطة خطة مارشل : ففي ٥ حزيران ١٩٤٧ ، القى الجنرال مارشل ، أمين وزارة الخارجية الجديد ، خطاباً مدوياً في جامعة هارفرد أعلم فيه انشاء موجة جديدة من الاعتمادات المعطاة بسخاء ، وأضاف في هذه المرة ، بأن المساعدة يجب أن تتفق مع جهد في التعاون من جانب الدول الأوربية . ولاحظت أمريكا ، أفضل من أوربة نفسها ، ضرورة اعمار منسق .

والح مارشل مراراً على هذه النقطة وهي : ان عرضه موجه إلى أوربة بكاملها ، مهما كان النظام الاقتصادي والاجتماعي في البلاد المعنية : وعلى هذا فان ألمانيا وإيطاليا مستفيدان من هذا العرض كالحلفاء . ودعي إلى مؤتمر عقد في باريس ، وعلى اثره ، رأت النور منظمتان : من جانب الولايات المتحدة ، ادارة التعاون الاقتصادي التي تعهد بول هوفمان بتوجيهها ؛ ومن جانب أوربة ، المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي .

وكان الأمين العام الأول لها روبر مارجولن الذي شارك ، فيما بعد ، في اللجنة الاوربية للسوق المشتركة . واشتركت في هذه المنظمة : ألمانيا الاتحادية ، النمسا ، بلجيكا ، الدانمارك ، فرنسا ، اليونان ، ايرلانده ايسلانده ، إيطاليا ، اللوكسمبورغ ، النورفيج ، البلاد المنخفضة ، البرتغال المملكة - المتحدة ، السويد ، سويسرا ، تركيا .

وهكذا أطلقت الحكومات الأوروبية ، مع شيء من الاكراه ، على طريق التعاون الدائم والعضوي . ففي باريس ، في قصر لامويت ، مقر المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي تعلمت أن تتعرف مشاكلها بشكل متقابل ؛ وبدأت تسود ثقة متبادلة قضايا بعضها التي أصبحت قضايا الأخرى . ولا شك في أن كل بلد ، في البدء ، إذا أخذ منفرداً كان يريد أن يفيد من الكرم الأميركي ويقدم خطة قومية في التنمية . ولكن الولايات المتحدة اهتمت بشمير دولاراتها فأعادت هذه المشاريع إلى مرسلها مطالبة بتامسك أوربي أعظم . وعندئذ ، دخل التعاون الدولي في الاخلاق والفت فيه حركات الاتحاد الاوربي نقطة تطبيق .

إن « اقتصاد الهبة » الذي طبقته الولايات المتحدة ، أخذ ابعاداً لا سابق لها . فلماذا ولت امريكا ظهرها بعزم لكل انعزالية واقلعت في مبادهة فلكية البعد ؟

ما من شك لدواعي تضامن مثالي ، لأن الرأي الأميركي في هذه القضايا أكثر حساساً من الجمهور الاوربي ، الذي يظهر دوماً أكثر قسوة وأقل « سذاجة » . ومن ثم ، لأنه لم يكن من المصلحة الأميركية ان ترى أوربة ، الرفيق التجاري الهام ، تهوي في البؤس . حقاً ان الصادرات لا تشمل الا جزءاً ضعيفاً من الانتاج الأميركي ، ولا تنص منه أوربة إلا جزءاً - ومع ذلك فان الحجة تبقى محافظة على قيمتها . أما الحجة المعاكسة ، وهي أنه إذا جعلت أوربة تقف على قدميها فان الولايات المتحدة تحتاج لنفسها منافساً مستقبلاً ، فلم تلعب الا قليلاً . ولكن ، فيما وراء الاقتصاد ، بخاصة ، كانت تقصد العمل السيامي ، لأن الولايات المتحدة شعرت بالتهديد الشيوعي .

ويدخل هنا عنصر جديد . ففي الحرب ، كان الاتحاد السوفياتي

والولايات المتحدة حليفين ، ونشرت الدعاية الاميوكية بسخاء الأمل في أن النظام الشيوعي يتطور نحو أشكال أكثر « ليبرالية » . وبعد وفاة الرئيس روزفلت ووصول خلفه هاري س. ترومان ، أصبح واضحاً بأن هذا الأمل كان وهماً . لأن الستالينية لم تصبح مرنة ، بل تصلبت ، وبعد حين ، في ١٩٤٩ ، أعلن ترومان « النقطة الرابعة » واعدأ المساعدة و"ون لكل بلد يرغب في الدفاع عن حرية ضد عدوان أو تسلل شيوعيين . وبدأت الحرب الباردة .

وظهرت هذه الحرب مباشرة بمناسبة خطة مارشل نفسها . فبالرغم من أن دول الشرق قد دعت فيها ، فقد رفضت كل تعاون : بولونيا بعد بعض التردد ورغماً عنها . وتشيكوسلوفاكيا ، التي كانت تحافظ بعد على شيء من حرية الحركة ، قبلت بالرغم من حضور الشيوعيين في حكومتها ، ولكنها تلقت بالحال تعليقات مخالفة : وتخلت بدورها . وهكذا ، فإن الخطة التي كان من الممكن أن تكون عامل اتحاد لأوربه بكاملها ، لم تتمكن أن تكنه إلا لأوربه الغربية ، التي أصبحت منذ الآن مربطة بأمريسكا .

وكان لتصلب المواقف الدولية أيضاً انعكاساته في المانيا ، فقد ظهر فيها عدم استعداد الحلفاء الغربيين بشكل أكثر ضرباً للحس ، بقولهم ما العمل ببلد مغلوب ؟

ويبدو هنا من جديد أن الحلول الأوربية آتت بالجواب وهو : يجب مساعدة المانيا على النهوض « بدعجها » في مجموعة اتحادية فدرالية . ولكن يجب الإسراع ، لأن التطور السيامي يسرع في المنطقة السوفياتية ، ومنذ الأيام الاولى للاحتلال ، باشرت أجهزة الاداريين الشيوعيين والحجين

للسيوعيين بالعمل . وأمام طرق الشرق الناجعة ، وقف الغربيون بوجه حزين بسبب منافساتهم المسكينة ومناطق احتلالهم الثالث .

ومع ذلك ، أخفق الروس ، وبخاصة في ١٩٤٨ ، أثناء الحصار الروسي لبرلين والجسر الحوي الحليف ، لأن هذا التحالف غير المنتظر بين الرايخ الثالث البائد والحلفاء ، أخذ يقوى ويشتد ساعده .

ولنشر ، أخيراً ، إلى أن سنة ١٩٤٧ قرعت جرس نعي القوة الامبريالية البريطانية . ووجد حادثات رمزاً لذلك : فقد بدا أنها يطرحان المملكة المتحدة نحو البحث عن هذه الحلول الاوربية التي أطرى بها تشرشل ، ولكن لم يكن لها صدى في حزب العمال القائم على السلطة .

ومن جهة ، في شباط ، أعلم سفير صاحب الجلالة في واشنطن ، اللورد انفوتشابل ، رئيس الولايات المتحدة بأن حكومته لا تستطيع تأمين النظام الصالح في الشرق الأدنى . كان على حزب العمال أن يختار بين متطلبات « حالة الرفاه » ومهنة « الشرطي » العام . ولا شك في أن الاختيار كان سهلاً قليلاً ، لأن الجيوش الانكليزية كانت ، منذ عهد قريب أيضاً ، تساعد الحكومة اليونانية على اخماد ثورة شيوعية . ومع ذلك فقد أذعنّت لندن ، وطلب ترومان إلى الكونغرس ان يخوله ٤٠٠ مليون دولار اضافية . وحل الجندي الامريكي « جي . آي » محل « تومي » الجندي الانكليزي .

ومن جهة أخرى ، في ١٩٤٧ ، خول الاستقلال إلى أوسع مستعمرة بريطانية وهي الهند ، وبدأ الخلاص من الاستعمار .

وتابعت بريطانيا ، على القارة ، هذا التطور باهتمام . والآن وقد لامست الامبراطورية البريطانية الموت ، فستصبح المملكة المتحدة دولة

اوربية ، وتكاد تنفصل عن القارة بمخندق صغير ، فمن الواجب على  
على بريطانيا العظمى الا تشارك في الحركة الاوربية فحسب ، بل أن  
تكون على رأسها ! وكثير من الاوربيين يرون ذلك انطلاقاً من ١٩٤٧ .

التحقيقات الاوربية الاولى . - ولا يغرب في هذه الظروف أن  
نوضع المرحلة الاولى للتحقيقات الاوربية لما بعد الحرب تحت شارة  
« محور لندن - باريس » . وكانت بريطانيا العظمى تتمتع بجاه  
واسع ، باعتبارها الدولة الاوربية الوحيدة التي خرجت من الحرب دون  
أن تسلم أبداً . وأعطت لنفسها حكومة وأملت منها أن تقوم بمبادعات  
مجددة ، لا في الشؤون الداخلية فحسب ، بل أيضاً في السياسة الخارجية ،  
وكان يفكر بأن يكشف جهاز الميجر آتلي عن موهبة جديدة بطرح  
قواعد اوربه المتحدة .

وفيما يتعلق « بحور لندن - باريس » فقد ذهب بعضهم إلى  
ادخال براغ فيه ، لأن تشيكوسلوفاكيا مازالت تحافظ على بعض  
الاستقلال وتحلم بأن تكون « جسراً بين الشرق والغرب » . والدعامة  
الغربية لمثل هذا الجسر يمكن أن تكون انكلترا الاشتراكية ، باعتبار  
أن فرنسا محطة قارية للغرب .

وهذا الحكم منطقي ، ولكنه وهمي . والواقع ، أن رسل حزب  
العمال ما كانوا ليروا الاشياء تحت هذه الزاوية . وفي الشرق ، يعتقدون  
بصهر بين الشيوعيين والاجتماعيين - الديمقراطيين ، يكون فيه هؤلاء  
الأواخر أقوىاء في عددهم ، ويسيطرون على الحزب « الموحد » . ولم  
يعطوا للمقاومة الاشتراكية أي دعم ، حتى ان فكرة أوربه المتحدة  
التي تضم الغرب والشرق ، أو على الاقل تشيكوسلوفاكيا التي مازالت

حرة بعد ، كانت غريبة عليهم . وأخيراً ، كان ارنست بيفن ، وزير الشؤون الخارجية ، مضى بكثير من المشاكل المقلقة ، مثل قضية فلسطين ، ولا يفكر إلا قليلاً بعبادة أوربية ، ودعم برخاوة المبادعات التي اتخذت فيما عداها .

ومع ذلك ، بدا حيناً ، ان وقت المبادعة البريطانية قد حان . وفي ١٩٤٧ ، أبرمت انكلترا وفرنسا ، بمثلتيين بشخص ارنست بيفن و جورج بيدو ، في دنكرك ، معاهدة تربطها ، أمام عدوان الماني محتمل الوقوع . والواقع هو أنه كان يفكر بجهة دفاع ضد الاتحاد السوفياتي .

إلا أن معاهدة دونكرك ظلت حرفاً ميتاً . ومن المؤكد أنها وسعت في السنة التالية في معاهدة بروكسل التي شكلت ، بانضمام بلاد البينيلوكس الثلاثة ، الاتحاد الغربي ، وهو أول منظمة أوربية بعد الحرب . ولكن « أوربة الخمس » هذه لم تكن في الواقع نشيطة إلا في المضمار الثقافي . وفي السياسة ، ستصبح غير ذات نفع بمجلس أوربه ، وفي المادة العسكرية ، بمنظمة حلف الاطلسي ( أوتان ) التي انشئت في ١٩٤٩ ، بدافع من الولايات المتحدة ، كرد فعل للدفاع الجماعي بعد انقلاب براغ في شباط ١٩٤٨ .

وفي الحقيقة ، ان منظورات أخرى بدأت تظهر عندما أبرمت معاهدة بروكسل . وكما قال بول - هنري سباك ، فيما بعد ، حلت « المبادعة الخاصة » محل تردد الحكومات . وفي أيار ١٩٤٨ ، ضم مؤتمر كبير في لاهاي ٨٠٠ مواطن مشهور ، وهذا اللقاء التاريخي ، كما قال تشرشل ، رئيس الشرف ، ساعد جمهوراً كبيراً على وعي حقيقة جديدة : وهي ارادة اتحاد أوربي . ولم تنتج الصدمة المعطاة ، في الواقع ، لا خطباً

تلقى ، وتشرشل نفسه لم . يستطيع اضافة شيء إلى ما قاله من قبل ، ولا قرارات صوت عليها ( وفي الغالب مبهمه ) ، بل روحاً متأخذ فجة شكلاً . ونظراً إلى أن كثيراً من الرجال من أصحاب النفوذ صرحوا بأنهم « أورييون » فان الفكرة الاتحادية لم تكن طوبائية .

ومن جهة أخرى ، دل المؤتمر على المرحلة الاولى التي يجب بلوغها . وهذه المرحلة تقتضي انشاء « مجلس أوربه » ، ويكون فيه للاوربيين فرصة اللقاء للنقاش في قضاياهم المشتركة . والحقيقة ، ان المجلس المقترح سيكون استشارياً ؛ ومع ذلك فان هذه البداية تبدو خصبة .

والتعبير مجلس أوربه أتى عن تشرشل . فقد استعمله في زوريخ . وأصبح كلمة أمر ، وفي كل مكان في أوربه الغربية كانت الوفود القومية إلى لاهاي تأتي وتقدم هذه القرارات إلى حكوماتها العائدة لها : إلى الوزير الأول وإلى زميله وزير الشؤون الخارجية .

كان النجاح مفاجئاً . وبعد حين ، دعت الحكومة الفرنسية أوربي الغرب الآخرين - باستثناء اسبانيا والبرتغال دوماً - إلى أت يأتوا ويتناقشوا في باريس ، تحت أي شكل يمكن فيه لمنظمة أوربية أن تعمل . وتحت رئاسة ادوار هريو ، رئيس المجلس الوطني دعي مؤتمر رسمي إلى الانعقاد في النصف الثاني من ١٩٤٨ .

وفي هذا المؤتمر التحضيري ، بدا ان الوفد البريطاني ، الذي يوجهه الدكتور هوغ دالتون ، غير محبذ ، وقد سبق لادارة حزب العمال أن « ثبطت » همة أعضائه في الاسهام بمؤتمر لاهاي ، وهذا ما جعل الاتجاه يميل إلى اليمين أكثر مما كان يرجى . وجهد الانكليز الآن للحفاظ على مجلس أوربه المستقبل في نطاق الارثوذكسية الدولية المتشددة . وكانت فكرتهم شبيهة بما سمي في الآجل : « أوربه الدول » واقتصرت على



مشاورات منظمة بين الحكومات . وحاول العالميون أن يقللوا كل نفوذ يمكن أن يكون لـ « ستراسبورغ » على السياسة الداخلية ، وهذه هي السياسة التي تهمهم فوق كل شيء .

نعم « ستراسبورغ » ، فهل أوحى بمدينة ستراسبورغ ليمنع المجلس من التمتع بجاه عاصمة كبرى بحجة بصحافة كبرى ؟ لقد قيل ذلك ؟ ولكن هذا الاختيار صادق عليه بحجة من كانوا يرون فيه نظاماً للتوفيق والمصالحة بين فرنسا وألمانيا . لأن ألمانيا المغاوبة إذا لم تشارك بعد مباشرة في المحادثات فقد أعلن عن مشاركتها من قبل .

لقد ضم الميثاق الذي أقر مجلس أوربه ، توقعات عشر دول ديمقراطية في أوربه الغربية : بلجيكا ، الدانمارك ، فرنسا ، ايرلندا ، إيطاليا ، اللوكسمبورغ ، النورفيج ، البلاد المنخفضة ، المملكة المتحدة ، السويد ، ووقع في لندن ، بعد سنة على مؤتمر لاهاي . وكان ينبغي الانطلاق بسرعة في العمل . وازدادت السرعة أيضاً بعد أن تقرر أن تكون الدورة الاولى للمجلس الاستشاري في صيف ١٩٤٩ . وبسرعة نظمت جامعة ولهمين القديمة لاستقبال البرلمانين الاوربيين ، وبعد خطاب الترحيب الذي القاه هريو ، انتخبوا بول - هنري سباك رئيساً للمجلس .

وهذه الدورة الاولى ، التي لعبت فيها الحركة الاوربية دوراً هاماً في الكواليس ، بدت مليئة بالوعود . وكان الممثلون المرموقون في الحياة البرلمانية يحرسون على تسميتهم أعضاء في مجلس ستراسبورغ . وفي الواقع ، ان تسمية الاعضاء كانت تم في داخل البرلمانات القومية ، واستعرض الاعضاء عدداً عظيم من القضايا الحارة ، ببلاغة وكفاءة . وانهقد اجتماع كبير في الهواء الطلق في ساحة كليير وضم جمهوراً متحمساً ومفعماً بالأمل .

ومع ذلك فقد حلت الجبة بعد حين . ففي الحريف ، وجد أن المجلس « الاستشاري » لم يستشر . ولا شيء يضمن بأن الحكومات ستأخذ توجهاته بعين الاعتبار . وقد لوحظ في حريف ١٩٤٩ حادثان هامان في هذا المعنى .

من جهة ، قررت بريطانيا - العظمى تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني وفعلت ذلك في واشنطن ، وهذه صفة مميزة لتحديدات التي أتت بها الحرب القومية . ولكنها لم تجرب حتى ولم تشاور أحداً ، بالرغم من أن هذا الاجراء الانكليزي قد اتبع بتخفيض عام للنقد في القارة الاوربية باستثناء الفرنك السويسري . وهكذا لاقى التضامن النقدي الاوربي تكريساً مدوياً ، بيد أنه ظهر في الوقت نفسه كم كانت المناقشات الاقتصادية لمجلس أوربة نظرية .

ومن جهة أخرى ، ان لجنة الوزراء ، وهي القسم الثاني للمجلس ، اجتمعت تحت رئاسة الوزير الدانماركي لدراسة اتجاهات الجمعية العامة ( المجلس ) . وكانت معركة . ومن الوجهة العملية ، لم يؤخذ بشيء ، واستحوذت خيبة كبرى على مندوبي ستراسبورغ وعلى قسم من الرأي العام الذي تابع مناقشتهم .

وختاماً ، ان دورة المجلس ، الذي انعقد في صيف ١٩٥٠ ، لم تظهر تفاؤل السنة السابقة . وأخطر من ذلك ، ان اختلافاً عميقاً ظهر في الرأي : من جهة ، الاتحاديون ، وكانوا يحاولون اقام قرار لصالح المنظمات الفوقية ؛ ومن جهة أخرى ، الانكليز والاسكاندينافيون في أكثريتهم العظمى جداً ، وقد تعلقوا بتصريحات كثيرة الغموض .

وفي الحقيقة ، ان مثل هذه المناقشة لا يمكن أن تكون إلا عقيمة .

لأن الاتحاديين ، الذين يمثلون بخاصة البلاد الستة التي ستدخل في دمج الأسرة الأوروبية ، كانوا يحددون أنفسهم إذا كانوا يفكرون بأنهم يستطيعون اقناع زملائهم « القائمين في محيطهم » . وانقاد هؤلاء الأواخر لمعجزة وهي أن رأيهم لا يتبعهم . وبالمقابل ، ان من كانوا يحبون أن يسموا أنفسهم « عاملين » أظهروا عدم كفاءتهم في وضع طرق أخرى ، غير اتحادية ولكن ناجعة .

وهذا الواقع ، حكم على مجلس أوربه بأنه خيب ومن ثم وبالتدريج ختم دور المبارزات الخطابية . ووجدت ستراسبورغ طريقتهما الحاسمة : وهي طريقة الاتفاقات المختصة .

وهذه الطريقة الناجعة تدريجياً منذ سنوات الـ ٦٠ تقتضي تناول قضية ، فنية أكثر منها سياسية ، في نقاش عام في المجلس ( الجمعية ) ، ومن ثم يعهد بها إلى خبراء الحكومات لينتج عنها أخيراً اتفاق يقن وحدة اتجاه وجهات النظر التي تلاحظ أو التي تثار .

وفي هذا المضمار كان الاتفاق الاوربي الهام ، ولا شك ، اتفاق « حقوق الانسان » . الواقع ، ان مجلس أوربه لم يكتف بوضع قائمة مثالية ، كما هي الحال في الاعلان العام للأمم المتحدة : بل أنشأ جهازاً قضائياً قادراً على اصطفاء ، ثم فحص الشكاوى ، وعند مقتضى الحال ، اثارة تقويم الاخطاء . وما لم تستطع محكمة البداية ، للجنة ، معالجته ، يمكن أن يعرض لحكم محكمة أوربية سبق وأعطت ، في الواقع ، بعض أحكام مدوية ، ولكن الحكومات المتداعية في معظم الاحيان تفضل الا تصل الامور حتى الدعوى : وفي حالات عديدة كانت

تصحح سلوكها أو تبدل التشريع في المضمار الذي يقع عليه اللوم .  
وهكذا حذفت النورفيج من دستورها المادة التي تمنع اليسوعيين من  
الدخول إلى المملكة .

وصادقت بعض البلاد ببساطة على الاتفاق ، وأضافت إليه أخرى بنداً  
يساعد المواطن الفرد على رفع شكواه على دولته ، وصادق عليه جميع  
أعضاء مجلس أوربه على الأقل وببساطة ، باستثناء فرنسا التي احتجت بعض  
الوقت بحرب الجزائر ، لتبرير رفضها . ومع ذلك فإن غيابها ظل مستمراً  
منذ اتفاقات ايفيان .

وبينما كانت ستراسبورغ تحتل الاسطر الكبرى في الصحافة ، كانت  
المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي ، المنظمة الأخرى الدائمة لـ « اوربه  
الكبرى » ، الغربية ، تعمل بشكل اقل مسرحية ، ومع ذلك فقد قامت  
بعمل عظيم بمساعدتها على توزيع اموال مارشل بتلين السياسات الجمركية  
للبلاد الاعضاء ، وتوطيد عادات التعاون بينها . وقد نجم عن جهود المنظمة  
الاوربية للتعاون الاقتصادي ، في تموز ١٩٥٠ ، الاتحاد الاوربي للمدفوعات  
فقد وضع نظاماً نقدياً ماهراً يساعد الجميع على المشاركة في شبكة  
مبادلات متعددة الجوانب . وأصبح بإمكان المبادلات التجارية منذ الآن  
ان تتم خلال « تقاص » اوربي دون ان يوازن كل بلد في كل مرة  
ميزانه مع البلد المصدر . وهذه الفكرة ، ككل الافكار تقريباً ، التي  
تحققت في تلك الآونة ، كانت قد اقترحت من قبل الحركة الاوربية ،  
وقد عرفت هذه الحركة عصر نفوذها الكبير ، وتواجد أفولها مع افول  
مجلس اوربه .

ميلاد « اوربا الصغرى » . وكسنة ١٩٤٧ ، جابهت سنة ١٩٥٠  
قضايا مباشرة لا يمكن ان تكون حلولها الا اوربية . وكانت القضية المركزية  
فيها قضية المانيا .

فقد قطعت مرحلة اولى . وبعد صهر المناطق الغربية الذي لم تقبل به فرنسا الا مكرهه ، ونهضة الاحزاب السياسية والادارة البلدية ( القومية ) ولدت الجمهورية الاتحادية . وعندئذ ، دخلت المانيا من جديد المسرح الدولي ، وبدا مستشارها الاتحادي ، الدكتور كونراد اديناور ، رئيس الحكومة ، منذ ٣٠ ايلول ١٩٤٩ ، نصيراً مؤمناً بالتحالف الغربي ومداًفعاً متحمساً عن حقوق بلاده معاً . ولاشك في ان زعيم المعارضة الاجتماعي الديموقراطي الدكتور كورت شوماخر ، كان يهتمه بأنه « مستشار الحلفاء » ، ولكن السياسة الخارجية الالمانية في الواقع ، لم تخرج ابدأ عن خط سلوكها : « المساواة في الحقوق ، والاتحاد الأوربي . وقد اعطت سنوات الـ ٥٠ الدليل على ذلك .

وكان يقصد في المقام الأول ، نظام الرور . ومباشرة بعد انهيار هتار ، حاول المحتلون الاميركيون تجزئة التجمعات المالية الكبرى . فلم ينجحوا في ذلك الا قليلاً .

ثم كلفت لجنة حليفة بمراقبة تسيير المشاريع الصناعية والتجارية . ولم تتلق تعليمات واضحة ، ولا يعلم احد اتباع اي سياسة . وبدأ بالتدريج فراغ وعدم يقين ظاهر . ومن جديد ، فرض الحل الاوربي في الفراغ ، في الوقت الذي كان فيه مجلس اوربه في مأزق .

ومن جديد ايضاً ، جاءت المبادرة من باريس . ففي ٩ ايار ١٩٥٠ عقد روبر شومان ، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي مؤتمراً صحفياً طرحت فيه فكرة منظمة فوقمية ، فرنسية - المانية في البدء ، في نطاق الصناعة المعدنية والفحم ، على ان يوضع هذا الحاصلان المفتاحان تحت رقابة محكمة اوربيه ، بشكل لا يمكن ان يفيدا فيه كأداة لسياسة عدوانية . وهكذا

فان كل فكرة خلاف بين الشعبين المتعادين منذ زمن طويل ، أصبحت « غير مفكر بها » ، ؛ ودعيت شعوب أوربية أخرى الى الالتفاف حول هذا التجمع الفرنسي - الالماني . وبالفعل فان بلاد البينيلوكس الثلاثة وايطاليا ماعنمت ان لحقت بفريق المفاوضين المكلفين باعداد معاهدة ولم يكن القصد من هذا مطلقاً مناورة مناوئة لبريطانيا ، كما اعتقد بعضهم فيها وراء المانش ، ولكن شومان أفاد من نتائج الاخفاق النسبي لمجلس أوربة ، لأن قافلة ستراسبورغ تقدمت بوقيرة بطيئة كثيراً ، حتى أن الجريئين أكثر من غيرهم تخلصوا منها بالتقدم بصورة أسرع . ومن جهة أخرى ، ان خطة شومان لا تقدم مطلقاً صورة أولى دستورية نظرية كما زعم في لندن : بل تقبل بأن التعاون بين الحكومات يجب أن يتم في حدود ضيقة . ولا شك في أن ادخال سلطة فوقية كانت يعادل ثورة صغيرة في الأفكار ، ولكن التطبيق ظل ذرائعياً . وأخيراً ان الخطة لم تشأ أن تحيي « كارتل الفولاذ » الذي كان قبل الحرب ، لأن قسماً من اليسار كان يخشاه . بل ادخلت رقابة هامة على سير الأسواق الصناعية .

كان المشروع عمل رجلين يتم أحدهما الآخر : جان مونيه و روبير شومان .

وتم اعداد المعاهدة وتصديقها بسرعة . ومنذ ١٩٥٢ ، اقيمت سلطة عليا ، وجعل مقرها بعد مناقشات شاقة في لوكسمبورغ وتوأسها جان مونيه نفسه . ولأول مرة تقوم تجربة فوقية بدافع من هيئة يتعهد فيها الاعضاء التسعة بالايتلقوا أي تعليمات من جانب حكومة من الحكومات . ومع ذلك ، فان المبدأ الفوقي لم يطبق حتى النهاية . وبينما كانت

يتساءل ، في البدء ، ما إذا كانت الأمرة الاوربية للفجم والفولاذ ستحتاج إلى مجلس وزراء قوميين ، فقد آل الأمر إلى التسليم بهذا الامتياز . وفي الواقع ، دعني هذا المجلس لأن يلعب دوراً له نفوذه تدريجياً ، إلا أنه وجد ، فيما بعد ، بأنه من السابق لأوانه أن يعهد بوظيفة ذات سيادة إلى هيئة « أوربية » . وقد برهنت على ذلك أزمة الفجم عام ١٩٥٨ : ففي حالة الوفرة لا يكون للتعبير الفوقي من القوة ما يجعله يمنع الايطاليين من أن يتمنونا من المنتج الارخص من غيره ، امريكا .

ولكن لا يمكن بعد التنبؤ بمثل هذا التطور في ١٩٥٢ ، « السنة الذهبية في أوربه » ، لأن الأمرة الاوربية للفجم والفولاذ لم تدخل في العمل فعجب ، بل امرة دفاع يبدو أنها في طريق صالحة . ولم تقتصر على الصعيد العسكري بل ضمت أكثر من ذلك مبدأ اتحاد سيامي .

وبالفعل ، وضعت القضية العسكرية بشكل فج في سياق صيف ١٩٥٠ ، عندما اجتاحت الكوريون الشماليون كوريا الجنوبية : فلارسال فرق إلى كوريا كان يجب كشف « الجهة » الاوربية ، وفي هذه الظروف طلب الوفد الاميركي في منظمة شمال الاطلسي ما إذا كان بالامكان بعد السماح لألمانيا بالا تشارك بالدفاع الغربي .

إذن فالحالة قد تغيرت الآن القصد ليس في معرفة ما إذا كان الألمان يمكن أن يستأنفوا استعمال السلاح : بل كان يجب معرفة ما إذا كان الدفاع النافذ القوي ممكناً دونهم ا ومن جهة أخرى ، ان المعجزة الاقتصادية في الجمهورية الاتحادية تعود جزئياً في الواقع إلى أن ألمانيا لم يكن لها موازنة عسكرية ، وأن كل شبابها يمكن أن يساهموا في النشاطات الصناعية دون أن يدعوا إلى خدمة العلم .

ومع ذلك يجب تقديم الأشياء المزعجة تحت ظواهر ملائمة إلى ارادة الجمهور الحليف . لأن بعث الفيوماخت ( الجيش الألماني ) بدا غير مقبول ، ولذلك أوحى بالا يعاد تسليح « المانيا » بل « الالمان » في نطاق أسرة الدفاع الأوروبية . وأعد الخطة الاولى رونييه بليقن رئيس مجلس الوزراء : و بـ ٣٧٨ صوتاً مقابل ٢٢٤ نال موافقة المجلس الفرنسي ( ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٠ ) الذي أشار بأن الجيش الالماني يجب ألا يعاد تشكيله بأي حال من الاحوال ؛ وبأن الدمج الاوربي يجب أن يتحقق بأخفض مستوى ممكن . وبدأ اعداد المعاهدة .

وكانت هذه المعاهدة موضع جدل حاد . وفادرة كانت الدول ، مثل بلجيكا واللوكسمبورغ ، التي لم تلتق فيها حماسة أو معارضة .

وترددت البلاد المنخفضة في الارتباط بتجمع قاري لا تشترك فيه بريطانيا العظمى . ولذا فان حكومة لاهاي لم ترسل الا مراقبين للمفاوضات . ثم اقنعت نفسها ، وشاركت بلاء الحق وتم التصديق على المعاهدة بسرعة .

وظهر قليل من الصعوبات ، أيضاً ، في الجمهورية الاتحادية ، رغم معارضة الاجتماعية - الديمقراطية ، التي كانت تجمع الحجاج السلمية والقومية ، ومعارضة الجناح المناويء للعسكرية في الديمقراطية المسيحية ، بالهامها البروتستانتية . ولكن التصويت النهائي في البندستاغ لم يدع مجالاً للشك : لان الديمقراطيين - المسيحيين والاحرار كانوا يحتفظون فيه بأكثرية متينة .

في ايطاليا ، بدأ بعض الالتباس يسود . لان القضايا القومية وخاصة قضية « الارض الحرة » في تريستا ، كانت تسحر الرأي العام أكثر من بناء أوربة . وأكثر من ذلك ، ان سنوات الـ ٥٠ الاولى شهدت أفول نجم رجل الدولة الذي ظل حتى ذلك الحين زعيم الديمقراطية



المسيحية ، وزعيم الامة وبطل الفكرة الاوربية : آلسيد دوغاسبيري .  
ففي ١٩٥٢ اعتلت صحته وجنب عن الحكم .

وفي فونسا ظهرت الصعوبات الخطيرة . ففي قسم من الرأي ، ظلت  
اعادة تسليح المانيا ( أو الالمان ) غير مقبولة ، وبخاصة إذا رفضت  
بريطانيا العظمى مساندتها العسكرية ، وهذا ما كان رغم الكلام الطيب .  
وكان من الصعب على كثير من الفرنسيين أن يقبلوا ذوبان الجيش مع  
جيش الامم الاخرى . وفي الحقيقة ، بعد وفاة سنالين ، في آذار  
١٩٥٣ ، هل كان الخطر السوفيائي موجوداً؟ وثالثاً ، ان الدعم القوي الذي  
اعطته الولايات المتحدة للمعاهدة لم يكن له نتائج ملائمة بخاصة . فقد  
كانت المناوئة للاميركانية تسلك طريقها من قبل ، وكان كثير من النواب  
الفرنسيين يشركون رفضهم للجيش الاوربي بارادتهم في الاستقلال حيال  
الولايات المتحدة . وأخيراً ، دخلت الجمهورية الرابعة في دور حيرة قلما  
يناسب القرارات الجريئة .

وفي جلسة ٣٠ آب ١٩٥٤ عرضت المعاهدة ولكن لم تدافع عنها  
حكومة مانديس فرانس . وشعر « الاوريون » ان المناخ غير ملائم  
فاكتفوا بكفاح الشرف . واقترح التأجيل « إلى أجل غير مسمى » ،  
وانتهى بضم أكثرية غير متجانسة .

وهذا التصويت النهائي ( ٣١٩ صوتاً ضد ٢٦٤ ) بدا أكثر خطراً  
على الدمج الاوربي لان المعاهدة كانت تضم المادة ٣٨ ، التي ادخلت  
بناءً على طلب آلسيد دوغاسبيري ، وتنص على ضرورة وحدة سياسية .  
وكان هذا طبيعياً ، لاننا إذا تصورنا دولة بدون جيش ، فان العكس  
غير قابل للتصور .

وبالتكليف مع هذا المنطق ، قرر الوزراء الستة ، في ايلول ١٩٥٢ ، أن يعطوا بداية تنفيذ للمادة المعنية . واستبقوا التصديق وطلبوا الى الجمعية العامة ، للأسرة الاوربية للفحم والفولاذ أن تعد مشروع اتحاد سيامي . وبالتالي تحولت الجمعية إلى جمعية « مختصة » - في الواقع ، إلى جمعية تأسيسية أوربية مسبقة . وتحت رئاسة هينريك فون برنتالو ، أعدت وثيقة قدمت بعد ستة أشهر . وفي آذار ١٩٥٣ كاث الاستقبال بارداً نسبياً ، وختم الفصل برفض أسرة الدفاع الاوربية في ١٩٥٤ .

حلول البديل والسوق المشتركة . - إن أكثرية المجلس القومي الفرنسي ، الذي جنب أسرة الدفاع الاوربية كان غير منسجم جداً ليعرف اختياراً . فقد كان القصد ، من جهة ، الجري وراء العاجل بسد الثغرة ، ومن جهة أخرى إعادة التفكير بالقضية الاوربية .

كانت القضية الاولى المباشرة قضية اعادة التسلح الالماني . حقاً ، لقد ا طرح التعبير الفوقي ، ولكن كثيراً لاحظوا ، في غضون ذلك ، ان الاميزكيين لم يخططوا في طلب الاسهام الالماني في الدفاع الغربي . وبالتالي ، دخلت الجمهورية الاتحادية في منظمة شمال الاطلسي كدولة ذات سيادة : وهذه الخاتمة غير القابلة للتصور قبل عامين فرضت الآن . وأثناء مفاوضات أسرة الدفاع الاوربية رفض آديناور أن يدخل مواطنيه بين القوات الاوربية كنوع من « جوقة أجنبية » وكان من الصعب عدم اعطائه حقاً بذلك . أما الآن الا يمكن إدخال بريطانيا العظمى في القضية ، كمعدل إلى ألمانيا ، واعطاؤها هذه الضمانات العسكرية التي رفضتها إلى الجيش الاوربي ؟

هذا هو الحل الذي بحث عنه الرئيس مانديس فرانس : قليل من الفوقية ، ولكن كثير من المشاركة الانكاييزيه . وكللت جهوده بالنجاح .

ومند خريف ١٩٥٤ ولدت اتفاقات لندن وباريس مؤسسة جديدة وهي : اتحاد اوروبا الغربية ، وهو توسيع للاتحاد الغربي القديم ، الذي نشأ نفسه ، في العام ١٩٤٨ ، عن ميثاق بروكسل . واشتركت به المانيا الاتحادية وابطاليا ، على حين أن البريطانيين تعهدوا بأن يحتفظوا على القارة بأربع فرق والقوة الجوية الثانية التعبوية .

ولم يلعب اتحاد اوروبا الغربية دوراً هاماً . حقاً ، إن مجلسه كان الوحيد الذي يستطيع النقاش في القضايا العسكرية . لأن هذه القضايا وجدت خارجاً عن اختصاصات مجلس اوروبا ( وفي الواقع ، لقد لامسها هذا المجلس في ١٩٥٠ تحت صدمة المأساة الكورية ) . ولكن كل مناقشاته ظلت افلاطونية ، لأن العنصر القومي ما دام غير موجود ، فمن غير الممكن اتخاذ أي قرار . وقد لوحظ ذلك ، في عام ١٩٥٧ ، عندما بدلت الحكومة البريطانية سياستها العسكرية ؛ فقد أرادت أن تنصرف بأولوية إلى تشكيل قوة قومية ضاربة ، فأنقضت جنودها « التقليديين » وسجبت قسماً من قواتها المرابطة على القارة ، واحتج مجلس اوروبا الغربية ، ولكن فصاحته ظلت دون مفعول . ومن جهة ثانية ، إن قضية السار ، التي ظن أنها حلت في النطاق الاوربي ، وضعت من جديد .

وبعد الحرب ، قام الفرنسيون بضم اقتصادي لهذه البلاد التي لا يمكن أن تنفصل دون خسارة كبرى لحوض الاورين . وفي البدء ، لم يجد أحد شيئاً يقوله ، حتى ولا الساريون ، الذين وجدوا فوائد بربطهم بفرنسا أكثر من الفوضى الالمانية في « سنوات الصفر » . ولكن كلما كسبت الجمهورية الاتحادية وجاهة وازدهاراً ، تبدلت الحال . وبعثت الوطنية الألمانية وظهر أن السياسة الفرنسية في وضع اليد ستبرر بصعوبة أمام المانيا الوليدة من جديد . لذا ينبغي البحث عن حل أصيل . وعرضت اوروبا

هذا الحل . ولماذا لا تحول السار إلى « منطقة اتحادية » للاتحاد المزمع انشاؤه والشبيه بما كانت عليه « واشنطن D. C. » في الولايات المتحدة ؟ وفي ١٩٥٢ ، اتفق جميع المعنيين على قبول هذا الانجاء .

وبعد ٣٠ آب ١٩٥٤ أعيد الاتهام تحت شكل « البداية السارية » . ففي تشرين الأول ، درس القضية المستشار آدينساور والرئيس مانديس فرانس وقرروا عرض الاختيار على الشعب الساري : « النظام الاوربي » ، أو الارتباط بالجمهورية الاتحادية .

والواقع ، ان القضية وضعت بشكل سيء . وماذا يمكن أن يعني « النظام الاوربي » في الوقت الذي اطرحت فيه فرنسا معاهدة الوحدة الاوربية ؟ وفي استفتاء تشرين الاول ١٩٥٥ صوت ثلثا السارين للعودة إلى الوطن الأم .

وهكذا ، حلت قضيتان مباشرتان بشكل صالح أو سيء . وبقيت القضية المركزية : اوروبا ، فمن الذي يقوم بمبادرة جديدة ؟ حتى الآن كانت فرنسا تقوم بذلك ، ولكنها في هذه المرة لم تقم بأي حركة . وجاء الاقتراح من البينيلوكس ، وقد ألف وزراء الخارجية الثلاثة فيه فريقاً منسجماً بصورة خاصة : فقد كان جوزيف بيش اللوكسمبورغي ، يارس وظيفة شبه رسمية وظيفه عميد السلك الدبلوماسي الاوربي ؛ وزميله البلجيكي ، بول - هنري سباك وكانت أوروبا محنكاً ؛ والهولاندي جان - ويلتم بيين وقد أتى بتجربته في الاقتصاد الدولي . وهذا الامر لا مندوحة عنه ، لأن « التمرض الاوربي » يجب أن يحدث في المضمار الاقتصادي .

وكان وراءهم « قوة خلفية » تعمل : جات مونية . فقد كافح

هذا بشدة في سبيل وحدة الدفاع الاوربية . ثم خسر المعركة ، فتصور أن « النهوض الاوربي » يمكن أن يحدث انطلاقاً من الوحدة الاوربية للفحم والفولاذ : وبكفي لهذا أن تحوله الحكومات الست صعيداً لنشاط أوسع ، وبخاصة في ميادين الطاقة الصناعية الأخرى . ولم تؤخذ هذه الاقتراحات بعين الاعتبار ، واستخلص رئيس السلطة العليا نتائج هذا الرفض ، واستقال في ١٩٥٥ .

ولم يكن هذا منه لياخذ تقاعده ، بل انه على العكس انصرف بالحل إلى العمل لينشئ فريقاً جديداً ، لجنة العمل للولايات المتحدة الاوربية . وهذه المنظمة لا تضم إلا زعماء الأحزاب السياسية ، ومراكز نقابية وجموع أرباب عمل ، في الحلد الذي يستطيعون فيه الزام الرابطات ( المنظمات ) التي يقومون بأعبائها . وبتعبير آخر ، ان الذروة المسؤولة للطبقة الموجهة ، في السياسة ، أخذت شكلاً اوروبياً .

وقد لعبت « لجنة مونييه » دوراً حاسماً وربما يكون قاطعاً في اعداد الوحدة الاقتصادية الاوربية والتصديق على معاهدة روما . وبفضلها ، وبقسط كبير ، كفت الاجتماعية - الديموقراطية الألمانية عن معارضتها للدمج الاوربي كما طبقته حتى الآن بدافع من كورت شوماخر . حقاً ، إن هذا التوجيه الجديد قد سهل بظروف موضوعية . ان سيادة الجمهورية الاتحادية لم تكن موضع نقاش أكثر ، على الاقل ، من سيادة البلاد الأخرى . فلقد انتهى نظام الاحتلال ، وسويت قضية السار . وأخيراً ، هذه المرة ، لم يكن القصد اعادة التسليح ، بل الدمج الاقتصادي .

وفي الأيام الاولى من حزيران ١٩٥٥ ضم مؤتمر الوزراء الستة في مسينا ، في الدائرة الانتخابية لزميلهم الايطالي غيتانو مارتينو . وفي

ختم المناقشات أذيع بلاغ يعلم بأن المشاريع الثلاثة قد احتفظ بها وهي :  
الوحدة الاقتصادية الأوروبية أو السوق المشتركة المعممة ، والوحدة  
الاوربية للطاقة الذرية ، والجامعة الاوربية التي سيكون مقرها في  
فلورنسا . وان لجنة ستشكل لاعداد المشروع الأول ويرأسها يول -  
هنري سباك .

وشرع الخبراء بالعمل مباشرة . كانت القضية معقدة لأن المعاهدة ،  
على كل حال ، يجب أن تكون مقبولة من فرنسا : وتم اخفاق اوربي جديد في  
قصر بوربون ( مجلس النواب في باريس ) يمكن أن يعادل اخفاقاً قطعياً .  
ومع ذلك فان هذا الاحتراز لم يظهر فقط بينود تهريبية . بل أغنى  
المعاهدة أيضاً ، وخاصة في نقطتين :

أولاً ، إن الصناعة الفرنسية وضعت شرطاً أولاً : وهو أن يقبل الزملاء  
الحمة المبدأ الذي يسود في فرنسا : وهو الأجرة المتساوية للرجل والمرأة .  
حقاً ، إن النص النهائي لم يحتو هذا المبدأ ، ولكن تعهداً أخذ بالاتجاه  
إلى تطبيقه .

وأهم من ذلك أيضاً أن الوفد الفرنسي لفت انتباه زملائه الى ما وراء  
البحار . فقد حصلت بعض المستعمرات القديمة على استقلالها ، وأخرى كانت  
على وشك الحصول عليه . ولذا فمن اللامعقول بأن تعطي الوحدة لنفسها  
تعرفه خارجية مشتركة تقطع الروابط الاقتصادية بين فرنسا وهذه البلاد .  
ومن هنا أتت فكرة الرابطة العضوية بين الدول الست وافريقية الناطقة  
بالفرنسية . وفي الواقع ، لقد خصص فصل كامل في المعاهدة يعطي عدة  
فوائد إلى هذه البلاد المتطورة : مساعدة مالية اوروبية للتنمية ، افتتاح  
السوق الافريقية للتجارة غير الفرنسية ، وامكانية الشركاء بأن يجمعوا  
صناعاتهم الناشئة - وبالمقابل ، فتح السوق الأوروبية لمنتجات افريقية .

لقد وضعت البنيات التنظيمية للوحدة الاقتصادية الأوروبية لتكون أقل « فوقية » ، من البنيات التنظيمية للوحدة الأوروبية للفحم والفلاذ . والواقع ، مع ذلك ، ان اللجنة الأوروبية ( لم تكن السلطة العليا موضع بحث ) كان لها الحق باتخاذ جميع المبادرات : حتى ان هذا الامر كان وظيفتها الأساسية . وكان على مجلس الوزراء أن يفصل في الأمر ، ولكنه لا يستطيع تبديل اقتراحات اللجنة إلا بالاجماع . وبينما فهم نظام الوحدة الأوروبية للفحم والفلاذ وتصور حول مبدأ فوقي ، انطلق نظام السوق المشتركة من التعاون الضروري بين المصالح القومية ومصالح أوروبية . ولا يبدو منذ الآن مجلس الوزراء كبقية باقية من الماضي ، بل كهيئة عادية من شأنها أن تسهم في مرحلة اتخاذ القرارات . وميزة هذا التعبير أنه كان واقعياً .

وإلى جانب السوق المشتركة وجدت لجنة الطاقة الذرية الأوروبية ( الاوراتوم ) . وقد انطلق المحركون لهذه الأسرة الأخيرة من الفرضية القائلة بأن التوسع الصناعي الاوربي سيكبح بعد قليل بنقص الطاقة . ولذا فعلى الاوربيين أن يضموا بسرعة جميع الجهود ليحرروا الاستعمال الصناعي للطاقة الذرية . وقد أصبح أحد « العقلاء » الثلاثة ، لوي آرمان ، أول رئيس للاوراتوم ، وقدم تقريراً بهذا الأمر . ولم تعرض النتائج على الرأي . وكما في الوحدة الاقتصادية الأوروبية حصلت الموافقات على الاوراتوم دون صعوبات كبرى ( في فرنسا ، في ٤ ايلول ١٩٥٧ ، من أجل معاهديتي روما ) .

وفي سياق هذا الدور ، تناقص دور الحركات المناهضة من أجل أوروبية . وكان لهذه الحركات ميزة في أنها لم تطلق الفكرة الأوروبية بعمامة فحسب بل أطلقت عدة مشروعات ، مثل محكمة حقوق الانسان ،

والاتحاد الاوربي المدفوعات ، والحل الاوربي للقضية السارية ، ولحدا ،  
الأسرة الاوربية للفحم والفولاذ . وكانت على حق في اللاحاق على حدود  
طريقة المفاوضات بين الحكومات . ومارست في مجلس أوربة نفوذاً  
مدهوساً . وأخيراً ، أثناء معركة وحدة الدفاع الاوربية واعداد الاسرة  
السياسية ، دافعت بشدة عن مبدأ ميثاق اتحادي . ولكنها ، في الحاضر ،  
لم تعد في نضال مباشر على الحوادث . لقد أصبحت القضايا فنية جداً ،  
حتى ان سقوط وحدة الدفاع الاوربية أثار انفصلاً في المنظمات الاتحادية .

وبالمقابل ، عاد الدور الهام شيئاً فشيئاً إلى النظم ( المؤسسات )  
والمنظمات المسلكية أو الاختصاصية الناشئة على هامش الحركة الاوربية ،  
مثل المركز الاوربي الثقافي في جنيف ، ومعاهد الدراسات الاوربية  
مثل كلية أوربة ، في بروكس ، والرابطة الاوربية لرجال التعليم  
واليوم الاوربي للمدارس . ولكن كل واحد منها كان يعد نشاطه في  
نطاق اوربي أوسع من نطاق الست . وفي الواقع ، حسب كلمة  
شهيرة ، أليست أوربة الثقافية « دون شواطئ » ؟

أوربة : القولية والدمج . - تتميز السنة ١٩٥٨ بمجاذين ينبغي  
التساؤل ما إذا كانا متكاملين أو متناقضين من جهة وضع نظام للوحدات :  
فقد شكل أعضاء اللجنتين مكاتبتهم في بروكسل ، مقر الوحدة الاوربية  
الاقتصادية والاوراتوم ، وقسموا أعمالهم فيما بينهم وجابهوا القضايا المباشرة  
الموضوعة ، وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات مع بريطانيا العظمى . ومن جهة  
ثانية ، تداعي الجمهورية الرابعة الفرنسية ، التي فاوضت في معاهدة روما ،  
والاستعاضة عنها بنظام رئاسي يوجهه الجنرال دوغول .

وعندما نوقشت السوق المشتركة في المجلس الوطني الفرنسي ، عارض



الغزوليون وتفوهوا بكلام مر عن « أوربه مونه » . وبالتالي ، كان القلق عظيماً بين الاوربيين ، عندما خلفت الجمهورية الخامسة النظام الذي سقط . ومع ذلك ، فان هذا التشاؤم قد كذب بسرعة ، لأن الحكومة الجديدة أعلنت بأنها تشرف التوقيع الفرنسي في أسفل معاهدات روما . وقضت بأن الاقتصاد الفرنسي كفؤ بالتأسك أمام المنافسة الخارجية ، واعتبرت نظام الحماية الجمركية ، حل الكسل ، لا يليق بفرنسا . وبهذه الروح وجد أن التقيص الاول ١٠ ٪ للتعريفات الجمركية ، الذي وضع ليطبق في الاول من كانون الثاني ١٩٥٩ ، أصبح ممكناً بفضل الحكومة الفرنسية . ولم تستخدم الحكومة الفرنسية البنود التهرية التي حصل عليها الوفد الفرنسي أثناء المفاوضات ، بل قامت بثورة صغيرة مالية في كانون الأول ١٩٥٨ : فقد خفض الفرنك وجعل قابلاً للمبادلة مع الجنيه الاسترليني . وفتحت الابواب والنوافذ . ولا شك في أن نفوذ الرئيس انطوان بينيه ، وزير الشؤون الاقتصادية وجاك دوييف كان قاطعاً .

وقد اثارت هذه التدابير الشدة والذعر تقريباً فيما وراء المانش . وهكذا ستسير الوحدة الاوربية الاقتصادية وتعمل بحق . وحتى الآن كان الانكليز لا يصدقون ، ولكنهم تحققوا بأن الدمج القاري سيتم هذه المرة بشكل رصين . وفي المرحلة الأخيرة ، اثناء صيف عام ١٩٥٨ ، عملوا كل شيء لئلا يتحقق هذا « الحصار القاري » كما كان يسمى بعضهم ايضاً الوحدة الاقتصادية الاوربية . وخلال أشهر طويلة فاوضوا بمنطقة واسعة للمبادلة الحرة تزول فيها الحواجز الجمركية دون ان توضع تعرفه خارجية مشتركة لاتتفق مع مبدأ التفضيل الامبراطوري . ومن المحتمل ان مثل هذا الاقتراح يمكن ان يظهر جريئاً في مجلس اوربه في عام ١٩٤٩ ، ولكن

التطور الودودي تجاوزوه بعد تسع سنوات ، وبالتالي ، ان هذه المفاوضات التي كانت يقوم بها ريجينالد ماودلينغ من اجل بريطانيا العظمى ( وتحمل اسمه ) اخفقت أمام مقاومة أرباب العمل والحكومة الفرنسية .

وبعد ان تحملت انكسار هذا الاخفاق تصورت حلاً « بديلاً » . ففي ١٩٥٩ ، ارتجحت منطقة « الصغيرة » للمبادلة الحرة والرابطة الاوربية للمبادلة الحرة التي وقع ميثاقها في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٩ في ستوكهولم . ولكن هذه الرابطة الاوربية للمبادلة الحرة لم يكن لها تماسك الوحدة الاقتصادية الاوربية ، ولا تواف كئلة متجانسة سياسياً وموحدة جغرافياً : فقد اشتركت فيها ثلاثة بلاد اسكاندينافية ديمقراطية : الدانيمارك ، النرويج ، السويد ، الى جانب البرتغال المناصرة للفاشية . ومن جهة أخرى كانت البلاد الاعضاء في حلف الاطلسي الى جانب دول غير أعضاء فيه : السويد الآتفة الذكر ، سويسرا والنمسا . وعدا ذلك ، اذا أثارت نزاع السلاح الجرمكي على وتيرة مساوية لوتيرة الوحدة الاقتصادية الاوربية والرابطة الاوربية للمبادلة الحرة فهي لا تتطلع لا الى سياسة مشتركة ولا الى تعرفه خارجية مشتركة . وهل كان ممكناً فتح الحدود دون تشكيل وحدة . ولا اقل من ان الرابطة الأوربية للمبادلة الحرة بدأت بخفة واعطت اندفاعاً حقيقياً الى تجارتها الداخلية .

وبالتالي ، وفي بضع سنوات كان النقاش الاقتصادي الاوربي يتعلق خاصة بالعلاقات بين هاتين « الكتلتين » الست والسبع حتى اللحظة التي اعلم فيها الوزير البريطاني الأول ، في صيف ١٩٦١ ، عن قرار حكومته في الدخول بمفاوضات مع السوق المشتركة ، بغية الاشتراك فيها . اما الرابطة الاوربية للمبادلة الحرة فقد عاشت الى هذه المرحلة ، ولكن ظهر أن عضوها الرئيسي لا يعتبرها كحل دائم .

ومع ذلك ، فان تشكيل الوحدة الاقتصادية الأوروبية لم يضع قضايا للبلاد الأوروبية التي لم تكن اعضاء فيها فحسب ، بل ان انعكاسات حدثت ايضاً خارج اوروبا . وفي الحقيقة فكر الاوروبيون انهم ، بتنظيم اقتصادهم بشكل افضل ، انما يضعون النظام في دارهم الخاصة . غير أن احتياجات ارتفعت من كل الجهات ضد « الجرم » الذي ارتكبه الدول الست . فقد جاء انستاس ميكويان الى طوكيو واقترح حلفاً اقتصادياً روسياً - يابانياً ليجابه الخطر الاوربي . وفي امريكا الجنوبية ، في المؤتمرات القارية في بونتادل ايست ، كانت الاتهامات شديدة : فقد خشيت البرازيل بخاصة على صادراتها من القهوة المهددة بالافضلية التي يفيد منها الشركاء الافريقيون . وبالمقابل ، ان مثال الدمج الاوربي نشط ووجه جهوداً مشابهة بين الدول الايبوية - الاميركية . وآخيراً ، حتى في امريكا الشمالية ، حيث ما فتئت الحكومة تدعم جهود الاتحاد الاوربي ، أخذ القلق يساور النفوس . وفي ١٩٦٣ ، عندما بدأت اوروبا تحمي نفسها ، ضد الغزو الكثيف للطيور المجمدة الآتية من الولايات المتحدة ، نشب خلاف تجاري ودخل التاريخ تحت اسم « حرب الدجاج » .

وفهم كل ذلك ابتداءً من اللحظة التي وضعت فيها التعرفة الخارجية المشتركة . ومع ذلك فقد حسبت هذه التعرفة باخفض قليلاً من « الوسطي الحسابي » للتعرفات القومية الست ( أو الخمس ، لأن الاتحاد الاقتصادي البلجيكي - اللوكسمبورغي كان يوجد من قبل ) . وبالتالي ، ان البلاد ذات الحماية الجبركية بالتقليد ، مثل فرنسا وايطاليا ، خفضت رسوم الدخول ، ولكن البينيلوكس الذي يتعاطى المبادلة الحرة ، منذ زمن طويل ، وحتى ألمانيا ، وجدت انفسها ملازمين بزيادة العقوبات امام واراداتها . وحدثت

اذن « توترات » في المبادلات . وتظلم المصدرون والمستوردون علناً . وعلى العكس ، ان من رأوا الآن منافذ جديدة احتسوا في الغالب من اعلان رضاهم .

وعلى العموم ، تدل الأرقام مع ذلك على أن التجارة الداخلية للوحدة إذا تقدمت تقدماً عظيماً منذ ١٩٥٨ فقد ازدادت ايضاً بين الست والعالم الخارجي بنسب أكثر تواضعاً ، ولكن واقعية . وإذا افادت الوحدة الاوربية الاقتصادية ، في المقام الأول ، اعضاءها ، فان البلاد الأخرى لم تتضرر عموماً . ولاقت بعض المشاريع الفردية صعوبات جهرية ، واتفقت على الاعلام باتهام الوحدة بانها كانت مناصرة للحياة الجمركية .

وهناك حادث مماثل في داخل الوحدة ، حيث عثرت المصالح المتضررة بفصاحة . ومع ذلك ، كانت الصناعة الأوربية ، بالاجمال ، مستعدة الى ازالة تدريجية للحواجز الجمركية . وفي كل مكان ، لم يكن المسؤولون مستعدين الى انقاص قريب للتعريفات ، حسب تقويم موضوع في المعاهدة ، بل في المرحلة النهائية عندما تصبح اوربه مجالاً تجارياً وحيداً . وبسرعة بدىء بالتكيف ، وبالتجديد ، وبالبحث عن اتصال بالمشروعات الصناعية أو التجارية الأخرى ، بغية الوصول الى تركيزات .

ومع ذلك ، بقيت هذه التركيزات دوماً شبه قومية . ولجهاة المنافس الاوربي التقليدي ، فضل كثير من الصناعيين البحث عن دعم برأسمال اضافي من الولايات المتحدة . وهكذا ، نظراً لفقدان سياسة صناعية اوروبية مشتركة ( وبخاصة نظام اوربي للمشروع المتعدد القوميات ) كان التسلل الاميركي تشجعه السوق المشتركة بشكل مناقض .

وهنا نلامس قضية اعم . فبينما كان نزع السلاح الجمركي سهلاً نسبياً ، في الوحدة الاوربية الاقتصادية كما في الرابطة الاوربية للمبادلة الحرة ، فقد كان على غاية من التعقيد تعريف وتطبيق سياسة مشتركة تُصَعِّدُ ، بالتعريف ، كفاءة الحكومات القومية . وهكذا انتهى التجاري الى السيامي . وفي هذا الموضوع وجد الرئيس دوغول على اتفاق أساسي مع الأستاذ والتر هالشتاين ، الرئيس الأول للجنة الاوربية . فقد لاحظ كلا الاثنين ان انشاء اوروبا المتحدة في الأمور الاقتصادية والاجتماعية لا يؤلف قضية فنية بل سياسية . وكما قال هالشتاين في الولايات المتحدة : « نحن في السياسة لا في العمل » ، لانقوم بأعمال اقتصادية ( انتاج ، بيع ، الخ . . ) بل نوحّد تسييرات قومية . ونتج عن ذلك نقل مسؤوليات من المستوى القومي الى مستوى اوروبا . وهذه نتيجة استخلصها رئيس اللجنة دون تردد ، على حين ان الجنرال دوغول كان يوضح بأن الحكومات القومية وحدها تستطيع ان تفصل في القضايا ولا ينبغي للجنة ان تدعي بامتيازات سلطة تنفيذية اوروبية .

ومع ذلك ، في الواقع ، كان النقل غير قابل للاجتنب في اكثر من مضار . فعندما دافعت فرنسا عن مبدأ مكافأة متساوية بين العمل المذكر والمؤنت كانت تنزع سلفاً الى ربط رفقاتها الذين ، بالتالي ، يجب الا يبقوا احراراً في سلوك سياسة اجتماعية تتناقض مع هذا المبدأ . وكذلك ، كل قرار في المادة الصناعية او الزراعية يوشك أن تكون له نتائج في ميادين اخرى ، وبخاصة ، ضريبية ونقدية ، حتى ان الحكومات والبرلمانات القومية تفقد تدريجياً حرية عملها في هذه القضايا . ولا يوجد غير ذلك من اجل السياسة التجارية والمساعدة للبلاد الافريقية الشريكة .

ومنذ الآن فصاعداً ينبغي على الحكومات أن تأخذ « بروكسل » بعين الاعتبار .

وكان هذا حقيقياً بخاصة بالنسبة للزراعة التي أصبحت ، على نقيض الصناعة ، مشروعاً عاماً ، لأنها ، بسبب ارباحها ، تتعلق بسياسة الحكومة في مادة المساعدات او ضمانات الأسعار . وهنا لا يمكن الاكتفاء بفتح الحدود : بل يجب تثبيت سلطة ( سلطة اوروبية ) خط سلوك يقبله الجميع ، ويصبح اجبارياً عند تقريره .

وكانت فرنسا ، بخاصة ، تهتم بهذه السياسة الزراعية المشتركة ، على حين ان جمهورية المانيا الاتحادية كانت تخشى المنافسة الاجنبية ، وبالتالي ، تطالب بأسعار بيع اعلى مما ترغب به ريفانها . وكذلك قام جسد رصين بمناسبة تمويل المال الاوربي للتوجيه والضمان الزراعي . ويتغذى هذا الرأسمال باقتطاعات تفرض على البلاد المستوردة للمنتجات الزراعية الخارجية عن الوحدة وتفيد في تمويل عمليات تحسين الانتاج . وبفضل اتفاقية واقع بين الحكومة الفرنسية واللجنة ( وعلى وجه التخصيص مع العضو المكلف بالسياسة الزراعية ، الهولاندي سيكو مانشولت ) استطاعت السوق الأوروبية المشتركة أن تتألف في هذا المضمار ، حتى ان الدمج الاوربي هنا على الاقل قرب من المرحلة الاتحادية .

ولم يكن الامر بشكل مغاير جداً للسياسة التجارية الخارجية ، حيث جوبهت الوحدة الاقتصادية الاوروبية بقضية تحتاج إلى حل على المستوى الاوربي . وفي الواقع ، في ٤ تموز ١٩٦٢ ، أعلم الرئيس كينيدي في فيلادلفيا ، حسب قناعته ، بأن دور الاستقلال ترك المسكان إلى دور الترابط المتبادل ، وان الولايات المتحدة مستعدة إلى تخفيض تعرفاتها

الجمركية جذرياً ، بل إلى حذفها كلياً ، من أجل منتجات تشرف عليها امريكا والسوق المشتركة معاً وتعادل ٨٠٪ من التجارة العالمية : وفي الحقيقة ، لقد جرى هذا الاقتراح في وقت بدا فيه اشتراك بريطانيا العظمى بالوحدة الاوربية الاقتصادية ، محتملاً ؛ ومع ذلك ، وحتى بعد اخفاق مفاوضات بروكسل ، حافظ العرض على أهميته ولزم التفاوض . وفي ١٩٦٧ أبرم جان دي ، عضو اللجنة الاوربية ، اتفاقية في نطاق الاتفاقية العامة للتعريفات والمبادلة واستطاع أن يوقع باسم الوحدة بجموعها . وهكذا ، وعلى الاقل على الصعيد التجاري ، استطاعت أوربه الست أن تلتقي بالولايات المتحدة مساواة الند لند ، وذلك بفضل دمجها . وفي الميادين الاخرى ، كما في النفط والطاقه ، حصلت على نتائج أقل ارضاء ، ولكن السوق المشتركة ، على كل حال ، في سياق السنوات الأولى العشر من حياتها ، نجحت في فرض نفسها كياناً متجانساً زراعياً وتجارياً ، بعد حذف العديد من العقبات الداخلية .

وبقيت مع ذلك قضية سياسية رئيسية وهي : هل تتطور الوحدة الاوربية نحو تقنوقراطية غير مسؤولة تتخذ قراراتها بصورة مرية وضمن دائرة مغلقة ؟ وهكذا وضع مبدأ ديمقراطية السوق المشتركة موضع تساؤل .

من جهة ، وجدت المجالس القومية موضوعة بالتدريب أمام الأمر الواقع في القضايا الاوربية . وكانت مدعوة دون انقطاع إلى التصديق على تدابير مقبولة ، وأحياناً بشقة ، في مناقشات في بروكسل . ومن جهة أخرى ، ان البرلمان الاوربي ، المؤلف من برلمانيين قوميين معينين في بلادهم لهذا العمل ، على غلط زملائهم في مجلس أوربه ، بدا

شيئاً فشيئاً كأنه « فورم » روما عوضاً عن أن يصبح فرعاً تشريعياً للوحدة . وما دام الحال كذلك فقد بدأ الغياب يسود في ستراسبورغ ، وأهملت إيطاليا زمناً طويلاً تجديد وفدها القومي الذي لا يتفق والحالة الواقعية للأحزاب السياسية .

وفي الواقع ، هنا عقدة القضية ، وليس بالامكان معالجة ضعف البرلمان الأوروبي بزيادة اختصاصاته ، مثلاً في مادة الموازنة ، وتبقى القضية الحقيقية في واقع ان الحكم القطعي في السوق المشتركة يبقى لمجلس الوزراء ، وهذا المجلس يمكن أن يقوم بجوار مع اللجنة ، بل وان ييدي لها عدم ثقته ، ولكن الانتقادات الحقيقية توجه في الغالب إلى المجلس الذي يتخذ القرارات النهائية . ولكنه لا يسلك سياسة مشخصة . وهو باعتباره مؤلفاً من أعضاء ليس لهم ما يقدمونه إلا أمام مطالب قومية ، فيمكنه أن يهيئ تسوية بين المصالح القومية المتنافسة . ولكن دوره ليس اعداد خطط سلوك متلاحم الأجزاء بغية الدمج . وفي مرحلة لاحقة بعيدة جداً أيضاً ، ربما يشكل « مجلس شيوخ » ، « مجلس دول » من النموذج السويسري ، ولكن ليس في وسع البرلمان في الوقت الحاضر أن يسأله عن سياسته الجماعية : فليس له سلطة ولا إرادة في تعريف سياسة ما .

سنوات ١٩٦٠ : أزومات ومجادلات . - وكما تمت الوحدة الاقتصادية الأوروبية ظهر أن الدمج الاقتصادي والاجتماعي يتطلب تمديداً سياسياً . وما من أحد فهم ذلك أفضل من الرئيس دوغول . فهو يرى أن الفوائد المادية للسوق المشتركة ، وان كانت جوهرية بالنسبة لفرنسا ، أقل ثقلاً من المسؤوليات الجديدة التي تعرض للقيام بسياسة عالمية .



ولم تتواجد الرؤية الغولية لاوربه إلا جزئياً مع رؤية الأوربيين الآخرين . وخلال سنوات أخذت هذه الاختلافات بالتدريج شكلاً حاداً .

ولنشر إلى أن هنالك ثلاث نقاط جدلية يتنازع عليها :

النقطة الاولى : لم تبين بتعابير واضحة . إلا أنها لم تكن في أي لحظة غائبة عن ذهن كل منهم وهي : وضع فرنسا في السوق المشتركة . وعن خطأ أو عن صواب كان الانطباع في أن باريس تعتبر بصورة طبيعية عاصمة أوربه الجديدة .

وهذه النقطة ، بذاتها ، ليست غير معقولة ، لأن فرنسا توجد في وسط الغرب الأوربي ، جغرافياً ومعنوياً . وبالتالي ، ان « الزعامة » الفرنسية قد يقبلها الخمسة الآخرون ، شريطة إلا تذكر أبداً ، وإلا يشعر بها . وفي الواقع ، استطاع وويير شومان أن يفرض نفسه ، بالرغم من الضعف الأقصى الذي كانت عليه الجمهورية الرابعة . أما شخصية الجنرال دوغول المتسلطة فقد أثارت مقاومات وترددات متزايدة .

النقطة الثانية تتعلق ببنية التعاون السيامي في المستقبل وبوضع الوحدات الموجودة في هذا الظرف . ولامرية في أن الرئيس دوغول قد رغب بالاتحاد السيامي ، وفكر في « كونفدراسيون عظيم » . ولكن من الحق أيضاً ، أن نقول انه رفض دوماً كل طغيان على السيادة القومية ، وفي هذا ما يتضمن تهديداً برد الوحدة الاقتصادية الاوربيه إلى الصواب .

ولقد كان الموقف الفرنسي منطقياً من حيث المبدأ : إذ كان ينبغي أن يظل الدمج الاقتصادي ملحقاً بالقرارات السياسية . ولكن فرنسا فهمت بأن

هذه القرارات يجب أن تتخذها مؤسسة عليا ، يجب أن تزول في داخلها آخر بقايا « الفوقية » المزعومة .

وهذا الحكم يمكن الدفاع عنه أيضاً ، فمن الدولة التي تقبل بالحق خطط سلوكها بتصويتات أكثرية يكون « للأجانب » فيها القوة العددية ؟ ولا دولة في الحال .

ومع ذلك ، فقد فتح الجدل هنا ، لأن رفقاء فرنسا ، في نظرهم إلى ما وراء الحاضر ، رأوا في الوحدات شكلاً جديداً يؤثر على حياة الشعوب : وهو بداية اتحادية يحافظ كل شعب فيها على شخصيته القومية ، ولكن يجب أن يلعب فيها تدريجياً مبدأ الدمج . أما وأن هذا المبدأ طبق بكثير من الشدة في الوحدة الأوروبية للفحم والفولاذ ، فذلك يمكن ؛ وإن الاتحاد كان وحدوياً قليلاً ، وعلى الأقل في البدء ، فذلك أكيد . ولكن يجب ألا يسب أي حال ما قبل من طريقة شومان ، ولا ترتب الوحدة الاقتصادية الأوروبية بتحالف تقليدي يصبح التصويت فيه قاعدة . ولكن كيف يمكن أن يعمل هذا النظام في التعاون السياسي ؟ يمكن التنبؤ بأن الآراء ستنسجم عفوياً ، وحتى دون عمل ضغط من قبل الوحدة .

« وأخيراً نوضع قضية محتوى السياسة الأوروبية المشتركة في المستقبل . وهنا أيضاً كان للإنجليزية أي لرائسة الجمهورية الفرنسية آراء معرفة ومحددة جيداً : يجب على أوربه ، على نمط فرنسا الغولية الموسعة أن تتعلم ألا تكون تابعة لأحد . إن الأميركيين يبقون ولاشك « حلفاء وأصدقاء » ، ولكن يجب أن يوضع حد ونهاية إلى تبعية أوربه الحالية . أما البلاد الشيوعية ، فلم يكن لدى الرئيس دوغول في الحقيقة

أي نقطة ضعف لنظامهم . ولكنه يعتبر أن الايديولوجيات كالتغيرات التاريخية أقل أهمية من المصالح المستديرة لكل أمة . في الشرق ، يجب اذن فتح مفاوضات دون التأثير بمذاهب « مسبعة » أو بضغط اميركية . وبهذا الاعتبار ، كانت وجهة نظر الرفقاء الخمسة مختلفة . ولا شك في أنهم كانوا يرغبون بوضع حد للحرب الباردة ، وبقطع شوط حيال الولايات المتحدة ، ولكن لهذا السبب بالضبط ، كانوا يرغبون دمجاً ملحوظاً وليس تحالفاً كلاسيكياً فقط . ومن جهة أخرى ، إذا كان عليهم أن يختاروا بين الهيمنة الفرنسية والحماية الاميركية ، وهي أكثر قوة وبعدها فانهم يفضلون هذه الأخيرة .

وفي الواقع ، إن هذه الترتيبات الثلاث في المناقشة قد وضعت في النقاش . فكيف يجري هذا النقاش ؟ في سياق « قمة » بون ، في ١٩ تموز ١٩٦١ ، تقرر أن يشكل اتحاد سيامي بين الستة . وان الاشكال المحسوسة والمشخصة لهذا الاتحاد ستدرسها لجنة وسيصل بها إلى شاطئ السلامة سفير فرنسا كويستيان فوشيه .

إن المشروعات الاولى ، التي أدخلها هذا الأخير وانتقدت بشدة من قبل البرلمان الاوربي ، أدت إلى أزمة حادة في كانون الثاني ١٩٦٢ ، وانتهت باخفاق في نيسان ، بعد أن حرر الرفقاء الخمسة مشروعاً مناقضاً في شروط طيبة ومناسبة وحسب الأصول . وكانت وجهات النظر غير متفقة على الأساس والجوهر . فهل يجب اخضاع الوحدات الموجودة إلى اشراف سيامي اضافي ؟ وهل يجب الدلالة منذ الآن على مراحل نحو مستقبل أكثر فوقية ؟ ومن جهة أخرى ، هل يجب أن يدخل في التوطئة ( المقدمة ) استمرار الحلف الأطلسي ؟ لقد اختلفت الآراء في جميع هذه الموضوعات .

وأمام اخفاق خطط فوشيه ، تصور الرئيس دوغول حلفاً وثيقاً مع الجمهورية الاتحادية كحل بديل . وقامت مفاوضات سرية ، وفي كانون الثاني ١٩٦٣ نشرت معاهدة حلف بين البلدين . فاستقبلت من جهة بأصوات الفرع ( وأخيراً ستنتهي العداوة التقليدية ! ) ، ولكن من جهة أخرى ، أيضاً ، استقبلت بحذر من جانب الاعضاء الآخرين في الوحدة ، لأنهم كانوا يخشون « سيطرة مشتركة » بين الكبيرين .

وفي الواقع ، لم تكن هذه الوثيقة موعودة بمستقبل سياسي مؤثر أخاذ . فقد ظهر بعد ذلك أن الدولتين الموقعيتين كانتا أبعد من أن تكون لهما نفس المصالح ونفس التطلعات . فقد رفض الالمان الاختيار بين الصداقة الفرنسية والحلف الاميركي . وكانوا ينظرون شذراً إلى التقارب بين باريس وموسكو ، وبخشون من أن تكون له نتائج سلبية على آمالهم في العودة إلى الوحدة القومية . وظلوا حيارى أمام الاعتراف بالصين القارية والقطيعة مع فورموزا اللذين قامت بهما فرنسا . وان ما كان يقلقهم في الواقع بخاصة هو أنهم لم يشاوروا في هذه النقاط ، ولم يخبروا ، وفي ذلك ما يذهب على نقيض المعاهدة روحاً ونصاً . وكذلك ، في داخل الوحدة الاقتصادية الأوروبية ، كانت فرنسا والمانيا تحتلان في الغالب مواقع متعارضة ، مثلاً في الزراعة . وكان الجنرال دوغول ، من جانبه ، يستنكر توقيع بون على المعاهدة الاميركية - السوفياتية التي تحرم التجارب الذرية العسكرية . وعدا ذلك ، إن استبدال آديناور بارهارد كمستشار اتحادي أزال أساس الثقة الشخصية التي كانت موجودة في السابق . وباختصار ، ان النقطة السياسية الوحيدة التي تواجدت عليها وجهات النظر الفرنسية والألمانية كانت تتعلق باشتراك اسبانيا في السوق المشتركة ، ولكن ، في هذا الموضوع ، ساد الموقف السلبي للأربعة الآخرين .

وبالمقابل ، إن الصعيد الثقافي ، وبخاصة تبادل الشباب ، فسخ مجالاً لتحقيقات ممتازة وضعت هفوياً في منظور أوربي .

ونشرت معاهدة التحالف والصداقة الفرنسية - الألمانية ، في كانون الثاني ١٩٦٣ ، بعد بضعة أيام على المؤتمر الصحفي الذي عقده الجزائر دوغول وأنهى فيه المفاوضات بين بريطانيا العظمى والوحدة . وكانت هذه المفاوضات صعبة ، وفي الغالب فنية جداً ، ولكنها ألفت بظلالها أيضاً على مجرى الجدل السيامي وعلى خطة فوشيه .

وفي الواقع ، ألح الهولنديون كثيراً على أن يشارك في الحال وفد إنكليزي في المناقشة على الاتحاد السيامي . ولم يكن ذلك من جانبهم حركة مزاج عابرة . لأن التبعية لوحدة يجب الجزائر دوغول أن يشير إلى طابعها القاري قد ناقضت دوماً الاتجاه التقليدي للبلاد المنخفضة التي ارتاحت جداً في الحاضر للقرار الإنكليزي وكانت قلقة للترحيب بسرعة بهذه الأمة البحرية ذات التقاليد الديموقراطية المديدة . وكانت ، من جهة أخرى ، تقول : هل من المنطق أن تعزل إنكلترا إلى اللحظة التي تلح فيها فرنسا على رفضها للفوقية ؟ وأخيراً ، قرر الستة أن يظلوا فيما بينهم في لجنة فوشيه ، واقتصرت المفاوضات مع لندن على الصعيد الاقتصادي .

وطالت هذه المفاوضات كثيراً . فمن جهة ، حال تعقيد المادة دون تقدم سريع : وخاصة ان السياسة الزراعية والعلاقات مع الكومنولث كانت تضع قضايا مربكة ؛ وكانت القضيتان مرتبطتين جزئياً ، لأن بريطانيا العظمى كانت تتغذى بخاصة من الأغذية التي تصلها من دومينيواتها . وفوق ذلك كانت نظام مساعدة الفلاحين في المملكة المتحدة يختلف

عن النظام الذي تبناه القاريون ، ومن الممكن أن يتساءل ما اذا كان بالامكان تسوية . وكانت حكومة ماكميلان ، من جانبها ، تعلم أن التغيير الذي اقترحته يؤلف تنظيماً جديداً كاملاً لكل التاريخ الانكليزي .

وهذا الاعتبار ، شهد خريف ١٩٦٢ مؤتمري هامين : مؤتمر الكومنولث في وستمنستر في ايلول ، ومؤتمر حزب التودي في لاندودنو في تشرين الأول . وكشف الأول عن عداء يكاد يكون اجماعياً حبال اشتراك المتروبول مع اوروبا ، ولكن ماكميلان دل دون اهام على أن حكومته كانت تريد مع ذلك الاستمرار في نفس الطريق . ثم ان الخلاص من الاستعمار ألا يعني أيضاً أن الوطن الأم حر في ايقاف سياسته الخاصة ؟ أما مؤتمر المحافظين فقد بدا شبه مجمع على دعم حكومته التي ، كما يبدو ، كانت تراهن بمستقبلها على القضية الأوروبية ، على حين أن العماليين كانوا يتطورون نحو وضع اكثر عداءً . وعندئذ بدا أن الوفد البريطاني في بروكسل ، الذي يوجهه بدرابه وكفاءة أدوارد هيث ، كانت مؤخرته مؤمنة .

وكان هذا القول ، مع ذلك ، أقل صحة مما كان يظن . ان النصر « الاوربي » في لاندودنو صلب الموقف الانكليزي في بروكسل ، وبذلك عقد المفاوضات . لأن مندوبي ما وراء المانش ، بوضعهم من جديد قضايا فنية وعملية أثارت في الوحدة مناقشات غنية بين الستة ، كانوا يهددون تلاحم الوحدة الاقتصادية الاوربية . وفي الغالب كانوا يفتحون جروحاً كادت تندمل ، وهكذا وجدت اللجنة الاوربية ، التي كانت تسهر على المقبول ، مصطفة بين من كانوا أقل رغبة لرؤية اشتراك انكلترا . أما من جهة فرنسا ، التي كانت مقاومة ومتردة دوماً ، فقد أفادت من هذا الحالة .

وكما أصبح التقدم بطيئاً كان الزمن يعمل لها ولجنة هالشتاين أيضاً .  
وأخيراً عجل واقع جديد بمرعى الحوادث : وهو مؤتمر ناسو ، بين  
هارولد ماكميلان والرئيس كينيدي .

ولاشك في أن موضوع هذه المحادثات كان عسكرياً وبصورة خاصة  
نووية . وفي الظاهر ، لا يوجد شيء مشترك مع الوحدة الاقتصادية  
الاوربية ، ومع ذلك ، كان العنصران في ذهن الرئيس دوغول مرتبطين .  
وكانت القضية أحد أمرين : إما أن تريد بريطانيا العظمى أن تكون  
جزءاً متمماً لاوربة ، وعندئذ يجب عليها أن تسير في تعاون وثيق بين  
« قوتها الضاربة » و « قوة الضرب » الفرنسية ؛ وإما أنها لا ترى  
في السوق المشتركة إلا مشروعاً تجارياً ، وعندئذ لا يكون لاشتراكها مصلحة  
سياسية . وبدأت القضية حادة ، لاسيما وأن مؤتمر باهاما تابع لقاء دون  
جدوى بين دوغول وماكميلان . وعن خطأ أرعن صواب اعتقدت فرنسا  
أن المملكة المتحدة برهنت في ناسو على أنها ، بالرغم من كل شيء ،  
لم تتخل عن الفكرة القديمة ، فكرة « علاقات خاصة » بين أعضاء  
« العالم الناطق باللغة الانكليزية » : أي انها ستكون « حصان طروادة »  
الاميريكي في المعسكر الاوربي .

وبعد أن كون الرئيس دوغول هذه النتيجة عمل بسرعة . فلم تمض  
بضعة أسابيع على مؤتمر باهاما إلا وأعلم ، في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٣ ، في  
مؤتمر صحفي ، بأن بريطانيا العظمى برهنت في الحاضر على أنها لا تستطيع  
أن تكون تابعة للوحدة . وبعد أيام قلائل ، قطعت المفاوضات . ودخلت  
السوق المشتركة في أزمة خطيرة .

ولم يكن هذا أولاً بسبب اخفاق المفاوضات . لأن الاوربيين ،

الذين تساءلوا ما إذا كانت انكلترا « فاضحة » ، من أجل أوربا ، كانوا كثيراً . ولكن بالنظر إلى أن القرار الفرنسي أعلن دون اتصال مبدئي مع أحد فقد ظهر نفياً لروح الوحدة . وكان من الصعب ، خلال دور مدريد ، معاودة الامساك بنحيط الدمج . وكانت المناقشات أقل وداً ، وضربت الثقة المتبادلة .

وما كادت هذه الأزمة تبدأ إلا وتفجرت أزمة جديدة بعد عامين ونصف . وفي هذه المرة كان القصد القضايا الزراعية التي تكلمنا عنها في أعلاه .

لقد فهم محرورو معاهدة روما تعقيد هذه القضية . فقد وجدت هنا مصالح كبرى موضع مناقشة ، وفي عالم الزراعيين ، كانت هنالك علامات قليلة تدل على ارادة الدمج ، كما كانت الحالة في الصناعة . ان الهولاندي سيكول . مانشولت ، عضو اللجنة الاوربية الذي تخصص بهذه المشاكل ، بعد ان كان وزيراً للزراعة في بلده خلال اثني عشر عاماً ، وجد امام قضية من قدرته . وفي الأصل ، لا يمكنه الا ان يحذموقف الرئيس دوغول ، عندما طالب من جديد وبوقع انذار ادخال الانتاج الزراعي في السوق المشتركة . ولكن هذا الديموقراطي الشمالي كان يتجشم بصعوبة مخاطبته بهذه اللبجة الأمرية . ومع ذلك ، فان الموقف الحازم الذي اتخذته فرنسا في هذا المضمار قضى على الترددات التي ظهرت بخاصة عند الالمان .

وفي سياق هذه المناقشات الزراعية كسب التعبير « ماواتون » حق المدينة : في الواقع ، في كل مرة يدفع فيها تقويم معاهدة روما للبلاد الاعضاء الى قرارات تتضمن تضحيات ، كانت تعقد جلسة طويلة بخاصة .



ولكن ، حتى حزيران ١٩٦٥ ، كانت النتائج دوماً ايجابية: ومن نضحية الى نضحية ومن تنازل الى تنازل ، ومن تسوية الى تسوية ، تقدم الدمج ، حتى في المضمار الزراعي .

تم جاءت ليلة ٣٠ حزيران - ١ تموز ١٩٦٥ . ووضعت على بساط البحث قضايا التطبيق ، وهي قضايا صعبة . ولكنها لم تكن اكثر تمزيقاً من الأخرى التي فصل بها في مناسبات سابقة . وكما هي العادة ، كان الوفد الفرنسي، الذي يرأسه مورييس كوف دومورفيل وزير الشؤون الخارجية ، يلح على التنفيذ الضروري للتعهدات المتخذة . وكالعادة ، وبعد ما نشولت الى جانبه ، وكالعادة طال النقاش ، عندما اقترب الموعد المحدد، وهو بالضبط ١ تموز ، ولكن «الم توقف الساعة» رمزياً في مناسبات مماثلة ؟ وفي هذه المرة روعيت الالتزامات بحرفها كما تنص المعاهدة . فقد وجه الممثل الفرنسي ضبطاً بعدم الحضور وذهب . وطبقت سياسة «الكرمي الشاغر» ، وثلث الوحدة الاقتصادية الأوروبية حتى كانون الثاني ١٩٦٦ .

كيف يمكن تفسير هذه الأزمة ؟ لا يمكن ان تفسر بالخلاف الزراعي وحده . وبهذا الاعتبار ، وضعت اللجنة الاوربية اقتراحات تسوية في اقل من شهر بعد القطيعة ، ولم تفاجيء احداً ، ولم تقبل ولم ترفض ، بل تجاهلت ، لأن أسباب القطيعة كانت اكثر عمقا .

وفي الحقيقة ، اقترحت اللجنة ان تدير بنفسها جميع واردات رسوم الاستيراد والواردات الناجمة عن الاقتطاعات الزراعية . وهكذا تكسب استقلالها المالي بنفس الصفة التي كسبتها السلطة العليا في الوحدة الاوربية للفحم والفولاذ ، التي يتمول سيرها بـ «ضريبة» على المشروعات المعدنية والفحمية . وهكذا يزداد الثقل السيامي للسلطة التنفيذية الاوربية .

وتضاف الى ذلك تدابير أخرى تميل الى ديمقراطية الوحدة . وفي ٩ ايلول ، اعرب الرئيس دوغول عن رأيه في هذه الامور . فهو يرى ان اللجنة ادعت بكثير من الوجاهة السياسية ويجب الرجوع الى الاشكال البين - حكومة الكلاسيكية . وفي هذه المرة تجسدت المنازعة حول التصويت الاكثري في مجلس الوزراء ، الذي دخل ، حسب نصوص معاهدة روما ، في حيز التنفيذ لبعض الموضوعات ، في بداية المرحلة الثالثة ، أي في الأول من كانون الثاني ١٩٦٦ .

وبالفعل ، ان الاصول التقليدي للسوق المشتركة ، وهو اتخاذ القرارات بالاجماع ، دل على انه اذا كان للأقليات حق بالاعتبار ، فان الاكثريات لا يمكن ان تقبل من جانبها بامكان تجميد قرار ما بصورة غير محدودة . وفي اعين معظم المراقبين ، ان مبدأ الاكثرية لايحل محل التسوية : بل يجعل هذه الأخيرة ممكنة ، لأنه قد تضاء رؤية نحو الوحدة اذا كان الرفقاء يتمسكون بحق مناورة غير محدود ، حرية قومية دون قيود .

وفي هذه الظروف لا يوجد حل . ولم ترفض فرنسا فقط أن تدفع الى بعيد نحو الدمج - فقد كان من الممكن بهذا الاعتبار ان يكون الخمسة رفقاء معها ، لأن الحماة الاوربية قد انخفضت عندهم ايضاً - بل كانت تطالب بصهر جديد للمبادئ التي ألهمت الوحدة الاقتصادية الاوربية .

وأخيراً ، في كانون الثاني ١٩٦٦ ، وقعت تسوية تسمح للوفد الفرنسي باستعادة مكانه بين الوفود الأخرى . وحصل على الا تستفيد اللجنة الاوربية من الموارد الخاصة ، كما اقترح هالشتاين وزملاؤه في آذار ١٩٦٥ ، كما حصل ايضاً على ابعاد ديمقراطية الوحدة ( التصويت بالاكثرية في مجلس

الوزراء ) ، التي جعلها البرلمان الهولندي شرطاً ضرورياً . واعلن ، من جهته ، بأنه يريد الحفاظ على كامل الحرية في القرار ، مهما كان أصول التصويت . ولكنه لم يحصل على القليل الذي كان يرجوه من اللجنة : فقد حافظت هذه على كامل حقها في المبادرة .

وفي هذا المناخ المتوتر عاودت العجلة السير . وبعد ذلك حصلت تقدمات فنية جديدة . ولكن لم يكن هذا بروح « بحث مشترك » ، كالذي ألهم في السابق شومان .

وأخيراً ، وبعد بضعة أسابيع ، في آذار ١٩٦٦ ، انخفض البارومتر الاوربي أيضاً ، عندما اعلنت فرنسا قطيعتها مع المنظمة الاطلسية . وفي الحقيقة ، ان قضايا منظمة شمال حلف الاطلسي ( الاوتان ) توضع خارجاً عن اطار الدمج الاوربي . ولكن صدعاً جديداً فتح في إزاء الست وثأكدوا من اختلافاتهم العميقة في قضية الدفاع والسياسة العالمية .

منظورات المستقبل . - وبالرغم من التوترات العابرة فقد اتفق الدمج كثيراً جداً مع ضرورات العصر لئلا يزول عن المسرح . ويبدو ان عدة منظورات قد ارتسمت ، حتى فيما وراء الاشكال الفنية للتعاون ، والهيئة الدولية للطرق الحديدية « اوربه » مثل على ذلك .

في البدء نشهد نهضة واضحة لمجلس اوربه ، ولم يكن بطمع في تحريك اتحاد اوربه السيادي مباشرة ، ولكنه اكتفى بتقريب الأوربيين في نشاطاتهم المحسوسة : الفنية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، العلمية . لقد وجدت الآن الطريقة . ونحت ادارة الأمين العام بيتر سميتز بدأ جهاز قوي بالعمل . وفي بعض الميادين الخارجة عن السياسة دوماً شاركت حكومات اوربية الشرقية . وصعد منذ الآن عدد الاتفاقات المبومة

الى مايقارب المائة . وتحضر أخرى ، وبخاصة في ميدان حماية المواقع الطبيعية والتاريخية والكفاح ضد تلوث الهواء والماء وغير ذلك .  
ومجلس التعاون الثقافي يعمل بنجاح متزايد . وباختصار ، لقد اصبحت ستراسبورغ مركز تعاون بين الحكومات ، وأداة مثالية لعمل عملي محدود ، ولكنه محسوس .

أما الوحدة الاقتصادية الاوربية ، بالرغم من ازمتها الداخلية ، فقد استمرت في توسيع ميدانها ، حتى في الأماكن التي لم تنص عليها معاهدة روما صراحة . ومن الممكن أن ينتج اندفاع جديد من صهر التنفيذيات الثلاث الذي تم في ١ تموز ١٩٦٧ . ان اللجنة الجديدة الوحيدة المسؤولة منذ الآن عن الفحم والفولاذ والطاقة الذرية والسوق المشتركة للعامة والمؤلفة من ١٤ عضواً ويرأسها لعامين جان ديي ، استطاعت ان تعيد النظر في مجموع التقديمات التي تمت ، وتضع موازنة لعشرة اعوام ، وتدرس الامكانيات المعروضة لانطلاقات جديدة . وتفكر بخاصة في الاجتماعي ، وفي النقلات ، وفي تنسيق السياسات الطاقية ، بل وفي التوسع الاقليمي الذي يكون فيه الاهتمام بالسيادة القومية شديداً بخاصة .

وهناك موضوع آخر رئيسي وجد في مركز اهتمامات الجهاز الوندوي الجديد ، وهو : « التزيف الفكري » الذي تشكو منه اوربة بشدة يوماً فيوم ، أو بالأحرى : لماذا توضع هذه المشكلة بشكل سلبي ودفاعي ؟ وحتى إذا لم توفر الولايات المتحدة للعلماء الاوربيين شروطاً أفضل للعمل فان اوربا ستقارن مع مهمة تنظيم سياستها العالمية بشكل عقلافي . وقد أضاف طابع العجز الخطير ، في ميزان شهادات الاختراع ، عاملاً اضافياً إلى قضية كانت معروضة للبحث على كل حال . فاذا كان القصد حلاً يتصور

في نطاق أوربة العريضة أو الضيقة جغرافياً ، فيجب تحريك هيئة دولية من مقدرتها وذكائها ، وتقسيم العمل بلداً بلداً بين المشاريع الخاصة والجامعات ، فلقد تم تجاوز مفهوم « الحرية الأكاديمية » وأصبح التخطيط أمراً لا غنى عنه . وهنا أيضاً يجد تنفيذ معاهدات روما تمديداً طبعياً .

ثالثاً ، إن التوسيع الجغرافي للوحدة مازال معروضاً . وقد اشتركت اليونان وتركيا في الوحدة الاقتصادية الاوربية على التوالي في الأول من تشرين الثاني ، والأول من كانون الأول ١٩٦٢ . وهذا ما فتح الطريق على الأقل نظرياً ، إلى اشتراك كامل في سياق سنوات ال ٧٠ . وهل تتوقع رابطات أخرى ؟ يبدو أن الحالة الممكنة الوحيدة هي حالة النمسا التي يجب أن تتبع الست في تجارتها الخارجية ، ولكنها ممنوعة بـ « معاهدة الدولة » التي أبرمت مع الاتحاد السوفياتي في ١٥ أيار ١٩٥٥ ، هذه المعاهدة التي تحرم عليها الاشتراك في « كتلة دول » . وهل الوحدة الاوربية هي هذه الكتلة ؟ إن القضية تتعلق بقرار سياسي يجب أن يتخذ في موسكو . وبالمقابل ، إذا أبدى الست تفاهماً خاصاً لحالة النمسا الخاصة فليست هذه حال البلاد الاخرى ، مثل سويسرا ، التي لا يتعلق حيادها إلا بها نفسها . ومن جهة أخرى ، إن التطبيق الودودي قلما يبدو ملائماً لتجمع البلاد الاوربية الصناعية التي لا تستطيع أن تكون مرشحة ، حسب رأي الوحدة الاقتصادية الاوربية ، إلا إلى الاشتراك التام .

أما بريطانيا العظمى ، فبعد أربعة أعوام على اخفاق المفاوضات الاولى ، قدمت ترشيحها من جديد . واتبع هذا الترشيح بترشيح ايرلانده ، والدانمارك ، والنرويج ، وبشكل متنوع الالوان ، السويد أيضاً . وكانت حكومة لندن في هذه المرة في أيدي حزب العمال . وكان

بوجهها هارولد ولسون الذي أبدى ، حتى ذلك الحين ، مقاومات عظيمة حيال أوربة . إلا أنه في هذه المرة ، برهن على أنه لا يقوم بناورة انتحائية من شأنها الخط من قيمة حجة المحافظين « الأوربية » : ويراد بذلك محاولة جديدة يدعمها بشدة الرأي المسؤول ( ونفي بذلك المصلحة ) . ومن جديد ، ظهرت فرنسا غير محبذة ، رغم أنها لا تستطيع أن تبقى غير شاعرة بالحجة التي تقدمت بها المملكة المتحدة ، وهي أن الصناعة الالكترونية الانكليزية تقدم أساساً لا غنى عنه لكل سياسة أوربية تريد نفسها أن تكون أكثر استقلالاً حيال الولايات المتحدة . وكذلك تتطلب الملاحه الجوية تركيزاً للقوى فوق بحر المانش وسياسة أوربية للبحث تصل أيضاً الى شمول القوة البريطانية . وبالمقابل ، أشارت الحكومة الفرنسية إلى الضعف الحالي للجنيه الاسترليني الذي يزعم بأنه بقي عملة ذات موهبة عالمية ، ولم تحصل دوماً على الاقتناع بأن لندن تريد قطعاً أن تختار أوربه بالابتعاد عن واشنطن .

وهكذا فإن الحجج لصالح الاشتراك قد ثقلت موازينها منذ ١٩٦٣ ، ولكن المقاومات الفرنسية التقليدية كانت أبعد من أن تلقي السلاح . وأخيراً ظفرت هذه المقاومات من جديد . فقد أعلن المؤتمر الصحفي ، الذي عقده الجنرال دوغول ، في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، بوضوح عن « الفيتو الثاني » . وترعزت الوحدة الاقتصادية الأوربية من جديد ، ولكن القضية ، في هذه المرة ، بقيت معروضة . ومن الصعب أن يفهم بأن أكثر الانصار اقتناعاً بـ « أوربة الاوربية » من مصلحتهم طرح بريطانيا العظمى نحو الولايات المتحدة ، باغلاق باب السوق الاوربية في وجهها الى الأبد .

ورابعاً ، نشهد الاندفاع نحو « أوربة الاوربية » الاكثر استقلالاً

حيال حمايتها التقليديين من الشرق ومن الغرب . وفي هذا الموضوع لنلق نظرة على الوضع الحالي لمعاهدة وارسو التي أبرمت ، في ١٤ أيار ١٩٥٥ ، وقطابتي نوعاً ما منظمة حلف شمال الاطلسي ، وللمجلس العون المتبادل والتعاون الاقتصادي ( الكومبيكون ، الذي أسس في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ كرد على مشروع مارشل ) .

لقد حصلت تحويلات عميقة على جانبي « الستار الحديدي » . فقد قل التوتر بين المعسكرين منذ وفاة ستالين ، ورغم التغييرات من كل نوع . وإذا كان صحيحاً أن بلاد اوروبا الشرقية نصوت تقريباً دوماً في الأمم المتحدة وفقاً للموقف الرومي ، فقد تطورت مع ذلك نحو نظام داخلي أكثر حرية ونحو هامش أوسع للمناورة الدولية . وكما أت سنوات الـ ١٩٦٠ زادت ثقة الاوربيين الغربيين بأنفسهم ، فان بعض المجادلات على السياسة الاميركية ، وخاصة في فيت - نام ، قد شجعت على الرغبة في اسماع العالم صوتاً اورياً أكثر استقلالاً .

وهنا أيضاً ، وجدت اللجنة الوحيدة الجديدة عملاً عظيماً على منضدتها . وبعد أن سوت علاقات أوربة التجارية مع الولايات المتحدة ، كان عليها أن تتجه صوب الشرق ، وإلى هذا الحين تبدو الاشارة إلى مفاوضات ثنائية ، وقد أصبحت ممكنة الآن ، لأن الاتحاد السوفياتي فقد سيطرته المهيمنة على هذه المنطقة . ومع الزمن ، فلما يرضي أن فريقاً من الستة بلاد يفاوض على انفراد كلاً من الدول الاشتراكية . وعندما تظهر هذه النتيجة ، فمن الممكن أن يأتي وقت تشعر فيه هذه الدول الأخيرة بالحاجة إلى التباحث فيما بينها ، واستخلاص خط مشترك ، وربما تشكيل سوق مشتركة في الشرق . وليس بالمنوع أن يفكر بأن موسكو يمكنها ، ذات يوم ،

أن تبارك مثل هذا المشروع ، بنفس الصفة التي خولت فيها واشنطون مباركتهما للوحدة الاقتصادية الاوربية .

وفيا وراء سيطرة الهيمنة من جهة ، والانعزالية القومية ، من جهة أخرى ، من الممكن أن تنمو أشكال « الزمالة » و « التبعية المتبادلة » ، وتظهر أوربة الأرض المثالية للقاء سامي وصريح حريين المذاهب والانظمة المتباينة . ولامكان القيام بهذا الدور لا بد لها من التخلي بادىء بدء عن تجزئتها القومية .

هذه هي بعض منظورات المستقبل . وعلى كل حال ، يبدو أنه لا يوجد اختيار لسياسة الدمج القاري بأي شكل من الأشكال . ان اوربة بتجاوزها منازعاتها الهرمة ، ومنافساتها القديمة ، وبتوحيدها في تنوعاتها القومية والاقليمية ، يمكن أن تعطي نموذجاً لمجتمع لا تعني فيه كثرة الاشكال « الانفصالية » ، ولا يؤدي فيه الاتحاد الى « التائل والتشابه » .



## الفصل الثامن

### أوربه الاشتراكية

#### مؤتمر يالطا

في يالطا ، في الاسبوع الذي مضى بين ٤ و ١١ شباط ١٩٤٥ ، حدد مصير العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وبصورة منفردة ، مصير أوربه المحررة .

وكان الرئيس روزفلت يتابع حلمه في الاخاء العالمي ، ويجول الاولوية الى منظمة الأمم المتحدة .

وبالنسبة لستالين ، كان المهم ، قبل كل شيء ، التأمين ضد بقطعة محتملة للروح العسكرية البروسية ومنح الاتحاد السوفياتي منطقة نفوذ في أوربه بشكل لا تكون فيه سلامة أرضه مهددة أبداً . ولم يرغب عنه بعض الحذر حيال شركائه الغربيين ، ولداع آخر ، بسبب هذا الاهتمام .

وكان الرئيس روزفلت مفتوناً بشخصية ستالين القوية وعجلاً بالحصول على مساندته ضد اليابان ، ولذلك كان مستعداً لكل التنازلات ، وأزال بيده اعتراضات تشرشل الفرع من متطلبات الزعيم الشيوعي . وقد قبلت كل وجهات نظر هذا الأخير فيما يتعلق بتجزئة الريخ الثالث واحتلاله ،

وثبتت الحدود البولونية بين خط كورزون ومجرى نهرى الاودر - النايى  
وارجاع الحكومات الديموقراطية فى البلاد الأوربية التى شابت طوعاً  
أو كرهاً النظام النازى .

وهكذا فان شرعية السيطرة السوفياتية على النصف الشرقى والجنوبى  
للقارة العجوز قد اعترف بها صراحةً فى وثيقة رسمية . وعكف ستالين  
على فرض هذه السيطرة فى الوقائع .

### الونحار السوفياتى

جاء الجنرال جودل إلى دنس ، فى ٧ أيار ١٩٤٥ لينقل إلى الخلفاء  
استسلام الجيش الألماني العام وغير المشروط . وفى ١٥ آب التالى رضخت  
القوات اليابانية بدورها .

وانتهت الحرب على سطح الكرة الأرضية ، وحان الوقت لكل دولة  
من الدول الداخلة فى العراك العالمى أن تضع ميزانها . وكانت ميزان  
الاتحاد السوفياتى بأئساً حزبياً : فقد احصى ما يقارب ١٨ مليون ميت بين  
عسكريين ومدنيين ، وأكثر من ٣ ملايين أسير<sup>(١)</sup> . أما الخسائر المادية  
فمن المستحيل حسابها بدقة وضبط فى هذا البلد الذى دمرته القنابل  
والحرائق والتخريبات الطوعية ، حيث وجد أن ٣٢٠٠٠ مشروع صناعى  
قبل الحرب كانت تستعمل ٤ ملايين عامل قد قوضت جميعاً ؛ وأن ٧١  
مليون هكتار من الاراضى المزروعة قد أتلقت ؛ وأن ٩٨٠٠٠ كولخوز  
قد نهبت وأشعلت فيها النيران ؛ وحيث كان السكان يربون أمام المحتاح

---

(١) على الرقم الكلى للسكان ١٧٠ ٤٦٧ ٦٠٠ نسمة ( احصاء عام ١٩٣٩ ) .  
وأظهر « الاحصاء الخمسينى » فى الأول من تموز ١٩٦٧ أن سكان الاتحاد السوفياتى  
٢٣٥ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة .

كانوا يطبقون سياسة الأرض المحروقة . ونظراً لفقدان ما هو أفضل نأخذ بالتقدير الرسمي وهو ١٢٨ مليار دولار .

لقد كانت المهمة التي فرضت غداة الحرب على الاتحاد السوفياتي جسيمة ، وكان تحقيقها أصعب ، لاسيما وان الرئيس ترومان ، خلف روزفلت ، قد تجاهل طلبات الاعتماد الطويل الأجل من حليفه السابق ، وان ستالين ، من جانبه ، رفض بازدياد مساعدة مشروع مارشل . ولذا فعلى روسيا الماركسية أن تنهض من عثائها معتمدة على وسائلها الخاصة وحدها .

ولكسب الحرب ، اعتمد ستالين بصورة أساسية على قفزة إلى الأمام الصناعة الثقيلة . فقد شدهته الطاقة الصناعية الاميركية ، ولازمته الفكرة التي ينسبها إلى موجهي واشنطن ، وهي القيام بكفاح ضدعاصمة الشيوعية الدولية ، فأراد أن يساوي بأقصر مدة ، ويتجاوز. إذا أمكن ، مستوى الانتاج في الولايات المتحدة . ولم يوفر شيئاً لبوع هذا الهدف . فقد أخليت الارياض لصالح المدن والمراكز الصناعية ، حيث مازال الناس يلبسون بدلاتهم العسكرية ، أو جرحى بل ومقعدن ، وحشدوا في المعامل ، وأرسلوا إلى الرحاب ( الورشات ) المفتوحة حتى تخوم البلاد .

### السنار الحديري

وفي الوقت الذي كان فيه ستالين البناء يفتح لبلده آفاقاً ومنظورات عظيمة ، كان ستالين الدبلوماسي يؤكد نفسه رقيقاً متعباً لحلفائه ، وطوراً وطوراً حفيماً وفظاً ، كيتساً ووقعاً ، كان يعمل بصورة أساسية على أن يحول ، لصالح السوفياتيين ، الاتفاقات التي أبرمت في ختام مؤتمرات موسكو ( تشرين الأول ١٩٤٣ ) وطهران ( كانون الأول ١٩٤٣ )

وبالطاسا ( شباط ١٩٤٥ ) ، وبوتسدام ( تموز - آب ١٩٤٥ )  
والمحادثات الخاصة .

ولم يأل جهداً ، من جهة أخرى ، في الافادة من الاختلافات التي  
اكتشفها عند محدثه . فبينما كان هؤلاء يتصورون اقامة حكومات  
ديموقراطية ، مستقلة ، وذات سيادة في أوربة ، كان يفكر بأن يقيم  
في شرق القارة وجنوبها ، مجتأ من دول تابعة للاتحاد السوفياتي  
ومدعوة لأن تقبّه ضد خطر عدوان جديد .

وقد أثقلت وفاة روزفلت ، في ١٢ نيسان ١٩٤٥ ، بشكل حاسم  
على سلوك الغربيين ، لأن هاري ترومان ، خلفه في البيت الأبيض ،  
لم يبد مستعداً لتبني سياسته الملاينة حيال ستالين الجيورجي ( من جيورجيا ) .  
وبينما كان ستالين ، المصاب بسوء الظن و الباطني ، يرتاب في أن  
حلفاءه يغذون مقاصد سوداء مظلمة ترمي الى اضعاف الاتحاد السوفياتي  
قبل مهاجمته ، كان رئيس الولايات المتحدة الجديد يخشى طغيان الجيش  
الأحمر حتى نهر الراين وربما حتى شاطئ الاطلسي ، ويفرض على المعسكر  
الغربي مذهبه في الاحتواء ، أي في وضع سد من الأمم الحرة مناهض  
للتوسع الشيوعي .

وما فتئ المناخ الدولي يفسد ، وفسحت جميع المناقشات مجالاً  
لمساومات حادة ، بمناسبة تركيب الحكومة البولونية ، ونظام المانيا ،  
ومشاركة فرنسا والصين في القضايا الدولية ، وفي مناطق النفوذ على  
الكوكب . وفي الحقيقة ان المؤتمرات الدولية ، في كل هذه الموضوعات  
وفي كثير غيرها أيضاً ، تركت الباب مفتوحاً لتأويلات وتفسيرات عديدة .

وفي ٥ آذار ١٩٤٦ ، وجد ونستون تشرشل ضرورة تعرف جيداً

حالة العصر الدبلوماسية وقال : « من شئتين إلى تربستا أسدل ستار حديدي على أوروبا » .

ولما شاخ الأسد اطلق الحرب الباردة . وأصبح الحلفاء السابقون مختلفين ، وأخذوا ، من جانبي الستار الشهير ، يراقبون بعضهم ويعززون مواقعهم بغية مجابهة محتملة الوقوع . واتسعت الآزمة محددة بمجاذب تهدد في الغالب الأمم سلام العالم ولما يؤمن بعد بشكل مرضي ، وبلغت نقطة الذروة ، في حزيران ١٩٤٨ ، عندما حاصر السوفييتيون جميع الطرق والخطوط الحديدية والطرق المائية التي تصل برلين بألمانيا الغربية . فأجاب الحلفاء على هذا الحصار بتنظيم « جسر جوي » لتمرير المدينة المحاصرة حتى أيار ١٩٤٩ . واستوفى هزمهم حقهم أخيراً من المناورة الستالينية ، ولكنهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من النكبة والطامة الكبرى .

وفي غضون أربعة أعوام خول حصر السلاح النووي الاميركيين تفوقاً وساعد ترومان على مقاومة ضغوط موسكو بشكل حاسم . وتبدلت نسبة القوى ، بشكل عميق ، عندما اعلن ، في ٢٣ ايلول ١٩٤٩ ، عن انفجار أول قنبلة ذرية روسية . وهذا الحادث العظيم هيات ان يدمغ نهاية الحرب الباردة ، ولكنه يقيم ، على الأقل ، « توازن الارهاب » ، لأنه يمنع تصور قيام خلاف عالمي ثالث .

### زهاية ستالين

كان ستالين يتابع أعمال البناء في داخل بلاده كما يلاحق مناوراته على المائدة الدبلوماسية ، سيداً مطلقاً لامبراطورية ، أوسع امبراطورية في العالم ، تمتد على ٢٢ ٤٠٠ ٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، أي ما يعادل مرتين ونصف سطح

الولايات المتحدة ، و ٤ مرة سطح فرنسا . وكان يجمع في يديه ، في الواقع ، كل وسائل السلطة : فقد كان الأمين الأول للحزب - أى أهم وظيفة في دولة شيوعية ، ورئيساً لمجلس الوزراء ، وقائلاً أعلى للقوات المسلحة ، ومارشالاً للاتحاد السوفياتي . وكشف مجده مجد كارل ماركس ولينين اللذين بهتت صورهما العملاقة المنتشرة بمناسبة المظاهرات الشعبية الى جانب صورته .

ومها تكن التضحيات التي قبلها الشعب والتفاني وأحياناً الذل من قبل أعوان ستالين ، فلم يتوصل إلى التخلص مما أسماه خروتشوف فيما بعد من « ريبه المرضي » . وبينما تأخذ العبادة التي تبذل له في سنواته الأخيرة نسباً تبلغ درجة الجنون ، كانت البلاد تعيش من جديد في مناخ الارهاب . فقد انقطعت البلاد عن باقي العالم وتحملت طيش « القيصر الأحمر » دون حركة ثورة . وكان التطهير « تشيستكا » يحصد في الجيش وفي الحزب .

ومن ٥ إلى ١٤ تشرين الأول ١٩٥٢ ، عقد ستالين في موسكو المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ، وقرر ، فيما قرر ، أن يستعيز عن البوليتبورو « المكتب السيامي » ببريزديوم « رئاسة مجلس السوفيات الأعلى » للجنة المركزية . وفي أعين رجال النظام ينبئ هذا الاصلاح البنيوي ولا شك عن عمليات تطهير جديدة . وسبق للمطلعين على خفايا الأمور أنهم كانوا يتناقلون بصوت منخفض أسماء الضحايا الآتية : ميكويان ، مولوتوف ، فوروشيلوف .

وعظم القلق أيضاً عندما نشرت صحيفة « البرافدا » ، في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٣ ، بلاغاً يوحى باكتشاف مؤامرة دبرها فريق من الاساتذة

والاطباء من أصل يهودي ، ألزمتهم مصالح التجسس الانكليزي والاميركي بقتل « المناضلين النشيطين في الاتحاد السوفياتي » ، في معظمهم جنرالات وماريشالات . ولكن النص لا يتهم « وحوش الجنس البشري الذين داسوا بأقدامهم علم العلم المقدس » ، فحسب ، بل يهاجم أيضاً « انتهازي اليمين » ، و « المحبطين » الذين أعوزتهم اليقظة . وعرف في موسكو ما تعني هذه العبارات ، وساور القلق موجهي الكرملن .

وفاجأت وفاة ستالين حتى انها طمنتهم . ففي الليل من ١ إلى ٢ آذار ١٩٥٣ أصيب ستالين بنزيف دماغي . وفي ٥ آذار ، في الساعة ٢١ والدقيقة ٥٠ فارق الحياة محاطاً بأشهر اختصاصيي العاصمة الذين دعوا لفراشه ، وكان آ. ف. تريتياكوف وزير الصحة العامة يشرف عليهم . ونشر بلاغ طويل ، في ٦ آذار ، يحدد صفات الزعيم الراحل ويضمن بأن « اسمه سيعيش دوماً في قلب الشعب الرومي وكل البشرية التقدمية » . وفي جنازه الذي احتفل به في ٩ آذار خطب مالينكوف وبيريا ومولوتوف الخطب التي تقال في مثل هذه المناسبات .

### القيادة الجاهية

لقد زال ستالين وبدا جورجي مالينكوف في بضعة أيام كخلف حقيقي له . وفي ٦ آذار ، بالفعل ، رفع الى رئاسة الحكومة السوفياتية يساعده أربعة نواب رؤساء مجلس : بيوريا ، مولوتوف ، بولغانين ، كاغانوفيتش . وسمي في الوقت نفسه أميناً للجنة المركزية . ولكن هذه الحالة لم تدم أكثر من اسبوع . ففي ١٤ آذار « حرر » مالينكوف ، بناءً على طلبه ، من الوظائف التي تؤمن له الاشراف على جهاز الحزب .

وحل محله فريق من خمسة أمناء ، يضم بخاصة ، نيكيثا . س .  
غروتشوف . اما ادارة الشؤون العامة فقد تأمنت منذ الآن فصاعداً  
بثالوث «ترويك» يضم مالينكوف وبيريا و مولوتوف ، وتقاسم هؤلاء الثلاثة  
المسؤوليات .

وبعد أن تخلص الاتحاد السوفياتي من طاغيته ، تنفس الصعداء .  
وانخذت فيما بعد تدابير تدل على تطور للنظام نحو اشكال اكثر حرية  
( ليبرالية )

وفي ٢٧ آذار ١٩٥٣ ، تقرر عفو عام واسع اخلى السجون  
ومعسكرات العمل من ربات العائلة ، والنساء الحوامل ، والمرضى ،  
والذكور الذين يقل عمرهم عن ثمانية عشر عاماً أو يزيد على خمسين عاماً .  
وفي ٣١ آذار زيدت كتلة اجور الشغيلة ببلغ ٧٣ مليار روبل . وفي ٤  
نيسان اعطي دوي عظيم لتحرير واعادة اعتبار الأطباء المتهمين بالمؤامرة  
على الدولة . واعترف بلاغ رسمي بأن اعترافاتهم انتزعت «بوسائل مجرماها  
القانون السوفياتي بشدة ، وبتعبير آخر بالتعذيب . ولم تقم د دعوى  
القمصان البيضاء ، . وبالمقابل ، د ان الأشخاص المسؤولين عن اعطاء  
التعليقات بشكل غير منتظم سيوقفون ويلاحقون بموجب قانون العقوبات ، .

وكان اشهر ضحية للنزعة الجديدة لافولتي بافلوفيتش بيربا الذي كان  
نائباً لرئيس مجلس الوزراء في عهد ستالين ، وزعيماً للضابطة السياسية ،  
ومفتشاً يخشى خطره . فقد قام بعشرات ألوف «التصفيات» لحساب سيده .  
وفي ١٠ تموز ، اتم بدوره « بأعمال اجرامية » ترمي الى تقويض الدولة  
السوفياتية لمصلحة الرأسمال الأجنبي ، . وارتاب رفقاؤه بأنه يهوى بخاصة  
انقلاباً يحوله السلطة . وهكذا جرد المطهر السابق من وظائفه ومثل امام



المحكمة العليا للاتحاد السوفياتي . وفي آخر السنة اعلم بلاغ مقتضب الحكم على « الحائن » ، وتنفيذ الحكم به معاً .

وفي ٧ أيلول ١٩٥٣ سمى خروتشوف الامين الأول للجنة المركزية . وبينما كانت الشؤون الداخلية تأخذ مجرى جديداً في الاتحاد السوفياتي ، لوحظ أيضاً تطور يسر علاقات موسكو بالعواصم الأجنبية . فقد عدد خلفاء ستالين فعال الارادة الطيبة . وفي ١٠ أيار ١٩٥٣ اعلموا الحكومة التركية بتخليهم عن كل مطالبة أرضية في أرمينيا . وفي ٦ حزيران وطدت المصالحة مع تيتو الذي حرمه ( طرده من الجماعة ) ستالين في ١٩٤٨ . واتفق على أن ترفع البعثات الدبلوماسية لكلا البلدين الى مستوى السفارات . وفي ٢٠ تموز اعيد توطيد العلاقات مع امراثل بعد أن قطعت في ١٢ شباط السابق اثر اعتداء على المفوضية السوفياتية في تل - اييب

ووضع « التعايش السلمي » بين الدول الرأسمالية والاشتراكية في جدول الأعمال . وحيا الرئيس ايزنهاور قيام عهد جديد ، وقبل مخترع الستار الحديدي ، تشرشل نفسه ، ان من الممكن التفاهم منذ الآن مع موجهي الكرملن ، واطلق فكرة مؤتمر دولي يدعى لحل القضية الالمانية . وبعد تبادل المذكرات حدد هذا الاجتماع ، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٤ ، على ان ينعقد في برلين باشتراك وزراء الشؤون الخارجية في الدول الأربع المحتلة ، أي فوستر دالسي عن الولايات المتحدة ، مولوتوف عن الاتحاد السوفياتي ، ايدن عن بريطانيا العظمى ، بيدو عن فرنسا . ومع ذلك لم تتوصل سبع وعشرون جلسة عمل الى تقريب وجهات نظر الروس والغربيين . وافترق المجتمعون ، في ١٨ شباط ، دون حل شيء . بيد انهم اتفقوا فقط على موعد آخر في جوفيف في ٢٦ نيسان ، لتبحث

في هذه المرة القضايا الآسيوية . وامتدت المفاوضات حتى ٢١ تموز دون ان تأتي بحل لقضية كوريا . ولكنها ، على الأقل ، أدت الى ايقاف الحرب في الهند الصينية .

وبعد اخفاق مؤتمر برلين ، برد المناخ في اوروبا بعض الشيء . ورفض البرلمان الفرنسي مشروع وحدة الدفاع الاوروبية في ٣٠ آب ١٩٥٤ ، ولكن اتفاقات لندن ( ٣ تشرين الأول ) وباريس ( ٢٣ تشرين الأول ) سمحت بأعادة تسليح المانيا ودخولها في معاهدة حلف شمال الأطلسي . وعندئذ وجهت موسكو الى حلفائها مذكرات احتجاج شديدة اللمجة . ثم فسخت فيما بعد المعاهدة الفرنسية - السوفياتية لعام ١٩٤٤ ، ووقعت مع الجمهوريات الشعبية ميثاق وارسو ( فارسوفيا ) الذي أقر قيادة موحدة لقوات الكتلة الشرقية .

ولم يسد الانسحاب في الكرملن في بداية العام ١٩٥٥ . وفي ٨ شباط ، وبعد أن أبعد جورجي مالينكوف عن امانة الحزب طالب ايضاً بتحريره من وظائف رئيس المجلس . وحل محله مباشرة المارشال نيكولا بولغانين . ومع خروتشوف وميكويان تألف ثالث جديد وامسك بيده مقدرات الاتحاد السوفياتي ، وحاول ان يعطي العالم الخارجي صورة عن روسيا المسالمة والباسمة .

وفي ١١ نيسان لاقى المستشار النمساوي يوليوس راب في الكرملن استقبلاً حاراً . وفي ١٥ أيار التالي ، وقعت معاهدة الدولة في فينا من قبل وزراء الشؤون الخارجية في الدول الأربع المحتلة ، وانتهت حالة الحرب مع النمسا . وفي ٢٦ أيار ذهب بولغانين وميكويان وخروتشوف لزيارة المارشال تيتو وظلوا في ضيافته حتى ٢ حزيران .

وفي ١٧ تموز ، وجد بولغانين و خروتشوف في جنيف للاشتراك في مؤتمر القمة ، مع رؤساء الحكومة الثلاثة الآخرين : ايزنهاور ، ( عن الولايات المتحدة ) ، ايدن ( عن بريطانيا العظمى ) . ادغارفور ( عن فرنسا ) . ووضعت ثلاث قضايا على جدول الاعمال : الأمن الاوربي واعادة توحيد المانيا ؛ نزع السلاح ؛ تنمية الاتصالات بين الشرق والغرب . وافترقوا بعد اسبوع دون ان نجد لهم جواباً . وما زالت هذه القضايا موضوعة الى اليوم أمام التطلعات والضغط الدولية .

ولم يشبط اخفاق جنيف الموجهين الجدد في الاتحاد السوفياتي ، فقد ضاعفوا الانفتاحات نحو الغرب . وبعد أن استقبلوا المستشار اديناور ، في ايلول ، قرروا اقامة علاقات دبلوماسية طبيعية مع المانية الاتحادية ، وفي ٢١ كانون الأول ، دشّن فاليريان زورين السفارة السوفياتية الاولى في بون . واحياناً كانت الدراجة الثنائية بولغانين - خروتشوف تصطبّع ميكويان ، وستذهب الآن لتجوب العالم من لندن الى بكين ، ومن نيودلهي الى عواصم الجمهوريات الشعبية ، وتحمل الى كل مكان طيب الكلام معربة عن صفاء نياتها .

### المؤتمر العشرون

في ١٤ شباط ١٩٥٦ افتتح في موسكو المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي حيث اشتهر خروتشوف بعد تلاوة تقريره العظيم الحجم ، فقد كان نصه ١٠٤ صحائف وعرف دويلاً وافاده كراسطة لكسب السلطة . وفي هذه المرة وضع ستالين على مشرحة التاريخ دون مراعاة أو مداراة . واعترف علناً بأنه كان مصاباً بمرض العظمة . وان

السلطة الوحشية التي مارسها طوال الثلاثين سنة التي أخضع فيها البلاد إلى نظام الارهاب ، وان المذابح التي نظمها والجرائم التي ارتكبتها ، قد كشف عنها دون رحمة أو اسفاق . وكان الحطيب شديد الالهجة حتى بدا وكأنه يسوي . حساباً قديماً مع الآله الميت ( وسحب جثمان ستالين من مدفن الساحة الحمراء حيث كان الى جانب لينين ) ويخفف في الوقت ذاته عن وجدانه . وهذا التقرير ، الذي يشجب عبادة الشخصية ، يعبر من جهة أخرى ، عن اقتناع مؤلفه بنصر نهائي للاشتراكية العالمية دون اللجوء الى العنف . ويقوم ضد كل تدخل في شؤون البلاد الأخرى ، ويدل على اتجاه جديد للسياسة الخارجية في الاتحاد السوفياتي ينزع الى التعايش السلمي .

وهذه الوثيقة ، التي فسرت بتحييد في الغرب واعتبرت وعداً بتفاهم أفضل بين الكتلتين ، أثارت صدمة نفسية حقيقية عند شعوب البلاد التابعة ، التي اسمي اعدادها لتطبيق تعليمات المؤتمر العشرين . وقامت اضطرابات ، في بولونيا بخاصة ، وفي هونغاريا حيث اضطربت الحكومة ولم تدر ما تفعل فدعت الجيش الأحمر لنجدها .

ثم أن محاولات التحرير في شرق اوربه وضعت موضع الشك مبدأ الحزب ككتلة واحدة تؤلف موسكو فيها مركز الثقل . وبدأت صدوع في الحصن الذي شاده ستالين . وتساءل بعضهم ، حول الكوملن ، عن فرصة الخلاص من الستالينية وبالتالي عن مناسبة بقاء خروثشوف على رأس الحزب . ورفعت القضية أمام البريزيديوم ، فانعقد بسر عظيم في بداية حزيران ١٩٥٧ . وبسبعة أصوات ، مقابل اربعة ، حاز الأمين الأول الاقلية . ولكن نيكييتا لم يرض بان يكون مغلوباً . وأدهى بعدم

انتظام الأصول الذي اتبع في التصويت ، ودعا بدوره اللجنة المركزية المؤلفة من ١٧٥ عضواً ، وكان بينهم كثير من اصدقاء خروتشوف ، وبفضل دعم ايكاترينا فورتسيفا والمارشال جوكوف فاز باحكام على خصومه . واتهم هؤلاء بتدبير « مؤامرة ضد الحزب » واخرجوا من اللجنة المركزية واستقالوا من وظائفهم وعينوا في وظائف غامضة بعيدة جهد المستطاع عن العاصمة .

وفي ٤ تشرين الأول ١٩٥٧ حدثت ضربة مسرحية : وهي اطلاق الاتحاد السوفياتي أول تابع اصطناعي للأرض . ثم لفظ اسمه فيما بعد في كل لغات العالم ، لأن كل واحد يشعر بأن هذا « السبوتنيك » سيتقل بصورة حاسمة توازن القوى بين الكتلتين .

ووجه الرئيس آيزنهاور الى خروتشوف دعوة فقبلها بجرارة . وتم التفاهم على أن يقوم زعيم البيت الأبيض بدوره برحلة الى روسيا . ووضع الدبلوماسيون ، ولايخلو الأمر من صعوبة ، برنامج هذين اللقاءين ، ولكن اللقاء الثاني لم يقع .

### ازمة كوبا

وحان الوقت ليثبت خروتشوف وضعه في داخل البلاد . ففي ٢٧ آذار ١٩٥٨ ، ودون شكل آخر للدعوى ، صادق المجلس السوفياتي الأعلى على ابعاد بولغاين وعلى تسمية خروتشوف في مركز رئيس مجلس الوزراء . وفعل كما فعل ستالين ، وأصبح الآن محولاً السلطة الشاملة ، ورئيساً للحكومة والحزب معاً .

وتبنى المؤتمر الحادي والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي ( ٢٧ كانون

الثاني - ٥ شباط ١٩٥٩ ) البرنامج الذي أعده نيكيتا خروتشوف .  
ففي السياسة الخارجية : التعايش السلمي ، صيانة الأمن ، عدم التدخل  
في الشؤون الداخلية للبلاد الأخرى . وفي المضار الاقتصادية : « اللحاق  
والتجاوز ، في اقصر مهلة تاريخية ، البلاد الرأسمالية فيما يتعلق بانتاج  
الرأس الواحد من السكان » . وهذا التطور لا يقتصر على انتاج الأشياء  
المادية فحسب ، بل يمتد الى العلم والتقنيات والثقافة .

وفي ايلول ، استجاب الزعيم السوفياتي لدعوة الرئيس ايزنهاور . وقد  
اعتبر لقاء كامب ديفيد والمصافحة الحارة بين الرجلين العظمين ، وجولة السيد  
« ك » عبر الأرض الاميركية الواسعة بمثابة افتتاح عهد سلام وتفاهم  
متبادل ، حتى نسي القمع القامي لثورة بودابست . ورأى الغرب ان  
الشيوعية أخذت الآن ملامح خروتشوف الباش ، الطفل الطيب ، الذي  
جعلته دعاياته شعبياً .

ويبدو أن كل شيء نجح أمام هذا الفلاح الصغير من كالينوفكا ، الذي  
توصل الى قمة السلطة بفضل الصبر والمكر . وبعد جولته الانتصارية  
العظيمة في الولايات المتحدة ، ذهب للقيام بإسمالة ماو - تسيه - تونغ .  
ولكن رحلته الى بكين ، في شهر تشرين الأول ، منيت باخفاق مدور .  
فقد ساءت العلاقات بين الرجلين حتى الموت . وكسر اتفاق العون  
العسكري الذي ابرم في ١٩٥٧ . وعاد الجدل على أشده بين  
عاصمتي الشيوعية العالمية .

الا أن الظرف كان يبدو مواتياً لتسوية عامة للخلاف الشرقي - الغربي .  
ففي جنيف ، اتفق مندوبو الدول الثلاث النووية : الولايات المتحدة ،  
الاتحاد السوفياتي ، بريطانيا العظمى على البنود الأساسية لمعاهدة تمنح

التجارب الذرية . ومبادهة رئيس الدولة الفرنسية عقد مؤتمر « ذروة » في باريس ، في ١٦ آيار ١٩٦٠ ، اشترك فيه الرؤساء اينهاوز ، دوغول ، ماكميلان ، وجروتشوف . ولسوء الحظ أسقطت طائرة استكشافية من نوع 2 - U في أول أيار فوق الأراضي السوفياتية . وهباً هذا الحادث ، خلال الأسبوعين التاليين ، فرصة لتبادل وافر من المذكرات بين موسكو وواشنطن . ولم يذل الحادث ، مع ذلك ، عندما اجتمع الأربعة « الكبار » في قصر الايليزيه . ودون أن يسمع خروتشوف ايضاحات رئيس البيت الأبيض ،لقى خطاباً عنيفاً في قصر شايبو ، أمام مراسلي الصحافة الدولية المشدوهين ، ثم غادر المؤتمر ضارباً الباب وراءه .

وفي آخر هذه السنة ولد انتخاب جون كينيدي ، لرئاسة الولايات المتحدة ، الأمل بتقارب . وبعد لقاء الزعيم الديموقراطي الشاب بالرئيس دوغول في باريس شخص بالفعل الى الموعد الذي حدده له خروتشوف في فينا ، في ٣ حزيران ١٩٦١ . وبدل البلاغ الذي نشر في ختام هذا اللقاء التاريخي على الارادة الطيبة المتبادلة ، ولكنه لا ياتي بأي عنصر ايجابي لقضية السلام .

وستوضع هذه القضية على محك تجربة قاس . وبينما أجل مؤتمر نزع السلاح في جونيف « الى أجل غير مسمى » ، في كانون الثاني ١٩٦٢ ، بعد أن عقد ٣٥٠ جلسة عمل ، تحرك فريق من المهاجرين الكويتيين في الولايات المتحدة ، تدعمه مصلحة الاستخبارات المركزية ، وأخذ يقوم بناورات تحرش ضد جزيرة كوبا ، أكبر جزيرة في البحر الكريبي . وجرت محاولة انزال في جون الحنازير ، في نيسان ١٩٦١ ، فاختفت اخفاقاً ذريعاً ، ولكن كل شيء كان يدل على أن العملية ستجده بقوات اكثر مما في

السابق . واستجابت الحكومة السوفياتية لنداء الزعيم فيدل كاسترو وأنشأت في كوبا مراكز لاطلاق الصواريخ وجهازها برؤوس نووية . وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٦٢ نقلت طائرات الى البيت الأبيض صور الاجهزة المنصوبة . ولم تستطع الولايات المتحدة أن تتساهل بهذا التدخل من قبل الاتحاد السوفياتي في نصف الكرة الغربي وبما يرافقه من تهديد ذري على شاطئه . والقى كينيدي بنداء الى رفقاءه في الحلف الأطلسي فاصطفوا بالاجماع الى جانبه . وفي الوقت نفسه ، تبودلت رسائل الضغط بين العملاقين النوويين . وامسك العالم بأنفاسه الى الحد الأقصى خشية من نشوب خلاف جديد . غير أن رباطة جأش الرئيس الأميركي وحكمة خروتشوف انتهتا أخيراً اخطر ازمة هزت الكوكب منذ الحرب العالمية الثانية . فقد قبل السوفياتيون بتقويض مراكزهم واسترجاع قذائفهم مقابل تعهد الأميركيين بالتخلي عن كل عمل هجومي على كوبا . وجنبت تجربة القوة . وأصبح نوازن صرف النظر عن القصد واقعاً يسيطر على دبلوماسية الكتلتين المتضادتين .

وفي مناخ هذا الانفراج العائد قامت محادثات ثلاثية أدت ، في ٥ آب ١٩٦٣ ، بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وبريطانيا العظمى الى توقيع معاهدة في موسكو ، وتعهدت هذه الدول بموجهها بالكف عن تجاربها النووية في المكان وفي الفضاء وتحت الماء . واشتركت في هذا الاتفاق مائة بلد آخر . ووقفت فرنسا والصين جانبا .

### الفريق الجدير : كوسيفين - برجنيف

ويبدو أن النجاحات الدبلوماسية جعلت السيد « ك » يركب رأسه . فمظاهرات الصاخبة في الأمم المتحدة وانتشار شعبيته في البلاد الرأسمالية ،



وعدم فطنة صهره ، الكسيس أجوباي،الذي كان سفيره المتجول، انتهت بانارة رفقائه في الكرملن ، وكان لدى هؤلاء هجج رصينة ضده . فقد جعلوه مسؤولاً عن التوتر الآخذ بالتفاقم بين بيكين وموسكو ، وعن قضية كوبا التي مني فيها الاتحاد السوفياتي بهزيمة نكراء ، وعن الطرق السيئة أو بالأحرى عن فقدان كل طريقة في مضار الاقتصاد .

وفي ١٥ تشرين الأول ، وبينما كان خروتشوف يستجم في فيلاه، في سوتشي،على شاطئ البحر الأسود ، قامت ثورة قصر جديدة فاطاحت به بشدة الى أسفل ، وفي بضع دقائق ، وبناء على تقرير شديد وضعه سوسلوف ، جرده البريزيديوم في موسكو من جميع وظائفه ، دون أن يترك له ، في هذه المرة ، وقتاً لدعوة اللجنة المركزية . وبينما كانت نيكيتا سيرغيفيتش بالأمس رئيساً للمجلس والأمين الأول للحزب لم يعد سوى مناضل بسيط رخص له بالمطالبة بحقوقه التقاعدية . ولم تكن الصخرة التاريخية<sup>(١)</sup> اقرب الى الكابيتول في أي مكان كما كانت في الاتحاد السوفياتي .

وبعد تجارب ستالين وخروتشوف الخيبة تبني مبدأ فصل السلطات . وفي الوقت الذي ممي فيه الكسي كوسيجين رئيساً لمجلس الوزراء كلف ليونيد بريجنيف بتوجيه جهاز الحزب .

ولد رئيس الحكومة الجديدة في لينينغراد في ١٩٠٤ . وهو اقتصادي راجح، قاضي المنظر ،موزون الكلام . وكان مديراً لمشروع اقتصادي ويعرف قيمة الأرقام ولا يؤخذ بالحجج من النوع العاطفي . ويقتضي عمله الأسهمي

---

(١) الصخرة التاريخية هي صخرة كان يلقي منها بالمجرمين في روما القديمة .

في داخل البلاد اعادة تنظيم الانتاج واصلاح اخطاء سلفه الشرس ، وايقاف الامراف في الموارد والجهود . والاختلاف ضارب بين هذا الشمالي الرصين ورفيقه ، الاكراني اللسن ، الرشيق ، الذي يبدو بوضوح أصغر منه سنأ رغم أنه ولد في عام ١٩٠٦ . وهذا الشريك الروحاني ، بريجنيف ، لا يزدرى لذائذ المائدة . وهو ، عدا ذلك ، يقدر الرفاه والزينة الجميلة والاستقبالات الوضاعة والمشاهد العذبة .

وخارجاً عن تغيير الجهاز السيامي في موسكو ، كان الربع الأخير لعام ١٩٦٤ مطبوعاً بثلاث حوادث عظيمة : في ١٦ تشرين الأول ، فجرت الصين الشعبية أول قنبلة ذرية ، وفي اليوم نفسه ، في بريطانيا العظمى ، ترأس هارولد ولسون الحكومة العالية الجديدة . وفي ٣ تشرين الثاني انتخب ليندون ب . جونسون رئيساً للولايات المتحدة . كانت الرحلة الاولى لكوسيفين إلى الخارج إلى ييكين ، حيث أقام يومي ٥ و ٦ شباط ١٩٦٥ . وحاول ، عند عودته أن يزيل الخلاف الصيني - السوفياتي ، فلم ينجح في ذلك أكثر من خروثشوف .

ووجد موجهو الكرملمن في الغرب محدثين اكثر استعداداً . فقد تحسنت العلاقات بخاصة مع فرنسا بشكل محسوس ، كما ازداد في الوقت نفسه حجم المبادلات التجارية والثقافية . وفي ٢٧ نيسان ١٩٦٥ استقبل اندريه غروميكو وزير الشؤون الخارجية في الاتحاد السوفياتي ، في قصر الايبازيه ، حيث اجري محادثات هامة مع الجنرال دوغول . وفي ٢٨ تشرين الأول التالي زار وفد فرنسي ، برئاسة موريس كوف دومورفيل ، موسكو ، حيث شخص رئيس الجمهورية بدوره في ٢٠ حزيران ١٩٦٦ . وفي الأول من كانون الأول ، أخيراً ، كان رئيس الحكومة السوفياتية خيف باريس التي هيأت له استقبالا ودياً جداً .

وبدا الفاتيكان نفسه حساساً بالاسلوب الجديد للدبلوماسية السلافية .  
وخلال مرتين خول البابا بول السادس جلسة الى كبار الشخصيات في  
التسلسل الشيوعي ، الى اندريه غروميكو في ٢٧ نيسان ١٩٦٦ ،  
وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٧ الى نيقولاي بودغورني الذي حل محل  
ميكويان في رئاسة بريزيد يوم السوفيات الاعلى .

ونظراً الى ان كوسيجين يناصر الحلول السلمية فقد احرز نجاحات  
شخصية لامعة عندما حصل ، في ١٠ كانون الثاني ١٩٦٦ ، في طشقند ،  
على ايقاف الحرب بين الهند وباكستان .

واذا قام السوفييتيون طوعاً بالحوار مع الديوقراطيات الغربية فقد  
ظهرت الولايات المتحدة في اعينهم المحدث الوحيد الذي يمكن التباحث  
معه عن حلول للمشاكل التي تقسم العالم . ولكن حرب فيت-نام منعت  
موقفاً تصور بالطا جديدة . فقد استنكرت روسيا الشيوعية التدخل  
الامريكي في جنوب شرقي آسيا ، ولم تحرم نفسها من ذلك . ورغم انها  
عرضت ، من جهة اخرى ، عونها الجوهري على هانوي ، فقد ظلت  
يكيين تهمها بالتواطؤ مع « المعتدين الامبرياليين » وبالخيانة حيال العالم  
الثالث ، وهذا ما اضطرها الى الحذر والامساك بسيفها وثيقاً الى يسارها .

وظلت العلاقات بين موسكو وواشنطن حذرة ، عندما قام فجأة  
النزاع من جديد في الشرق الأوسط فأفسد التوازن الضعيف لسلام العالم ،  
في ٥ حزيران ١٩٦٧ . ففي ستة أيام وقعت الحرب بين الجمهورية العربية  
المتحدة والاردن وسورية من جهة ، واسرائيل من جهة أخرى ، وانتهت  
بكارثة . ومنذ الساعات الاولى لهذه الحرب الحاطفة اجتمع مجلس الأمن في  
الأمم المتحدة ، ولكنه بدا عاجزاً عن الفصل بين المتحاربين والاتفاق على

المسؤوليات العائدة على كل منهم . رأى المندوب السوفياتي ان تشجب اسرائيل باعتبارها معتدية ، وان تتخلى جيوشها بالحال عن الاراضي التي احتلتها وتعود الى قواعد انطلاقتها . ودعم بمثل الولايات المتحدة نظرية معارضة وقال : ان اسرائيل في حالة دفاع مشروع . وبين هذين الموقفين المتطرفين لم يتوصل الى الخروج بنص تسوية ، حل وسط . وتخلى المجلس عن القضية واحالها الى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي دعيت الى دورة استثنائية عاجلة .

ثم حدثت ازمة جديدة شبيهة بأزمة كوبا فأغطشت الأفق . وبلغ التوتر درجة فرض معها منظور مجابهة نووية على الأفكار המתاحة . ولأول مرة في التاريخ يسجل الكرمين على صعيد السياسة الدولية انقراطاً في المعسكر الاشتراكي . فقد قطعت بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهونغاريا ، الى جانب الاتحاد السوفياتي ، علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل . ورفضت رومانيا ان تشجها . وظهرت ايضاً تصدعات في الكتلة الغربية ، حيث لزمت فرنسا بخاصة موقفاً محايداً دقيقاً ، وأخذت على الاسرائيليين اشغالهم النار ، وقررت الحظر على العتاد العسكري الى الشرق الاوسط على وجه التخصيص .

ومهما يكن فقد وصلت الوفود الى نيويورك لعقد الجمعية العامة في ١٩ حزيران كما هو محدد . وكان يرأس معظمها وزراء الشؤون الخارجية بل ورؤساء الحكومات ، كما هي حال الوفد السوفياتي بخاصة ، فقد كان يضم ما لا يقل عن ٦٦ عضواً ، وكانت كوسيفين على رأسه . وبالحال مرت اشاعة لقاء بين رئيس مجلس الوزراء في الاتحاد السوفياتي والرئيس جونسون . وسمع صدى لدوي كبير اتى من نهاية اعماق آسيا : فقيل

اجتماع منظمة الأمم المتحدة فجرت الصين الشيوعية في سن-كيانغ أول قنبلة حرارية - نووية لها .

ولم يحل هذا الانذار من ماوتسه-تونغ دون لقاء الكيبرين . وخلال مرتين ، الجمعة ٢٣ والأحد ٢٥ حزيران ، اجتمع جونسون وكوسيفين في غلاسبرو ، وهي مدينة جامعية صغيرة في نيوجرسي على مسافة متساوية من نيويورك وواشنطن . ودام مجموع المحادثات عشر ساعات . ودرست فيها قضايا الساعة كلها : نزاع الشرق الأوسط الذي كان في اصل اللقاء ، وحرب فيت-نام ايضاً ، والقنبلة الهيدروجينية الصينية ، والعلاقات بين الشرق والغرب ، ومساعدة البلاد المتخلفة ، ومعاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية . ونادرة كانت القضايا التي اتفق عليها رجلا الدولة . ولا يبدو انها نهجا الى تقسيم جديد لمناطق النفوذ في العالم ، ولكن المناخ الذي ران على غلاسبرو ونسق تصريحاتها العامة يدعوان الى التفكير ، مع ذلك ، بأن بطل العالم الحر وزعيم العالم الشيوعي قد قررا ايضاً ضم جهودهما لابعاد شبح الرؤيا النووية الى الأبد .

### التهوى العجيب

عرفت روسيا السوفياتية ، منذ ١٩٤٥ ، نظامين سياسيين مختلفين : فقد خلف الدكتاتورية الستالينية نظام اكثر انسانية ، وحسب تطور يحمل فيه كل شيء على الاعتقاد بأنه غير قابل للرجوع الى الوراء . والملاحظون الدبلوماسيون أقرب الى الاعتقاد بأن الجهاز الموجه الجديد : بريجنيف ، كوسيفين ، بودغورني اعقل جهاز عرفه الاتحاد السوفياتي منذ تأسيسه . غير ان العدوان الغاثم على تشيكوسلوفاكيا ، في آب

١٩٦٨ ، خفف من هذا الحكم . ولاشك في انه لم يثر في الكرمين موافقة اجماعية ، ولكن النزعة القاسية غلبت عند من يعتبر الجمهوريات الشعبية تابعة دوماً لموسكو، ويحاول الحفاظ على امبراطورية ستالين الموروثة سليمة لاتمس .

وعلى الصعيد الاقتصادي، لم تخضع البنيات لتغييرات عميقة ، ولكن الاتحاد السوفياتي عاش تجربتين متميزتين :

في الفترة الاولى ، سيطرت على ستالين فكرة قوة الولايات المتحدة الصناعية ، وحاول ان يسد التأخر الذي يضع بلده بعيداً خلف الديموقراطية الاميركية الكبرى . وللبده كان عليه أن يعيد توطيد طرق الانتاج التي كانت موضع التنفيذ في ١٩٤٠ ، وينهض بالمعامل التي دمرتها الحرب كلياً أو جزئياً ويجهزها بالعتاد الحديث . ولم يهمل كذلك المراكز الصناعية الضخمة التي انشئت بعيداً عن الجبهة ، في الاورال ، في كازاقستان ، في ارمينيا ، وفي سيبيريا او حتى تخوم الاتحاد الآسيوية ، حيث أسست مدن عمالية مأهولة بافراط . ثم اتت تنقلات العمال ، الأحرار أو المجبرين ، جعلت من بعض المدن الصغيرة منامل حقيقية . وهكذا انتقلت صفود لوفسك من ٨٦٠٠٠ نسمة الى ٧٥٠٠٠٠ نسمة ، ونوفوسيبيرسك من ٧٠٠٠٠ نسمة الى ٨٠٠٠٠٠ نسمة .

وتؤلف التوظيفات المالية المخصصة للصناعة الثقيلة ، غداة الحرب ، ٨٣٪ في موازنة الاتحاد السوفياتي ، والباقي، وهو ١٧٪، موزعين الزراعة والصناعة الخفيفة وبيع الاستهلاك . واستسلم الوب العمال الى الضني والحرب ، ولكن ارادة ستالين ، التي لاتهدأ ، سهرت على الا يتباطأ في أي وقت ايقاع العمل في الرحاب والورشات .

ولم تذهب التضحيات الكثيرة دون جدوى . فما كادت تمضي على الحرب خمسة أعوام الا وتجاوز الاتحاد السوفياتي مستوى انتاجه في ١٩٤٠ . وإذا كان هذا المستوى ممثلاً بالقرينة ١٠٠ فقد بلغ القرينة ١٧٠ في ١٩٥٠ ان المعامل السوفياتية ، التي كانت تستعمل آنذاك ماكينات صانعة تبلغ قيمتها ٨٤ مليار روبل ، قد جهزت بآلات تزيد قيمتها على ٢٠٠ مليار . وقدمت المناجم في السنة ٢٦٠ مليون طون من الفحم متجاوزة بذلك ٥٠ ٪ من محصولها في العام ١٩٤٠ . والمراكز الكهربائية ، ومنها مركز الدينير الذي اعيد الى حاله ، وزعت مايقرب من ١٠٠ مليار كيلوات ساعي من التيار الكهربائي .

ولنذكر ايضاً لهذه السنة ١٩٥٠ انتاج : ٦٢ مليون طون من البترول ، ٢٥٨٨ مليون طون من الصلب ، ٣١٦٧ مليون طون من الفولاذ . وازداد انتاج المنسوجات والمواد الجلدية بمقدار الثلاثة امثال بالنسبة الى انتاج ما قبل الحرب . ثم ان معامل الفولاذ العملاقة في مانيتوغورسك ، وغوركي وكوزنتسك التي قدور ٣٤ ساعة على ٢٤ ، والمعامل الكهربائية ، والمحاصيل التي تخرج يومياً من الأرض تدل على طموح الاتحاد السوفياتي في اقتطاع مكان له بسرعة بين الدول الصناعية الكبرى في العالم .

ولكن اذا كان الخلاص من الستالينية في البدء عملية سياسية ، فقد تناول فيما بعد صعيد الاقتصاد . لقد نشأ وراء سجن الكرملن الثقيلة ، واستقبل في الساحة العامة وعداً بعهد جديد يكفي حاجات الفرد الأولية على الايضحي الفرد فيها الآلة ، وأبدت الشبيبة السوفياتية سخطاً حقيقياً على الحياة ، ولم تتصور . على وجه التأكيد قلباً للنظام ،

وكانت تفخر بإنجازات الاتحاد السوفياتي ومهندسيه الذين يسميان توبوليف واليوشين ، وبعلمائها الذين اطلقوا اول جرم تابع ( سبوتنيك ) ، وبملاحيا في الفضاء ، ومدنها ، ومعاملها العملاقة ، وسدودها ، وقذائفها عبر القارات ، ولكنها جزعة الى ان ترى فتح نوافذ على العالم الخارجي .

وفي ١٩٦٧ ، السنة الخمسين لثورة تشرين الأول ، بلغ الانتاج اليومي للصحف والمنشورات المختلفة ، في الاتحاد السوفياتي ، رقماً قياسياً بـ ٢٧٥ مليون نسخة . والتم الجمهور النهم الى المعرفة كتلة الورق المطبوع بكامله ، واتى الزوار الاجانب المتكاثرين بالتدريج الى هذا الجمهور بأصداء حياة يجملها ويزينها طوعاً بجمال خيالي ، في الوقت الذي اخذت فيه الموضوعات الغربية والمنسوجات الثمينة والكتب والأفلام والاسطوانات تخاطب خياله وتبعث فيه تذوق موضة الحياة الناعمة .

وطوعاً او كرهاً ، أخذ الموجهون السوفياتيون هذه الانجازات بعين الاعتبار ، وتركوا في تنبؤاتهم مكاناً هاماً للسلع الاستهلاكية الشائعة . ومن الممكن الحكم على التقدم المتحقق في هذا المضمار ، كما في مضمار الانتاج الصناعي ، بمقارنة ارقام ١٩٦٥ بأرقام ١٩٥٠ .

### بولونيا

لقد أثار نظام بولونيا مع نظام المانيا جدلاً شديداً بين الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية .

وعبثاً حاول تشرشل في بالطا ، وفي بوتسدام ، الحصول على معاملة عادلة لبولونيا تؤمن استقلالها وسيادتها ، أي بانتظار انتخابات حرة ،



وتشكل حكومة يقبل بها البولونيون جميعاً . ولم يكن ستالين لينظر الا الى أمن الاتحاد السوفياتي ، ولذا كان يظهر عداوه دون فرق حيال حكومة بولونيا في لندن والجيوش التي حشدتها، وبخاصة جيش الجنرال أندوس ، الذي يعتبره بحق انبثاقاً للروح القديمة الرجعية ، روح بيك وبيلسودسكي و ويدز - سيميلي .

ويرى الزعيم السوفياتي ان السلطة الوحيدة القمينة بتمثيل كافة الشعب البولوني هي : لجنة لوبلن الموقته التي تسود فيها العناصر الشيوعية ويرأسها بوليسلاو بيروت ، وقد استقرت في فارسفيا منذ الاول من كانون الثاني ١٩٤٥ الا ان الغربيين حصلوا ، في شهر حزيران ، على توسيع لهذه اللجنة ، وقبل ان يكون فيها اربعة اعضاء من حكومة لندن ، وكان احدهم ستانيسلاس ميكولايتشيك ، الزعيم السابق لحزب الفلاح . وقد حصل في التشكيل الجديد على صلاحيات نائب رئيس مجلس الوزراء ، مع حقيبة وزارة الزراعة . ولم يكن هذا الانتزاع مؤقتاً من الشيوعيين . وفي بوتسدام حصل ستالين ، في ٢١ تموز ، على الاعتراف بحدود بولونيا الغربية حسب مجرى نهري الاودر والنايس الغربي . وأصبحت منذ الآن كل ادارة دون فائدة . وكان على رجاله ان يناوروا ميدانياً بشكل يستولون فيه بسرعة على السلطة كلها . وبعد ان كان ميكولايتشيك ، في الائتلاف الحكومي الثاني ، ثاني شخص في الحكومة ، سعى في انتخابات كانون الثاني ١٩٤٧ في ختام الاقتراع المزيف بقطاظة ، واضطر ان يعاود طريقة الى المنفى دون ان تحاول الدول الغربية ، المجندة بالحرب الباردة ، شيئاً لصالحه .

وبعد ان حذف الرفقاء الاشتراكيون والديمقراطيون امسك حزب

العمال البولوني ، منذ الآن ، بكل وسائل القيادة وانحاز بسياسته لسياسة الكرملن ، بالرغم من معارضة بعض زعمائه ، مثل ولاديسلاو غومولكا أمينه العام . وفي آب ١٩٤٨ رفض غومولكا الاشتراك بالحملة التي نظمها ستالين ضد زعيم الدولة اليوغوسلافية ، فاتهم بـ « التبتية » وجرده من وظائفه في المكتب السياسي ، وحل محله بيروت اكثر الموجهين البولونيين ستالينية . وبعد قليل عزل غومولكا من وظيفته كوزير للداخلية قبل ان يطرد من الحزب في تشرين الثاني ١٩٤٩ ويطرح في السجن في السنة التالية .

وكان للعمل ، الذي قام للخلاص من الستالينية في الاتحاد السوفياتي ، بعد وفاة البلجيورجي ، انعكاسات في قلب حزب العمال البولوني الموحد . فقد افتتح مؤتمره الثاني في فارسوفيا ، في ١٠ آذار ١٩٥٤ ، وثبت بيروت في وظائفه أميناً أول للجنة المركزية ، ولكنه ترك مكاناً لبعض الأحرار مثل جوزيف سيروانكيويتش ، ادوار اوشاب ، موروسكي ، وآدم راباكي ، وحذفت وزارة الأمن العام ، ووقف كثير من أقران ييريا في شرطة الدولة ، وطردوا من الحزب او نفوا الى معسكرات العمل .

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٥٥ استسلم بيروت الى نقد ذاتي شديد أمام اللجنة المركزية . ولكن هذا العمل منه لم يكف النخبة الفكرية البولونية التي تجرأت وطالبت بالاصلاحيات العميقة في بنيات الدولة والحزب ، وفوق كل شيء بحرية أكبر . ومرض بيروت فذهب للاستشفاء في موسكو حيث توفي في ١٢ آذار ١٩٥٦ . وحل محله في رئاسة الحزب اوشاب ، وبادر هذا باطلاق سراح غومولكا . وكان ذلك اخفاقاً شديداً وانذاراً لـ « فريق ناتولن » الذي يضم الستالينيين الأشداء في الشيوعية البولونية .

## الربيع في تشرين الاول

تدل ثورة بوزنان ، في ٢٨ حزيران ، على استياء الطبقة العاملة التي لم تعد تتق بنظمتها النقابية السياسية . وكان شقاؤها عظيماً ايضاً ، لأن الـ ١٥٠٠٠ عامل معدني، الذين انتشروا في شوارع المدينة، كانوا يطالبون بالحزب والانظمة الحرة ، وذهاب الروس . وكان الثائرون يقاتلون بعنف قوات النظام ، ويحاولون الاطاحة بفوضوية الشرطة ، وعمارة الراديو ، وعمارة الحزب . وفي الليل ، كانت الميزانية على الشكل التالي : ٥٣ قتيلًا ، أكثر من ٣٠٠ جريح ، و ٣٢٣ موقوفاً .

وبعد عدة تأجيلات افتتحت دعوى متمردي بوزنان، في ٢٧ ايلول . ولم يبق الا ٢٠ شاباً للمثول أمام المحكمة التي حكمت على ١٢ منهم بعقوبات خفيفة ، واطلقت سراح المتهمين الآخرين .

وفي الاجتماع العام السابع للجنة المركزية ، الذي افتتح في ١٩ تشرين الأول ، القى غومولكا خطاباً طويلاً مندداً بالمانورة التي جعلت من الثائرين «العملاء المحرضين لدول اجنبية ومنظمات مناوئة للثورة» ، ودعم بقوة ان «من المستحيل تحمل أكثر من ذلك» وان «أسباب مأساة بوزنان وقتل الطبقة العاملة توجد عندنا ، في توجيه الحزب والحكومة» .

وقامت المعركة ضد السيطرة السوفياتية . وفهم ذلك في موسكو، وفي فجر ١٩ تشرين الأول نزل خروتشوف ومولوتوف وميكويان وكا-غانوفيتش محاطين بالماريشال كونييف و١٢ جنرالاً في فارسوفيا لدعم قضية انصارهم . ورغم هذا الحضور ، وربما بسببه ، ورغم الاوامر المعطاة الى قطعات الجيش الاحمر بالزحف على المدن البولونية الهامة ، تغلبت النزعة

الليبرالية عند ما بوشر، في ٢١ تشرين الأول، بانتخاب أعضاء المكتب السياسي التسعة . فقد انتخب سيرانكيويتش بـ ٧٣ صوتاً وراباكي بـ ٧٢ وغومولكا بـ ٧٤ صوتاً وانتخب بالتزكية اول امين للحزب . ولم يغادر هذا المنصب .

. وهذه الثورة دون متاريس ، وهذا الربيع في تشرين الأول ، قلبت بولونيا صحيفة جديدة في تاريخها .

هذا وان ثورة بودابست في آخر تشرين الأول نفسه ومقاومة بعض الجمهوريات الشعبيه ، جمهورية رومانيا بخاصة ، للتخطيط الاقتصادي الذي اثاره الكوميكون ( مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ) ، النسخة الشرقيه للسوق المشتركة ، لتدل آنذاك على نزعة مكدره للدول « التابعة » لاسترجاع استقلالها السياسي . ولحماية تماسك الكتلة الشيوعية أمام المنظمة الاطلسية ، اهتم الكرملن باقامة آلة عسكرية وقدمها رداً على منظمة الاطلسي التي قبلت فيها المانيا الاتحادية بموجب اتفاقات باريس في ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٤ . واتي بتعديل لميثاق فارسوفيا المؤرخ في ١٤ آيار ١٩٥٥ الذي يؤمن للأركان السوفياتية القيادة العليا للقوات الاشتراكية في حالة الخطر .

ولكن التهديد باعادة تسليح المانيا والمساكن الذي تحته في الحلف الاطلسي اقلنا الحكومات الاشتراكية . وقد عرض آدم راباكي وزير الشؤون الخارجية على الأمم المتحدة ، في ٢ تشرين الأول ١٩٥٧ ، الحطة التي تحمل منذ الآن اسمه وتتصور تحييداً نووياً لأوربه الوسطى .

ومع جوزيف سيرانكيويتش في رئاسة مجلس الوزراء و والديسلاو غومولكا على رأس حزب العمل الموحد ، امكن الاعتقاد بأن بولونيا سارت في طريق الشيوعية القومية ، وانها حليفة وليست تابعة للاتحاد السوفياتي .

ولكن تدخل جيوشها اللفظ في تشيكوسلوفاكيا ، في ٢٠ آب ١٩٦٨ ، الى جانب الجيش الأحمر ، وموجة الاضطهادات ، التي طغت في نفس الدور ، تدلان على ان المراد فقط هو المظهر ، وان بولونيا لم تطرد بعد شياطينها القديمة .

### صبر جبرير

واليوم تبدو بولونيا بشكل رباعي ، مساحتها ٣١١٧٣٠ كم<sup>٢</sup>، مفتوح على الباطليك بشاطئ طوله ١٤٩٧ كم. وعدد سكانه ٣١ مليون نسمة، يعيش نصفهم في المدن والمراكز الصناعية . واذا كسبت بولونيا في ١٩٤٥ ما يبلغ ١٠٠٠٠٠ كم<sup>٢</sup> من الاراضي من المانيا ( سيليزيا ، بوميرانيا الشرقية وقسم من براند بورغ وجنوب بروسيا الشرقية ) فقد تنازلت عن ١٧٠٠٠٠ كم<sup>٢</sup> الى الاتحاد السوفياتي تضم بحاصة غاليسيا الشرقية وفولينيا، ومناطق بنسك و غرودنو و بريست - ليتوفسك .

وترك الاحتلال النازي ، في هذا البلد المجزأ الممزق ، افطع الجروح ، وقضى على ٢٢ ٪ من سكانه .

وبعد الحرب قام جهد واسع في الاعمار في جميع البلاد. وقد اعاد زكاه وذوق مهندسيه المعماريين والمدنيين وشجاعة فنييه الى بولونيا مدنها مع قصورها وكنائسها ذات الاسلوب الباروك التي رمت في اقل تفاصيلها ، وبيوتها البورجوازية بسحرها القديم البالي . كما صرف أيضاً قسط من الاهتمام للعمارات الحديثة والطرق الواسعة ، والساحات الخضراء . وبينما كانت الحياة تعود الى فلارسوفيا وكراكوفيا و وروكلانو (بريسلو) وغدانسك (دانتزيغ) كان النهوض الاقتصادي يواصل سيره في جميع قطاعات النشاط بنتائج باهرة .

ووضع الاصلاح الزراعي ٦ ملايين هكتار من الاراضي ، تحت تصرف مليون عائلة ، فأسهم بشكل فريد في رفع مستوى حياة طبقة الفلاحين .  
وتمت الزراعات التقليدية كالجوب والبطاطا والشمندر والزيتيات . ونهضت الصناعة الغذائية ( معامل تكرير السكر ، والكونسروه والبيرة الخ . . . )  
نهضة جديدة . ولعبت تربية الحيوانات ايضاً دوراً هاماً في الاقتصاد البولوني . فالقطيع يضم اليوم مايقارب ٧ ملايين بقرة ، ٦ ملايين خنزير ، ٣ ملايين حصان و ٢٦٥ مليون خروف .

وعرفت موافي غدانسك وغدينيا على مصب نهر الفيستول ، وسيزين في مصب نهر الاودر ، مع موافي كولوبرزغ ، دارلوفو ، اوستكا ، تجارة كثيفة : نحو ٤٠ مليار طن في العام . وتختص رحاب المنشآت البحرية بانتاج سفن الشحن من وزن ١٠٠٠٠ طن ، وتحتل المكان الخامس في هذه الصناعة في العالم .

وقديماً كانت بولونيا بلداً زراعياً بصورة أساسية ، ولكنها احتلت ، بعد الحرب ، مكاناً بين المناطق الصناعية العالية في اوروبا . وبفضل حوضها المنجمي الواسع ، في سيليزيا - بوزنانيا - مازوريا ، تعتبر من اهم البلاد المجهزة للفحم في القارة ، دون حساب احتياطياتها الهامة : ١٨ مليار طن من الليغنيت . وحوض قوروسزوف وحده مدعو الى انتاج ٧ مليارات كيلووات ساعي من التيار الكهربائي في العام . كما تعتبر مناجم الملح في فيليتشكا بمستوياتها الثانية التي تنزل حتى ٣١٥ م عمقاً و ١٢٠ كم طولاً ، اهم مناجم العالم . ويكثر النحاس والاورانيوم في سيليزيا - الدنيا ، والتوتياء في سيليزيا العليا ، والحديد في منطقة تشيستوشوفا ، والبترول في مناطق ياسلو كروسنا . ومثل ذلك من الموارد التي تساعد على تفتح صناعة قوية . وهكذا انشئت مراكز معدنية في فارسوفيا ، بوزنان ،

فركلاو ، لودز ، زيلونا - غورا ، ستاراشوفيس ، الخ . ومعامل منتجات  
كياوية في كراكوفيا ، شورزوف ، موسيس ، بيد غوزتش ، ومصانع  
منسوجات في لودز ، بياليستوك ، بيسكو ، تشيستوشوفا ؛ والورق في  
لودز و بونان . والاسمنت في اوبول ، ومعامل المنشآت الكهربائية في  
فروكلاو ، كانتوفيس ، لودز ، وفارسونيا .

وطبقاً لبنود الكوميكون تلتزم بولونيا بمبادلات منظمة مع بلاد  
الكتلة الشيوعية . وقد أبرمت ، مع ذلك ، معاهدات تجارية مع عدة  
دول غربية ، وبخاصة بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا الاتحادية والدول  
الاسكندنافية . واكتشف ، كسائر بلاد الشرق ، منذ بضع سنوات ، فوائد  
السياحة ، واخذت تهتم بجذب الزوار الاجانب .

### تشيكوسلوفاكيا

لقد استقال ادوار بينيش ، رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية ، غداة  
مونينخ ، وقبل كرمي الفلسفة في جامعة شيكاغو . وعندما بدأت الحرب ،  
ذهب الى لندن ، ملجأ رجال الدولة الذين طردهم غزو القارة من بلادهم ،  
واستلم فيها رئاسة حكومة تشيكوسلوفاكية مؤقتة . وفيها وجه ، في العام  
١٩٤٢ ، اغتيال هيدريك . وفي كانون الأول ١٩٤٣ ، ذهب الى موسكو ،  
حيث أبرم مع ستالين معاهدة مساعدة متبادلة وتعاون لما بعد الحرب .  
وفي آذار ١٩٤٤ اعطى الأمر بالثورة الى أنصار بوهيميا وسلوفاكيا الذين  
أتوا ، منذ ذلك الحين ، بمساعدات ثمينة للجيوش الروسية التي كانت تتقدم نحو  
وسط اوروبا . وفي نيسان ١٩٤٥ اجتاز الجيش الثالث الامريكي حدود  
تشيكوسلوفاكيا ، ولكنه وقف على الخط كارلسباد - بيلسن -  
بوديجوفيس ، تاركاً للسوفييتيين شرف تحرير براغ ، في ٩ ايار ، في حين

ان المقاومة الداخلية ، التي كانت تناضل منذ اسبوع ، أصبحت عملياً سيدة المدينة .

عندئذ دخل بينيش العاصمة مصطحباً حكومة الاتحاد وطني يرأسها الاشتراكي فيولنغر ، وفيها امسك الشيوعيون بثماني حقائب على خمس وعشرين . وقبأه رئيس الدولة باقامة النظام الديموقراطي البرلماني الذي يتعلق به دوماً ، وبصيانة استقلال بلده الذي اراد ان يكون له همزة وصل بين روسيا السوفياتية والغرب الحر . ولم يساعده الكرملن على الحفاظ على اوهامه طويلاً .

وفي شهر حزيران ١٩٤٥ ، عندما عينت حدود تشيكوسلوفاكيا الجديدة وبدى بطرد الاقليات الالمانية والمونغارية ، تم التنازل للاتحاد السوفياتي عن روثينيا الكارباتية . وفي انتخابات أيار ١٩٤٦ ، نظمت الدعاية منذ ان اعربت موسكو عن نفسها بنجاح الشيوعيين ، الذين الفوا بـ ٣٨٪ من الأصوات اقوى حزب في البرلمان . وكلف كليمانت غوتفالد ، وهو ستاليني مؤمن ، بتشكيل الحكومة الجديدة . وفي ١٠ تموز ١٩٤٧ ، خضع لأمر موسكو عندما اجبرته على رفض مساعدة خطة مارشل ، ولم تكن تشيكوسلوفاكيا ، كساتر الجمهوريات الشعبية ، الا تابعاً للدولة السلافية الكبرى .

انتشر فيها الشيوعيون خلال عامين ، حتى انتخابات عام ١٩٤٨ ، التي سلمتهم جميع الوسائل القيادية . ومنذ بداية هذه السنة الحاسمة ، قامت حملة صحافية عنيفة ضد مؤامرة رجعية مزعومة . وبينما كان وزير الداخلية ، الشيوعي نوسميك ينظم على هواه مصالح الشرطة ، أوفد الكرملن الى براغ نائب وزير الشؤون الخارجية ، فاليريان زودين ، فوصل اليها في ١٩ شباط . وعندئذ استقال ١٢ وزيراً اشتراكياً شعبياً تشيكياً وديموقراطياً



سلوفاكياً بشكل احتجاج على التدخل الماركسي في الإدارة والشرطة والنقابات . وقدم غوتفالد الى بينيش قائمة حكومة جديدة مطهرة من هذه العناصر المعتدلة ، وفيها امسك الشيوعيون بجميع الحقايب الهامة ، باستثناء حقيبة الشؤون الخارجية ، التي ظلت بين يدي جان مازاريك ، نجل مؤسس الدولة التشيكوسلوفاكية . ولما تردد رئيس الجمهورية نظمت مظاهرات عظيمة في العاصمة وسار ٢٠٠٠٠٠ عامل مسلح في الشوارع في مناخ ثورة . وكانت بينيش مريضاً منهوك القوى ، فاستسلم ، في ٢٥ شباط ، وصادق على التعديل الوزاري ، وفي ١٠ آذار التالي ، كشفت جثة مازاريك في اسفل قصر تشرنين : وخلص التحقيق الرسمي الى ان موته هذا كان مجرد انتحار .

وفي ٣٠ أيار جرى الاقتراع حسب نظام القائمة الوحيدة فأمن انتصار الشيوعيين بـ ٨٣,٩ من الأصوات . ونجحت « ضربة براغ » تماماً .

وفي ٧ حزيران تخلى بينيش عن وظائفه واعتزل في سيزيموفو - اوستي ، حيث اضناه المرض والحزن . ومات في ٣ ايلول وعمره ٦٤ عاماً . وخلفه غوتفالد على رئاسة الجمهورية ، وتسلم الزعيم النقابي انطونين زابوتوكي رئاسة الحكومة .

ومنذ ٩ أيار تبني دستور جديد ، واعلن رسمياً في ٩ حزيران ، وهو ينظم الدولة الديمقراطية الشعبية ، ويضمن الحق في العمل والفراغ . ويؤمم التعليم العام ، والمناجم ، والصناعة ، والمصرف ، وتجارة الجملة ويوزع الأرض بين الفلاحين .

وقام نزاع شديد حاد بين فريقين كبيرين متنافسين لتوجيه الحزب الشيوعي ، وفي بادئ الأمر سجل سلانسكي ، الأمين العام للجنة المركزية ، بعض النقاط . وقام بمحملة تطهير واسعة . وكانت اهم ضحية فيها

فلا ديمير كليانليس ، وزير الشؤون الخارجية الجديد . فقد اجبر على الاستقالة ، في آذار ١٩٥٠ ، ثم اوقف مع انصاره السوفاكين وحوكم في شباط ١٩٥١ ، وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم . ولكن غوتفالد مالبث أن اخذ بثأره . وبمناسبة تجديد اللجنة المركزية ، في ٧ ايلول ، رفع سلانسكي من منصبه كأمين عام ، وبصورة تعويض ، سمي نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، ولكنه اوقف في ٢٧ تشرين الثاني . واتهم بمتابعة نشاطات ضارة بأمن الدولة ، وحكم عليه بدووه بالاعدام . كما علق ٦ أعضاء آخرين من اللجنة المركزية ، والقي في السجن ٢١ ، واخفى ٣٥ من الحياة العامة .

ونخلص غوتفالد ، كسيده السوفياتي ، من خصومه . ولكن صحته اقلقت حاشيته . وبعد ان عاد من رحلة الى موسكو ، حيث حضر ، في ٩ آذار ١٩٥٣ ، جنازستالين ، توفي في ١٤ آذار . وعادت رئاسة الدولة عندئذ الى انطونين زابوتوكي ، فكلف ولیم سيروكي بتشكيل الحكومة الجديدة . وأخذ انطونين نوفوتني كرسي الأمين الأول للحزب الشيوعي .

ومضت عدة سنوات قبل ان تدخل تشيكوسلوفاكيا عهد الخلاص من الستالينية . لأن الصبأ ليس سهلاً بالنسبة الى نوفوتني « الآباراتشيك » الكامل . فهو مدين الى غوتفالد بقبوله في المكتب السياسي في ١٩٥١ ، وعرف ، في السنة التالية ، بأنه كان افطع انسان يحيط من قيمة وقدر سلانسكي . وكان يجب على كل تحذيرات خروتشوف مشيراً الى الضرورة التي يوجد فيها « لرفع المستوى الايديولوجي لاعضاء الحزب اولاً ، و « للحفاظ على سلامة الحزب الشيوعي بتطهيرات دورية » ، حتى ان المؤتمر العشرين في موسكو في ١٩٥٦ لم يبدل موقفه .

وفي السنة التالية ، بعد وفاة زابوتوكي ، انتخب نوفوتني رئيساً للجمهورية من قبل الجمعية الوطنية ، لمدة سبع سنوات . واحتفظ بوظائفه أميناً اول للحزب . وظل يقوم بهتين الاداريين بعد ان انتخب للمرة الثانية رئيساً للدولة، في ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٤ ، لمدة خمسة اعوام هذه المرة ، بموجب احكام دستور العام ١٩٦٠ .

وفي ١٩٦٢ انحاز نوفوتني أخيراً حسب أوامر الكرملن الجديدة . واعلن بطلان عبادة الشخصية التي كان غوتفالد هدفاً لها ، وعلى غرار السوفياتيين افرغ مقبرة العظماء من رفاة الرئيس الأسبق . وجرّد اليكسي شيبسكا، صهر غوتفالد ، من وظائفه كوزير للدفاع وابتعد عن المكتب السياسي ، واعيد اعتبار سنانسكي وكليمانتيس ، واطلق سراح آخر أحياء الدعاوى السياسية . كما حرر ايضاً ، في تشرين الأول ١٩٦٣ ، خمسة أحرار كاثوليك ، وكان احدهم المونسنيور بيران رئيس اساقفة براغ الذي سجن في ١٩٥١ في دير في مورافيا .

وشرع نوفوتني ايضاً بتعديل وزاري هام . ففي ٢٢ ايلول ١٩٦٣ ، كان على الستاليني سيروكي ان يتنازل عن رئاسة مجلس الوزراء الى جوزيف لينارت ، وهو شيوعي ليبرالي عمره ٤٠ عاماً ، وكان رئيساً سابقاً للمجلس الوطني السلوفاكي ، وبذلت الحقايب الايدي ، وآلت حقبة الشؤون الخارجية الى فاكلاف دافيد

ولكن قسماً هاماً من الرأي التشيكوسلوفاكي رأى أن هذه الاجراءات غير كافية ، وأخذ على زعماء الجهاز الشيوعي ، الستالينيين الذين اساءوا للندم ، عجزهم عن التكيف مع ظروف الدولة الحديثة . ورائت ازمة عتيدة على الحياة السياسية في البلاد ، واخذت تتفاقم من سنة لأخرى كلها خسر نوفوتني

من سلطته . فقد أشهر شباب تقنوقراطيون اخفاق الاصلاحات الاقتصادية التي جرت في ١٩٦٢ . وانتقد الطلاب والكتاب والسينائيون علناً الطبقة البوروقراطية الجديدة الناشئة عن النظام . وفي حزيران ١٩٦٧ ، اعلنوا عدم تضامنهم مع الحكومة التي اصطفت ، على غرار حكومة موسكو ، الى جانب البلاد العربية ، عند نشوب الحرب في الشرق الاوسط . وفي كانون الأول حكم المكتب السياسي للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ب ٦ أصوات مقابل ٤ بفصل السلطات ، وعدم التواؤم بين اعباء زعيم الحزب ورئيس الدولة . وانهقدت اللجنة المركزية في براغ من ٣ الى ٥ كانون الثاني ١٩٦٨ ، بصفة محكمة عليا مؤلفة من ١٣٤ عضواً ، وصادقت على هذا القرار . ولاجتناب التصويت بالطرد ، قدم نوفوتني استقالته كأمين اول للحزب ، وانتخب مكانه الكسندر دوبشك ، وعمره ست واربعون عاماً ، وأصله من برايتسلافا . ثم افلنت منه وظائفه ، كرئيس للجمهورية ، ونقلت الى الجنرال لودفيك سفوبودا بطل المقاومة الشعبي . وكانت هذا آخر حكم نوفوتني .

### ضربة براغ الثانية

ومع الرئيسين الجديدين في الحزب والدولة ، مع اوليفيك شيونيك الذي حل محل جوزيف لينارت على رأس الحكومة ، ومع جوزيف مموكوفسكي لرئاسة المجلس الوطني استقر مناخ جديد في تشيكوسلوفاكيا ، حيث هبت نسمة كبيرة من الحرية بعد عشرين عاماً من الصمت . ورأى موجهو براغ ان البلاد يمكن ان توجه بطرق مغايرة للطرق البوروقراطية والبوليسية . فحذفت الرقابة . واخذت ديمقراطية النظام والانفتاح نحو الغرب الذي اوصى به الاقتصاديون البراغيون ، تقلقان الكرملن ، وكان

عليه في الوقت نفسه ان يجابه مطالب نقابات العمال في اكرانيا .  
وخافت حكومتا بولونيا والمانيا الشرقية من ان تمتد العدوى الليبرالية  
الى بلديهما . وبعد عدة تحذيرات من موسكو ، دعت « قمة » شيوعية  
الى فارسوفيا ، في ١٥ تموز ، فشكل اليها زعماء الأحزاب : السوفياني  
والبولوني والألماني - الشرقي والهنغاروي والبلغاري . ورفض دوبشك ان  
يثل فيها بموقف المنهم ، ورفض الموجهون الرومانيون الدعوة . وفي ختام  
الاجتماع ، وجه « الخمسة » رسالة الى المسؤولين عن السياسة  
التشيكوسلوفاكية ، وكانت اتهاماً حقيقياً وانذاراً يهددهم بالعودة الى الحط  
الارثوذكسي .

وبينا كانت الصحافة الموسكوفية تبالغ في حملتها ضد « انصار اعادة  
النظر اليمينيين » و « اضداد ثورة » براغ ، عقد نقاش ، في ١٨ تموز ،  
امام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياني . وتبني تقرير بريجنيف ،  
أي مبدأ التدخل المسلح .

وفي ٢٩ تموز ، قبل الروس بمجابهة مع وفد تشيكوسلوفاكيا في  
شبرنا ، وهي قرية سلوفاكية على الحدود . وفي ٣ آب ، انعقد مؤتمر  
جديد في برايتسلافا ، واشترك في هذه المرة « الخمسة » الذين اشتركوا في  
مؤتمر فارسوفيا . وبدا ان كل سوء تفاهم قد زال ، كما علقت التهديدات  
بالتدخل العسكري .

وفي ٩ آب زار تيتو براغ فاستقبله الشعب استقبالا مقعماً بالحفاصة ،  
ثم جاء بعده ، في ١٢ ، فالتر اولبريخت ، رئيس الجمهورية الديمقراطية  
الالمانية ، وقام بمحادثات مع دوبشك في كارلوفي - فاري ، وعلى اثرها  
تاريخ عصرنا ( ١٨ )

نشر بلاغ يتكلم عن « افضل تفاهم متبادل » . وفي ه آب أخيراً ، شخص فيقولاً سيأوسيسكو ، الزعيم الروماني ، بدوره الى براغ حيث وقع في ١٧ منه معاهدة « صداقة وتعاون ومساعدة متبادلة » جديدة مع الموجهين التشيكوسلوفاكيين .

ولكن « قساة » موسكو لم يتخلوا عن مشروعاتهم ، وفي الليل ، من ٢٠ الى ٢١ آب ، دخلت الجيوش السوفياتية تشيكوسلوفاكيا مع قطعات مسلحة من البلاد الاربعة الأخرى التي اشتركت في حلقة فارسوفيا ، أي بجموع أكثر من ٣٠٠٠٠٠ رجل . وفي بضعة ساعات حوصرت البلاد كلها . ووقف محركو السياسة التشيكوسلوفاكية الجديدة ، وبخاصة دوبشك ، شيونيك ، وسمر كوفسكي ، واقتيدوا بالقوة الى موسكو ، ثم التحق بهم الرئيس سفوبودا . فهل كان الروس يؤملون باكتشاف فريق في براغ يحل محلهم ؟ على أي حال لم يتقدم أحد .

لأن الشعب التشيكوسلوفاكي وقف موقفاً يعتبر مثلاً لغيره ، وبرهن عن كرامة وشجاعة وعزم قلما يضاهى . وكان اول اثر لتدخل « الخمسة » في التهام الشعب برومته في كتلة متجانسة وراء دوبشك ورفاقه ، فقد طالب بتحريرهم ونظم مقاومة سلبية تدعمها صحف واذاعات راديوات سرية .

وفي موسكو لم نجد السلطات السوفياتية ، في ذلك الحين ، محدثين مرنين ، فاضطرت ، في ٢٣ آب ، الى فتح المفاوضات مع من وضعتهم تحت تصرفها ووضع الرأي التشيكوسلوفاكي المجتمع ثقله بهم . وفي ٢٧ منه عاد الوفد التشيكوسلوفاكي الى براغ وقدم تقريراً بمحادثات موسكو : ولم يخف الرئيس سفوبودا أن « الآثار الاليمة للحوادث الأخيرة ستدوم زمناً طويلاً جداً » . وأكد دوبشك بعده ، وكان منهكاً ، « ان من اللازم ،

مها كلف الأمر ، تجنب آلام أخرى وخسائر أخرى ، لأن هذا لا يغير شيئاً في واقع الحال . وأعلن زعيم الحزب « ان للتدابير المؤقتة التي تتحدد الديمقراطية وحرية التعبير ، إنما هي تدابير لم نتخذها أبداً في حالة طبيعية »

وضحي رجال ، منهم : قيصر ، ابغض الناس الى السوفيائين ، وقد نخلي عن أمانة الحزب التشيكي ؛ و اوتاسميك ، أبو الإصلاح الاقتصادي ، الذي نفي عن نيابة رئاسة مجلس الوزراء ، و جوزيف بافل الذي حل محله جان بيلنار في وزارة الداخلية . ثم اعيدت الرقابة على كل ما يتعلق بالاتحاد السوفياتي والجمهوريات الشعبية . واستحوذت على السكان مرارة عميقة .

ومها يكن ، فقد ارخي الوثاق بعد الشد . ففي ٦ ايلول وصل إلى براغ دبلوماسي سوفيائي ماهر ، فاستيلي كوزنتسوف ، أول نائب وزير للشؤون الخارجية ، للإشراف على التنفيذ الأصح لتسوية موسكو . وفي ١٥ ، طار شيرنيك الى الاتحاد السوفيائي . وفي ١٦ تشرين الأول وقع « اتفاق » على مرابطة الجيوش السوفياتية في تشيكوسلوفاكيا .

وفي الليل من ١١ إلى ١٢ أجلت أخيراً دبابات « الحسمه » وعجلاتهم المصفعة وسط المدن للتجمع في الأرياف المجاورة . وفي بحر الاسبوع التالي نقل القسم الأعظم من الجنود الى حدود المانيا الغربية والنمسا . وقد أثارت هذه الحركة هياجاً شديداً في عواصم الغرب . وتفاوض الحلفاء الغربيون . وفي ١٨ ايلول حذروا الكرملن ، وأعلنت دائرة الدولة الاميركية بخاصة « بأن الاتحاد السوفيائي أو أياً من البلاد الاعضاء في ميثاق فارسوفيا إذا تدخل جانبياً بالقوة في جمهورية المانيا الاتحادية ، فان

هذا العمل يؤدي الى رد حليف مباشر في نطاق تدابير الدفاع الذاتي المتوقعة في معاهدة شمالي الاطلسي .

وبينا كان دوبشك وشعبه يحاولان تحويل بنود املاء ، موسكو ، ورومانيا ويوغوسلافيا تراقبان بقلق مناورات الجيش الأحمر ، انتقل مركز ثقل الازمة . وأسدل الستار الحديدي من جديد على وسط اوربه ، معلناً بفظاظة نهاية سياسة الانفراج . وهكذا لم يحرز الاتحاد السوفياتي في ضربة براع الثانية ، لا مجدأ ولا رجأ . ولم يعط الكرملن انطلاقاً لدور جديد في الحرب الباردة فحسب ، بل وجه أيضاً ضربة ميمية لتاسك المعسكر الشيوعي وأيقظ حذر العالم الثالث .

### المنظورات الاقتصادية الجديدة

لقد أعيد توحيد تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية . وهي تتألف من ثلاثة اقاليم كبرى : بوهيميا ومورافيا ، والاصليون فيها ينتسبون لعائلة تشيكية واحدة ، وسلوفاكيا . وتغطي بالاجمال مساحة ١٢٧٨٦٩ كم<sup>٢</sup> وسكانها ١٤٠٧٤٥٠٠٠ نسمة .

وكان من بين القضايا العاجلة ، التي وضعت لحكومة براغ الجديدة ، قضية اعادة استيطان منطقة السوديت حيث طردت ، في العام ١٩٤٥ - ٤٦ ، الأقلية الألمانية ، أي ٢٦٧٤٠٠٠ شخص . وقد تم ذلك عملياً في ١٩٤٧ بفضل توطين ٢٠٢٥٠٠٠٠ معمر تشيكي وسلوفاكي واعطائهم ١٠٣٣٠٠٠٠ هكتار من أراضي المحتلين السابقين . وفي الوقت نفسه حدد اصلاح الزراعي كل ملكية ريفية ب ٥٠ هكتاراً . وشجع على انشاء تعاونيات زراعية وضعت تحت تصرفها مراكز آلات زراعية وجهيزات واحتياطات من السماد .



وتعتبر دائماً الصناعة التشيكوسلوفاكية ، التي تشغل ٣٣ ٪ من الشعب العامل في البلاد ، بين الصناعات الأكثر ازدهاراً في القارة ، وتفيد حقاً من تربة - تحتية غنية بشكل استثنائي بفحم الانتراسيت والليغنيت ومناجم الحديد والنحاس والتوتيا والاورانيوم والالمن ( انتمون ) وأشباه المعادن ، وأشهرها العقيق والاوبال في بوهيميا ، التي تصدر إلى العالم كله .

وقد انتقل مجموع الانتاج الصناعي من قرينة ١٠٠ في ١٩٤٨ إلى ٦٥٠ في عام ١٩٦٦ . وبينما استخرج ١٢ مليون طن من الفحم الحجري في ١٩٤٥ ، انتقل عائد المناجم إلى ٢٥ مليون في ١٩٦٥ . وكاث عائد المراكز الكهربائية عظيماً أيضاً : من ٥ مليار كيلوات ساعي في ١٩٤٥ إلى ٦٥ مليار في ١٩٦٥ .

وبشكل مواز للتطور السامي ، شهدت تشيكوسلوفاكيا انطباع مجرى جديد لاقتصادها . لأن الخبراء أخذوا يقلبون من جديد التخطيط الموروث عن الثورة الشيوعية لعام ١٩٤٨ . ولا يراد من ذلك بالبداهة العودة إلى النظام الرأسمالي ، بل ، على الأقل ، إعادة اعتبار فكرة الربح في مستوى المشاريع التي هي ملك الدولة . وابتداءً من ١٩٦٠ شوهد أن التوسع السريع في السنوات الاولى للنظام قد توقف فجأة ولوحظ تراجع أخذ يتفاقم بأزمة ١٩٦٢ ، وأدى إلى نقص ٤ ٪ من الدخل القومي . وقد درس باحثو المعهد الاقتصادي في براغ أسباب هذه الحركة النازلة وقبلوا باصلاح ثوري بشكل خاص يرمي إلى لامركزية القطاعات الكبرى في الصناعة ، وإلى اقلال محسوس في البوروكراتية ، وإلى الاستقلال الذاتي في المشاريع . وهذه الخطة الجديدة التي انطلقت في الأول من كانون الثاني ١٩٦٦ وضعت موضع اتهام بعد حوادث ١٩٦٨ .

يضاف إلى ذلك الربح الذي تجنيه البلاد من السياحة ، وهو آخذ بالأهمية شيئاً فشيئاً ، وتستقبل البلاد ٤ ملايين زائر أجنبي كل سنة .

### الجمهورية الديموقراطية الرومانية

ان اتفاقات يالطا وبوتسدام ، والنزاع الروسي - الاميركي على مناطق النفوذ في أوربة ، كانت في أصل الحالة المتناقضة التي تتخبط فيها المانيا ، منذ ١٩٤٥ ، والوضع اللامعقول لبرلين التي كادت ، خلال عدة مرات ، أن تنير خلافاً عالمياً ثالثاً .

وبينا كان الحلفاء الغربيون ينظمون قطاعات الاحتلال العائدة لكل منهم وأصبحت الدولة المغلوبة المستفيد الأسامي من خطة مارشل ، كانت السلطات السوفياتية تشجع ، من جانبها ، تشكل كيان سياسي خاضع لوجهات نظرها . ففي مؤتمر برلين ، من ٢١ - ٢٢ نيسان ١٩٤٦ ، تم ذوبان الحزبين الاشتراكي والشيوعي في قلب الحزب الاشتراكي الموحد تحت رئاسة مزدوجة من ولهم بيك ، الشيوعي ، واثو غوتفول ، النائب الاجتماعي - الديموقراطي الأسبق في مجلس الريخشتاغ . وجلس في اللجنة المركزية ٤٠ عضواً من كل من التشكيلين . وبعد أن أحرز الحزب الاشتراكي الموحد نجاحاً واضحاً ، في انتخابات ١٩٤٧ ، عقد « مؤتمر الشعب » وطلب استفتاءً على الوحدة الألمانية وانتخابات في كافة البلاد . وإذا اعترف الغرب بضرورة إعادة توحيد المانيا السياسي والاقتصادي فقد بدا كل اتفاق مستحيلاً فيما يتعلق بشكل الاقتراع .

ورغم أن برلين توجد في قلب المنطقة السوفياتية فقد كانت مقسمة بشكل تعسفي إلى قطاعين ، أحدهما في الشرق وقد عهد به الى الادارة

الروسية ، بينما قسم القطاع الآخر بين ثلاث دول محنة غربية . ومالبت الاختلافات بين الحلفاء أن انعكست في العاصمة القديمة ، وكثرت فيها الحوادث وتفاقت ، وبلغت الأزمة ذروتها ، في ٣٠ حزيران ١٩٤٨ ، عندما قررت السلطات السوفياتية حصار المدينة لتتروى على الاصلاح النقدي الذي أدخل إلى ألمانيا الغربية دون موافقتها . وخلال عام قام « جسر جوي » بتكاليف باهظة لسد حاجات قطاع برلين الغربي . وهكذا جنب الشر ، ولكن تجربة القوة كرست واقع ألمانيا الشرقية والغربية بفاهيمها المتعارضة .

وبانتظار توحيد يشك به ، صادق المحتلون الغربيون على القانون الأساسي الذي صوت عليه في ٨ أيار ١٩٤٩ ، وبضع القواعد الدستورية للجمهورية ألمانيا الاتحادية ، احتجت موسكو ، ووافقت على انشاء « جمهورية ديمقراطية المانية » ، وأعلن عنها في ٧ تشرين الاول التالي ، وأجلت إدارتها العسكرية وعوضتها بلجنة اشراف بسيطة . وعقد مجلس الأقاليم في برلين ، وانتخب ويلهلم بيك رئيساً للجمهورية لمدة أربع سنوات . وكلف غروتقول بتشكيل الحكومة .

وفي ٦ حزيران ١٩٥٠ ، أبرمت الجمهورية الجديدة مع بولونيا أول معاهدة لها ، وبموجبها اعترفت بخط نهرى اودر - نايس باعتباره حداً بين الدولتين . وفي ٢٣ حزيران ، وقعت في براغ اتفاقاً ينكر كل قيمة حقوقية لاتفاقات مونيخ ، ويقبل بأن « جلاء الألمان عن تشيكوسلوفاكيا مبرر وقطعي » . وفي الداخل قامت بتنفيذ اصلاح زراعي يقضي بانتزاع الملكية من مالكي المستغلات الزراعية الاكثر من ١٠٠ هكتار ، وهم النازيون السابقون ومساعدوهم ، دون تعويض ، ووزعت أراضيهم البالغة ٣١٤٧٠٠٠ هكتار على ٥١٤٧٣٠ من أرباب العائلات

الريفية التي انطوت في معظمها من مناطق السوديت والاقاليم التي تم التخلي عنها الى بولونيا .

وشيثاً فشيئاً قضم الشيوعيون رفقاهم . وبعد المؤتمر الثالث لعام ١٩٥٠ كان عددهم ٣٤ في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الموحد ، مقابل ١٠ اشتراكيين . وكان الأمين العام فالتر اولبرخت بشهر دوئما ملل بمخوص النظام ، من ديموقراطيين ، بل وشيوعيين ، وهم من قدامى المحاربين في الجيوش الدولية التي اشتركت في حرب اسبانيا . وعند عودته من رحلة إلى موسكو طوال صيف ١٩٥٢ أشار الى ضرورة الاسراع بوتيرة التجميع الزراعي ، فأثار هجرة كثيفة من السكان الريفيين نحو الغرب . ومن جهة أخرى ، إن الحطة الخمسية التي وضعت موضع التنفيذ في السنة الفائتة أحدثت استياء عميقاً بين عمال الصناعة الذين شهدوا زيادة حصيلات الانتاج دون أن تتحسن أجورهم .

ولم تتبع وفاة ستالين بأي تدبير ليبرالي في المانيا الشرقية ، حيث ردت جميع المطالبات بفظاظة . ودوت الثورة ، ولكن الموجهين لم يشعروا بها إلا في صباح ١٦ حزيران ١٩٥٣ ، بعد فوات الأوان ، فقد بدأ عمال البناء في برلين بحركة اضراب ما لبثت أن عمت أصناف العمال في العاصمة ، ومن ثم المراكز الصناعية الأخرى في البلاد ، حيث ردد صوت انضمام الحركات الشعبية : نريد خبزاً ! الحرية أو الموت ! ، وعجزت الشرطة ، فجن جنون سادة البلاد ، ودعوا الروس لتجديتهم . وفي فجر ١٧ حزيران ، تقدمت الدبابات و ٢٥٠٠٠ رجل من الجيش السوفياتي ، وأخذوا مواقعهم في النقاط الاستراتيجية من العاصمة ، وأعلنت حالة الطوارئ . وبنتيجة هذا التدخل ثار غضب الجمهور ، فانقض على المباني العامة ،

وخرب مراكز الشرطة ، وأحرق العلم الأحمر . وأطلقت المدافع والرشاشات هياراتها ، وسقطت الضحايا . ولا تعلم بالضبط موازنة هذه المجابهة : ٢٥ قتيلًا ، ٣٨٨ جريحاً ، كما أعلنت المصالح الرسمية . وكانت عمليات الانتقام فظيعة على كل حال : فقد أعدم ٤٢ عاملاً بالرصاص . ولكن ، إذا اتهم غروتفول « عملاء وأسماوية الاحتكار الألماني والأجنبي » ، بآثاره الاضطرابات ، فقد اعترف ، على الأقل ، بأسبابها الاقتصادية والاجتماعية . ولذا اتخذ عدداً من التدابير بغية تحسين القوة الشرائية عند الطبقة العاملة ، مثل رفع الحصار عن السلع الغذائية ، تحديد سعر المفرق ، زيادة معاشات التقاعد .

ان الخط الجديد للحزب ، كما عرف في المؤتمر العشرين في موسكو عام ١٩٥٦ ، قد طبع في برلين بحركة ليبرالية خجلى . ولكن ثورة بوزنان وبودابست ، التي تذكر بشكل محزن ثورة برلين ، أملت الحذر . ولذا لم يذهب الخلاص من الستالينية إلى الأمام أكثر مما ذهب .

هذا ويعتبر فالتر اولبرخت ، الأمين العام للحزب الاشتراكي الموحد ، في الواقع ، أول شخصية في الجمهورية الديمقراطية الألمانية . وقد أصبح كذلك عن حق بعد وفاة الرئيس ويلهلم بيك المفاجئة في ٧ ايلول ١٩٦٠ . وبعد خمسة أيام ، تألف مجلس الدولة وهو يضم ٢٤ عضواً ينتخبهم مجلس الشعب لأربعة أعوام ، ويخول رئيسه سلطات رئيس الدولة . وتوقع هذه الصلاحيات إلى فالتر اولبرخت لأنه سينتخب بعد ذلك بصورة آلية .

ان الصعوبات الاقتصادية والنقدية التي كان على الجمهورية الديمقراطية الألمانية أن تواجهها ، وشدة النظام ، وانتشار الحرب الباردة ، والدعاية الشديدة للمصالح الاميركية ، جذبت بالتدريج مواطنها نحو الغرب .

ولا يقاف هذا التزيف الذي يهدد باخلاء البلاد من أفضل جواهرها ، تصور اولبرخت اقامة حاجز بعزلها فعلاً عن العالم الحر . وهكذا رفع ، في ١٣ آب ١٩٦١ ، جدار من الاسمنت والاسلاك الشائكة مكان الخط الفاصل بين قطاعي برلين . وهذا الجدار الذي يسميه الغربيون « جدار العار » يحبس المانيا الشرقية في غيتو واسع ، ويمنعها على الأقل من الاستسلام لمغريات برلين الغربية ، الواجبة البراقة للانتاج الغربي ، وحتى الآن ، محطة ترازبت للألمان الشرقيين الذين اختاروا الحرية .

### البلد المنعزلة

تمتد الجمهورية الديموقراطية الألمانية على ١٠٨٢٩٨ كم<sup>٢</sup> ، ويناهز سكانها ١٧ مليون نسمة ، أي ١٥٩ شخص في الكيلومتر المربع الواحد . وقد أعطيت ، عند التقسيم ، الجزء المحروم من كل شيء في عهد الرايخ الثالث مع أراضي هزيلة وقليل من المواد الأولية ومصادر الطاقة . كما حرمت أيضاً من دعم الغرب لها . وهي محبوبة كثيراً أو قليلاً من رفيقائها في الكتلة السوفياتية ، التي ترى « أن الألماني دوماً ألماني » ، ولذا كان على الجمهورية الديموقراطية الألمانية أن تستغل إلى الحد الأعظم وسائلها الخاصة .

ونظراً إلى أن سيليزيا الصناعية عادت إلى بولونيا ، فقد شادت مدناً جديدة حول مناجم النحاس والاورانيوم ومعاملها المعدنية ، والكيميائية ، ومعامل الغزل . وانتزع منها ميناء شتيتين برسم خط الاودر - النابيس ، فأنشأت ، بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ ، ميناء روستوك ، على البaltic ، وجهزت رحابه ( ورشاته ) البحرية بأحدث الأجهزة . ونظراً لفقدان الفحم ، فقد نما انتاج الليغنيت بكثرة في مركز المضخة السوداء حتى انه انتج

وحده اكثر من ٤٠ مليار كيلوات ساعي من التيار الكهربائي في العام .  
أما مراكز لويينا للمنتجات الكيميائية ، واينا للبصريات ، وليزيغ ودرسدن  
للآلات المطبعة وصناعة الكرتون ، وكارل - ماركس - شتات ،  
وارفورت وبوتسدام وكوتبوس للورق والمنسوجات فقد تجاوزت مستوى  
انتاجها قبل الحرب .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية ، تحتل الجمهورية الديمقراطية الألمانية  
في أوربه مكاناً أصيلاً فلما تحسد عليه . فقد خولت حكومة منظمة تدار بمؤسسات  
تعمل بشكل عادي ، وهي بمثابة رسمياً في ٣٤ بلداً اعترفت بها دولة  
ذات سيادة ، ولكنها غير موجودة في نظر الدول الغربية التي ترفض أن  
تتبادل معها البعثات الدبلوماسية ، ولكنها تتعامل على الأقل مع مندوبيات  
غرفة التجارة الخارجية لألمانيا الشرقية المؤسسة في عواصمها . وتتعقد مع  
برلين معاهدات اقتصادية هامة ، وتقيم مرتين في العام الاجنحة في معرض  
لايبيغ حيث تعرض منتجاتها ، ولكنها تتجاهل بعزم سلطات الجمهورية  
الشرقية .

وتنزع جهود فالتر اولبرخت ومعاونيه إلى طلب الاعتراف بالجمهورية  
الديموقراطية الألمانية عضواً له نصيبه الكامل في منظمة الأمم المتحدة .  
ويعززون الجزء الاكبر من اخفاقهم إلى « المساومة المستديمة » التي يمارسها  
بوت على حلفائها الغربيين . هذا وان جهود فيلي بواندت ، نائب  
المستشار ، وزير الشؤون الخارجية وزعيم الحزب الاشتراكي في المانيا  
الغربية ، بغية تسوية العلاقات بين المانيا الغربية والشرقية ، قد أخفقت  
اخفاقاً ذريعاً ، في آب ١٩٦٨ ، عندما أسهم جيش الجمهورية الديمقراطية  
الألمانية في احتلال تشيكوسلوفاكيا وجعل على هذا النحو كل اتفاق مستحيلاً .

## هونغارييا

وبالرغم من أن هونغارييا الوصي هورتي تبنت عشوائياً المذهب النازي، واشتركت تباعاً في الميثاق المناوئ للشيوعية وفي الميثاق الثلاثي، فقد احتلتها الجيوش الهتلمرية، في ٩ آذار ١٩٤٤، وعوملت كبلد مفتوح. ولما حررها الجيش السوفياتي تماماً، في ٤ نيسان ١٩٤٥، قامت حكومتها الموقته، التي يرأسها الجنرال ميكلوس، باصلاح زراعي يميز المملكتيات الواسعة على الحدود، ووزعت ١٥٨ مليون هكتار من الاراضي بين أكثر من ٦٤٠.٠٠٠ عائلة ريفية.

وفي آخر السنة نفسها أعطت انتخابات ٤ تشرين الثاني اكثريه جمهورية إلى حزب صغار الملاكين، الذي حول نفسه ٢٤٥ مقعداً في المجلس الوطني مقابل ٧٠ إلى الشيوعيين، و٩٠ إلى الاجتماعيين - الديموقراطيين، و٢٣ إلى الوطنيين - الفلاحين. وأخذ زعيم هذا الحزب، الراعي زولتان تيلدي على عاتقه مهمة تشكيل الحكومة الجديدة. ولكن حقيقة الداخلية عادت إلى الشيوعي لازلو راجك. وعندما أعلنت الجمهورية، في الأول من شباط ١٩٤٦، انتخب تيلدي رئيساً وسمى فرنك فاجي، عضو حزب صغار الملاكين، الوزير الأول.

وفي هذا البلد الزراعي بصورة أساسية والمتعلق بشكل عميق بتقاليده، احتس ستالين من تجديد محاولة دكتاتورية الطبقة الكادحة التي أساء بيلاكون نجاحها غداة الحرب العالمية الاولى. وإذا تراجع موقفاً أمام تجربة القوة، فلم يتخل عن أن يستلم الحزب الشيوعي السلطة ممثلاً براجك



في داخل الحكومة، وبأمينه العام ماتياس راكوزي المتفاني المخلص . وقد قامت أول مناورة في صيف ١٩٤٦ ، عندما اتهم وزير الداخلية بيلاكوفاكس ، الأمين العام لصغار الملاكين، بتدبير مؤامرة مناوئة للثورة ، وطالب برفع الحصانة البرلمانية عنه . فقام المجلس برد فعل شديد ولم يقبل بهذه الكوميديا . وقبلها بهم ذلك . لأن العملاء السوفياتيين أوقفوا كوفاكس، في شباط ١٩٤٧ ، ونقل إلى موسكو ، وانتزعت منه اعترافات ثمة . وكان ناجي يقضي عطلته في سويسرا ، فقدم استقالته إلى رئيس الدولة . أما الأب فاوغا ، رئيس الحزب ، فقد فر من بودابست قبل أن يقع بدوره في الفخ .

وبعد أن أخليت الساحة على هذا النحو ، جرت انتخابات جديدة ، في تموز ١٩٤٧ ، هياها راجك جيداً ، وغزت الشيوعيين الاكثريّة ، وشكل هؤلاء بـ ٢٢٪ من الأصوات ، أهم حزب في البرلمان ، واستولوا على جميع المراكز الأساسية . وأخذوا يهاجمون قلعة اشتهرت بمنعتها ، الكنيسة الكاثوليكية ، وكان رئيسها ، الكاردينال ميندسزانتى ، أمير - جنئلق هونغاريا ، أحد الواجه النبيلة في تسلسل الفاتيكان ، الذي حرره السوفياتيون أنفسهم من السجن الذي طرحه فيه النازيون . وفي الأول من تموز ١٩٤٨ اُحجّت الجنئلق على قأميم التعليم العام الذي صوت عليه البرلمان . وفي آخر السنة لوحق متهماً بالحيانة العظمى ، الجاسوسية وتهريب النقد ، وحكم عليه بالسجن المؤبد . وقامت عدة « تطهيرات » بانقسامات قائمة في الحزب ، واتهم راجك بالتبئية فشق وطرح كادار في السجن . وابتعد امير ناجي عن المكتب السيامي ، لأنه اتخذ موقفاً ضد التجميع الاجباري في الزراعة .

وفي ١٤ نيسان ١٩٥٢ ، انتخب البرلمان رئيساً جديداً لمجلس الرئاسة - رئيس الجمهورية - اسطفان دوي، فكاف، في ١٤ آب التالي، راكوزي بتشكيل الحكومة . وحذف راكوزي جميع منافسيه وانتصر دوت تواضع ، وكسيده السوفياتي ، كان رئيساً لمجلس الوزراء وأميناً أول للحزب معاً . وبمساعدة ارنو غيرو في هذا المنصب الأخير سلك مسلك دكتاتور حقيقية .

واجتازت هونغاريا أزمة اقتصادية خطيرة . وبينما كانت التجميع الزراعي يعبر عنه بانخفاض في غلة الاراضي ، أخذ التصنيع يثير موجة استياء في الأحياء العمالية . وبعد وفاة ستالين ، كان موجهو الكرمين يخشون عودة ثورة برلين في بودابست ، ففرضوا في تموز ١٩٥٣ ، على راكوزي التخلي عن رئاسة الحكومة إلى ايمر ناجي الذي يعرفون شعبيته في العالم الريفي . وانحى راكوزي ، ولكن نزاعاً أصم ، نزاعاً حتى الموت ، قام منذ الآن بين الرجلين . وبدا في أول الأمر أن ناجي قد تغلب على خصمه . ولكن دسائس منافسه في الكرمين ، حيث أشهر فيما أشهر تحرير كادار، في تشرين الثاني ١٩٥٣ ، كان لها أثرها . وفي ١٨ نيسان ١٩٥٥ جرد ناجي المقتنع « بالانحراف اليميني والمناوئء للماركسية » من جميع وظائفه في المكتب السيامي وفي اللجنة المركزية وطرد من رئاسة المجلس ، وخلفه فيها آنداس هيجيدوس . وفي شهر تشرين الثاني أخرج من الحزب .

وفي العامين الذين استلم ناجي فيها السلطة ، طرح عدداً من الأفكار أخذت تتغمر مع الزمن . فقد امتدح برنامجاً في الإصلاح الزراعي الملكية الريفية الحرة ونهاية الجماعة الزراعية ، والكف عن اضطهاد الكولاك

( الفلاحين الأغنياء ) ، وتحسين مستوى حياة الشعب الريفي . وكشف أمام العمال أن الأولوية المطلقة المعطاة للصناعة الثقيلة إنما هي خطأ فادح ، ودعا إلى زيادة انتاج السلع الاستهلاكية . ونصح المفكرين بالاختيار الحر للمؤلفات الأجنبية واحترام الشخص الانساني .

أما الستاليني وراكوزي ، فقد زعم ، بعد عودته من المؤتمر العشرين في موسكو ، تخلص هونغاريا من الستالينية ، وبخاصة مكافحة عبادة الشخصية التي أفاد منها طويلاً . وفي ٢٩ آذار ١٩٥٦ ، أعلن إعادة اعتبار لاسزلو راجك ، ولكنه احترز من أن يأمر بإعادة نظر عامة في دعواه ، لأنها قد تثير فوراناً عظيماً في الأفكار .

والواقع ان هذا الفوران لم ينقطع في الاوساط الفكرية بخاصة ، منذ سقوط ناجي . فقد عدد كتاب حلقة بيتوفي والطلاب الاجتماعات العامة ووضعوا فيها راكوزي وجماعته موضع اتهام . وخصصت المجلات الأدبية دراسات طويلة للنظام وعيوبه . وبعد حوادث بوزنان ، تحرك الكرملن وأوفد إلى بودابست سوسلوف وميكوبان ، بمهمة اتخاذ جميع القرارات التي يربانها مفيدة لازالة التوتر ، وفي ١٨ تموز ، تلقت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الهونغاري رسالة من راكوزي تطالب بتجريدته من وظائفه كأمين أول وعضو في المكتب السياسي ، لأسباب صحية . ورحب الرأي بهذه الاستقالة منتظراً عودة ناجي . وعوضاً عن هذا سمى ارنو جايرو ، التجسيد الكامل للشدة الستالينية ، ليخلف راكوزي على رأس اللجنة المركزية ، حيث عاد ، مع ذلك ، كادار وبعض « الأحرار » الآخرين .

وأمام ضغط الشارع اقيمت الاحتفالات الوطنية بجنائز راجك في ٦

تشرين الأول ، وسار خلفه جمهور من ٣٠٠.٠٠٠ شخص ، وهذا القدر من الانصار كان كافياً للقيام بتجربة قوة محتملة . وفي ١٤ تراجع المكتب السيامي من جديد وقبل باعادة اير ناجي الى الحزب . ومنذ الآن أخذت الحوادث تتسارع . وفي ٢٣ تشرين الأول ، قامت مظاهرات طلاب على شرف الثوار البولونيين : وألقيت خطب في الساحة العامة تطالب بانهاء الدكتاتورية ، وذهاب زعماء الحزب والحكومة ومحاکمتهم ، وعودة ناجي ، واعادة النظر في المعاهدات الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي ، واصلاح نظام الأجور . وعندما رجع جيرو من زيارة إلى بلغراد حيث تصالح مع تيتو ، لم يفهم معنى هذا التظاهر . وفي الساعة ١٩ ، القى خطاباً ، على الراديو ، أشهر فيه « أعداء الشعب » ، ولكنه لم يعط أي تنازل . وعندئذ انتشر العمال والطلاب والجنود في ساحة ستالين وقوضوا التمثال العظيم للطاغية ستالين ، وخربوا مكاتب « سزاباد نيب » ، جريدة الحزب ، وهاجموا عمارة راديو - بودابست . ولما عجزت الشرطة أطلقت النار على الجمهور . وسقطت الضحايا الاولى . وانطلق الشعب في غضبه وجاشت الحرب طوال الليل . وجندت وحدات من الجيش إلى جانب قوى الأمن ( النظام ) ، وتآلف احداها من خمس دبابات ويقودها الجنرال بال هاليتير ، وهو محارب قديم في الحرب الاسبانية ، انتقل إلى معسكر المتمردين .

وفي فجر ٢٤ ، أعلن جيرو أن ناجي أخذ مكان هيجيدوس في رئاسة مجلس الوزراء ، وجاء هذا التدبير بعد فوات الأوان . وفي الوقت نفسه دعا الجيوش السوفياتية المرابطة في البلاد . وفي ال ٢٥ ، في الساعة ١١ ، أعلم المكتب السيامي أن جيرو جرد من وظائفه كأمين

أول ، وعهد بها إلى كادار . وفي ٣٠ منه حرر الكاردينال ميند سزانتى .  
وفي ٣١ ، انسحبت الجيوش السوفياتية من العاصمة .  
ومع ذلك ، لم يتخل الكوملن عن سيطرته على البلاد المجرية .  
وظلت قطعات جيوشه معسكرة حول بودابست ، وتحتل جميع المطارات  
منتظرة الأوامر .

وفي ٣ تشرين الثاني ، شكل ناجي حكومة من ١٢ عضواً يمثلون  
جميع أحزاب ائتلاف ١٩٤٥ ، أي : ٣ شيوعيين ، ٣ من صغار  
الملاكين ، ديمقراطيين - مسيحيين ، ٣ اجتماعيين - ديمقراطيين ، ٢ من  
حزب الوطنيين - الفلاحين و ١ مستقل ، الجنرال مالتير الذي استلم  
حقيبة الدفاع . وفي الساعة ١٠ مساءً دعا زعماء الجيش الأحمر ، إلى  
أركانهم في جزيرة سيميل المندوبين فوق العادة الهونغارين للتفاوض معهم  
على الجلاء . وما ان وصل هذان المندوبان ، الجنرال مالتير وكوفاكس ،  
إلا وأوقفا .

وجه ناجي مباشرة احتجاجاً الى موسكو ونيويورك طالب فيه بدمرة  
عاجلة لمجلس الأمن . وفي الليل ، القى بنداء ملؤه القلق إلى الشعب  
لهونغاري ، واعلم بالراديو عن ضربة القوة التي تمها . وكان هذا آخر بلاغ  
عام له .

وفي ٤ تشرين الثاني ، في الساعة الرابعة والدقيقة ٢٠ صباحاً ،  
حاصر الجيش السوفياتي بودابست : ٢٠٠٠٠٠٠ رجل ، ٢٥٠٠ دبابة  
وسيارة مصفحة لاختضاع شعب أعزل أخذ يدافع مستشرباً لصيانة حرته  
تاريخ عصرنا (١٩)

أو ، إن لم تكن ، لانقاذ شرفه . وفي ٩ ، قام الاضراب العام ، ولكن وقفت عمليات كل مقاومة مسلحة . وهل ستوضع موازنة صحيحة للشورة الهرنغارية .

وبعد أن تحرر الكاردينال ميندسزانتى طلب اللجوء الى سفارة الولايات المتحدة ، وظل ضيقها دوماً . أما ناجي فقد لجأ وفريقاً من أوفياته إلى سفارة يوغوسلافيا ، في ٤ تشرين الثاني ، وخرج منها في ٢٢ ، بعد أن تلقى قطمينات رسمية تتعلق بأمنه . واعترضت سبيل السيارة التي أقلته مع رفقاءه دبابتان سوفياتيتان ، وفي المساء نفسه أعلن راديو - بودابست أن الجيش الصغير دخل رومانيا . ولم ير أحد من أعضائه أبداً . ولم يحاول الغربيون شيئاً لصالح الشعب الهونغارى ، وكانوا عاجزين أيضاً عن اعادة زعيمه له . إلا أن وزارة العدل الهونغارية أوحى ، في ١٧ حزيران ١٩٥٨ ، بأن ناجي وماليتير وجيمينيس وسزيبلاجي مثاوا أمام محكمة وحكمت عليهم بالموت ، ونفذ الحكم مباشرة . ولم يعط البلاغ أي تفصيل عن التاريخ ولا المكان .

### التحرير

ورغم أن القمع في عام ١٨٥٦ كان فظيلاً ، فإن الشعب الهونغارى لم يرق عبثاً بكفاحه في سبيل الحرية . وعندما كانت حكومته ، في فجر ٤ تشرين الثاني ، تبحث عن ملجأ لها في سفارة صديقة ، والدبابات السوفياتية تهاجم العاصمة ، كانت محطة راديو اقليمية تعان عن تشكيل حكومة « ثورية عاملة وريفية » يرأسها جانوس كادار . وكان كل شيء يدعوا إلى التفكير بأن البلاد ستعرف بهذا التشكيل عودة الستالينية . ومع ذلك فإن هذا التشكيل أعاد لها تذوق الحياة .

ومبادرة فائقة تعلق كادار بارضاء التطلعات العميقة عند مواطنيه دون أن يصدح حليفه السوفياتي العظيم . وبعد أن أخذ على حسابه المبادئ التي أعلن عنها ناجي ، شجع على العودة التدريجية للتسامح السياسي ، وحرية التعبير ، والملكية الفردية ، وسهر على ابقاء الأجارات والنقلات بسعر منخفض ، وكذلك سعر الخدمات العامة ، الغاز ، الكهرباء ، الهاتف ، ليعوض الاعباء المفروضة على الشعب ببرنامج واسع في التصنيع .

وفي حزيران ١٩٦٥ ، تخلى كادار عن وظائفه كرئيس لمجلس الوزراء ، التي أمسك بها منذ تسعة أعوام ، ونقلها إلى مساعده غيولا كالاي ، واحتفظ فقط بوظائف الامين الأول لحزب العمال الاشتراكي . وعندما استقال اسطفان دوبي من رئاسة الجمهورية ، لسبب صحي ، في ١٤ نيسان ١٩٦٧ ، سمى لرئاسة الدولة وزير الزراعة ، بال لوزنتشي البالغ من العمر ٤٨ عاماً . وبعد أن انتخب كالاي رئيساً للمجلس الوطني ، عاد توجيه الحكومة إلى جينو فوك ، وقد هيا هذا مع جانوس بيتو من الشؤون الخارجية ، مشروعاً هاماً في الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي . وهذا المشروع الجديد ، الذي وضع موضع التنفيذ ، في الأول من كانون الثاني ١٩٦٨ ، يتوقع اعادة اعتبار الربح واستقلال المشاريع ، وحرية المنافسة بينها ، وشبكة معاهدات تجارية ومبادلات ثقافية مع بلاد افريقية وآسيا والدول الغربية .

هذا وتبلغ مساحة الجمهورية الشعبية المونغارية ٩٣٠٣٠ كم<sup>٢</sup> ونفوسها ١٠٠٠٧٢٠٠٠ نسمة ، ٦٠٪ منهم يقيمون في الأرياف . وقد بدأت تضمم شيئاً فشيئاً جراح عام ١٩٥٦ . وبفضل تعقل موجهها ، وبفضل طبع الشعب المجري الفنان ، الخفيف ، « الشاطر » ، تخلى النظام في القسم

الاعظم منه عن صلابته . وفي ١٩٦٦ أعيد توطيد العلاقات مع الولايات المتحدة وحرر جميع المعتقلين السياسيين . واستطاع « الاحزبيون » منذ الآن الوصول إلى جميع الوظائف الرسمية .

## رومانيا

هنالك مبيان أساسيان يجعلان رومانيا تحتل مكاناً خاصاً في حفل الديموقراطيات الشعبية : فهي تشكل جماعة عرقية وحيدة يفوق فيها العنصر اللاتيني الأمم التي هي من أصل سلافي ، جرمانى أو مجري . ومن جهة أخرى ، يوجد حذر قديم جداً ، إن لم يكن عداوة تقليدية ، يجعلها تناوىء الاتحاد السوفياتي . وهذا كاف لفهم كيف أن موجهما ، بعد مضي السنوات الاولى على النظام الجديد ، جهدوا في تحرير بلدهم من الوصاية السوفياتية .

لقد حرر الجيش الأحمر مولدافيا ( البغدان ) الشمالية ، في نيسان ١٩٤٤ ، بمساعدة محاربين دون لباس عسكري من الجبهة الوطنية المناوئة لهتلر . وفي أول ايلول التالي، احتل بخارست ، وبعد شهر ، انهى فتح رومانيا . وفي ٦ آذار ١٩٤٥ ، فرض الكوملن على الملك الشاب ميشيل عزل واديسكو ، وزيره الأول ، ليسي مكانه الدكتور بترو غوروزا وقام هذا مع رفاقه في المنفى في الاتحاد السوفياتي ، وبخاصة أنتابوكو « النمرة » ، التي أصبحت مواطنة سوفياتية ، وكولونيل في الجيش الأحمر ، ونائبة رئيس مجلس الوزراء ، ووزيرة الشؤون الخارجية ، بحملة تطهير واسعة في الأوساط الفكرية والبورجوازية . وافتتح عهد ارباب مع مايواكبه من اعدامات عاجلة وأحكام بالنفي . وكان الزعماء السياسيون



والتجار والصناعيون وملاكو العقارات ينفون جماعات أو يزجون في السجن . وفي ٢٣ آذار طبق الإصلاح الزراعي ، وجزأت الاملاك الكبرى ووزعت قطع الأراضي على الفلاحين .

نظم الحزب الشيوعي الروماني نفسه ، وانتخب جورج جوردغيو - دي أميناً عاماً واحتفظ بهذا المركز حتى وفاته . وتحت ضغط الحلفاء الغربيين ، وسع الدكتور غروزا وزارته ، في كانون الثاني ١٩٤٦ ، بتسمية بعض وزراء اجتماعيين - ديمقراطيين ، أحرار وفلاحين . وهكذا تشكلت الجبهة الوطنية وحصلت في انتخابات تشرين الثاني على ٧١,٨٠٪ من الأصوات . ولم يكن هذا إلا انطواءً استراتيجياً . فما كادت توقع معاهدة السلام ، في شباط ١٩٤٧ ، إلا وقام الحزب الشيوعي الروماني بالاستيلاء دون تقسيم السلطة . وبدأ بجرمان الحزب الوطني الريفي من موجهيه . وأوقف زعيمه مانيو . ثم امتص الحزب الاجتماعي - الديمقراطي ، وائف معه حزب العمال الروماني . وفي آخر السنة ، جرد الملك ميشيل تدريجياً من كل امتيازاته وأجبره على التنازل عن العرش فأخذ بدوره طريق المنفى ، وأعلنت الجمهورية الشعبية الرومانية . وفي نيسان ١٩٤٨ تبنى المجلس الوطني الاكبر الدستور الجديد وأعلن تأميم الاراضي والمناجم والمشاريع الأساسية الصناعية والنقلات والتأمينات . أما بنك الدولة فقد تأمم في شهر كانون الأول ١٩٤٦ .

ولكن المزاج الروماني الفردي والمحبة للنقد والمعاكسة طوعاً لا يتلاءم مع الماركسية الصلبة على الطريقة الروسية . ولما لم يفهمها الستالينيون في بخارست فقد توجب حذفهم قبل زوال ستالين . وفي حزيران ١٩٥٢ ، خلف جورجيو - دي غروزا في رئاسة مجلس الوزراء ، وغادر الجهاز

الموجه القديم كله المسرح السيامي دون عودة ، باستثناء غروزا نفسه ، الذي قام برئاسة البرلمان حتى وفاته ، في ١٩٥٨ . وبفضل هذا الانتقال ، الذي جرى بلطف ، لم يسبب الخلاص من الستالينية وشجب عبادة الشخصية في رومانيا أي نوع من هذا الصخب الذي اثار الاضطراب في المانيا الشرقية وبولونيا وهونغاريا .

وشيئاً فشيئاً ، ابتعدت السياسة الرومانية عن الخط الذي رسمه الكرملن وأكدت أصالتها . واشتركت الحكومة الرومانية بالكوميكون ، لجنة المساعدة المتبادلة ، نسخة شرقية للسوق المشتركة التي أسسها الانحداد السوفيياتي ، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ . ووقعت ، في أيار ١٩٥٥ ، معاهدة فارسوفيا ، التي تبدو كرد على منظمة معاهدة شمال الاطلسي . ولكن رومانيا في آخر هذه السنة ١٩٥٥ نفسها ، أصبحت عضواً في الأمم المتحدة وأخذت تعمل منذ الآن على صيانة استقلالها .

وفي ٢ تشرين الأول ١٩٥٥٪ انتخب جورجيرو - دي بالاجام أميناً اول للجنة المركزية لحزب العمال الروماني . وعندئذ استقال من رئاسة مجلس الوزراء لصالح شيفو ستواكا ، رفيقه القديم في النضال والأمر في زخانات الجنرال الطونيسكو الفاشية . وحافظ ، مع ذلك ، على وظائفه في رئاسة الحزب عندما رفع لمدة اربع سنوات الى رئاسة الجمهورية ، في آذار ١٩٦١ . ودعي ستواكا في هذه الفترة الى رئاسة المجلس الوطني . وعادت الى لوث جودج ماوربر صلاحيات رئيس الحكومة .

ومافئ نزاع المصالح بين موسكو وبخارست يتفاقم في وسط الكوميكون . ورفضت رومانيا ان تضحي بجهازها الصناعي لتكرس

نفسها الى الدور الوحيد المجهز بالحواصلات الزراعية الذي فرضته عليها الضغوط الفوقمية للتنظيم الاقتصادي الماركسي . وجاء عدد من التدابير يدل ، في الوقت نفسه ، على تطلعاتها الى الاستقلال حيال عاصمة الشيوعية . وهكذا لم يعد تعليم الروسية اجبارياً في مدارسها ، وغيرت المدارس ، التي تحمل اسماء روسية ، اسماءها . وتبنت رومانيا موقف الحياء الدقيق في الخلاف الايديولوجي الصيني - السوفياتي ، حتى انها ذهبت الى ابرام اتفاقيات تجارية مع الصين والباينا . ورثت مع ذلك لحال الجدل الذي قام بين الدولتين الشيوعيتين . وفي شباط عام ١٩٦٤ شخص وفد روماني هام الى بكين لمحاولة ازالة الخلافات ، فلم يفلح . وفي ٢٢ نيسان ، كان على اللجنة المركزية لحزب العمال الروماني ان تجابه هجوماً جديداً من زميلاتها الاوربيات . وعندئذ خالفت بشكل مطلق سياسة الكومكيون وتبنت قراراً بموجبه د يكون التوجيه المخطط للاقتصاد القومي صفة من الصفات الاساسية والجهورية وغير القابلة للتصرف والخاصة بسيادة الدولة الاشتراكية ، .

وفي ١٩ آذار ١٩٦٥ ، توفي جيورجيو - دي إثر أزمة قلبية ، عقب اعادة انتخابه لرئاسة الجمهورية . ورفع اقتراح ٢٢ آذار شيفو ستواكا الى المقام الاعلى ، وخلف نيولا شياوشيسكو جيورجيو- دي في وظائف الأمين العام لحزب العمال الروماني ، في ٢١ آب ، وقدم للبرلمان عدة تعديلات لدستور ١٩٤٨ تلح على استقلال الأمة الرومانية وسيادتها وتنص فيما تنص على :

١ - ان تصبح الجمهورية الشعبية جمهورية رومانيا الاشتراكية .

٢ - التعاون الأخوي مع البلاد الاشتراكية الأخرى على أساس المساواة في الحقوق والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

٣ - ضمان الملكية الشخصية للفلاحين .

٤ - المساواة التامة في الحقوق لجميع المواطنين دون تمييز قومية او عرق .

٥ - رغبة رومانيا ، بموجب مبدأ التعايش السلمي ، في تكثيف علاقاتها المتعددة الجوانب ، الاقتصادية والعلمية والثقافية مع جميع الدول ، مهما كان نظامها الاجتماعي .

« ومناسبة تبادل الزيارات في تشرين الثاني ١٩٦٣ وحزيران ١٩٦٤ . سبق ان ابرم جورجيو - دي مسع قيتو اتفاقاً تنشئ بموجبيه الدولتان مركزاً مائتاً كربائياً - ضمها في فيج ابواب الحديد على الدانوب . ولم يتم خلفاؤه برأي موسكو ، ووقعوا معاهدات هامة في التعاون الاقتصادي . خارجاً عن الكوميكون ، مع الدول الرأسمالية ، مثل الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، فرنسا ، التي قدمت وحدها تجهيزات للمجموعات الصناعية الكبرى في رومانيا : معمل سكر كاملين ، معامل الومنيوم ، عجينة الورق ، مصانع راديو وثلفزيون ، وأنوال نسيج .

وعلى الصعيد الدبلوماسي ، انفصلت رومانيا بوضوح في اربعة ظروف هامة عن رفيقاتها في المعسكر الاشتراكي . ففي كانون الثاني ١٩٦٧ ، وقع وزير الشؤون الخارجية الروماني ، كورنيليو مانيسكو ، مع فيلي براندت ، معاهدة توطدت بموجبها علاقات دبلوماسية طبيعية بين بون وبخارست .

وفي حزيران وتموز ١٩٦٧ ، بعد « حرب الستة أيام » في الشرق

الاطوسط ، كانت رومانيا الجمهورية الشعبية الوحيدة التي رفضت أن تصوت في الأمم المتحدة على الاقتراح السوفياتي الذي يشجب اسرائيل باعتبارها معجندبة وأن تستدعي سفيرها من تل - أبيب .

وفي المؤتمر الاستشاري للأحزاب الشيوعية المنعقد في بودابست ، في ٢٩ شباط ١٩٦٨ ، اغتئم الوفد الروماني فرصة حادث اختلف فيه مع الممثل السوري فخرج من قاعة الجلسات ورفض كل تسوية وعاد إلى بخارست . وأراد بذلك ، أن يكون في حل من تضامنه مع الأكثرية، التي أخذ عليها قبولها دون نقاش التحديد الاستبدادي لمقاعد المؤتمر العالمي المزمع عقده في موسكو في تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٦٨ ، واندفاعها في تهجمات المنظمة على الحزب الصيني وابعاد يوغوسلافيا عن المناقشات .

وأخيراً ، في عز الأزمة التشيكوسلوفاكية ، وبينما كانت البلاد تحتلها خمس من جيوش ميثاق وارسو ( فارسوفيا ) ، كانت شياوشيسكو يدعم علناً سياسة دوبشك وشيرنيك . ولم يتروءد في الذهاب إلى براغ ، حيث وقع ، في ١٧ آب ١٩٦٨ ، معاهدة صداقة جديدة تربط لعشرين عاماً رومانيا بتشيكوسلوفاكيا .

وفي ٩ كانون الأول السابق ، انتخب المجلس الوطني الروماني نيقولا شياوشيسكو لرئاسة مجلس الدولة . وقد أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الروماني ، وهو في التاسعة والاربعين من عمره ، يجمع وظائف رئيس الدولة والحزب . وقويت سلطته وساعدته على القيام باصلاحات بنوية في داخل الادارة ، والاشراف على السياسة الخارجية لحكومته . وزاد في تثبيت نزعة رومانيا إلى التخلص من كل نفوذ أجنبي والقيام بأعباء قدرها الخاص .

### اقتصاد في عز نوسم

لقد ثبتت معاهدة السلام الموقعة في باريس ، في شباط ١٩٤٧ ، حدود رومانيا الجديدة التي تبلغ ٢٣٧٥٠٠ كم<sup>٢</sup> ، ويتجاوز اليوم عدد نفوسها ١٩ مليون نسمة . ويمثل الشعب الروماني الأصلي فيها بنسبة ٨٥٫٧٪ إلى جانب عدد من الأقليات العرقية : الهونغارية ( ٩٫١ ٪ ) ، والألمانية ( ٢٫٢ ٪ ) ، والقوميات المختلفة ( ٣ ٪ ) .

وتغطي الأراضي القابلة للزراعة ، والمراعي ، وكروم العنب ، والبساتين ٦١ ٪ من سطحها . وإذا كانت رومانيا تنتج سنوياً ١٠ ملايين طن من الحبوب - وهذا مادفع اقتصادي الكوميكون إلى فرض دور زراعي عليها بخاصة ، ليجعلوا منها انباراً للبلاذ الشرقية - ، فإن تربتها التحتية تكشف أيضاً عن ثروات عظيمة . فهي تنتج ١٤ مليون طن من البترول في العام وبذا تحتجز المكان الثاني ، بعد الاتحاد السوفياتي ، في الانتاج الاوربي للفحم الهيدروجينية . وثلك أيضاً مناجم هامة من الفحم والحامات المختلفة : الحديد ، الألومنيوم والمانغانيز بخاصة ، واحتياطيات هائلة من الملح الطبيعي . وساعدت هذه الموارد الكثيرة على نهضتها العظيمة في الصناعة . وتعطي بعض الأرقام فكرة عن هذا التطور : لقد سيرت ٢٥٠ معملًا بين ١٩٥٦ و ١٩٦٣ . وفي نطاق الحطة الخمسية الأخيرة ، التي انتهت ١٩٧٠ ، توقع انشاء ٧٥٠ معملًا جديدًا يشغل كل واحد منها من ٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ عامل . وانشئت عدة مراكز صناعية في غالاتز ، في دلتا الدانوب ، في برايلا ، في سيبينو ، في تيميسوارا . وانبثقت المدن من الأرض أو نمت بشكل عظيم حول المشاريع مثل : اونيستي ( ٥٠٠٠٠

نسمة مقابل ١٦٥ في عام ١٩٣٨ ) ، فيكتوريا ، لوديكاني ، فولكان ، نافوداري .

وكان الانتاج السنوي للفولاذ ٢٨٠٠٠٠ طن في ١٩٣٩ ، وانتقل إلى ٣ ملايين طن في ١٩٧٠ ، وبينما كانت رومانيا تستورد ٩٥ ٪ من جهازها الصناعي ، أخذت اليوم تصنع ما يكفي من الآلات الصانعة الخاصة بالصناعات المنجمية ، والحديدية ، والكيميائية ، والغذائية ، وما يكفي من سيارات الشحن ، والجرارات والآلات الزراعية ، والمحولات الكهربائية ، لسد حاجاتها ، ولحد ما ، للتصدير إلى البلاد الآخذة بالنمو .

وبينما كان الكوميكون يريد أن يوجه البترول الخام للآبار الرومانية ، نحو المصافي السوفياتية والألمانية - الشرقية ، حسنت رومانيا مراكز التكرير في بلادها وأسست مراكز جديدة بجيزة بأحدث الأجهزة الفنية ، مثل مركز برازي الذي يعتبر نموذجاً في نوعه ، لما يعطيه من زيت « معدني ، صافي تماماً . ومن جهة أخرى ، يمكنها أن تفخر بالإنجازات الهامة جداً التي حققتها في مضمار البتروكيميا .

ولا تؤمن احتياطات البلاد في البترول والفحم والليغنيت ، ومجاريها المائية المحروقات الضرورية لمختلف القطاعات الضرورية لاقتصادها فحسب ، بل أيضاً مدخراً طاقياً يقدر ب ٣٦ مليار كيلوات ساعي في العام . وشيدت مراكز هامة حرارية ومائية - كهربائية في دوايسيتي ، باروزيني ، بورزيسيتي ، فاليوخ ، بيكاز ، بانتظار المركز الروماني - اليوغوسلافي العظيم على الدانوب .

وهكذا تستطيع رومانيا أن تسجل زيادة في انتاجها الصناعي بمعدل ١٥ ٪ في العام وزيادة ٩ ٪ من دخلها القومي ، وهذه وثيرة مجهولة في بلاد

الشرق الأخرى وأعلى من وتيرة معظم الدول الغربية . وتجه مبادلاتها التجارية شيئاً فشيئاً نحو الغرب ، على حساب ريفقاتها في الكومبيكون . وتجدر الإشارة ، في هذا الموضوع ، إلى الجهد الذي قامت به الحكومة الرومانية منذ بضع سنوات لصالح السياحة ، وهي مصدر للدخل من النقد الاجنبي لا سبيل إلى إهماله .

### بلغاريا

ومع آخر العروش البلقانية ، أطيح بالعرش البلغاري في هزيمة الجيوش المتتالية على الجبهة الشرقية ، بعد أن ربط الملك بوديس الثالث ، دون حذر ، مصيره بصير المانيا النازية . وقد توفي فجأة في ١٥،٣ ، ولم يارس ابنه الفتى ، سيميون الثاني وعمره ست سنوات ، السلطة فعلاً : وكان آخر ممثل لسلالته ، وقد أخذ مع حاشيته الصغيرة طريقه إلى المنفى في ايلول ١٩٤٦ ، بعد أن انفض الاستفتاء الشعبي سقوط الملكية بـ ٩٢،٧٪ من الأصوات .

كان الحزب الشيوعي البلغاري قوي التنظيم في سره ، وكان يتلقى من موسكو أوامر زعيمه جورجي ديميتروف . وشكل منذ ١٩٤٠ عدة مراكز مقاومة في المناطق الجبلية والغابات من البلاد . وضمت دعابته النشطة قسماً عظيماً من السكان العاملين وعناصر من الجيش لقضيته . وقد أطلق الأمر بالثورة في الليل ، من ٨ إلى ٩ ايلول ١٩٤٤ ، وروعي هذا الأمر بدقة ، وقكل بنجاح عظيم . وسقطت مدن الأقاليم بسرعة في أيدي الأنصار ، واحتل مغاوير الصدام النقاط الاستراتيجية في العاصمة ، والتحقق بهم القطعات السوفياتية بعد قليل . وبعد بضع ساعات تشكلت حكومة ائتلافية برئاسة كيمون غورغيف وتمثلت فيها كل تشكيلات



« جبهة الوطن » : حزب العمال الشيوعي ، الاتحاد الزراعي ، تجمع زفينو ، والحزبان الاجتماعي - الديمقراطي والمستقل .

ووقع اتفاق الهدنة في موسكو ، في ٢٨ تشرين الأول ١٩٤٤ ، وبموجبه أعادت بلغاريا الأقاليم التي انتزعتها من اليونان ويوغوسلافيا، وردت أرضها إلى ١١٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، وشاركت في نضال الحلفاء ضد ألمانيا . ووقعت معاهدة السلام في باريس ، في ١٠ شباط ١٩٤٧ . وفي غضون ذلك عززت الانتخابات العامة في عام ١٩٤٥ « جبهة الوطن » التي حصلت على ٨٨,١٨٪ من الأصوات . وهياً المجلس الوطني ، المنبثق عن هذه الاستشارة ، القوانين التي جهزت البلاد بالبنيات الجديدة السياسية والاقتصادية والثقافية . وكلف أيضاً بتنظيم استفتاء ايلول ١٩٤٦ ، وبنتيجته أعلنت جمهورية بلغاريا الشعبية ، وكان رئيسها الأول المنتخب فاسيل كولاروف ، وشكل غورغيف حكومته الائتلافية الثانية .

وقد عهد إلى المجلس الوطني الأكبر «نارودنو سوبرانيه» المنتخب ، في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٦ ، بمهمة تحرير دستور جديد . وفيه حصل حزب العمال على الأكثرية المطلقة . ولذا يلاحظ في بلغاريا نفس مراحل النمو الذي تم في الديمقراطيات الشعبية الأخرى وهي وجود شيوعية مسيطرة تسعى إلى حذف ريفقاتها ، الواحدة بعد الأخرى . وبعد أن عاد ديميتروف ، الأمين العام السابق للكونمينتون ، من الاتحاد السوفياتي بقليل ، ترأس الحكومة البلغارية الثالثة ، في ٢٢ تشرين الثاني ، وخص حزب العمال بعشر حقائب ، وخمس إلى الاتحاد الزراعي ، واثنين إلى الاجتماعيين - الديمقراطيين ، واثنين إلى مجمع « زفينو » ، وواحدة إلى المستقلين . وكان بيتكوف ، زعيم الحزب الزراعي منافساً خطراً بسبب

شعبيته في عالم الريف ، ولذا كان أول ضحية للاستراتيجية الشيوعية .  
فقد أوقف في شهر تموز ١٩٤٧ بحجة قيامه بحركات مناوئة للثورة ، وحكم  
عليه بالموت وشتق في ٢٣ ايلول . ولم تقف بعد ذلك أي عقبة أمام  
الستالينيين لاستلام السلطة . وقد عين ديميتروف أيضاً لرأس اللجنة البرلمانية  
للمكلفة بتحرير مشروع الدستور . ولا عجب ، بالتالي ، إذا ما أخذت هذه  
اللجنة دستور الاتحاد السوفياني أساساً لأعمالها . وفي السنتين ١٩٤٧ -  
١٩٤٨ ، أسرعت الحكومة الجديدة إلى إبرام معاهدات صداقة وتعاون  
ومساعدة متبادلة مع الاتحاد السوفياني وتوابعه الأخرى .

وفي بداية عام ١٩٤٩ ، كانت صحة ديميتروف معتلة ، فاضطر إلى  
التخلي عن وظائفه والذهاب إلى موسكو للاستشفاء . وهناك توفي ،  
في ٢ تموز ، تاركاً مسؤولية الحكم إلى فاسيل كولاروف ، أقرب معاونيه .  
ولكن هذا توفي بدوره ، في كانون الثاني ١٩٥٠ ، وعهد بآدارة الشؤون  
العامة إلى فالكو تشرفنكوف . وحينئذ عرفت بلغاريا أظلم دور في  
تاريخها الحديث . فقد طبق تشرفنكوف دون هوادة أوامر الكرملن  
وظهر أكثر ستالينية من رؤساء الجمهوريات الشعبية . ولكن رد الفعل ،  
الذي أعقب زوال ستالين في الاتحاد السوفياني ظهر في بلغاريا ، مع بعض  
التأخير . ففي العام ١٩٥٦ عقد اجتماع كامل للجنة المركزية لحزب العمال  
وشهر بعبادة الشخصية كما ندد بسلوك تشرفنكوف ، وعزل من منصبه  
رئيساً لمجلس الوزراء وحل محله ، بعد ذلك بقليل ، انطون جوغوف ،  
ثم ، في ١٩٦٢ ، تودور جيفكوف ، أمين سر اللجنة الأول .

وقد برهن جيفكوف في بلغاريا على نفس المهارة ونفس الاعتدال  
الذي برهن عليه غومولسكا في بولونيا وكادار في هونغاريا . وفي هـ

تشرين الثاني ١٩٦٢ ، توج عمله في السياسة الداخلية بتخليص الفئة الموجهة من آخر عناصرها الستالينية والمناصرة للصين ، ووقف ، منذ ذلك الحين ، أفضل نشاطه لتنمية البلاد الاقتصادية .

وهذه الصداقة التقليدية ، التي تربط بلغاريا السلافية بروسيا لم تمنعها من البحث عن منافذ في الغرب ، ومن زحزحة نير الكرملن مراراً وتكراراً . وكان جيفكوف يناصر الشيوعية القومية ، وقد أوشك أن يتبع زملاءه الرومانيين على طريق التقارب الدبلوماسي مع الجمهورية الاتحادية الألمانية في ربيع ١٩٦٧ غير أن بريجنيف شخص الى صوفيا ليصرفه عن ذلك ، ووقع معه ، في ١٣ أيار ، معاهدة صداقة وعون متبادل جديدة لمدة عشرين عاماً . وفي آب ١٩٦٨ ، أسهمت الجيوش البلغارية في غزو تشيكوسلوفاكيا .

هذا ويتصف الشعب البلغاري بصفات قوية صلبة ، فهو نشيط ، يحب العمل ، كريم ، متسامح ، عدد نفوسه ٨.٦ مليون نسمة ، ولا يدع نفسه ينجذب في السياسة نحو المواقف المتطرفة ، ويفلح ارضاً خصبة ، ويتعلق بها بعمق ، وتجهزه بغذاء كاف . ويصدر عطر الورد والتبغ الى العالم أجمع . وقد استطاع الاصلاح الزراعي بتشجيعه على انشاء التعاونيات الزراعية ، ومضاعفة السطح المروي بعشرة اضعافه ، وتعميمه استعمال الجرارات والآلات الزراعية والأسمدة ، ان يرفع الى ٥٠٪ انتاج الحبوب بالنسبة الى ١٩٣٩ ، ويحسن بنسبة عظيمة مستوى الحياة في الارياف .

وقد قام النظام الجديد ، مع ذلك ، بتصنيع منظم للبلاد بالافادة من الموارد الطاقية . وهكذا انشيء سد « ايسكار » ، بالقرب من صوفيا ،

وسد دشتون كلابينيتر ، والمعمل المائي - الكهربائي في باتاك ، والمركز المعدني في بيرنيك ، ومعامل صهر الرصاص والتوتيا في كيوجالي ، والاسمنت في بيلي - ايزفور ، والزجاج في راز غراد ، ومصنع المراكبات الكهربائية في بازار جيـك ، ومعمل السباد الآزوتي في ستارا - زاغورا ، خلال الخطط الخمسية الثلاث الاولى التي انتهت في ١٩٦٢ . وفي هذه السنة نفسها ، قدم تودور جيفكوف ، من ٥ الى ١٤ تشرين الثاني ، الى المؤتمر الثامن للحزب مشروعاً جريئاً في التنمية الاقتصادية يتناول العشرين السنة القادمة . وحسب هذه التوجيهات يجب ان يكون الانتاج الزراعي ، في العام ١٩٨٠ ، اعلى بمقدار ضعفي ونصف ما هو عليه اليوم ، وأن يكون حجم الانتاج الصناعي سبعة أضعاف الحجم الحالي .

### البانيا

لقد كانت البانيا اقليماً قديماً من اقاليم الامبراطورية العثمانية ، ثم ملكية من النوع الخفيف في عهد الملك زغو الأول ، وقد اصبحت في العام ١٩٤٥ أصغر جمهورية شعبية في القارة الاوربية . وهي أكثر البلاد الاوربية انغلاقاً على الحضارة الغربية . الا أن فرنسا وايطاليا وحدهما مازالتا تقيمان فيها بعثات دبلوماسية هزيلة . والبانيا بلد مسلم ، إلى جانب يوغوسلافيا ، تمتد على ٢٩٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ونفوسها أقل من مليون نسمة . وعاصمتها الحالية تيرانا ، وشكودر ( سكوتاري ) ، عاصمتها القديمة ، وهما مدينتان صغيرتان يعيش فيها الصناع والتجار والموظفون ، ويراقبهم بشكل وثيق موجهو الحزب الشيوعي وشرطة دولة زائدة عن اللازم تتم بادق التفاصيل . ويعيش باقي السكان في القرى ومحطات الجبل من حاصلات أرض قاحلة ومن تربية قطعان الخراف والماعز .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، سيطر على تاريخ البانيا نزاع اوقعها في خلاف مع الاتحاد السوفياتي ، وليس بالقرب إيجاد حل له .

وكان انور خوجا ، زعيم الانصار الالبانيين المناوئين لهتلر ، قد تثقف في مدرسة موسكو ، ولم يغادر مركز المقاومة الا ليجابه الحلفاء الغربيين ، وبخاصة بريطانيا العظمى ، فقد ابى عليهم كل حق للنظر في قضايا بلده . وبعد ان تمت الهزيمة الالمانية استولى على السلطة المطلقة ، وفرض نفسه رئيساً للحكومة وأميناً عاماً للحزب الشيوعي باقامة نظام الارهاب . ولم يكن ستالين نفسه ليقم وزناً لهذه الشخصية التي تستلم بشدة مفرطة من طوقه . ولذا كانت البانيا الديوقراطية الشعبية الدولة الوحيدة التي رفض الاتحاد السوفياتي ان يبرم معها معاهدة صداقة . وعندما اسس الكومنفورم ، في ١٩٤٧ ، كان الحزب الشيوعي الالباني الكتلة الماركسية الوحيدة التي لم تدع للاشتراك به . وهذا لم يمنع انور خوجا ، في السنة الثانية ، من أن يظهر بين غلاة متهمي تيتو ، رفيقه السابق في الكفاح ، في الحملة التي ادت الى حرمانه ، ( اخراجه من الجماعة الشيوعية ) . ولم ينس المارشال اليوغوسلافي ذلك .

وبعد وفاة ستالين اظهر خلفاؤه بعض الاهتمام بالبانيا ، واستقبلوا مندوبها في مؤتمر « الاحزاب الأخوة » في موسكو ، في تشرين الثاني ١٩٥٤ ، وقبلوا بأن يسهموا ، في أيار ١٩٥٥ ، في ميثاق وارسو ( فارسوفيا ) . وفي الحقيقة ، تظاهر انور خوجا بأنه يخضع إلى المبدأ الجديد في القيادة الجماعية التي نادى بها الكرملن : وفي ٢٠ تموز ١٩٥٤ ، تخلى عن وظائفه ، كرئيس لمجلس الوزراء ، لصالح محمد شينغو ، وزير الداخلية ، أقرب معاونيه ، ليكرس نفسه للحزب فقط .

تاريخ عصرنا (٢٠)

ولكن ، هذا هو كل ما قبله الدكتاتور الالباني من الخط الجديد الذي رسمته موسكو . وثار على الموجهين السوفياتيين عندما تقرب هؤلاء من بلغراد . وقام جدل عنيف ، في ١٩٥٧ ، بين خوجا وتيتو أدى إلى طرد السفير اليوغوسلافي من تيرانا . وتوترت العلاقات بسرعة بين الجمهوريات الشعبية الاوربية المناصرة للنظريات الروسية والحكومة الالبانية التي انحازت لبيكين منذ الساعات الاولى التي نشب فيها الخلاف الايديولوجي الصيني - السوفياتي . وفي مؤتمر موسكو ، في آخر تشرين الثاني ١٩٦٠ ، ، الذي ضم ممثلي الـ ٨١ حزباً شيوعياً في العالم كله ، اصطف أنور خوجا بعزم إلى جانب ليو - شاو - شي ، موجه الوفد الصيني . وهاجم بعنف غريب نيكي تاخاروتشوف ، وكان كرجياً اليه ، واتهمه بحق ، بممارسة ضغوط اقتصادية على البانيا ، وبإدخاله عملاء هدامين إلى تيرانا بغية إعداد انقلاب فيها بمشراكة تيتو .

ولم يعد بالامكان تجنب القطيعة . وقد حدثت فعلاً بمناسبة المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، في تشرين الأول ١٩٦١ . وفي ١٠ كانون الأول التالي ، قطعت العلاقات الدبلوماسية رسمياً بين موسكو وتيرانا ، وأخرجت البانيا من منظمة حلف وارسو . وانطوت على نفسها دون أي اتصال مع الغرب ومع البلاد الشيوعية الأخرى في القارة . وتعلقت بجميع منازعات ماو - تسيه - تونغ ، وجميع مواقفه التي اتخذها منتظرة أن زوال انور خوجا وفتته ربما يرفعها إلى صف الأمة الحرة .

### يوغوسلافيا

يختلط تاريخ يوغوسلافيا الحديثة بتاريخ زعيمها ، المارشال تيتو ،

الذي كشفت الحرب العالمية الثانية عن شخصيته القوية ، القائد العسكري الوحيد في ذلك العصر الذي توصل إلى السلطة ورسخ فيها دون انقطاع . وإذا جعل تيتو من يوغوسلافيا جمهورية اشتراكية ، فقد صاغ لها أيضاً وجهاً يمنع اختلاطها بالديمقراطيات الشعبية الأخرى ، دولة رائدة لا تتنازل عن شيء إلى المذهب الرأسمالي . ولكنها تحرص على أن تكون حرة من كل تبعية للكتلة السوفياتية وقد فتحت القومية - الشيوعية اليوغوسلافية ، « النتيجة » ، في العام ١٩٤٨ ، الثغرة الأولى في الستار الحديدي ، والتي حاولت ريفقاتها في ميشاق وارسو أن تدخل منها مع قليل أو كثير من الحظ . ومع ذلك فإن كسب استقلالها لم يتم دون إثارة تشنجات اليمّة .

إن الأمين العام للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، جوزيف بروز ، الذي لم يعد يعرف إلا باسمه في الحرب « تيتو » ، نظم ، في عام ١٩٤٠ ، مقاومة بلاده ضد الريع الثالث المغير . وكانت عليه أن يحارب من بعد على ثلاث جبهات : ضد الجيش الألماني ، ضد « اوستاشي » ، أنت بافيليتش ، وضد حركة « شيتنيك » التي قام بها دوازا ميها يلوفيتش ، الوطني اليوغوسلافي المتحمس ، الملكي والمناوي للشيوعية . وقد تم لقاءان بين تيتو وميها يلوفيتش ، في تشرين الأول ١٩٤١ ، لمحاولة تنسيق عملهما . وكانت وجهات نظرهما متباعدة جداً ولا يمكن عقد اتفاق بينهما وهذه المعارضة بين حركتي المقاومة أدت إلى أقبح التطرفات . وتأثرت الحكومة البريطانية بنجاح تيتو ، فعقدت معه اتصالات مباشرة ، وخففت في الوقت نفسه دعمها لميها يلوفيتش . وثلاً ذلك صدام بين تشرشل من جهة ، والملك بطرس الثاني والحكومة اليوغوسلافية في المنفى في لندن ، من

جهة أخرى . وكان الملك والحكومة يجعلان أن الحلفاء ، في موسكو ، ثم في طهران ، اعترفوا بتيتو ، مثلاً لكافة الشعب اليوغوسلافي ، وصدق على هذا القرار فيما بعد في يالطا ، بينما رفعه المجلس المناويء للفاشية إلى منصب مارشال يوغوسلافيا .

وفي ٢٤ أيار ١٩٤٤ ، عاد تشرشل وأكد علناً في مجلس العموم مساندته دون حيلة لتيتو ، ودفع الملك بطرس ووزيره الأول بوزيداد بوريك إلى سحب حقبة الدفاع من الجنرال ميهايوفيتش . وفي الأول من حزيران ، فرض الدكتور ايفان سوبازيك ليحل محل بوريك . وبعد خمسة عشر يوما ، زار رئيس الحكومة اليوغوسلافية الجديد تيتو في أركانه العامة في جزيرة فيس وأبرم معه معاهدة ، وبموجبها انحلت جميع قوات الأمة ضد العدو المشترك ، وأرجئت قضية النظام السيامي إلى أجل غير مسمى . وقد أعطى تيتو لها الحل قبل آخر السنة .

وفي ١٢ آب ، التقى الزعيم الشيوعي بتشرشل في نابولي . وفي ٢٦ منه ، أعلنت الحكومة اليوغوسلافية في لندن حل أركان ميهايوفيتش ، وفي ١٢ ايلول ، أعطى الملك الأمر من الاذاعة البريطانية إلى «الشيتنيك» ، بأن يضعوا أنفسهم تحت قيادة تيتو . وهكذا تم اخفاق ميهايوفيتش دون أن ينقذ المليك الشاب تاجه .

ولم يكتف تيتو بالنصر على منافسه . وفي ١٥ تشرين الاول دخل بلغراد على رأس أنصاره . وفي ٢٩ تشرين الثاني دعا إلى يايسو مجلساً مناوئاً للفاشية ، فقرر هذا بالاجماع سحب الامتيازات الحكومية من حكومة لندن ، وحرم على الملك بطرس الثاني وعلى أي عضو آخر من سلالة قوه جوج العوده إلى يوغوسلافيا .



وفي ٧ آذار ١٩٤٥ ، تألفت حكومة في العاصمة اليوغوسلافية يرأسها تيتو ، وسوبازيك للشؤون الخارجية . وفي ٨ أيار تحررت البلاد كلها . وكان ميزان هذه السنوات الأربع ثقيلًا جدًا : ١٧٠٠٠٠٠ ضحية عسكرية ومدنية على شعب عدد نفوسه ١٤ مليون نسمة . وكانت التفريجات عظيمة ، والبلاد يمزقها الانفصال ، والادارة فوضوية ، وفقد النقد تسعة أعشار قوته الشرائية . وفي هذا المناخ نظمت انتخابات ١١ تشرين الثاني إلى المجلس التأسيسي . وقدمت الجبهة الوطنية وحدها مرشحها وحصلت على ٩٠٪ من الاصوات المقترعة . وقد تركت الحربة لممثلي المعارضة فامتنعوا عن التصويت عن فطنة . واستقال بعد الاقتراع مندوبا لندن في الوزارة الائتلافية ، ميلان غوول ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وايفان سوبازيك ، وزير الشؤون الخارجية ، ولم يبق منذ الات شيء يعيق زحف الشيوعيين المنتصر نحو السلطة .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ، أعلنت الجمعية التأسيسية سقوط الملكية ، وقيام جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية . وانتخب الماريشال تيتو رئيساً للجمهورية . وجددت ولايته بانتظام دون أن يجزأ منافس على منازعته ادارة الدولة . وتبني الدستور الجديد ، في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٦ ، وبدل مرتين ، في ١٩٥٣ و ١٩٦٣ ، وأصبحت يوغوسلافيا عندئذ جمهورية اشتراكية اتحادية وتخلت عن الوصف « شعبية » .

وفي غضون ذلك شكل الحلاف بين ستالين وتيتو أفطع مرحلة في كفاح يوغوسلافيا في سبيل تحريرها وكاد يكلفها حياتها .

ومها يكن تفاوت النسبة بين الامبراطوريتين العائدتين لكل من

الزعيمين ، فان المجاهدة بين زعيمى الدولة لا يمكن اجتنابها . فقد كانت ستالين يرى ، في الواقع ، أن يوغوسلافيا ليست إلا عنصراً في مجنّ حماية الاتحاد السوفياتي الذي سلمه حلفاؤه له في يالطا ، وأن على موجهها أن يلعبوا دور حكام بسطاء يطبقون توجيهات الكرملن دون مناقشة وضجة ، وبذلك يدفعون الدعم الذي لم يساومهم عليه طوال الحرب ضد الحكومة اليوغوسلافية في لندن . وكانت وجهات النظر هذه بعيدة كل البعد عن وجهات نظر تيتو الذي لم يحجر بلاده من الاحتلال الالماني لتركها تعود إلى حالة مستعمرة سوفياتية .

وانفجر النزاع بمناسبة مشروع الاتحاد البلقاني الذي وضعه تيتو . وبوجهه تؤلف يوغوسلافيا وبلغاريا والبانبا ، في البدء ، كياناً سياسياً - اقتصادياً . وقد عبر ستالين عن استيائه في اجتماع وارسو ( فارسوفيا ) ، في ايلول ١٩٤٧ ، عندما صادق الزعماء الشيوعيون على انشاء الكومنفرورم ، وامتنع تيتو عن المشاركة ومثل نفسه فيه بتائبين : جيلاس و كارديلي . وانفجر غضبه عندما علم ، بعد ذلك بقليل ، بزيارة ديميتروف ، رئيس الحكومة البلغارية ، لقصر بليمه حيث عرض عليه الرئيس اليوغوسلافي الخطوط الكبرى لمشروعه . ولما ذكر ديميتروف بواجبه ، اعترف بخطئه . ولكن تيتو رفض رفضاً باتاً عرض اتحاد موسع باشتراك الاتحاد السوفياتي واثمراف الكرملن .

وهذا هو النص الذي وضعه ستالين في المؤتمر السوفياتي - البلغاري - اليوغوسلافي المنعقد في موسكو ، في ١٠ شباط ١٩٤٨ . وقد رفض تيتو حضوره وارسل في هذه المرة ، كارديلي مكانه . وهذا العمل الفظيع الخالف للنظام ، حسب اخلاق ستالين ، يدعو الى عقوبة تكون عبرة لغيرها . وبعد

بضعة أيام الغى المفاوضة التي كانت يجب أن تفتتح في نيسان لتجديد الاتفاق الاقتصادي السوفياتي - اليوغوسلافي . وفي ١٨ آذار ، استدعى مشاوريه العسكريين ، وضاعفت مصالح استعلاماته نشاطها في يوغوسلافيا . وقام النزاع بين اثناء الحديد وانهاء الحزف . وعلى عكس المنتظر كان النصر لهذا الأخير .

في ٢٠ حزيران ، دعا ستالين الى عقد الكومنفرم في بخارست ، ولعل تيتو بغيا به اكثر من أي وقت مضى ، ولم يكثر بأن يأخذ فيه موقف المتهم . وفي ٢٨ حزيران ، وافقت جميع الوفود الحاضرة منقادة على القرار الذي يشهر بالمرطقة التيتية ، وشجبت الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي خان النظرية الماركسية في نزاع الطبقات ، وقومية موجبه واتهامهم المذهب ، والطابع الاستبدادي والارهابي لنظام بلغراد الذي اخرج من الأسرة الاشتراكية الكبرى . وقد اسفح هذا الحرمان الكبير بنصيحة مخاللة الى عنوان الحزب الشيوعي اليوغوسلافي تدعوه الى اتخاذ سادة جدد له . وهكذا تمت القطيعة بين يوغوسلافيا والديمقراطيات الشعبية . اما من جهة ستالين فلم يقتصر على التهديدات الافلاطونية ، ونظم عملاؤه في بلغراد حركة عسكرية ضلع فيها ثلاثة جنرالات ، وكان احدهم جوفانوفيك رئيس الاركان السابق ، فقد قتل في مشادة ، ووقوف رفيقاه واعدما رمياً بالرصاص . لأن الشعب والجيش اليوغوسلافيين ظلا متعدين انحداداً وثيقاً وراء تيتو ، بالرغم من نضائح الكومنفرم .

واخفق الانقلاب وساد جو الحرب الباردة في هذا القطاع الاوربي حيث كانت الضغوط الاقتصادية تتزايد بشكل يعاكس يوغوسلافيا، وتعددت حوادث الحدود حيث انطلقت الدعاية بعنف تظهر تيتو عميلاً متلبساً -

تروتسكياً . وعندئذ ودون ان ينكر قيتو شيئاً من مبادئه تقرب من الغرب ، وبخاصة من الولايات المتحدة ، التي سجلت امم يوغوسلافيا على برنامج المساعدة الأجنبية وانقذتها من الاختناق والعوز وسلمتها أول تجهيزاتها الصناعية . وقد عجز كل ثقل الاتحاد السوفياتي وتابعيه عن سحق قيتو وقهر ارادته في الاستقلال .

وبعد وفاة ستالين ، ذهب خلفاؤه ، في أيار ١٩٥٥ ، الى بلغراد لتقديم الاحترام ، الذي يمز القلوب والمشاعر ، الى الزعيم اليوغوسلافي ، ثم تبعم موجهر الجمهوريات الشعبية كلها وبادروا بعقد العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الهرطقي ، ولم يتورع بعضهم من المناداة بـ « ثبتيّة » متكيفة مع بلدهم الخاص .

### الارث الثقيل

وبعد ان لمع قيتو في العام ١٩٤٨ ، وجه شؤون بلاده بقوة أثبت بما في الماضي . ففي الداخل ، وبينما كان بعضهم يتساءلون ايضاً عن مناسبة تحرير النظام ، لم يتردد ، في الأول من تموز ١٩٦٦ ، في تضحية الكسندو وانكوفيتش ، نائب رئيس الجمهورية ، المعتبر على العموم ولياً لعهده ، الذي وضع نفسه علناً زعيماً لصف الحط « القاسي » في الحزب . وتابع تجربته حتى انتخابات نيسان ١٩٦٧ ، حيث قبل للمرة الاولى مرشحون غير شيوعيين للشول أمام اعضاء بل رجال المناصب في الحزب .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، وقف الزعيم اليوغوسلافي الى جانب نهرو وجمال عبد الناصر ، زعيماً للحياد الايجابي . وبهذه الصفة ، رفض الانحياز في الحلاف الصيني - السوفياتي . وإذا شجب التدخل الامريكي في فيت - نام ، فقد حافظ على علاقات طيبة مع واشنطن . وابرم

اتفاقات ثقافية وتجارية مع الفاتيكان ، في ٢٥ حزيران ١٩٦٦ ، ومن ثم مع فرنسا ومعظم البلاد الرأسمالية . واهتم قبل كل شيء بالحفاظ على حرية عمله ، ولذا رفض الاشتراك في مؤتمر الأحزاب الشيوعية الأوروبية المنعقد في كارلوفي - فاري ( كارلسباد ) ، في تشيكوسلوفاكيا ، في ٢٤ نيسان ١٩٦٧ ، حيث حددت سياسة مشتركة حيال المانيا ، وفيت - نام والصين التي أصبحت اعدى عدو الاتحاد السوفياتي . وأخيراً ، في ختام المفاوضات المتابعة في باريس ، من ٢٣ الى ٣١ كانون الثاني ١٩٦٨ ، اتفق على ان تتوطد علاقات دبلوماسية طبيعية بين يوغوسلافيا والمانيا الاتحادية . ولكن ربما حقق قيتو في مضمار الاقتصاد أعظم الاصلاحات في عهده الطويل .

ذلك لأن ملامح يوغوسلافيا تبدلت بشكل عميق منذ الحرب ، وليس بواقع تطورها السيامي فحسب . وتتألف اليوم جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية من ست دول وهي : صربيا ، كرواتيا ، والبوسنة والهرسك ، سلوفينيا ، ماكيدونيا ، والجبل الأسود ، وتغطي جميعاً ٢٥٥٨٠٤ كم<sup>٢</sup> وعدد نفوسها الكلي ١٩ر٥ مليون نسمة . وفي ظل النظام القديم كان ٧٠ ٪ من رعايا الملك يتعلقون بتراب الأرض التي يفلحونها في الغالب لحساب كبار ملاكي الأقطان . وتعطي بلغراد العاصمة منظر مدينة شرقية ضخمة . وتشغل الصناعة والتجارة والادارة العامة والحاصة في الوقت الحاضر اكثر من ٦٥ ٪ من الشعب العامل ، وتؤوي بلغراد مع احيائها المتطرفة ما يقارب المليون نسمة .

في الفترة الأولى ، شجع الاصلاح الزراعي على الاستغلال الجماعي التعاوني للأراضي . وقد شغل هذا الشكل الزراعي ١٦٠٠٠٠٠ نسمة في العام ١٩٥٣ .

ولم يكن ليمتد لأكثر من ٢٨٠٠٠ هكتار في العام ١٩٦٤ ، لأنه

رد ٨٥٪ من الأراضي القابلة للزراعة إلى القطاع الخاص . ولكن كل ملكية لا تستطيع أن تتجاوز ١٠ هكتار . وفي ١٩٦٥ كانت المحاصيل الزراعية الأساسية حسب أوزانها كما يلي : الحنطة ، الذرة ، الشمندر ، البطاطا ، التبغ .

وتشير النسبة العامة لزيادة المحصول الصناعي إلى الجهد في تجديد يوغوسلافيا . فقد كانت ١٦٪ في العام ١٩٦٤ بالنسبة إلى ١٩٦٣ ، و ١٠٪ في ١٩٦٥ بالنسبة للسنة السالفة . وأهم محاصيلها الأساسية هي : الفحم ، البترول ، الكهرباء ، الغاز ، الفولاذ ، النحاس ، الرصاص ، التوتياء ، الألومنيوم . وتحتل يوغوسلافيا المكان الثالث في أوربة في احتياطي البوكسيت ( خام الألومنيوم ) .

ويحسن أن نشير أيضاً إلى ثلاثة معاهد يوغوسلافية خاصة بالبحث النووي في بلغراد وزغرب وليوبليانا ، وإلى إنشاء أول مركز نووي قبل ١٩٧٠ .

أما مبادلات يوغوسلافيا التجارية مع بلاد الكتلة الشيوعية فقد سقطت عملياً إلى الصفر عقب مؤتمر بخارست ، في ١٩٤٨ ، ثم عادت ، منذ ذلك الحين ، دون الرغبة في الاقتصار عليها . وهكذا كان رقم الأعمال الكلي ٢٣٧٨٠٩ مليون دولار في ١٩٦٥ ، ونصيب الاتحاد السوفياتي فيه ٢٩٥٠٥ مليون فقط ، أي ١٢٠٤٪ ، ونصيب الولايات المتحدة ٢٥٢ مليون ( ١٠٠٥٪ ) ، ونصيب السوق المشتركة ٦٠٩ مليون ( ٢٥٠٦٪ ) ، ونصيب منطقة المبادلة الحرة ٢٩٧٠٦ مليون ( ١٢٠٥٪ ) وهو يتجاوز الاتحاد السوفياتي بقليل .

والنتيجة الواضحة لأزمة ١٩٤٨ كانت قي دفع تيتو ، قبل الموجهين الشيوعيين الآخرين ، إلى فتح الحوار مع الغرب . ولم يحصل المارشال

اليوغوسلافي من ذلك على فوائد مادية فحسب . ففي ١٩٥١ . كان مقتنعاً بأن تحرير بلاده لا يكون فعلياً إلا في الحلد الذي يحصل فيه على استقلاله الاقتصادي . ومنذ ذلك الحين ، وضع مشروع الاستغلال العقلاني لجميع مواردها بغية إنشاء صناعة وطنية هامة . وعلى الصعيد التقني والمالي ، جهزته الولايات المتحدة أولاً بوسائل هذا التغيير الجديد . ثم قام الاتحاد السوفياتي بديلاً في ١٩٥٦ ، عندما دفع غالباً ثمن مصالحته مع يوغوسلافيا . ووقعت عندئذ ثلاث وثائق في الكرملن : في ٦ كانون الثاني ، اتفاق تجاري يتعهد بموجبه الاتحاد السوفياتي بتسليم الجمهورية اليوغوسلافية أجهزة معامل ومهندسين مكلفين بنصبها . وفي ٢٨ كانون الثاني ، معاهدة تعاون في حقل الطاقة الذرية ؛ وفي ٣ شباط ، أخيراً ، اتفاق مالي تقبل بموجبه موسكو أن تعطي الصديقة العائدة بعد ضياعها قرضاً طويل الأجل ذهباً وعملة صعبة مقدارها ٣٠ مليون دولار ، واعتماداً ببضائع قيمتها ٥٤ مليون دولار .

ومضت عدة سنوات كانت ضرورية لحكومة بلغراد لتكييف نظامها مع متطلبات الاقتصاد الحديث . وإذا كانت يوغوسلافيا تريد أن تأخذ مكاناً بين الأمم المتطورة ، فيجب عليها ألا تؤمن حياتها فحسب ، بل أن تصدر قسماً من انتاجها . غير أن التطبيق الضيق للذهب الماركسي الذي فات أوانه ، والتخطيط الدقيق ، والبيروقراطية الثقيلة أعطت نتائج مخيبة ، ومحاصيل ضعيفة غير قابلة للبيع في السوق الدولية ، ومزارع ومشاريع صناعية وتجارية خامرة . وعندئذ أعاد تيتو الاعتبار إلى فكرة الربح . وفي ١٩٦٢ كانت الدولة تراقب بعد نشاط البلاد الاقتصادي ، وكان عليها أن تغطي العجز الدائم للمشاريع . وبعد أن أعادت حرية تملك الاراضي إلى الفلاحين ، لم تعد تقبض في العام ١٩٦٧ . إلا على ٣٠٪

من الدخل القومي . حتى ان هذه النسبة آخذة بالتناقص بسرعة . ولذا يجب على مجالس الشغيلة التي تدير المؤسسات الصناعية ودور التجارة أن تحقق منذ الآن أرباحاً جوهرية ، وإلا فإنها تفلس دون أن تستطيع الاعتماد على الدولة لانقاذها . ومن جهة أخرى ، زادت الحكومة بنسب عظيمة حجم وارداتها بغية تنشيط المنافسة على صعيد مزدوج من الكيفية والاسعار بين المنتجات القومية والاسعار في الخارج . وأخيراً ، طرحت على بساط البحث قضية السماح لتوظيف الأموال الأجنبية في يوغوسلافيا ، وهذا ما لم ير في بلد شيوعي . ومثل ذلك القول بأن يوغوسلافيا ، أولت ظهرها النظام الاشتراكي ، وسارت على طريق الاقتصاد الحر الذي اكتشفت من جديد فوائده . وهذا يعني ، في الواقع ، ثورة قلب بنيات البلاد كلها .

وكان ثلثو وحده قادراً على فرض ذلك على مواطنيه ، كما كان وحده قادراً على إبقاء سلطة السلطة المركزية أمام كل محاولة استقلال تقوم بها بعض جمهوريات الاتحاد ، وبخاتمة كرواثيا .



## الفصل التاسع

### الولايات المتحدة

#### الشروط العامة

كانت الولايات المتحدة ، في العام ١٩٤٥ ، أول دولة في العالم بقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وما زالت كذلك ، وهي اليوم أكثر من أي وقت مضى .

وإذا بدا أن البلاد المهيأة للمساك بمثل هذا الدور قليلة ، فذلك لأن عدم الخبرة هذا يوضع تردد وحيرة سياستها على الصعيد الدولي من ١٩٤٥ إلى أباننا .

وإذا وجد تقليد دائم في تاريخها منذ أصولها الاستعمارية حتى بداية عصرنا ، فذلك هو بقاؤها بعيدة جانباً عن شؤون القارات الأخرى . وقد هيأها انعزالها الجغرافي من قبل لذلك . وهذه هي النصيحة التي تركها الرئيس واشنطن قبل مغادرته الحياة إلى الأمة التي أسسها . وبعد قليل ، أصبحت النصيحة مذهب مونرو الشهير .

#### الاصمحاء الاميركي

وتشكلت هذه العقلية وكبرت في كل جيل بدفقات جديدة من المهاجرين واللاجئين ، وقويت بانعكاسات حروب جديدة وثورات جديدة ، ومن الممكن أن نواها واعية كثيراً أو قليلاً ، وراء رأس معظم الاميركيين اليوم .

والولايات المتحدة ، كما يدل عليها اسمها ، اتحاد ولايات « دول » ، وكل ولاية بذاتها هي اتحاد عدد من الوحدات المدنية أو الريفية ، وكل واحدة من هذه الوحدات هي اتحاد أمر ، وكل أمرة هي اتحاد افراد ، على الأقل نظرياً . وفي كل درجة من تسلسل هذه الفئات يحق لكل عضو أن يستعيد حريته واستقلاله . والسلطة التي لا غنى عنها عملياً للحفاظ على الحياة الاجتماعية وعلى حماية الجميع يجب أن تخفض إلى الحد الأدنى الدقيق ، وأن تبقى تحت الاشراف المستديم لكل واحد . وهكذا ، على الأقل ، كان الرئيس جفرسون يأمل في السنوات الاولى للجمهورية . وقد دفعت الظروف الحكومة الاتحادية إلى توسيع اختصاصاتها ، وماقتت هذه النزعة تعظم ، بتسارع متزايد حتى أيامنا . وما بقي على الأقل من ذلك هو أن الحياة السياسية ما زالت تعتبر اليوم من معظم الاميركيين نشاطاً اضافياً ثانوياً ، لا يمكن اجتنابه حقاً ، ولكنه مشبوه ويحسن احتواؤه في حدود ضيقة .

إن « عمل اميركا هو عمل » وهذا يعني « أن عمل اميركا هو عمل أعمال » . وهذه الحكمة التي نطق بها كالفن كوليدج ، رئيس الولايات المتحدة من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٨ ، توجز جيداً موقف كافة الشعب الاميريكي ، مع هذا التضمن الطهراني الأصل ، وهو أن عمل الانسان لذاته ما زال أفضل واسطة للعمل صالحاً للآخرين والله . وعلى العموم ، وحتى هذه السنوات الأخيرة ، يوجد عند المواطنين في الولايات المتحدة انطباع في أن بلادهم كانت تنتقل في تاريخها القصير من نجاح إلى نجاح . فلقد نجح معمر القرن السابع عشر في التآصل على أرض قليلة الترحيب . ودفع أنسألم المحتلين الأوائل ، وفتحوا الغرب للحضارة ، وأمنوا استقلالهم عن أوربة وحافظوا على وحدتهم ، ونمو مواردهم دون توقف ، ورفعوا

مستواهم المتوسط في الانتاج والاستهلاك إلى مستويات هائلة مجهولة في غير مكان ، أى انهم بالاجمال أقاموا فردوساً أرضياً جديداً ، أو ما يشبهه ، وكل هذا مع الحفاظ في الحد الأدنى على اتصالاتهم مع القارات الأخرى . وبالأسف ، تعقدت الحالة في بداية القرن العشرين . وعن غرق أو خطأ أو قدر محتوم وجدت الولايات المتحدة نفسها شيئاً فشيئاً في أزمات وخطوات أوربة وآسيا . وكانت بعد كل تدخل ، تحلف بالآ تعيد ، فتقع بعد قليل في محنة أعظم ، وفي غضون ذلك ، صغرت التقنيات الحديثة في الثقليات والمواصلات العالم ، وأمكن التساؤل ما إذا كانت الحكمة الالهية أو القدر قد هما لهذه البلاد مهمة اسعاد البشرية كما أسعدت نفسها .

والاميركيون كلهم ، عملياً ، ذرائعيون ومتفائلون . وكلهم يثقون بأنفسهم ، وأكثر من ذلك أيضاً ، بوطنهم . ولا يوجد عندهم ملشقون ، ولا أنصار العودة إلى الماضي أو القفزة نحو المستقبل . انهم يعيشون في حاضر مرمدي . وكلهم متفقون على أن يقبلوا بأن أفضل شكل للحكم إنما هو دستورهم الجليل لعام ١٧٨٧ : الذي سن لأمة ناشئة نفوسها ٤ ملايين نسمة متناثرين على طول المحيط الاطلسي ، ويصلح دوماً ، على ما يظهر ، لشعب يصبح بعد قليل ٢٠٠ مليون نسمة منتشرين عبر القارة الاميركية ونحت تصرفهم وحدهم ثلث موارد الكوكب . ويعترفون جميعاً باحترام كبير للملكية الخاصة وبزيادة الافراد الحرة ، ولا يقبلون لكليهما حدوداً أخرى غير الحدود التي تفرضها المصلحة العامة . وهم ، دون ان يكونوا جميعاً ممارسين للعبادة ، يتركون حرية التصرف الكاملة لنشاط مختلف الكنائس ، ولجميعهم يأبون على كل منها أقل نجدة من الدولة . وباختصار ، ان القضايا التي تفصل إلى اليوم الفرنسيين إلى معسكرات

غير قابلة للمسألة ، نجد الاميريكيين فيها على اتفاق في الحفاظ على النظم ( المؤسسات ) والمبادئ التي تبدو لهم أنها أمنت سلامهم وسعادتهم وتقدمهم منذ بدايات حياتهم القومية .

### حزب الجمهوريين والديموقراطيين

ومع ذلك ، فمن هذه الأصول نفسها يبدو المواطنون في الولايات المتحدة منقسمين إلى حزبين بدلا اسمها ، وتبادلا اسمها في سياق القرن التاسع عشر ، ولكن العالم كله يعرف منذ مائة سنة ان الحزب الجمهوري كالحزب الديموقراطي . فيها يتنازعان بضراوة على جميع الوظائف العامة ، من رئاسة الجمهورية حتى الوظائف البلدية والقضائية والمدرسية الغامضة . ويبدو من المستحيل أيضاً على المراقب الأجنبي ان ينكر اهمية هذا الانقسام المديد وان يفهم على وجه الصحة سبب وجوده .

وفي الواقع ، ان كلا من هذين التشكيلين السياسيين ينقسم على معظم القضايا الكبرى ، وان كثيراً من قرارات الكونغرس يحصل عليها بائتلاف بعض الجمهوريين وبعض الديموقراطيين على ائتلاف معارض من جمهوريين آخرين وديموقراطيين آخرين .

ومن الممكن أن يشبه جملة الحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي بما كان عليه حزب المقاومة وحزب الحوكة في فرنسا لوي - فليب . فقد مثل الجمهوريون كثيراً أو قليلاً كبار الأثرياء ، أغنياء الناس ، أو على الأقل الراخين عن مصيرهم ، والمتحدين من العائلات القديمة الانغلو-ماكسونية والطهرانية وكل من يريدون التعلق بذلك ، وكلهم يرغبون ان يبقوا القادمين الجدد والقارين من الأكراخ والغيتو من اوروبا الوسطى والمتوسطة والشرقية بعيدين عن الثروة والسلطة أطول ما يمكن من الوقت . وكان

هؤلاء يتكدسون في الأحياء الصناعية في المدن الكبرى ، حيث يجرحهم  
الارلنديون ، المستهدفون قبل وصولهم لنفس الأغراض ، في تشكيلات الحزب  
الديموقراطي ، حزب فقراء الناس الطامعين في العمل والتسليف والمرتابين  
بقوة بأصحاب المصارف والرأسماليين الآخرين في استغلال رؤسهم .

وعلى نقض هؤلاء المغسولين بشكل مهيء ، وهم في معظمهم من الكاثوليك ،  
او فضلاً عن ذلك من اليهود ، شكل رواد سهول الغرب ، أعداء رجال  
الأعمال جمهوري الشاطئ الاطلسي ، جناحاً تقدماً وفي الغالب منشقاً ،  
في الحزب الجمهوري ، بينما كان بيض الجنوب ، غير القادرين على هضم الاخفاق  
والسيطرة الذين فرضها حزب لنكولن عليهم ، عقب حرب الانفصال ،  
يؤلفون الحرس القديم المحافظ ان لم يكن الرجعي في حزب الديموقراطيين . وهذه  
التناقضات مازالت إلى اليوم في داخل كل من التشكيلين ، وكل منها  
يعاني عتناً كبيراً ، في أيام الانتخابات ، في بناء واجهة تخفي كثيراً  
أو قليلاً اختلافاته الداخلية . ولايسكاد الانتخاب يربح أو يخسر الا  
والاشياع المتعارضة تعود إلى المنازعة على أرباح النصر أو طرح  
مسؤوليات الاخفاق على عاتقها من جديد .

وربما حان الوقت الذي تتمحي فيه شيئاً فشيئاً البقايا التاريخية ،  
ويتغلى محافظو الجنوب عن العنوان الديموقراطي ليتبنوا العنوان الجمهوري  
الذي يوافقهم بشكل أفضل ، بينما الجمهوريون الأحرار والتقدميون ، وهم  
نوع نادر جداً - بشابعون الديموقراطيين . وهكذا يتوطد أخيراً حزبان  
متجانسان تقريباً ، ويستجيب كل منهما لمواقف متناقضة ، ولكنها مفيدة  
أيضاً ، في الطبيعة البشرية : الميل إلى التجديد والميل إلى المحافظة .

ولما نصل إلى هذا الحد ، وربما لزم الكثير ، وربما لانصل اليه ابداً ، لأن ، الفروق الاجتماعية وتباين المصالح بين الاميركيين ما فتئت تتناقص . وسنرى ان الزوج يمكنهم أيضاً أن يشكو من معاملة البيض لهم كوضعين . وقد أخذ الحزب الديمقراطي على نفسه قضيتهم والسهر على التطبيق التدريجي للقوانين السنوية لصالحهم ، ليؤمن لنفسه أصواتهم ، ولكنه يجازف بضائع أصوات عدد عظيم من « فقراء البيض » القلقين من تقدم الجنس الذي ظل طويلاً تحت الثير . وعلى هؤلاء الأخيرين أن يلقوا المسؤولية على أنفسهم إذا كان مصيرهم لا يتجاوب مع رغباتهم . ومن له عمل في الولايات المتحدة يقضي حياة تكاد تبدو مقبولة عند ثلاثة أرباع البشرية . ومن الواضح أن مصيره يتعلق بثبات استخدامه وبقاء قوته الشرائية ، ولكن الاميركي المتوسط ، على وجه الدقة ، يشبه في ذلك ، كثيراً من المأجورين في البلاد الأخرى ، ويرى شيئاً فشيئاً أن أمنه الاقتصادي والمالي لا يعتمد على الوعود ، حتى ولا على انجازات هذا الحزب السيامي أو ذاك . وهو يشعر ، عن حق أو باطل ، بتضامن فعلي بين المستخدمين والمستخدمين ، وبأنهم كلهم معلقون على سفينة واحدة معرضة كثيراً أو قليلاً لنفس الأخطار . وعلى خبراء الرأسمالية أن يناقشوا أفضل الحلول الفنية الممكنة مع خبراء النقابات وخبراء الحكومة الذين يمكن عند المناسبة أن يكونوا حكماً .

### القضايا الحديثة العهد

وكل هذا صحيح عن رقابة سياسة الولايات المتحدة الداخلية . ومن حين لآخر تقوم مشكلة أو تهدد بالقياس ، وتوشك أن تعكر خبل الاحزاب . وهكذا ، عند انتخاب جون كينيدي ، وهو أول كاثوليكي

رفع إلى رئاسة الولايات المتحدة ، قامت ا كثرية من أبناء دينه بدفعها رجال الكنيسة ، وبدأت مستعدة للمطالبة بمساعدات من الدولة اصالح المدارس الحرة غير أن موقف المنتخب الجديد المعادي بصراحة لكل تدبير من هذا النوع قطع دابر هذه المحاولة التي منبت بفشل محقق ، لأنها خالفت عاطفة الا كثرية البروتستانتية في البلاد والتقاليد القومية في الفصل الكامل بين الكنائس والدولة ولا شيء يناوئ الامير كين ا كثر من اثاره نقاش لا يؤدي بالتأ كيد إلا إلى تعكير الوحدة المعنوية للأمة . وبالمقابل ، هناك قضيتان في السياسة الداخلية استمرت الرأي العام الاميركي من ١٩٤٥ الى ١٩٦٥ :

١ - الاولى ، هل يمكن للانسان أن يكون شيوعياً ، أو في تعاطف مع الأفكار الشيوعية ، ويعامل كمواطن اميركي كامل الحق ؟

٢ - الثانية ، ألم يحن الوقت في الواقع لتأمين المساواة المدرسية والاقتصادية والاجتماعية والانتخابية إلى الاقلية السوداء التي يخولها إياها الدستور الاتحادي من حيث المبدأ ، وبعد أليس من حق الحكومة الاتحادية وواجبها أن أن تفرض هذه المساواة على دول الجنوب التي ترفضها ؟

وفي هاتين القضيتين ، كما في ككثير غيرهما ، انقسم كل من الحزبين الكبيرين . وتشكلت أ كثرية تركيبة هجينة معادية للمساواة في المعاملة بين الشيوعيين وغير الشيوعيين وملائمة للمساواة في المعاملة بين السود والبيض . وقد اهتم المواطنون في الولايات المتحدة بهاتين القضيتين ا كثر بكثير من اهتمامهم بمناقب ومثالب الحزبين الجمهوري والديمقراطي .

ولم يكن في هذا ا كبر تجديد عظيم في السياسة الاميركية انطلاقاً

من ١٩٤٥ ، بل في وضع الولايات المتحدة اول دولة في العالم ، عندما خرجت من الحرب العالمية الثانية . ولقد كانت ايضاً اول دولة اقتصادية ، دون منازع ، منذ آخر الحرب العالمية الاولى ، ان لم تكن من قبل . وبالرغم من جميع جهودها ، لم تستطع منذ ذاك الحين ان تبقى خارجة عن القضايا السياسية في الكوكب وفي اوربه بخاصة . وان رجال الأعمال فيها يعلمون بالتجربة ، كيف أن الاقتصاد والسياسة كانا مرتبطين ، على هذه القارة الصغيرة المضطربة دوماً . وقد أثبتت الأمة بمجموعها أن تستيقظ على الاخطار المهددة ، ولزمت القنابل اليابانية على بيرل هاربور لانتزاعها من خيالها المراد .

وكانت الرغبة مريعة ، وبعد مجهود حرب بقوة لا يمكن تصورها اضطرت الولايات المتحدة أن تكشف عن نفسها ، في ١٩٤٥ ، أول دولة في العالم ، أو بالاحرى الوحيدة أمام اكوام الدمار التي تغطي اوربه وآسيا . ولم تكن مهياة مطلقاً لهذه الحالة الجديدة التي أخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على حياتها في كل الأيام . غير أن تقلبات السياسة الدولية ، أكثر من ردود فعل الحكومة أو الرأي الاميري ، عينت المراحل الكبرى لسياسة الولايات المتحدة من ١٩٤٥ إلى أيامنا . ومن هنا خرجت عدة اكتشافات ، وخيبات وجهود . ومن الممكن دون كثير اصطناع أن يجعل إطار هذه السياسة الرئاسات الأربع التي توالى على الولايات المتحدة من وفاة فرنكلن روزفلت حتى أيامنا .



## ترومان او الحرب الباردة ( ١٩٤٥ - ١٩٥٢ )

### النصر

إن المانيا النازية ، التي سحقها القنابل ، واجتاحتها جيوش الحلفاء بشكل واسع ، كانت تقاوم عند وفاة الرئيس روزفلت ، في ١٢ نيسان ١٩٤٥ . وفجأة وجد على رأس أكبر أمة منتصرة سيامي اقليمي ، كان بالامس مجهولاً تقريباً ، وهو نائب الرئيس هاري ترومان . وقد اعترف ببساطة ، عند حلف اليمين عن اضطرابه والتباس الأمر عليه ، بأنه وجد نفسه فجأة مثقلاً بمسؤوليات ساحقة . فالحرب التي يجب انهاؤها ، والسلام الذي يجب توطيده والعودة إلى الحياة الطبيعية التي يجب تأمينها : انما هي أعمال ضخمة تكاد تكفيها سلطة روزفلت ونفوذه . وكان العالم كله يتوقع ، وغوبلز بأخر أمل ، والولايات المتحدة وحلفاؤها يخوف ، خرق وتردد القادم الجديد .

اقتصر هذا الرئيس في بادئ الأمر على اتباع التوجيهات التي اتخذها سلفه . وقبل أن تنتهي الحرب ، هيا روزفلت توطيد السلام بدفع حلفاء الولايات المتحدة إلى إنشاء مؤسسات ( نظم ) دولية مدعوة لأن تفتتح ، على وجه الاحتمال ، على كل أمم الكوكب ، لتسوية المشاكل السياسية والاقتصادية والمالية في العالم الجديد المراد تشكيله ، في تفاهم وتعاون عالميين . وستكون الولايات المتحدة ، بالطبع ، أهم عضو في هذه التجمعات المختلفة ، ويمكنها أن تجعل نفوذها من طرف خفي ملحوظاً . وهكذا انعقد ، في تموز ١٩٤٤ ، في بريتون وودز ، في هامبشاير الجديدة ، مؤتمر

دولي ضم ٤٤ دولة كلها عدوة للمحور : وقرر أن تقام في واشنطن مؤسستان ( نظامان ) ، مال نقدي دولي ليحفظ بعض التوازن ، بين نفوذ الدول الأعضاء ، وبنك دولي لاعمار وتنمية اقتصاداتها . وبعد قليل ، وضع بمثل الأربعة الكبار في فندق ديمبارتون - اوكس ، بالقرب من واشنطن ، مشروع منظمة الأمم المتحدة ليدرسه مؤتمر دولي مدعو للاجتماع ، في ٢٥ نيسان ١٩٤٥ ، في سان فرانسيسكو . وكان أول أعمال ترومان أن قرر بأن يفتح المؤتمر في التاريخ المضروب ، تحت رئاسة أمين الدولة الاميركية ستيتينيس . ومنه خرج ميثاق الأمم المتحدة ودخل حيز التنفيذ ، في ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٥ .

وفي غضون ذلك ، كان الاهتمام بانهاء الحرب العالمية ، بأقصى ما يمكن من السرعة ، يدفع ترومان إلى اتخاذ قرارات رئيسية . وكان تشرشل يريد لو أن آيزنهاور يدفع جيوشه نحو الشرق بكل مرعة وبصل إلى برلين قبل الروس . غير أن ترومان اتبع في ذلك رأي مشاوريه العسكريين ولم يشأ أن يكدر ستالين في شيء لأن مساندته قد تكون مفيدة لانهاء هزيمة اليابان . وأبطأت القوات الاميركية زحفها وتركت للسوفيائين شرف وفوائد دخولهم أوائل إلى برلين . وبعد أن تم استسلام الألمان ، بقي اخضاع اليابانيين ، وكانوا يقاومون بضراوة في جزيرة اوكيناوا . وبهذا الشكل سيكلف فتح القطع الصغيرة ، التي لا تعد في أرخبيل اليابان ، شهوراً إن لم يكن سنوات من القتال ، ومئات الالوف من الأرواح الاميركية . وعندئذ علم ترومان أن لدى الولايات المتحدة سلاحاً ذا قوة مرعبة وحامياً دون شك ، القنبلة الذرية .

هل يقدر الرئيس الجديد الخطورة الفائقة للمسؤولية التي تقع على عاتقه ؟

لقد ضغط عليه مستشاروه العسكريون لاستخدام السلاح الجديد بسرعة لتوفير الدم الاميركي ، وايضاً بعد البحث الدقيق ، الدم الياباني . ومن الممكن دون كثير تصور أن يسمع الاستنكار الذي يقوم ضده ، أمام قضيته مئات الألوف من الأرواح البريئة ، والمثل الذي يضربه في اللجوء إلى الارهاب ، أمام افتتاح عهد جديد للانسانية يقع تحت ضغط الدمار الكوني . وفي جميع الأحوال ، صنعَ مركزه بسرعة . وعليه ، كرئيس للولايات المتحدة ، أن يؤمن النصر أولاً وأن ينقذ حياة أبناء وطنه . لقد استعملت القنبلة . ويعتقد فوق ذلك أنه أوحى بأن يعطى إلى اليابان تظاهرة أولية بتخريباتها على سطح غير مأهول ، لحضها على استسلام مباشر . واعتبرت التجربة غير قابلة للتطبيق . وسقطت القنبلة على هيروشيما ، في ٦ آب ١٩٤٥ ، وعلى ناغازاكي في ٩ . وفي ١٠ منه طلب اليابانيون الصلح . وما كادت روسيا تعلن عليهم الحرب إلا واستسلموا في ١٥ آب . وسحقت آخر سلسلة للمحور .

ومن بين جميع الأمم الكبرى التي دخلت الحرب ، خرجت الولايات المتحدة وحدها وقوتها سليمة لم تمس ، أو بالأحرى متزايدة بشكل عظيم ، دون أي دمار على أرضها ، وقوية بانتاج وطني يساوي على الأقل ثلث الانتاج الكلي للكوكب ، وباحترار سلاح لا يقاوم . ولا شك في ان أي دولة ، في التاريخ ، في أي عهد مضى ، لم تمسك ، كالولايات المتحدة ، العالم كله تحت تصرفها .

وزالت الانعزالية القديمة تقريباً . إلا أن بعض الجمهوريين من الحرس القديم ، مثل الرئيس الأسبق هوفر ، والشيخ تافت ، كانوا يتكلمون وحدهم بالانعزال في الحصن الاميركي وترك باقي الكوكب يخلص نفسه من الورطة

قدر طاقته ، ولكن هذا الحصن الاميركي يضم ، في نظرم ، مواقع امامية ، اليابان ، فورموزا والفيليبين من جهة ، وبريطانيا العظمى من جهة أخرى . وعوضاً عن القيام هكذا بضم مقنع ، من الخير أن تدخل جميع أمم العالم شيئاً فشيئاً في المنظمة العالمية التي ولدت من جديد في سان فرانسيسكو .

وهذا ما عمل عليه ترومان ، وساعده في الكونغرس التفاهم ، في هذا الموضوع ، بين الديمقراطيين ومعظم الجمهوريين ، وكان هؤلاء تحت قيادة الشيخ آرثر هـ . فاندنبرغ ، من ميتشيغان . ولا شك في أن ميثاق الأمم المتحدة ، بغية تأمين نفاذ المنظمة الجديدة ، لم يعهد بدارتها الحقيقية إلى الجمعية ، اجتماع ممثلي جميع الدول الأعضاء ، بل إلى مجلس الأمن الذي لا يجلس فيه إلا مندوبو الدول الكبرى : الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي ، بريطانيا العظمى ، الصين الوطنية ، وأخيراً فرنسا ، التي خولت كل منها بحق الرفض ( الفيتو ) . وهذا الحكم الأخير يجعل من الضروري التعاون الواصل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وقد حاول ترومان أن يوطد هذا التعاون . ولكن أملة خاب في مؤتمر بوتسدام ( تموز ١٩٤٥ ) بعناد ستالين في معارضته لانتخابات حرة لترك مختلف دول أوربة الوسطى والشرقية ، التي تحتلها الجيوش الروسية ، أمر تسوية مصيرها . ولم يسعد رئيس الدولة السوفياتية ، كما يبدو ، أن يحتكر الاميركيون القنبلة الذرية . ولكن هذا غير مهم . لأن الولايات المتحدة الأمانة على السياسة التدويلية . شجعت ، في كانون الثاني ١٩٤٦ ، في الأمم المتحدة ، على تشكيل لجنة الطاقة الذرية ، وفي حزيران التالي اقترح ممثلها في هذه الهيئة ، برنارد باروخ ، على زملائه انشاء هيئة دولية تتلقى كل المعارف والمعلومات التي تتعلق بمصادر المواد الأولية الضرورية ومعامل الانتاج ، على أن يكون

كل ذلك ، ولا شك ، تحت الاشراف الدولي . و قد لكل دولة الاشراف على الأجهزة الواقعة على أرضها . و بادر الروس بالاجابة بعد بضعة أيام ( في ١٩ حزيران ١٩٤٦ ) . ولم يتأخر الجواب الاميركي كثيراً : لأن قانون ماكاهون ، الذي وافق عليه الكونغرس في شهر تموز ، يمنع الحكومة الاميركية تبليغ أسرار ذرية إلى كل دولة أجنبية . وفي ه آذار الفائت ، أعلم تشرشل ، كفرد عادي آنذاك ، ولكنه متوج بجاه النصر ، في خطاب ألقاه في كلية فولتون ( في ميسوري ) في ولاية الرئيس ترومان وفي حضرته ، وأندز العالم الحر ، والولايات المتحدة بخاصة ، « بأن ستاراً حديدياً أسدل على أوربة من شتيتين على الباطيك إلى ترستا على الأدرباتيك » .

### العودة الى السلام

وقدر الرأي الاميركي قليلاً ، في بادئ الأمر ، كلمات رجل الدولة العجوز المتشائمة ، الساخط ولا شك بسبب اخفاقه في الانتخابات ، وكانت عنده مشاغل أخرى في رأسه : إن ٩ ملايين من الرجال والنساء لا يطلبون إلا أن يسرحوا دون ابطاء ، جزعين إلى العودة إلى عائلاتهم وإلى مشاغلهم في زمن السلام . ومن المستحيل الاحتفاظ بهم يوماً أكثر تحت الاعلام ، ولكن هل سيجدون حالاً عمل أحلامهم ، بل وحتى شغلهم ، في بلد يتغير اقتصاده من اقتصاد الحرب إلى اقتصاد السلام ؟ ويرى الخبراء أن من غير الممكن اجتساب دور طويل من الأزمات والحلافات . ولكن الأشياء مورت بأفضل مما كان منتظراً لها ، وذلك ، جزئياً ، بفضل تدبير حكيم وكريم يخول كل جندي مسرح مبلغاً من المال يستعمله للقيام بعمل

أو ، في الغالب ، لتحسين ثقافته . وهكذا أفادت الحرب ، في آخر الأمر ، في رفع الاميركيين ذوي الموارد المتواضعة إلى مستوى الطبقة المتوسطة الفكري والاقتصادي ، والأصح من ذلك أنه جعل هذه الطبقة قاعدة اجتماعية ، ومن الفقر ، أو حتى من الضيق ، استثناء . وحطمت الشيوعية أسنانها على صخرة الرخاء الاميركي .

ومع ذلك ، وفي هذه السرعة في العودة إلى القيام بالأعمال ، كانت أخطار تخشى . لأن الحرب ضيقت الاقتصاد الاميركي في متاهة الاشراف على الاجور وعلى الاسعار التي يريد الجميع من أرباب العمل والعمال والمستهلكين الخروج منها بأقصى سرعة ، بعضهم عاجلون إلى زيادة أرباحهم وآخرون إلى زيادة مكاسبهم ، والأواخر للخلاص من السوق السوداء للمنتجات والسلع الغذائية المفقنة ، اللحم بخاصة ، والبطافة ، ولحم الآحاد المقدس جداً ، وغير الموجود منذ ١٩٤١ ، اللهم إلا بتعارفات اسطورية لا تصدق ! وكانت الحكومة تخشى على حق تضخماً نقدياً عداءً إذا رفعت جميع الحواجز معاً . وترى على الأقل الابقاء على مراقبة أسعار اللحم ، والسيارات ، والبيوت ، الضرورات الثلاث لكل حياة اميركية . وعيل صبر العمال . وفي شتاء ١٩٤٥ - ١٩٤٦ قامت الاضرابات الكثيفة في أوساط عمال السكك الحديدية وفي مناجم الفحم بخاصة ، وفاقت الحالة . وندرت البضائع ، وزادت الأسعار بالمقابل .

وما العمل أمام الصعوبات الداخلية وعداء روسيا السوفياتية ؟ لقد تردد ترومان وبدأ أنه عاجز . ورفع تافت والجمهوريون الانعزاليون رؤوسهم . فبادر الرئيس إلى العاجل أكثر من غيره وأمن تركيا بدعم الولايات المتحدة لها إذا ألح الروس بالاشراف على المضائق بين البحر الأسود

والمتوسط . وصرح ستالين رسمياً ببراءة أهدافه ولم يلع . وكانت الحالة في آسيا تفلق الاميركيين . وفي رأي روزفلت ومعظم أبناء وطنه يجب أن تؤدي الحرب إلى تصفية الامبراطوريات الاستعمارية التي كانت للدول الأوربية . وفي العام ١٩٤٦ ، لم يقرر الانكليز بعد تخويل الهند استقلالها ، بينما كان الهولنديون في اندونيسيا ، والفرنسيون في الهند الصينية ، تارة يتفاوضون مع -وكلارنو وهو - شي - منه ، وتارة يحاربونها ، ولم يكونوا مستعدين مطلقاً لأن يتركوا لها المكان .

وكانت اليابان تحت حكم الجنرال ماك آرثر ، وأخذت بدمقرطة نفسها ، على الأقل ظاهراً ، وتعاود شيئاً فشيئاً توطيد حياتها الاقتصادية بفضل ملايين ، وبعدها مليارات الدولارات التي خولها إياها فاتحوها . وحصلت الفلبين على استقلالها بحماسة مساوية ، في تموز ١٩٤٦ ، وعلى مساعدة مالية واسعة . وثبت الحصن الاميركي على هذا النحو مواقفه الامامية على شواطئ الهاديء الآسيوية .

وبقيت الصين ، هذه السوق الواسعة المدخرة للعديد من مئات الملايين البشرية ، التي بحث عنها منذ قرابة قرن الوف المبشرين المعمدانين والاصوليين ، وتوصدها الكثير من رجال الاعمال والوسطاء من كل جنس ، والتي خلصتها الهزيمة اليابانية من منافس خطر . وقد وجدت فيها قوتان مسلحتان تتجهان :

١ - قوة تشانغ - كاي - تشيك ، الرئيس الرسمي للبلاد الحرة والمُعترف به ، كما هو ، من قبل روسيا والولايات المتحدة ، والقوي بمساندة أصحاب المصارف والمرايين والتجار .

٣ - قوة ماوتسميه - تونغ ، غير القادر على أن يضع في خط القتال جيوشاً مجهزة جيداً ، ولكنه يعد الفلاحين بالارض وبالهدف من استغلالهم لها ، ويدفع عصاباته في كل مكان بمشاركتهم . وكان الاميركيون المتعصبون ضد الشيوعية يريدون أن يفرضوا بكل الوسائل انتصار تشانغ ؛ أما الذين يعرفون الحالة في الميدان فيحددون اطباعهم على إبقاء شيء من التوازن بين المعسكرين . وهذا ما سعى اليه الجنرال مارشال جهده طوال السنة ١٩٤٦ .

وفي جميع الاحوال ، لم يحل شيء في أي مكان ، لافي العودة إلى الحياة العادية في الولايات المتحدة ، ولا إلا توازن أوربا وآسيا بين الخير و الشر ، الحرية والظلم ، امريكا وروسيا .

ودنا موعد انتخابات تشرين الثاني التشريعية . وخاب ظن الرأي العام ولم يعد يثق برئيسه . وقد أثنى وزير التجارة ، هنري والس ، وهو نائب رئيس سابق في عهد روزفلت ، على سياسة التعاون الوثيقة مع السوفييتيين . فانكر عليه ترومان رأيه واضطر إلى الاستقالة ، في ايلول ١٩٤٦ ، وفصل عن الديموقراطيين الرسميين عددا من الناضحين الاحرار والتقدميين ، فساعد بذلك على انتصار الجمهوريين الذين حصلوا في تشرين الثاني ١٩٤٦ ، على ٥٣.٥٪ من الاصوات وعلى ٢٤٥ مقعداً في مجلس الممثلين مقابل ١٨٨ للديموقراطيين .

ووجد ترومان في صعوبة أمام مؤتمر للجمهوريين . وأكد مع ذلك وفاءه لحزبه بتطبيق قانون الاستخدام أو ميثاق الاستخدام الكامل ، الذي أعلن مسؤولية الحكومة في الحفاظ على النشاط الاقتصادي . وظهرت هيئتان جديدتان ، لجنة المستشارين الاقتصاديين التي وضعت



لدى الرئيس ، ولجنة القضايا الاقتصادية المسكفة بانارة الكونغرس . وكلاهما متفقتان على الاجراء بالغاء مراقبة الاسعار ، وصمم ترومان على أن يفعل شيئاً ، خشية من إثارة ارتفاع في الاسعار لا يقف ويجعله الرأي مسؤولاً عنه . وهددت الاضرابات من جديد . وأخطرها ، اضراب الفحم ، وقد جنب بدقة ، ولكن الجمهوريين المحافظين أفادوا من عداء الطبقة الوسطى لهذا الموضوع ليمروا بواسطة الكونغرس ، رغم رفض الرئيس ومعارضة المراكز النقابية ، ميثاق - ثافت - هادلي ( حزيران ١٩٤٧ ) ، وهو ينتزع حق الاضراب من الموظفين ويسمح للرئيس والكونغرس بتعليق تطبيقه على العمال الآخرين . وبصورة أكثر بناء ، خول أكبر مشروع صناعي في البلاد ، الجزائرال موتورز ، إلى عماله ، بناء على طلب الزعيم النقابي والتر رويثر ، عقود أجور تنص على إعادة نظر وزيادات آلية تبعاً لارتفاع سعر الحياة . وتبع هذا المثل تقريباً كثير من الشركات الاميركية التي اعتادت أن تتفاوض على هذا النحو مع النقابات المعنية بمعااهدات حقيقية ندأً لند . حتى ان الاضرابات ، التي كانت تنظر اليها القواتان نظرة سوء ، أصبحت هذه نادرة تدريجاً . وردت حكومة ترومان إلى دور المراقب ، ففقدت ، على ما يبدو ، اهتمام الجميع ، ارباب العمل والعمال والجمهوريين والديموقراطيين . وحاولت مع ذلك الحفاظ على شعبيتها لدى الاقليات المحرومة ، الزوج ، فقراء البيض ، العاطلين عن العمل ، والاشخاص المسنين باعلانهم بعد البرنامج الجديد ، الذي أعلنه روزفلت ، البرنامج العادل ، الذي ينص على أن توزيع البطاقات لا يكفي وانه ينبغي السهر على توزيعها العادل بين الجميع . ما من شك ، ولكن كيف الوصول إلى ذلك مع كونغرس معاد ؟

## مساعدة البعرة الحرة

لقد أظهرت الحكومة في السياسة الخارجية الكثير من الوضوح في قراراتها . ومن العبت تغذية الاوهام بطيب ارادة السوفياتين بعد اخفاق مؤتمر موسكو في مصير المانيا ( آذار ١٩٤٧ ) . لقد كانت الولايات المتحدة في معارضة مع الاتحاد السوفياتي على سطح الكرة كله ، في المانيا ، في اليونان ، في ايران مثلاً ، اكثر مما في الصين ، حيث لم يبد ستالين الحكيم عجباً في ان يرى ماو يتغلب على تشانغ . وفي نيسان ١٩٤٧ ، فقط اطلق برنارد باروخ تعبيراً اشتهر بسرعة وهو « الحرب الباردة » ليصف هذه المجابهة ، ولكن هذه الحرب بدأت قبل بضعة أشهر ، عندما فهمت الحكومة الاميركية أخيراً ان الاتحاد السوفياتي لا يرى مطلقاً ان يرخي زمام سيطرته على اوروبا الشرقية ، و المانيا الشرقية بخاصة .

وفي ١٢ آذار ١٩٤٧ ، اعلن ترومان امام الكونغرس « ان ما يجب أن يكون عليه سياسة الولايات المتحدة هو مساعدة الشعوب الحرة التي تقاوم اما محاولات اقلية مسلحة ، واما خصوصاً أجانب لاخضاعهم ، ولم تتأخر تطبيقات « مذهب ترومان » . ففي اليونان ، كانت الحكومة الملكية تناضل بشقة ضد العصابات الشيوعية التي تدعمها البلاد المجاورة . ولم تكن بريطانيا - العظمى قادرة على مساعدتها . فأخذت الولايات المتحدة بعزم مكانها ، وصفت بحج الثورة الشيوعية ، في تشرين الأول ١٩٤٩ . وكذلك أخلى السوفياتيون شمال ايران ، حيث كانوا يريدون الاقامة .

ومع ذلك فقد كانت الوقاية من الطاعون الاحمر افضل من اشفاء بعض الحالات هنا وهناك . وفي حزيران ١٩٤٧ ، لقي أمين دولة ترومان ،

الجنرال مارشل ، من فوق رؤوس الحريجين الجدد من جامعة هارفرد ، إلى العالم أجمع ، خطاباً عرض فيه على جميع شعوب أوربة مشروع مساعدة اقتصادية تقومها الولايات المتحدة ، وبين بأنها ستأخذ الاعتمادات الضرورية لتموينها بالمواد الأولية ، ومصادر الطاقة ، والآلات ، وباختصار بكل ما هي بحاجة اليه لاعادة بناء وتجديد اجهزتها ، بشرط واحد ، وذلك بأن تعهد بطلباتها المفصلة إلى مشاريع اميركية . انه كرم محسوب ، ولاشك ، ولكنه كرم لاسابق له ، ولاغنى عنه لنهوض أوربه الغربية . ولذا لم تتردد هذه الدول بقبول اليد الممدودة . ووجه العرض ايضاً إلى روسيا وتوابعها . وكانت تشيكوسلوفاكيا تأمل في الحصول على ترخيص بالافادة منه . وبدا أن مولوتوف تردد ثلاثة أسابيع في الموقف الذي يجب اتخاذه . وأخيراً ، رفض ، في ٢ تموز ١٩٤٧ ، مشروع مارشل ، واضطرت الدول التابعة أن تحذو حذوه طوعاً أو كرهاً .

وانشئت هيئة تضم امريكا والدول الأوربية التي قبلت المشروع ، المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادي ، لتتابع وتراقب تقدم نهوض أوربة . وتصلبت مباشرة الكتل المعادية . ففي غربي أوربة ، طردت الأحزاب الشيوعية ، في ١٩٤٧ ، من حكومات : بلجيكا ، فرنسا ، والنمسا . وفي الشرق ، اتحدت الكتل وشكلت ، في ايلول ١٩٤٧ ، مكتب الاستعلام الشيوعي أو الكومنفرودم . وأخفقت آخر محاولة للأربعة الكبار للتفاهم في مؤتمر لندن العاشر ، في كانون الأول ١٩٤٧ . واراد السوفييتون بعد قليل أن يقطعوا برلين عن المانيا الغربية ، في ٢٤ حزيران ١٩٤٨ : فردت الولايات المتحدة بتنظيم جسر جوي يؤمن تموين المدينة بالاغذية والحروقات . وهذا الطاقة التي برهنت عليها الولايات المتحدة

في اوروبا هل ستحول انتباهها عن الصين حيث ظل تشانغ خلال السنتين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ يستنفد قواه بهجومات دون جدوى ؟ فقد توصل غالباً إلى أخذ أو إلى استعادة المدن الكبرى ، ولكن ماو بقي سيد الأرياف واستولى على قسم عظيم من العتاد العسكري لحصمه ، اما في ساحات القتال ، واما بالتفاوض مع الجنرالات الخونة . واستولى الشيوعيون على كل مانشوريا وهددوا بكين عن كثب .

ولم يكن الرأي الامريكي ليفكر حينذاك الا بانتخابات الرئاسة في تشرين الثاني ، وفقد ترومان كل سلطة حتى لدى أصدقائه . اما الجمهوريون المحافظون الذين يقودهم تافت فقد عارضوا عبثاً تصديق الكونغرس على مشروع مارشل الذي حصل عليه بمساعدة الشيخ فاند نبرغ . ووضع القانون العسكري الاصطفائي ، الذي صوت عليه في حزيران ١٩٤٨ ، لأول مرة في زمن السلام ، الخدمة الاجبارية ، كبدأ عام ، ولكن تطبيقه ترك إلى السلطات المحلية ، وقد تضمن عدة استثناءات محددة قليلاً أو كثيراً ، وخرجت عنه تفاوتات في المعاملة من مكتب لآخر ، عند سوق الجنود .

ويبدو ان هذه الجهود لم تجنب اخطاراً خطيرة لحرب في اوروبا وفتح شيوعي في آسيا . فضلاً عن ذلك بدأت تظهر آثار التأخر الاقتصادي الذي أدى في ١٩٤٩ الى انخفاض ٩٪ من الانتاج الصناعي . وكان الجمهوريون مطمئنين من الفوز بالرئاسة ، وانتخبوا عوضاً عن تافت ، الملمحوظ كثيراً جداً ، مرشحاً ، حاكم دولة نيويورك ، توماس ادموند ديوي ، وكان له اعتباره في وول ستريت ، حتى انه كاد يظهر على روزفلت في ١٩٤٤ . وارد الديمقراطيون ان يبرزوا بطلاً اكثر شعبية من ترومان ،

ولكن كان من الصعب ابعاد الرئيس الخارج . ولا أحد غيره كان يرجو الذهاب الى فشل محقق . وقد اكد سبر الرأي العام الشائع آنذاك الذي وضعه الصحافي والاحصائي جودج غالوب قنبوات كل واحد وقنبوات الجميع .

### اعادة انتخاب ترومان ( تشرين الثاني ١٩٤٨ )

وجد رجل واحد لم يوافق على هذا الموضوع ، وهو ترومان نفسه . فقد رمى بنفسه في حملة بائسة على الطريقة القديمة ، واخذ يوقف قطاره في اصغر المحطات ، متوجهاً بلغة بسيطة الى الناس السذج فيسمعونه ، بينما كان ديوي يكتفي بخطب في الراديو ، ويهنيء نفسه بانتصاره . ويبدو أن حظّه كان عظيماً ، حتى ان مرشحين ، الشيخ ثورمون ، بطل بيض الجنوب ضد سلطة الحكومة الاتحادية ، ونائب الرئيس السابق ، هنري والاس ، حامل لواء التقدميين المتعاطفين كثيراً أو قليلاً مع السوفييتين ، كادا ينتزعان بالتاكيد من ترومان عدداً عظيماً من الأصوات . وهذا مافعله ، ولكن الرئيس الخارج اعيد انتخابه باكثر من ٢٤ مليون صوت شعبي و ٣٠٣ أصوات انتخابية ، مقابل ٢٢ مليون صوت و ١٨٩ صوت انتخابي الى ديوي . وتفوق عليه ثورموند في اربع ولايات جنوبية قديمة ( الاباما ، لويزيانا ، مسيسيبي ، كارولينا الجنوبية ) ، ودون ان ينتزع والاس أي ولاية جمع مثله اكثر من مليون صوت . ومع ذلك ، فإن كتلة صغار الناس غير المحظوظة كثيراً أو قليلاً ، من فلاحين على شفا الافلاس غالباً ، وعمال غير مختصين ، وزنوج ، وكاثوليك ، ويهود قلبي الموارد وقلبي الاعتماد ايضاً ، أفادوا من البرنامج الجديد وكانوا يعتمدون على البرنامج العادل لتحسين وضعهم ، ظلت وفية لترومان وأمنت انتصاره على اناس محترمين وراخين عن أنفسهم على طريقة ديوي .

وقد قوي الرئيس بهذه السلطة المكتسبة على هذا النحو ، وتمكن ، على ما يبدو ، أن يعتمد ، فوق ذلك ، على تعاون الكونغرس ، حيث استعاد الديمقراطيون الاكثوية . ولم يتوصل ، مع ذلك ، الى الغاء ، حتى ولا الى تغيير قانون ثافت - هارثلي ، حيوان النقابات الأسود ( أبغض لإنسان إلى النقابات ) ، وعندما طلب في الكونغرس الاعتراف بحقوق الملونين المدنية ، اصطدم بمعارضة ديمقراطيي الجنوب الذين وحدوا مصالحهم مع مصالح الاقلية الجمهورية . وبالمقابل ، يبدو ان سياسته الخارجية في البدء شابت الحزبين . فقد وسع ترومان في خطابه التدشيني ( كانون الثاني ١٩٤٩ ) ، أمام تصفيق الجميع ، برنامجاً بأربع نقاط ، نأخذ منه ، بخاصة ، عزمه على مساعدة الأمم المتحدة على نجدة البلاد المتخلفة ، غير النامية ، والعمل للسلام والازدهار العام . وعرضت الولايات المتحدة ان تضع تحت تصرف الأمم غير المحظوظة الاعتمادات والأشخاص الضروريين لتقدمها التقني والاقتصادي ( برنامج النقطة الرابعة ) . وكبرنامج مارشل ، من قبل ، كان البرنامج مفتوحاً لجميع الأمم . وقد رفضه الاتحاد السوفياتي وتوابعه كما رفضوا الذي قبله .

وقرر ترومان أيضاً أن يتم تنفيذ الدفاع عن العالم الحر بابرام حلف شمال الأطلسي ، في ٤ نيسان ١٩٤٩ ، في واشنطن : وفيه تعهدت الولايات المتحدة بالسهر على أمن مختلف دول أوربة الغربية وكل أنواع الهيئات السياسية والاقتصادية ، وبخاصة العسكرية التي انشئت لهذه الغاية . وفي آذار ١٩٤٧ ، أبرمت فرنسا وبريطانيا العظمى ، بمعاهدة دنكرك ، حلفاً عسكرياً انضمت اليه بعد عام ، بمعاهدة بروكسل ، بلاد البينيلوكس الثلاثة : بلجيكا ، هولانده ولوكسمبورغ . ولابقاء روسيا

السوفياتية في حالة احترام ، لزم ما هو أكثر من ذلك : وهو اشتراك الولايات المتحدة الذي جر بالحال اشتراك إيطاليا ، البرتغال ، الدانمارك ، النورفيج ، ايسلنده ، كندا ، واشتراك اليونان وتركيا في ١٩٥٢ ، وألمانيا الغربية أخيراً في ١٩٥٥ . وتوضح المادة ( ٥ ) في المعاهدة بأن كل هجوم مسلح ضد عضو من أعضاء الحلف يعتبر هجوماً على كل واحدة من هذه الدول . وللوقاية من كل خطر من هذا النوع نصّ على انشاء منظمة عسكرية مشتركة للدفاع . وتشكلت هذه في شهر كانون الأول ١٩٥٠ ، تحت ادارة الجنرال آيزنهاور العليا ، الذي أقام أركانها العامة في ووكسكود ، بالقرب من باريس . وكان على جميع المشتركين ، في حدود مواردهم ، أن يسهموا بالجنود وبنفقات الدفاع المشترك . ومن غير المفيد أن نقول ان المآتي الاميركية فاقت ببعيد مآتي زميلاتها .

ومع ذلك ، فان كثيراً من الامريكيين كانوا يهتمون أيضاً بمصير آسيا أكثر من مصير أوربة ، وهنا سارت الأمور بشكل سيء . ولاشك في أن الجنرال ماك آرثر استطاع أن ينجح في ديمقراطية اليابان ، ولو ظاهراً على الأقل ، دون حرمان الامبراطور من دوره الرمزي ، ودون أن يفتح المجال حراً للشيوعيين ، ولكن - ماوتسيه - تونغ المنتقل من نصر إلى نصر ، أعلن في بكين ، في الأول من تشرين الأول ١٩٤٩ ، تشكيل الجمهورية الشعبية الصينية ، بينما التجأ تشانغ كاي - تشيك في فورموزا مع فلول قواته . وكان ستالين أول من اعترف بالنظام الجديد وأبرم معه معاهدة تحالف في ١٤ شباط ١٩٥٠ . وانحنت بريطانيا العظمى أمام الأمر الواقع وعقدت علاقات دبلوماسية مع بكين . ورأى الامريكيون فجأة ، بأنهم إذا حموا أوربة الغربية من العدوى الشيوعية ، فقدوا كل اشراف على بلد يبلغ سكانه الثلاثة أضعاف على الأقل ويبشر

بمستقبل اقتصادي عظيم ، وعندئذ يخفق العلم الأحمر ، من نهر الالب إلى حدود اليابان والفلبين ، على سطح أكثر من ربع سطح الكرة ، مأهول بأكثر من ثلث سكانها وينشط بـ ٣٠٪ من انتاجها الصناعي .

وفي الوقت نفسه تقريباً ، فجر الروس بنجاح أول قنبلة ذرية لهم وقد أعلن ذلك الرئيس ترومان على العالم في ٢٣ ايلول ١٩٤٩ . وقام السباق إلى الارهاب . وللحفاظ على تقدم الامريكيين على منافسيهم شرعوا بتحضير القنبلة الهيدروجينية ، القنبلة هـ . ولكن كيف سمح الامريكيون ، وهم سادة العالم واحتكار الأسلحة الجديدة في ١٩٤٥ ، بتشكيل قوة معادية مساوية تقريباً لقوتهم في خمسة أعوام ؟ لقد بدأ قسم من الرأي بالصراخ بالحيانة . ولا شك في أن الشيوعيين المعترف بهم لا يشكرون في الولايات المتحدة كلها إلا أقلية ضعيفة ، ٧٥٠٠٠ مشترك في الحزب في الحد الأعظم ، ولكن ألا يحتلون الوظائف الأساسية في الادارة ، والاستعلامات ، والبحث العلمي ، والنقابات ، وبخاصة ، ألا يجب أن يحسب حساب عدد عظيم من المتعاطفين المستعدين لقطع جزء من الطريق مع الاقحاح ؟ ومن هنا أتت تسميتهم بـ « رفقاء السفور » .

### الطامة ( ١٩٥٠ - ١٩٥٤ )

بدأت مطاردة المشبوهين . وقام الكونغرس بعدة تحقيقات عن التسللات السوفياتية في الأوساط المختلفة . وأقامت الحكومة دعوى بحق زعماء الحزب الشيوعي لتبرهن على لا شرعيتهم : من ذلك أن الجوهيس ، أحد خبراء ادارة الدولة على صعيد العلاقات مع السوفياتيين ، وهو مشاور ذو نفوذ ، كما يؤكدون ، لأمين الدولة دين آتشيسون ، وكان من



قبل مشاوراً للرئيس روزفلت ، قد فشى مره أحد أصدقائه السابقين وهو شيوعي نادم ، هوايتيكيو تشامبرز ، وقال عنه بأنه ، بلغ موسكو وثائق مربية . فأنكر ذلك . ودعم متهمه قوله بأن لديه ما يثبت ذلك . وقام نقاش قضائي طويل ، خرج منه ، أخيراً ، الجرهيس ، ائردعويين ، - وقد أثبتت عليه شهادة زور ، إن لم تكن الحيانة ، وجكم عليه بالسجن بضع سنوات ( ١٩٥٠ ) . ولكنه حافظ على الأقل على براءته . حتى ان كثيراً من أصدقائه ، وعلى رأسهم دين آتشيسون ، حفظوا له اعتباره علناً . وقد حركت هذه القضية الصغيرة ، « قضية دريفوس » (١) ، الأوساط الفكرية ، ولكن الجمهور العظيم لم يتم . باحتجاجاتها .

ولكن الجمهور ، بالمقابل ، كان يصغي إلى الاتهامات المتعجزة تدريجياً ، التي كان يفوه بها شيخ ولاية ويسكونسين ، الشاب جوزيف ماك كارثي . وقد أصبح هذا في بضع سنوات شهيراً وذا نفوذ يشنع به قوم ويتبعه آخرون معجبون به . وما زال يدل إلى اليوم بـ « الماكارثية » ، على نظام التشهير والارهاب الذي نجح في توطيده من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٤ ، في واشنطن وفي كل البلاد . كان ايرلندي الاصل ، ولهذا الواقع كان يصغي اليه عدد عظيم من الكاثوليك ، من اكليركيين وعلمايين . وكان جمهورياً في انتسابه السيامي ، وهذا ما امن له انتباه رجال الاعمال المحترمين وقد عرف هذا المرآئي ، المعروف بخاصة بضعف وسائله الفكرية وغيرها ، كيف يلعب بعض الوقت بشكل فائق عجيب بشبهات وأباطيل

---

(١) تليحا إل قضية دريفوس عام ( ١٨٩٤ - ١٨٩٩ ) في فرنسا .

الجمهور الامريكى الكبير . فقد هاجم اولا ادارة الدولة ورئيسها ، دين آتشيسون نفسه ، وصرح علنا في خطابه الشهير في ويلينغ ، في ١٩٥٠ ، بان وزارة الشؤون الخارجية في الولايات المتحدة تلجئ على الاقل ٢٠٥ شيوعيين معترف بهم كثيراً أو قليلا ، وان اسماءهم لديه ، دون الكلام عن عدة غير معين من الشاذين جنسيا الذين هم غنيمة مؤمنة لجميع مساومات ومناورات أعداء الوطن . ولذا يجب بامرع ما يمكن تطهير البيت كله والانتقال منه إلى الادارات الاخرى التي أوشكت ان تفسد بانتظار دور النقابات والشركات الكبرى الدولية ، والهيئة التعليمية ، والكتاب والفنانين ، والمتجنسين الحديثي العهد وكل من يشك بامريكانيتهم غير المشروطة والكاملة . وغوله الكونغرس رئاسة لجنة التحقيق المكلفة بالكشف عن جميع النشاطات « المناوئة لأمريكا » فافاد من ذلك ليدعوي سؤال تقريباً كل من يحاول له أن يستجوبهم طويلا ويفقدهم اعتبارهم . ويبدو ان بعض الفضائح الصغيرة ، وبعض الاختلاسات ، وبعض الانتحارات بورت في البدء هذه الطرق والاصول . وخشي معظم الرجال السياسيين ألا يعاد انتخابهم فوافقوا على رأيه ، أو ، على الأقل ، تركوه يعمل .

وظن أن كل شيء مباح له ، حتى انه لام الجنرال مارشال نفسه ، واتهمه بأنه سلم الصين للشيوعية ، ثم الجيش الامريكى ، وجرمه بأنه شجع في صفوفه الدعاية الهدامة . وفي غضون ذلك ، انتخب الجنرال ايڤنهاور رئيساً للجمهورية ، في تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وكانت تنقصه التجربة السياسية ، ولذا حاول أولاً أن يوفق بين مختلف أشباع الحزب الجمهوري الذي رفعه إلى السلطة ، ولكنه تجنب جهده أن يفسد علاقته مع ماك كارتى ،

وعندما وجه هذا صواعقه ضد الجيش الاقدس ، حرم الرئيس على العسكريين المدعويين إفضاء أي سر عن الدفاع الوطني ، واستطاع أن يضم وراءه كل الناس من ذوي الحس السليم ، دون تمييز حزب . ووجدت أخيراً أكتوية في مجلس الشيوخ - حادث نادر جداً - ان لم تكن لمراقبة ارادة ، فعلى الأقل طرق المتهم المتور ( كانون الاول ١٩٥٤ ) . وقد انهارت سلطة ماك كارثي بنفس السرعة التي فرضت بها نفسها على الرأي العام وعلى العالم السيامي . وأعيد انتخاب شينغ وبسكوسين عام ١٩٥٦ ومات منسيا في السنة التالية .

ومع ذلك ، فلم يعش التعبير « الماكارثية » دون سبب بعد هذا السيامي العابر . وإن امريكا لتذكر أيضاً الضلالات والاساءات الى احترام الحرية الفردية والكرامة الشخصية والحس المشترك البسيط التي جرتها اليها مناورة للشيوخ عياء حادة . وأشهر ضحية لهذه الدرجة من المستويا الجماعية كان الأستاذ روبرت اوينهاير في ١٩٥٣ . وهذا العالم ، الذي ساعدت بحوثه واعماله اكثر من أي عالم آخر في اعداد اول قنبلة اورانيوم ، اتهم بانه ظل وياً في صداقة الشباب لشيوعي يدعى هاكون شوفاليه ، وفصل ، كما قرر ايزنهاور ، « بجدار كثيف » عن الأمرار الذرية التي يعرفها ، ولاشك ، أفضل من أي شخص آخر ، وأخرج من لجنة الطاقة الذرية التي عهد اليه برئاستها .

غير ان الرئيس كينيدي ، بعد ثمانية أعوام ، نظراً لفقدان اعادة الاعتبار حسب الأصول ، برهن له عن ثقته وصداقته . ولكن عمله تحطم . ومع ذلك هدأ التعصب ضد الشيوعية .

وان ما يمكن ان يوضح شدة وافراط هذا التعصب من ١٩٥٠ الى ١٩٥٤ ، يظهر في ضياع الصين المفاجيء ، وفي الهجوم الذي شنته كوربا الشمالية الشيوعية على كوربا الجنوبية ، في ٢٥ حزيران ١٩٥٠ .

### حرب كوربا ( ١٩٥٠ - ١٩٥٣ )

كان رد ترومان مربعا وماهراً . فقد أفاد من غياب السوفياتيين في ذلك الحين عن مجلس الامن في الامم المتحدة أو من هدم قدرتهم على ممارسة حق الفيتو ، وحمل هذه الهيئة على شجب العدوان الشيوعي وتنظيم مقاومة دولية مسلحة في الأمم المتحدة . ودون انتظار تشكيل هذا الجيش . نزلت الجيوش الامريكية المرابطة في اليابان ، في كوربا تحت قيادة الجنرال ماك آرثر ، وقامت باحتواء ومن ثم بدحر المحتاجين . وقد جذ هذه المبادعات الجريئة ، التي قام بها الرئيس ترومان ، جميع الرجال السياسيين في الولايات المتحدة ، ومن ضمنهم الشيخ تافت ، زعيم الجمهوريين الانعزاليين في الكونغرس ، ولكن كان من الواضح أن امريكا زجت نفسها في حرب طويلة وغير مأمونة العواقب وستتحمل كثيراً أكبر عبء فيها .

وبدا أولاً أن كوربا الشمالية أوشكت أن تخرز النصر . ولكن ماك آرثر قام بالهجوم ، وأنزل جيوشاً وراء خطوط الجيوش المهاجمة ، واجبر العداة على التراجع ، والتخلي عن المنطقة الجنوبية ، وعوضاً عن البقاء هناك ، تابع تقدمه باتجاه الحدود الصينية ، على مرأى من رضى الرأي العام الامريكي بجموعه . وأراد أن يجعل كل لجوء جديد إلى القوة مستحيلاً . وخشي ترومان من أن يفصل هذا الحساس الولايات

المتحدة عن شركائها وحلفائها ، ويقم ضدها الصين والاتحاد السوفياتي ، وباختصار ، يوشك أن يجر إلى حرب عالمية ثالثة ، وحاول عبثاً تعديل وجهات نظر الجنرال المنتصر عندما اجتمع به في وسط المحيط الهاديء في جزيرة ويلك ، في تشرين الاول ١٩٥٠ . اما الجنرال ماك آرثر فقد اعتاد منذ عشر سنوات على العمل حاكماً قديراً في الشرق الاقصى ، ووائفاً من مساندة نصف أعضاء الكونغرس على الاقل ، ولذا استمر في هجومه باتجاه الحدود الصينية ، نهر يالو . وكان يتكلم علناً باجتيازه لـسلاحق الكوريين الشماليين في معابدهم الصينية التي كانوا يجدون فيها العون والحماية . ووعده جنوده بالوقت نفسه أن يعيدهم إلى بلادهم منتصرين في عيد الميلاد .

ومع ذلك ، فقد حشد الصينيون جيوشهم وراء الحدود ، وهددوا باجتياها إذا لم يوقف الجيش الامريكي تقدمه . وأهل ماك آرثر هذه التحذيرات وتابع هجومه . وعندئذ دخلت عدة قطعات صينية كوريا وعوضت بعددها ونظامها وروح التضحية عند رجالها ضعف عتادها ، ودفعت بشراسة ، في بضعة أسابيع ، قوى الامم المتحدة ، من امريكية وغيرها ، إلى خط العرض ٣٨ ° . وهذا التراجع غير المنتظر ، من أكبر دولة عسكرية في العالم أمام التجمهر الآسيوي ، اغضب الرأي العام الاميركي ، ولا سيما الجنرال القائد الأعلى . وكان المناوئون للشيوعية المنحسمون يدمدمون بل ويعلنون بصوت عال ، بأن الحياة وحدها ، المنقذة كثيراً أو قليلاً ، في المكان الأعلى ، يمكن أن توضح هذا الاخفاق . وكان المراد على كل حال أن تترك أوربه وحدها ، وأن تحشد في آسيا ، ضد شيوعي الصين والبلاد الأخرى ، كل قوى وموارد امريكا . وشايح هذا الصراخ :

د آسيا أولاً ، أنصار ماك آرثر والمعجبون به . وكان هذا يتدح ، بالفعل ، عملاً كثيفاً ضد حكومة بكين . وفي هذه المرة وإلا فلا يجب أن تطلق ضدها جيوش تشانغ - كاي - تشيك ، وأن يحاصر الشاطئ الصيني ، وأن تشجع بجميع الوسائط الحرب الأهلية وانحيار النظام الشيوعي في الصين .

وقلت ترومان من تدخل رومي يمكن ، وأراد أن يكتفي بضغط اقتصادي . فرفض ماك آرثر هذا الحل بازدرأ وأعلن عن عزمه بالمضي إلى أمام . وتشجع ترومان بمعارضة الجنرال برادليه للخطط الحربية التي وضعها القائد الأعلى ، وقرر ، في ١١ نيسان ١٩٥١ ، أن ينتزع منه القيادة وأن يستدعيه إلى واشنطن . وسادت الولايات المتحدة الدهشة والغضب بالإجماع تقريباً . ومع ذلك فإن الجنرال ماك آرثر لم يفكر لحظة ، على ما يبدو ، بمقاومة أوامر الحكومة . ونحلى عن سلطاته إلى خلفه ، ريدجوي ، وعاد إلى واشنطن ، حيث استقبل استقبال المنتصرين . ورحب به في الكونغرس زعماء الحزبين ، وخطب فيه خطاباً جميلاً على النسق الكلاسيكي ، وأعلن فيه لآخر مرة عن ضرورة النصر ، مع قبوله شخصياً بالانحياز ، حسب المصير المقرر للجنرالات المسنين . وبعد واشنطن ، حيتة نيويورك بحماسة .

وعزل ترومان في البيت الأبيض ، ولكنه تماسك . وكان يؤيده التقليد الأمريكي القديم وهو ان الزعماء العسكريين وجدوا ليطيعوا الحكومة المدنية ، وايضاً رغبة الأمة السرية في تجنب كل مخاطرة بحرب عالمية ثالثة ، وفي اثناء حملة كوريا بامرع وقت يمكن ، هذه الحرب التي كلفت حياة الكثير من الشبان الامريكيين . وبعد ألم يتوطد توازن ماقبل

العدوان الشيوعي في شبه الجزيرة؟ لقد كان المراد قبول حالة الواقع هذه دون ان يخسر أحد المعسكرين المتعارضين الظاهر. ومن هنا قامت مفاوضات طويلة وشاقة ، انقطعت باستئناف الحرب ، وعقدت بوقف نار جديد ، وانتهت عندما انتخب الجنرال آيزنهاور رئيساً على هذا الوعد وقبل تسوية في ١٩٥٣ .

### نتائج حرب كوريا

واكثر من إيقاف الدفع الشيوعي في منتصف شبه الجزيرة كانت الولايات المتحدة مدينة لحرب كوريا بقوة جديدة زادت كثيراً في سلطات الحكومة على حياة الأمة الاقتصادية والحفاظ على توازنها ، فقد كانت يجب تجنيد موارد البلاد بسرعة . وقد ساعد قانون انتاج الدفاع الرئيس على ممارسة الرقابة على الاجور والاسعار بواسطة نظام ( مؤسسة ) رسمي جديد ، وكالة الاستقرار الاقتصادي . واعطيت الاولوية المطلقة إلى عقود الدفاع الوطني بفضل حق المصادرة الذي اعترف به للمصالح المختصة ، على ان يول توسع الانتاج من قبل هيئة انشئت لهذا الغرض ، الهيئة المالية للاعمار . وقد عاشت هذه المؤسسات المختلفة بعد الأزمة . وعدا ذلك ، اعلنت حالة الاستعجال ، في ٦ كانون الأول ١٩٥٠ ، وأدت إلى انشاء مكتب تجنيد الدفاع ، وكلف هذا المكتب بتوجيه كل النشاطات الاقتصادية المرتبطة بالمجهود الحربي . وفي الوقت نفسه سعت حكومة ترومان ان تمنع كل زيادة مفاجئة في الانتاج والنفقات العسكرية يمكن ان تنمي تضخماً نقدياً خطراً ، بتجميد الاجور والاسعار وفرض الضرائب واصلاحها ، والاشراف المباشر وغير المباشر على الاعتماد واموال البنوك بواسطة هيئة الاحتياطي الاتحادي والبحث عن جميع الاقتصاد الممكن

في الموازنات المدنية . وقامت الادارة الديمقراطية بشجاعة ، ودون ان تتأثر بقرب انتخابات الرئاسة ، في عام ١٩٥٢ ، باتخاذ جميع هذه التدابير الحكيمة وغير الشعبية .

ولقد برهن ترومان والحزب الديمقراطي، في الظروف الصعبة ، على الحزم والحذر معاً . واعتبرا مسؤولين عن التضحيات المقبولة وعدم كفاية النتائج التي حصل عليها . ومضت عشرون سنة والحزب الديمقراطي في السلطة . ويدعم خصومه أنه بلي وفسد . ولاشك في أن الأعمال كانت نشيطة بنفقات الحرب . ولذا كانت تسير على مايرام . ولكن هذا الازدهار المالي كان يرافقه ، بالرغم من التحفظات الرسمية ، التضخم النقدي وارتفاع الاسعار وكثرة الوسطاء ، بين عالم الحكومة وعالم الصناعيين ، المستعدين دوماً للحصول إلى هؤلاء الأخيرين على عقود هامة مقابل عمولة قليلة ، ٥٪ فقط ، ومن هنا أتى اسم « المحسباتيين » الذي أطلق على هذا النبات الطفيلي القوي بخاصة في واشنطن . وقد كشفت اللجنة التي ألفها مجلس الشيوخ ورأسها الديمقراطي الفاضل والطموح معاً ، كيفافور ، عدداً من الفضائح من هذا النوع دون أن تخفض كثيراً من ثمرها . ورثى أخلاقيون أكثر خطورة تأثير هذه الأمثلة على شباب يجب التطلع بجميع الوسائط إلى الثروة بسرعة (دون عمل) .

وباختصار ، إن الحاجة إلى التغيير والعودة إلى التقاليد القديمة الصالحة المحترمة بدت تقرض نفسها . وكان ترومان يعي ذلك تماماً ، ويريد الجنرال اينهاور ، غالب الحرب الكبرى ، وارثاً وخلفاً له . وكان هذا منصرفاً لعمله العسكري ولم يجد وقتاً ليعرف ما إذا كان جمهورياً أو ديمقراطياً . وكان ، باعتباره يروستانتياً مخلصاً ،



يجهل بأي اعتراف ( إيمان ) خاص يحسن أن يعلق نفسه . وكان الجمهوريون يرجون أكثر من ذلك أيضاً ، وهو أن يكون على رأسهم مرشح ذو جاه ونفوذ . وقد نجحوا في ذلك .

وقد سمي بسهولة ليكون مرشحاً للحزب « العظيم والقديم » مفضلاً على بطل المحافظين المتشددين الخالد والبائس ، الشيخ تافت . وكان لأيزنهاور خصم ديمقراطي ، آديلاي ستيفنسون . وكان هذا مفكراً من أسرة طبية ، وفكر مقترح ، خبيث طوعاً . وشهرته بإدارته الحسنة في ايلينوا ، التي كان بعض الوقت حاكماً لها ، أقل من شهرته بيهنته النورية غير المتكيفة . وعلاوة على ذلك ، كان مطلقاً ، وباختصار ، كان المرشح الأقل قدرة للحصول على كامل الأصوات الشعبية والكاثوليكية ليقف أمام غالب الحرب العالمية الثانية . وانتخب آيزنهاور دون عناء ب ٣٤ مليون صوت مقابل ٢٧ ، و ٤٤٢ صوت انتخابي مقابل ٨٩ . وبعد أربع سنوات انتصر على نفس الخصم بتقديم متزايد ، أكثر من ٩٥ ملايين أكثرية شعبية ، و ٤٥٧ صوتاً انتخابياً مقابل ٧٣ . وبلغ نفوذه في العام ١٩٥٢ درجة حصل فيها الجمهوريون ، لآخر مرة حتى اشعار جديد ، على الاكثوية في مجلس الممثلين ، وهذه الاكثوية ضعيفة ولا شك ، ٢٢١ مقعداً مقابل ٢١١ مقعداً للديموقراطيين ، ولكنها كافية ، كما يعتقد ، لينطلق الرئيس الجديد براحة في سياسة جديدة .

### آيزنهاور أو من الدمر الى التعايش (١٩٥٣ - ١٩٦٠)

لقد كان الرئيس آيزنهاور محاطاً ، دون تمييز حزب ، باعجاب محب من كافة الأمة الامريكية ، ومحبوياً لابتسامته السهلة وواضعه البسيطة

والودبة . وعلى ما يبدو أن آيزنهاور ، أو بالأحرى « آيك » ، كما يلقبه مواطنوه ، توصل إلى السلطة العليا في أفضل الظروف . إن الموجة المناوئة للشيوعية ، التي أثارت البلاد على روسيا السوفياتية والصين الشعبية وجميع البلاد المشبوهة بعدم معارضتها ، بلغت نقطة الذروة . وقد صوت الكونغرس على الاجراءات الحاسمة لصيانة امريكا وأصبحت نافذة بالرغم من رفض ترومان ، ولم يبق إلا السهر على تطبيقها .

منذ ١٩٥٠ ، حرم قانون الأمن الداخلي دخول الولايات المتحدة ، ولو لاقامة قصيرة ، على الشيوعيين ، والفوضيين ، وأعضاء جميع الأحزاب الجمعية ، وأنصار قلب الحكم بالعنف . وتلقى القناصل الامريكيون تعليمات مشددة لرفض تأشيرات الدخول على كل شخص أجنبي مشبوه باستقلاله الفكري . وأهم من ذلك بكثير أيضاً ، ان قانون ماك كرتان ولتر في الهجرة ، ووفق عليه في ١٩٥٢ ، شدد التشريع السابق على الهجرة . ولم يقبل في كل سنة إلا واحداً من الف من العدد الذي أحصي في العام ١٩٢٠ للسكان الذين توجه أصولهم المختلفة إلى أمم أجنبية . ولا شك في أن الآسيويين ، الذين كانوا من قبل مبعدين ، يستطيعون منذ الآن الدخول بموجب نفس القاعدة المطبقة على الشعوب الأخرى ، ولكن نصيهم المحسوب على هذا النحو لا يتجاوز رقماً تافهاً صغيراً : ١٨٥ ، مثلاً ، لليابانيين .

ولم يكن ترومان الوحيد الذي عارض ، عبثاً ، هذه الأحكام المحددة ، فقد طلب كثير من الجمهوريين إلى الرئيس آيزنهاور أن يتوقع استثناءات لصالح الناجين من الشيوعية بحثاً عن ملجأ في أمريكا . أما الكونغرس ، الذي يدعمه الجزء الأعظم من الرأي العام ، فقد عارض طويلاً كل تدبير

من هذا النوع . وكان الوطنيون الحلفاء يقولون : إن القصد قبل كل شيء وقاية أسلوب الحياة الاميركية من كل عدوى . إن فتح أبواب الخطيرة ، بشكل عريض ، يعني التعرض لدخول الشياطين الجرباء لخدمة العدو . ولزمت مناقشات طويلة ومساومات شبه رسمية كثيراً أو قليلاً حتى سمح الكونغرس أخيراً الرئيس أن يقبل ، بصفة استثنائية ، ٢٠٧٠٠٠ لاجئ ، مقابل التأمين على ألا يعاد النظر بأي حال في قانون مالك كران قبل ١٩٥٦ .

ومن جهة أخرى ، سعى آيزنهاور دون إبطاء في إرضاء أفضل دعامات الحزب الجمهوري : كبار رجال الأعمال . وشكل وزارته من ثمانية مليونيرين ومرصص ، عامل مركب أدوات صحية ، وكان هذا الأخير ، فوق ذلك ، كاثوليكياً ، ويمثل فيها صغار الناس المحترمين في التسلسل الاجتماعي التقليدي . وكان الوزراء الآخرون رأسماليين من الطبقة العليا ، مثل تشارلز ولسون ، رئيس أكبر شركة لسيارات جنرال موتورز ، وقد سمى وزيراً للدفاع . ولم يشعر بأقل حرج عندما خص شركته بعقود هامة . وصرح دون مواربة : إن ما هو حسن الجنرال موتورز حسن للبلاد . وكان الجنرال آيزنهاور غراً في السياسة ، فتقرب من الشيخ تافت ، معبود الجمهوريين المحافظين . فأقنعه هذا بسهولة أن الأسامي في القضايا الداخلية هو إرضاء رجال الأعمال وتركهم أحراراً ما أمكن في السهر على مصالحهم . وكانت كلمة أمر الإدارة الجديدة : « الاقتصاد أولاً » . وحان الوقت لتخفيض النفقات ، وبالتالي ، الضرائب التي تثقل كاهل الرأسماليين ، وتحديد الرقابة على الأسعار ، والعودة إلى الحرية المقدسة في الإنتاج والمبادلات التي كانت في القديم سبباً في ازدهار أمريكا

وقوتها . والويل هو أن الامريكيين المتوسطين لم يكونوا قانعين بأن سعادتهم منوطة بزيادة غير محدودة في الثروات الكبرى . فقد لاحظوا أن الحياة أصبحت أغلى مما كانت دون أن تزداد مواردهم المتواضعة بهذا القدر . وفي الانتخابات التشريعية لعام ١٩٥٤ ، كانوا قلقين من التراجع الاقتصادي الحثيف لعام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ بعد أن انخفض الانتاج الصناعي بمقدار ٢,٥٪ خلال تسعة أشهر ، وأعطوا الاكثوية للديموقراطيين .

### دالس والدمر

وفي غضون ذلك ، توفي نافز ، في تموز ١٩٥٣ ، وهاج آيزنهاور من وقاحه الشيخ ماك كارثي التي تجرأ بها على الجيش ، واستطاع ان يتخلص من الحرس الجمهوري القديم ويستنكر الافراط في مناوئة الشيوعية المناضلة في داخل البلاد . وعهد بتوجيه السياسة الخارجية الى محام دولي كبير ، جون فوستردالس الذي قام بعد اتفاق مع كوريا ، في ٢٧ تموز ١٩٥٣ ، باحتواء وارجاع المد الشيوعي الذي يهدد ايضاً بامتداده في آسيا وفي غيرها .

والحق يقال لم يكن دالس ليأمل كثيراً ، ولاشك ، ولكنه ، كلاب بوكر جيد ، كان يحاول تخويف الخصم بتصريحات جارحة ومفاجئة ، تخففها من بعد محاولات تقارب غير منتظرة ايضاً . ولم يقدر الاتحاد السوفياتي كثيراً سياسة هذه المنضفة ( الدوش ) الحارة والباردة على التعاقب . وبعد موت ستالين ، في آذار ١٩٥٣ ، اجتاز السوفياتيون دور أزمة ، ولم يجدوا في خلاله افضل من الانشغال في قضاياهم الداخلية وحدها . فأجاب دالس ببرودة شديدة على مفاتحتهم السامية ، حتى انه تباهى في دفع المناقشات بقوة ، عند الحاجة ، « حتى شفا الهاوية » ، مع العلم دون السقوط فيها .

ولكن باقي العالم لم يكن مطمئناً بخاصة لهذا التعاقب من الابتسام والاثارة بين عملاقي الكوكب ، ولم يكن في وسعه الا ان يتحمل ويخضع . فقد كانت فرنسا ، مثلاً ، منخرطة آنذاك في الهند الصينية في نزاع عسكري صعب مع فيت - نام تدعمها الصين الشيوعية ، وتأمل في بعض الوقت ، تلقي مساعدة جوهريّة من الولايات المتحدة ، حق ان دالس ، على ما يبدو ، اوشك ان يلزم حتى الاعماق الطيران الاميركي بنجدة القوات الفرنسية عندما تراجع آيزنهاور أمام المخاطرة بحرب عالمية .

ويبدو ، مع ذلك ، ان أمريكا أخذت مسؤولية تنظيم حماية الكوكب ضد روسيا والصين الشيوعيتين ، واعدت عدة سياسات تحالف : فالى المنظمات التي انشأها ترومان : منظمة دول أمريكا ، في ١٩٤٨ ، ومنظمة معاهدة حلف شمال الاطلسي ١٩٤٩ ، ومنظمة اوستراليا - زيلاندة الجديدة - الولايات المتحدة في تشكيل دول من العرق الأبيض مهتمة في الحفاظ على « الحالة الراهنة » في المحيط الهادئ ، اضيفت ، في ايلول ١٩٥٤ ، منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا . ثم ان وضع الشرق الأوسط الغني بالبترول الموضوع في حالة دفاع قد تعقد بظهور دولة اسرائيل والدعم الكثيف والدبلوماسي والعسكري والمالي الذي تقدمه لها الولايات المتحدة رغم استنكار الدول العربية ، التي قبلت عروض موسكو . وشكلت امريكا بعناء حلف بغداد بين تركيا والعراق ، في ٢٤ شباط ١٩٥٥ ، وانضمت اليها بريطانيا العظمى ، في نيسان ، والباكستان ، في تموز ، وايران ، في تشرين الاول . وفي مكان آخر اكتفت الولايات المتحدة بمواثيق ثنائية : مع فورموزا ، مثلاً ، في ٢ كانون الأول

١٩٥٤ . وكان من السهل عليها ضمان الامن العسكري لشركائها اكثر من ازدهارهم الاقتصادي . واستقر الاسطول السادس الامريكي بشكل مستديم في البحر المتوسط ، والسابع في بحر الصين الشيوعية . واكثرت من القواعد البحرية والجوية في جميع القارات في خارج الارض الامريكية . ومافئت الطائرات المسلحة بالقنابل الذرية تراقب الكرة ليل نهار برجب اوامر قيادة الجو الاستراتيجية ، وهي على استعداد للتدخل عند اقل خطر .

وكلفت هذه الاحتياطات كلها غالباً واقلقت في الغالب المحميين اكثر مما أرزتهم . وكان هؤلاء يفضلون الاعتمادات العريضة التي تساعدهم على تجديد حياتهم الاقتصادية ، وانشاء سدود ، ومعامل للفولاذ ، وتجهيزات موانئ ... الخ . وترأست اندونيسيا البلاد الملونة المحايدة ودعتهما ، في نيسان ١٩٥٥ ، الى مؤتمر باندونغ . وضم هذا المؤتمر الاول من نوعه ممثلي ثلاثين بلداً افريقياً وآسيوياً باستثناء كل دولة بيضاء . وهكذا اراد العالم الثالث ان يؤكد استقلاله ونضجه السياسي . وقد اظهرهما غالباً في لوم الولايات المتحدة على تسليح شركائهما عوضاً عن مساعدة الشعوب المتخلفة . وما كان من آيزنهاور الا ان استعجاب واعلم ، بعد بضعة أيام ، عن انشاء أموال مساعدة لآسيا لتشجيع استغلال مواردها باستثناء كل تفضيل دبلوماسي .

وتدفقت على الولايات المتحدة بسرعة طلبات الاعتماد . أما الشكر والاعتراف بالجميل فأمرهما طويل في المستقبل . وكان من الواضح ان كثيراً من الأمم المتخلفة أفادت من خلاف كبير في هذا العالم وطلبت ، إن لم يكن طالبت بالحاح ، مساعدات كل منها ، دون اعطائها حتى ولو وعداً بشيء ، بالمقابل ؛ بل بالعكس وضعت كرامتها ووجدانها في الدفاع عن استقلالها .

ومن جهة أخرى ، أليس صحيحاً ، كما يدعم عدد من الأفكار الحرة ، مثل ادبلاي ستيفنسون ، ان جميع ظاهرات عدم ثقة وعداء الولايات المتحدة حيال السوفيائين لا يمكن أن يكون -منها عند هؤلاء إلا تغذية عدم ثقة وعداء مساويين على الأقل ؟ لقد مضى الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة الدولة الوحيدة التي تحتكر القنبلة الذرية ، وتستطيع أن تبعد الاتحاد السوفياتي دون أن تجابه بذاتها اخطاراً كبيراً . إن حرباً نووية بين الدولتين الكبيرين أصبحت منذ الآن ، اذا أعدنا كلمة فاليريان ، أكثر من جريئة ، وخطأ ، وخطأ مبيت . وفي هذه الشروط ، أليست الحكمة الابتدائية أن تسوى الأمور على هذا الكوكب الآخذ بالاضيق للعيش مع العالم الشيوعي في أقل الحدود الممكنة سوءاً ؟ وكان آيزنهاور ، في صفاء قلبه ، يشاطر الأمريكي المتوسط هذه التطلعات السامية ، كما كان غالب الحرب العالمية الثانية يحلم بمجد اعظم وهو : أن يؤمن للبشرية ، بدءاً من بلاده الخاصة ، حسنات السلام والنشاط الجاد .

### نحو التعايش

ومن هنا تأتي سلسلة الجهود الدبلوماسية التي بذلها آيزنهاور ودالس . وبصورة عامة ، كان الأول يجر الثاني المقاوم المتردد لمحاولة الوصول ، على الأقل ، الى تسوية مع الاتحاد السوفياتي . وكان من اللازم ، في البدء ، التباحث مع فرنسا وبريطانيا العظمى لتعريف سياسة مشتركة . وهذا ما حاوله ، في كانون الأول ١٩٥٣ ، مؤتمر برمودا ، بين آيزنهاور ولانيل وتشرشل ، ولكن الحكومة الامريكية اظهرت أقل من حلفائها بكثير ثقتها بحسن نوايا الاتحاد السوفياتي ، ومع ذلك ، لم ترفض الدخول في طريق التعايش . وفي بداية ١٩٥٤ ، استأنف وزراء

الشؤون الخارجية للأربعة الكبار ، في برلين ، مؤتمراتهم بعد انقطاع دام عدة سنوات . وأهم من ذلك بكثير أن اجتماعاً دولياً عقد في جنيف ، في نيسان - تموز ١٩٥٤ ، وفيه بحثت تسع عشرة أمة ، من بينها الصين الشيوعية لأول مرة ، الحالة في الشرق الأقصى . وإذا لم تتوصل الى توطيد الوحدة من جديد في كوريا ، فقد انتهت ، لمن ، الحرب في الهند الصينية بتسجيل انسحاب فرنسا وبتقسيم - الفيت نام الى نصفين . وفي الوقت نفسه ، في حزيران ١٩٥٤ ، صرح ونستون تشرشل علناً ، بعد أن اعطى خطاب في فولتون في ١٩٤٦ إشارة « الحرب الباردة » ، بأن الوقت قد حان للعمل وللعمل يجد لتوطيد التعايش السلمي بين العالم الغربي والاتحاد السوفياتي . وبعد يومين وافق الرئيس آيزنهاور رسمياً على وجهات النظر هذه ، وصرح : « يجب أن يجد الشرق والغرب الوسيلة للعيش معاً » .

ودامت هذه السياسة بعض الوقت . وعبئاً به الحرس الجمهوري القديم آيزنهاور الى مخادعة الصين الشعبية وضرورة ارجاعها الى جادة الصواب : وعلى العكس ، حاول هذا أن يشجع الانفراج في الشرق الأقصى . وفي بحر عام ١٩٥٤ سحب من كوريا الجنوبية فرقتين امريكيتين ولم يطبق بالصرامة القسوى الحصار الاقتصادي الذي يمنع مبدئياً كل العلاقات التجارية بين الصين الشعبية والولايات المتحدة . ولا شك في أن الولايات المتحدة وقعت ، في كانون الأول ١٩٥٤ ، معاهدة مع تشانغ - كاي - تشيك تضمن له امتلاك فورموزا وجزر بسكادور ، ولكن كان معلوماً أن الصين الوطنية لا تنطلق ابدأ في مهاجمة القارة الصينية ، كما كانت تعلن بين حين وآخر عن عزمها على القيام بذلك ، دون سماح صريح من الحكومة الاميركية .



وفي هذه المنطقة من العالم وجدت النقطة الحساسة ، النقطة المتمردة على التعايش . وذلك أن الصينيين لا يمكنهم الاستغناء عن إثارة احدهما الأخرى لثلاث تحسرات المظهر ووجدنا محرضين ، الواحدة في واشنطن والأخرى في موسكو ، لدعم مزاعمهما . وظلت قوات تشانغ معلقة على غبار من الجزر والجزيرات الواقعة على مقربة مباشرة من شواطئ الصين القارية ، وهذا ما ساعدها على المراقبة ، وعند الحاجة ، على التحرش باطلاق مدافعها على ملاحه مراكب الصيد المسالمة . وأفادت الصين الشيوعية من لحظة اعمال فاستولت على بعض هذه المواقع وارادت أن تقيم في ارخبيلين هامين تقريباً ، ارخبيل كيموي في مياه ميناء آموي ، وارخبيل ماتسو ، في عرض فو - تشيتو ، وكلاهما معرض لضرب يومي بالقنابل من بطاريات الشاطئ ، ورأساً دوت أصوات الحرب في واشنطن : ولا تمسوا كيموي وماتسو وإلا فاستعدوا لتلقي القنابل الذرية على رأسكم . هكذا كان يهدد « الحزب الصيني » النشط دوماً . وبخاصة بين الجمهوريين المحافظين . وبدا ، خلال بضعة اسابيع ، أن السلام العالمي منوط بمسير هذه الجزر المظلمة التي عرضت فجأة على الرأي العام الأمريكي ، كأخر حصن لاستقلاله . وعرف الرئيس آيزنهاور كيف يحتفظ برباطة جأشه ، ولم يندفع حتى الأعماق ، مع التأكيد بأن الولايات المتحدة ستساعد تشانغ - كاي - تشيك على الدفاع عن ممتلكاته . وأخيراً ، في آخر نيسان ١٩٥٥ ، وهذا ما نعلمه الآن ، أصبحت علاقات الصين الشيوعية صعبة مع روسيا . فهدت فجأة أكثر مصالحة وقبلت بصفة مؤقتة ، بآلا تغير بالفترة الحالية القائمة في مضيق فورموزا .

وحصل انفراج في آسيا ، وكذلك في اوروبا . وفي آيار ١٩٥٥ ، اتفق الروس فجأة مع الغربيين على توقيع معاهدة سلام مع النمسا

تُعترف باستقلالها وتوقع الجلاء عن أرضها في تشرين الأول ١٩٥٥ .  
وبدا أن الوقت مناسب لمؤتمر ذروة بين رؤساء حكومات الدول الأربع الكبرى .  
وانعقد هذا المؤتمر في جوفيف ، في تموز ١٩٥٥ ، وضم آيزنهاور ، ايدن ،  
بولغانين ، ادغار فور . وكان الجو ودياً . وفيه ألح آيزنهاور على ضرورة  
الاشراف الدولي دون حيلة كمقدمة خطة لنزع السلاح الذي يؤمن أمن  
اوربة وبالتالي يجعل إعادة توحيد المانيا ممكنة . وبذلك تحل القضايا الأساسية .  
وأراد الروس البدء بتحريم جميع الأسلحة النووية وجلاء الجيوش الأجنبية  
عن اوربة . ونظراً لفقدان اتفاق واضح دقيق اقصر الشرق والغرب  
على التمني بتحسين علاقاتها الاقتصادية والثقافية .

والواقع أن هذه العلاقات أصبحت في صيف ١٩٥٥ أكثر ثقة .  
وفي شهر آب عقد في جوفيف مؤتمر دولي في الاستعمال السلمي للطاقة  
النووية ، وضم علماء من جانبي الستار الحديدي ، ولكن هل يمكن الكلام  
بعد عن الستار الحديدي عندما يعتاد فريقان من خبراء العسكريين على  
زيارة زملائهم ويغامر السياح الغربيون بأعداد متزايدة في اكتشاف جمال  
موسكو ولينينغراد ؟

ومع ذلك ، ظلت الحكومة الروسية تعامل بحذر المانيا الاتحادية ،  
المانيا المستشار آديناور ، وتؤكد شرعية جمهورية المانيا الشعبية الشرقية ،  
ولم يستطع الحصان القديمان في الحرب الباردة ، دالس ومولوتوف ، أن  
ينعنا نفسيهما من تبادل الإلثارات اللفظية ، في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، في  
شهر ايلول . وانعقد اجتماع وزراء الشؤون الخارجية الأربعة كما كان  
متوقفاً ، في جوفيف في تشرين الأول - تشرين الثاني ١٩٥٥ . واصطدم  
المشاركون فيه بنفس الصعوبات التي اصطدم بها زعماء حكوماتهم قبل ثلاثة

اشهر . وافترقوا دون الحصول على أقل نتيجة ، اللهم إلا الاثارة المتبادلة طوال الوقت الضائع في لغو عديم الفائدة .

وفي الظاهر ، كانت الحرب الباردة مستمرة ولكنها خفت . وقد اقترح بولغانين ، في كانون الثاني ١٩٥٦ ، في رسالة شخصية وجهها الى آيزنهاور ، أن يبرم بلدهما معاهدة صداقة وتعاون لعشرين عاماً . ولكن آيزنهاور ، وقد أزال الحيبات السابقة اوهامه ، أجاب أن هذا الاتفاق لن يكون له معنى اذا لم يكن مسبقاً بتغيير فكري لا يرى له بعد اشارة في روسيا . وبعد قليل ، بدا أن خروتشوف عند السوفيائين يدل على الهام جديد : فقد كشف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي ، عن اخطاء ، بل جرائم ستالين ، وقرر تخفيضاً عظيماً في القوى المسلحة الروسية ، ثم وقع بعد قليل مع تيتو تصريحاً يقبل فيه بأن لكل بلد الحق في انتخاب طريقه الخاص للوصول الى الاشتراكية .

### المكلمة السوداء

وحاول آيزنهاور من جهته ، عند قرب الانتخاب الرئاسي في ١٩٥٦ ، ان يقدم أفضل صورة عن ادارته وعن بلده . واستؤنفت الأعمال بعد التأخر الاقتصادي القصير في ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، ولكن هل أفاد جميع المواطنين الامريكيين سواسية من الازدهار العام ؟ لم ير ديمقراطيون الشرق والوسط عناء في الدلالة على ان الناس المألوفين ما زالوا يعاملون مواطنين منحطين ، ويأملون كسب الأصوات في المدن الصناعية الكبرى في مناطقهم . وكانت حرباً صالحة للجمهوريين لئلا يتركوا لهم المجال حراً . وبصورة مستقلة عن كل اهتمام حزبي ، هل يستطيع الاميركيون أن يستمروا في وضع أنفسهم في أعين العالم ابطالاً للعدالة والمساواة بين جميع

الشعوب برفض هذه العدالة وهذه المساواة لمواطنيهم الملونين ؟ منذ عدة سنوات كان الزعماء الزنوج يطالبون بإنهاء هذا التطبيق الذي يخالف روح الدستور ونصه ويجعل الناس الملونين في معزل عن البيض في جميع ظروف الحياة ، في الدار ، في المدرسة ، في الكنيسة ، في المسرح ، في السينما ، في المطعم ، في القطار كما في الباص ، في الجيش كما في المشغل ، وينعهم عملياً من التصويت بسبب عدم كتابة أسمائهم على القوائم الانتخابية . والحق يقال ، ان هذا العزل قد لوحظ متناقصاً في القسم الاعظم من البلاد ، ولكنه ظل قاعدة مطلقة في دول الجنوب ، باعتبارها ترى أن المشكلة ليست من اختصاص السلطات الاتحادية .

ومع ذلك، صرحت المحكمة العليا ، في أيار ١٩٥٤ ، أن العزل غير قانوني في المدارس العامة للاتحاد وأمرت بوضوح كل دولة أن تزيله « في مهلة معقولة » . وكان النص مصالحاً كما يرجى ، ولكنه أثار على الأقل معارضة بيض الجنوب ، فقد صرحوا عن عزمهم على استخدام جميع وسائل الحق الممكنة للدفاع عن امتيازاتهم والحفاظ على الشكل التقليدي لحياتهم . ثم ان عدداً من الاعضاء الديموقراطيين في الكونغرس ، مع من انضم اليهم من بعض الجمهوريين ، تقدموا باقتراح قانون يضمن فعلاً لكل مواطن المساواة في ممارسة حقوقه المدنية ، وحق التصويت بخاصة .

ولم توضع منذ الآن القضية السوداء ، في مجموعها كما في حالاتها العديدة الخاصة ، أمام الرأي العام فحسب ، بل أمام المحاكم والمجالس التشريعية للأمة . وكان آيزنهاور يناصر بصفة خاصة الدمج التدريجي ، وامتنع عن أن يقرر علناً بين المعسكرين المتعارضين واقتصر على التصريح بأن حكومته ستسهر على تطبيق القرارات القضائية . وبالرغم من تردد سياسته ، فقد احتفظ بشعبيته لدى القسم الاعظم من الأمة . حتى ان

صحفية المفكرين، الذين يأخذون عليه أنه يفضل الغولف والبريدج على المطالعة ، لم يستطيعوا الا زيادة هذه الشعبية . وقد أمكن تقدير هذه الحماسة بالهياج الذي تملك الرأي العام لدى سماعه الخبر بأن الرئيس أصيب بنوبة قلبية ( ١٩٥٥ ) ، ثم في السنة التالية ، عندما اضطر لاجراء عملية معوية . وبدا أنه استعاد صحته بعد مدين الانذارين . ولذا اعيد انتخابه بسهولة ، في تشرين الثاني ١٩٥٦ ، على برنامج متفائل كما هو فامض وهو : « سلام ، ازدهار ، تقدم . » وحصل على ٥٧٢٤ ٪ من الأصوات الشعبية مقابل ٤٢ ٪ الى ادلاي ستيفنسون ، وهذا النصر يرجع إلى جأهه الشخصي ، لأن الحزب الديموقراطي في اليوم نفسه جمع ٥١١ ٪ من الأصوات في انتخابات مجلس الممثلين ، مقابل ٤٨٧ ٪ للجمهوريين ، وهكذا حافظ في هذا المجلس على اكثرية ٢٣٣ مقعداً مقابل ٢٠٠ .

### رئاسة آيزنهاور الثانية (١٩٥٦ - ١٩٦٠)

وفي الوقت نفسه ، كانت ازمة دولية مزدوجة تهن العام وتضع الولايات المتحدة في خلاف عنيف مع حليفتها الأساسيتين . ففي هونغاريا ، تشجع الشعب بالامتيازات التي حولها السوفييتون إلى البولونيين ، وثار بأجمعه على الدكتاتورية الشيوعية ، وتدخلت الدبابات الروسية ، في ٤ وه تشرين الثاني ، في شوارع بودايسيت ، لسيحق هذه الحركة القومية وفرض حكومة موالية للكرملين . واكتفت الدول الغربية باحتجاجات شفوية ولم تقم بشيء فعلي لنجدة الوطنيين الهونغاريين . وفي الواقع ، كانت الولايات المتحدة ، آنذاك في خلاف مع فرنسا وبريطانيا العظمى اللتين انطلقتا مع اسرائيل ، في حملة على مصر ، لاستعادة ادارة قناة

السويس التي أممها الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٦ تموز ١٩٥٦ . وسارت العملية سيراً حسناً لصالح المعتدين لولا أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد دخلا واجبرا الدولتين الغربيتين على التخلي . وهذا الحزم من امريكا حيال حلفائها كان يخالف بشكل يلفت النظر قبولها واقع التدخل السوفياتي المسلح في هونغاريا . وهذا يعني أيضاً التحزب بوضوح للعالم الثالث ضد الدولتين الاستعماريتين القديمتين وباقي امبراطوريتها المزعزعتين . وكسرت وحدة العالم الغربي دون امكان تقارب حقيقي مع السوفياتيين على جثمان هونغاريا . وبدأت رئاسة آيزنهاور الثانية بطابع مشؤوم .

ونظراً لفقدان سياسة خارجية موحدة ومصممة ، حاول آيزنهاور أن يرضي الرأي العام بسياسة داخلية تهتم بالاميركي المتوسط . وهذا ما ايمناه مستشاروه « الجمهورية الحديثة » وعرفوها على هذا النحو « ليبرالية فيما يتعلق بحاجات الشعب ، وحفاظة فيما يتعلق بماله » . وجرت محاولة بعض الاصلاحات . ولم يعارض الرئيس سياسة تقتصر بعناية على الأمن الاجتماعي . وصرح بأن على الحكومة الاتحادية ، في حالة الضرورة ، أن تساعد السلطات المحلية على تحسين التربية الابتدائية والثانوية . وصمم بشكل أوضح من قبل على دمج الزوج وضمات حقوقهم المدنية . ولكنه سهر ايضاً على تجنب كل نفقة مفرطة يمكن ان تؤدي الى زيادة الضرائب او اللجوء الى التضخم النقدي . وفوق ذلك ، كانت حالته الصحية بحاجة الى عناية . ولم يكن من مزاجه اتخاذ مبادرات جريئة . وشيئاً فشيئاً اشرك في اشغاله وفي مسؤوليات وظيفته نائبه ، ويتشارد نيكسون ، الذي جعله ، حسب التقليد الاميركي ، في معزل عن القضايا الرئسية في رئاسته الاولى . وافاد نيكسون من بعض

المهارة في المناورات ، وبدأ عمله السيامي بسرعة : فقد انتخب ممثلاً عن كاليفورنيا في ١٩٤٦ . وأصبح لها شيخاً في ١٩٥٠ على برنامج مناوئة شديدة للشيوعية ونجح في تضامنه مع آيزنهاور في ١٩٥٢ كبطل للغرب المحافظ وصاحب الأعمال . وبعد ان أفاد من الاغراط المكارثي دون ان يضلعه فيه كثيراً ، توجه الى الانسان المعتدل بشكل فائق رغباً في كسب فضل العاطفة الجمهورية بالوانها المختلفة ، ليكون في موقف صالح يؤهله الى التطلع إلى خلافة آيزنهاور في ١٩٦٠ . وأبدى حيال هذا الأخير احتراماً بنوياً تقريباً ، وكان على استعداد دوماً ليحل محله في المهام وفي الرحلات والأسفار الصعبة في داخل البلاد وفي خارجها .

### الفضائع

أفادت الرئاسة الثانية من استمرار الازدهار الذي انقطع ، مع ذلك ، بالتأخر الاقتصادي عام ١٩٥٨ ، القصير جداً ، ستة أشهر تقريباً ، ولكنه كان قاسياً بشكل كاف بعد أن تدنى الانتاج بنسبة ٤٥ ٪ . ولا شك في أن كل شيء لم يسر بشكل فائق : فقد انتجت الزراعة محاصيل لم تستطع الولايات المتحدة استهلاكها أو بيعها ، ومن هنا نشأت افراطات سنوية أثقلت على الاسعار ، وكان يجب تكديسها بنفقات كبيرة . وانشأت الادارة « بنك الأرض » وكلفته بدفع تعويضات إلى المزارعين الذين يقبلون بتصغير سطح حقولهم . ولم يكف هذا الحل المكلف لتعويم صغار المزارعين غير القادرين على تجديد مستغلاتهم . وكان الأفضل لهم ، وبخاصة لأولادهم ، الذهاب والبحث عن الثروة في اماكن أخرى ، في الصناعة او التجارة . ولكن الا يضحون على هذا النحو عدد العاطلين ، الذي

بلغ ، في السنة السمينية والسنة العجيفة ، نحو ٥٪ من القوة العاملة ، هذه النسبة التي تدعو إلى القلق في عز دور التوسع العمراني ؟ .

ومن جهة ثانية ، أصبحت النقابات قوى حقيقية اقتصادية ، سياسية ، مالية ، مكرسة لارضاء مصالح اعضاءها ، واحياناً لأرضاء زعمائها وحدهم . فقد كشفت لجنة خاصة في مجلس الشيوخ ، في ١٩٥٧ ، أن كثيراً من أمنائها كانوا يفيدون من وظائفهم للحصول على فوائد شخصية للمستخدمين الذين كانوا على صلة بهم . ومن ذلك ، بخاصة ، الأعمال التي كان يقوم بها هوفاً زعيم نقابة سائقي سيارات الشحن ، والتي كانت تتجاوز في هذه النقطة حد الغش والتواطؤ المسموح به ، حتى ان منظمته اجبرت على التبرؤ منه ، وامام رفضها ، حذفت من المركز العالمي الكبير ، وظلت تزدهر تحت ادارة هوفاً الذي دافع عنه افضل المحامين ، واستطاع خلال عشرة أعوام أن ينجو من الملاحقات القضائية الموجهة ضده . وكانت معظم النقابات الأخرى تسير بشرف اكثر ، ولكنها تبدي حزمًا مساوياً على الاقل حيال منظمات ارباب العمل والسلطات العامة . فمن ذلك أن نقابة الفولاذ ، مثلاً ، لم تحصل على اجور أعلى وعلى الفوائد المختلفة الأخرى التي صرحت الشركات المنتجة بأنها غير قادرة على منحها ، فقررت اضراباً عاماً في تموز ١٩٥٩ . وحاولت الحكومة عبثاً إيجاد حل وسط ، واستمر الاضراب خلال ستة أشهر واجبر كثيراً من الصناعات الأخرى على ابطاء ، بل إيقاف نشاطها . وقاومت النقابة جيداً ، قوية بخزانة الحرب التي تؤمن تقريباً لاعضاءها ما يعيشون به . وفي نهاية الستة أشهر ، في كانون الثاني ١٩٦٠ ، اضطر المستخدمون إلى التنازل وقبول الشروط المطلوبة .



كانت تعاطف الجمهور طويلاً مع النقابات ، مع هذه الألوف والملايين من العمال المتواضعين الذين انتصر اتحادهم على أناة قبضة من الرأسماليين . وقد إدرك الأمريكي المتوسط ، وهو غير رب عمل ولا عامل نقائي ، أنه هو الذي يدفع نفقات هذه المعارك بشكل اسعار مرتفعة وبطء في الاعمال .

ونظراً لكثرة استعمال واساءة استعمال سلطة القصر ، أصبحت النقابات غير شعبية . ولاحظ الرجال السياسيون هذه الحالة الفكرية الجديدة ، وتعددت مشروعات القوانين لمكافحة شطط وفضائح بعض التعاملات النقابية .

وتبنى الكونغرس في ١٩٥٩ قانوناً جديداً للعمل يلزم النقابات باعطاء تقارير منظمة عن حالتها المالية ، وجعل طرقها الادارية علنية - وتفصيل له معناه - وهو عدم قبول محكومين قدامى بالحق العام بين موجهها . وكان من اللازم للعمال ان يكونوا محمين ضد فساد زعمائهم « باعلان حقوق ، معترف لهم بها . وكانت كل الاحكام حميدة ، ولكن تطبيقها صعب غالباً . وأصبح اتجاه النقابات الجديدة ، منذ الآن ، تجنب خلافات العمل والاستياءات التي تسببها ، والتفاوض مع أرباب العمل ندأ لند ، وبذلك لا يدعون للحكومة فرصة التدخل لصالح ضحيّتهم المشتركة ، جمهور المستهلكين .

والحق يقال ، لم يكن الزعماء النقابيون وحدهم يتاجرون بنفوذهم . فقد اعتمد آيزنهاور شيئاً فشيئاً في تسوية القضايا الصغيرة على أحد أصدقائه الشخصيين ، شيرومان آدامز الذي كان يمر على يده القسم الأعظم من مراسلات الرئيس آيزنهاور وعلاقاته الرسمية . وقد أثار دور هذا القيم

حسد جميع الرجال السياسيين ، ومنهم الوزراء . وثبت أن آدامز كان يقبل طوعاً هدايا ، سيارات ، فرو ، برادات ، الخ .. لنفسه أو لعائلته ، لقاء رسائل توصية أو ضربة هاتف لصالح أصدقاء في صعوبة مع هذه الادارة أو تلك . ولكن الرئيس آيزنهاور مع أسفه الكبير ، اضطر إلى التخلي عنه . وعلى اثر ذلك ، شرعت لجنة تحتية من مجلس الممثلين في التحقيق عن نزاهة أعضاء مختلف المنظمات الرسمية المكلفة بمراقبة النقلات ، والطاقة الكهربائية ، والطيران المدني ، والتجارة الداخلية والخارجية . واكتشفت حالات عديدة في التواطؤ بين عمال الخدمات العامة ورجال الأعمال . وعرف الجمهور أن بعض صانعي الاسطوانات كانوا يدفعون جعلاً لمنظمي برامج الراديو والتلفزيون ليختار هؤلاء مفضلين انتاجهم ، وان مسابقات وضعت على نفس البرامج ودفع ثمنها سلفاً ، وكان أصدقاء الادارة على علم بسر الأسئلة والأجوبة . وصدى الأمريكي المتوسط الشريف من هذه الانحيازات المؤسفة . وبعد أليس من الضروري إجراء عملية تنظيف كبرى في الادارة ، والحكومة ، والأعمال ، والنقابات ، والمسرح والسينما ، وفي كل مكان ، ليعاد إلى أمريكا بياضها الناصع ؟ وبانتظار ذلك كان من الأفضل ، ولا شك ، التصويت للمعارضة الديمقراطية التي حصلت ، في الانتخابات التشريعية لعام ١٩٥٨ ، على ٥٦,٢٪ من الأصوات و ٢٨٣ مقعداً في مجلس الممثلين ، وهذا هو الحد الأعظم منذ روزفلت ، مقابل ١٥٣ فقط للجمهوريين .

### الصعوبات

ولم تكن سياسة آيزنهاور الخارجية أسعد حظاً . فقد وجدت الولايات المتحدة في علاقات صعبة مع معظم بلاد العالم ، ومن بينها كندا التي

كان يقلقها ، كما - بسعدها ، اجتياح رؤوس أموال ومشاريع جارها  
القوي جداً لها . ولما وصل المحافظون فيها إلى السلطة ، عام ١٩٥٧ ، أثاروا  
القومية الشعبية ، وأرادوا أن يكون لبلادهم استقلال اقتصادي وسيامي  
أعظم ، ولم يكن الفتح المتأخر ، في عام ١٩٥٩ ، لقناة سانت -  
لوران ، الذي كانت تطالب به المصالح الكندية منذ ربع قرن ، هو  
الذي لطف كثيراً مزاج اولثاوا السيء .

وبالرغم من كل شيء ، يعتبر هذا الاستياء غنجاً بسيطاً ، إلى جانب  
امتعاض قسم من امريكا الجنوبية ، من السياسة الامريكية ، كما لاحظ  
ذلك نائب الرئيس نيكسون ، في ١٩٥٨ ، خلال جولة أثارت هنسا  
وهناك ، وفي كاراكاس ، عاصمة فينزويلا ، بخاصة ، تظاهرات عنيفة .  
ولقد كان من مزاياه أنه حافظ على رباطة جأشه ، إن لم يكن على  
ابتسامته ، تحت البصاق وجوع الأيدي المرتفعة . لقد أظهرت امريكا  
الجنوبية على هذا النحو غضبها من أن اختار الشمال الكبروى أهميتها نسبياً  
لتذهب وتساعد الأمم الناشئة الجديدة في آسيا وافريقية . وماذا تم بضعة  
اعتمادات كريمة كثيراً أو قليلاً ، عندما تغلق التعرف الجركية الامريكية  
عملياً ، في وجه المواد الأولية لأمريكا اللاتينية ، ثرواتها الوحيدة ، دخول  
أغنى سوق في العالم ، بينما تسقط مضاربات وول ستريت إلى مستويات  
البؤس سعر المواد الأولية الآتفة الذكر . وأضاف المفكرون والطلاب  
الأحرار على ذلك بأن الولايات المتحدة إذا طالبت دون انقطاع من بلادهم ،  
وبحق ، اصلاحات بنية عميقة ، فلن يفوتهم أبداً أن يعترفوا بأكثر  
الانظمة دكتاتورية وأكثرها فساداً ويدعموها .

وقد اعتبرت الحكومة الامريكية هذا اللوم دون تريت . وفي ١٩٥٩ ،

قررت أن تقدم ٤٥٪ من رأسمال مليار دولار ضروري لإنشاء مصرف جديد ، بنك التنمية الأمريكية ، ( البلاد الأمريكية ) وبدل اسمه على سبب وجوده . وفي السنة التالية ، حرر الكونغرس ٥٠٠ مليون دولار إضافية لتساعد على استغلال أمريكا الجنوبية . وقبل ذلك ببضعة أسابيع ، جاءها آيزنهاور للقيام « بمهمة التفاهم المتبادل » ، واستقبل فيها بنفس الحرارة التي أثار فيها نيكسون الغضب قبل عامين .

ومع ذلك ، ففي جوار فلوريدا المباشر ، قامت في جزيرة كوبا حكومة ووضعت نفسها أمام أمريكا اللاتينية والعالم كله خصماً مصمماً للرأسمالية اليانكية ( اليانكي كبار أغنياء الانغلو - ساكسون في الولايات المتحدة ) . ولقد نظرت الولايات المتحدة بعطف إلى وصول فيديل كاسترو إلى السلطة ، في أول كانون الثاني ١٩٥٩ ، بعد حرب عصابات قاسية دامت سنتين ، وغلب فيها على الدكتاتور المتعب والفاقد بالثيستا . فقد أعلن أنه يريد أن يعطي لبلده حكومة نشيطة وشريفة وعدوة مصممة لنزعة الأعمال الرأسمالية التي تريد أن تربط كل شيء بأعمال المال والكرس والبؤس والجهل . وفي نيسان ١٩٥٩ ، ذهب ليحضر اجتماع الأمم المتحدة في نيويورك ، وفسح له ذلك فرصة المرور من واشنطن ، حيث استقبل بود ، بصفة خاصة . وكان قد بدأ بتأميم معظم المشاريع الزراعية والصناعية في بلده دون أقل تعويض للمالكين القدامى .

وبعد ذلك كانت المصالح الأمريكية ، بدورها مهددة ، عندما كان فيديل كاسترو يتقرب شيئاً فشيئاً من الاتحاد السوفياتي ، ولا يترك فرصة لفوته دون أن يشهر بالامبريالية الأمريكية ومآربها الخبيثة ضد استقلال

كوبا . وفي شباط ١٩٦٠ ، وقع اتفاقاً تجارياً مع السوفيائين ، وبموجبه تعهد هؤلاء بشراء القسم الأعظم من السكر الكوبي مقابل تجهيزات بالبتروال والآلات . ورأت الولايات المتحدة الا تداري هذا التابع للعالم الشيوعي . وسمح الكونغرس للرئيس أن ينهي واردات السكر الكوبي إلى الولايات المتحدة ، فاضطر كاسترو أن يكتفي ، منذ الآن ، بالسعر الأدنى بصورة محسوسة الذي قبله الاتحاد السوفياتي في تموز ١٩٦٠ . وفي الشهر التالي ، وبناء على طلب الحكومة الامريكية ، شجبت منظمة دول أمريكا ، المنعقدة في عاصمة كوستا - ريكا ، تدخل دولة أجنبية على القارة في قضايا الجمهوريات الامريكية ، وكذلك قبول مثل هذا التدخل من دولة امريكية . « وما على الذي يفهم إلا أن يعمل ما فيه خيره » أي « ما على الرسول إلا البلاغ » . وهنأت الولايات المتحدة نفسها على هذا العمل . ومع ذلك ، فإن الموقعين الآخرين لهذا التصريح دعموا ، بأن هذا التصريح لا يريد شجب كوبا ، وما كانت من كاسترو ، الذي كان مثيلاً أكثر منه في أي وقت مضى ، إلا أن صادر آخر الممتلكات الامريكية في جزيرته وقبل حماية الصواريخ الروسية ضد كل هجوم امبريالي . وهكذا تجمعت من جديد عناصر أزمة عالمية ، على مرأى من العين الحزينة لأكثر الجنرالات مسالمة وأقل الرؤساء تأثيراً .

وفي الحقيقة ، إن التوطد السوفياتي في كوبا شهر بفضاعة الاخفاق السكلي لارادة آيزنهاور الطيبة . حيال الاتحاد السوفياتي ؛ ولكن هذه الارادة الطيبة ألم تكن مترودة كثيراً جداً ، مثل ارادة رفيقه خروتشوف ؟ ربما يقول التاريخ ذات يوم إن زعيمى الدولة كانا يوغان باخلاص في الوصول إلى انفراج بين بلديهما ، إن لم يكن إلى تفاهم ، ولكن على

كل منها ان يحسب حساباً كثيراً للرأي العام في وطنه، الذي كان في الحقيقة مرناً بشكل كاف ، وبالأحرى محبذاً لمقاصده ؛ ولتختلف الأحزاب والشيع الجشعة التي ترى في أن تحل محله في السلطة ؛ وبخاصة للمصالح الواسعة المحبذة لبقاء العداوة بين الدولتين . ولايسع التقييم التاريخي إلا أن يسجل هذا النوع من التردد الدوار ، المقطوع بوقفات مفاجئة ، الذي استسلمت اليه الدبلوماسية الروسية - الامريكية من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠

وتضايق آيزنهاور قليلاً عند ازمة السويس ، العدوان الثلاثي على مصر ، ووجد نفسه في سواعد مضرجة بدم هونغاريا ولما يحف بعد ، فتراجع بعض الوقت ، وأعلن ، في كانون الثاني ١٩٥٧ ، مذهبه : « يمكن لجميع دول الشرق الأوسط ، التي قد يهددها عداون شيوعي ، أن تعتمد على مساعدة الولايات المتحدة . المسلحة » . وفوجيء غروشوف قليلاً بهذه الخطوة غير المنتظرة فلم يفقد توازنه : وصرح « ان زواج المجاملة يمكن أن يكون أحياناً أقوى زواج ، وثم الا يحسن باكبر دولتين في العالم أن تدفنا مرة واحدة شكوكهما القديمة ومنازعاتهما ، لئلا نزعج كل واحدة منهما بالاثارات العلنية للعديد من البلاد التي تفيد من خلافاتها بشكل وقع ؟ » زد على ذلك أن السوفيياتين كانوا كباراً بكفابة ولا يحتاجون لأحد ، كما اثبت ذلك ، في ٤ تشرين الأول ١٩٥٧ ، اطلاق أول « سبوتنيك » في الفضاء . وبعد قليل أثبت « السبوتنيك » رقم ٢ ، وهو بثقل نصف طون وينقل كلباً ، التقدم الذي حققه الروس في مضمار يعتقد الاميركيون انهم فيه اعلى من غيرهم الى الأبد . ولم يزل الأمة منذ ١٩٤٥ حادت كهذا الحادث . فقد بلغ الرعب عند بعضهم درجة اخذوا يعتقدون فيها انهم اصبحوا منذ الآن

نحت تهديد الصواريخ السوفياتية حاملة القنابل النووية ، وتملك الحجل  
الجميع بعد أن تركوا غيرهم يبعد عنهم بمسافات ولم يتمسك بجميع  
القرارات الجميلة التي اتخذت في الهياج الذي آثاره « السبوتنيك » الاولى ،  
ولكن امريكا الاكثر بقلطة ونفاذاً ووعياً لمسؤولياتها في عالم أكثر تعقيداً ،  
خرجت من ذلك . ودخلت مع الاتحاد السوفياتي في منافسة عامة  
عسكرية ، تقنية ، علمية ، اقتصادية ، انسانية ، أرضية وفضائية ، فأبها  
تصل إلى القمر ، إلى رفاه الكوكب ، إلى الاعجاب ، وإذا أمكن  
إلى اعتراف الانسانية بكاملها .

### الترويات الامريكيتي — السوفيتيتي

ومع ذلك ، ظلت اللعبة الدبلوماسية تحتل مقدم المسرح ، يقودها  
الروس الذين انطلقوا ، بادىء بدء ، في هجوم واسع للسلام . وبواسطة  
حلفائهم ، وبخاصة بولونيا ، أو مباشرة ، قدموا عدة خطط لنزع السلاح  
أو « عدم الالتزام » تقترح جعل أوربه الوسطى منطقة مُحيّدة .  
ورأت الولايات المتحدة في ذلك مناورات لاضعاف منظمة الغرب العسكرية ،  
منظمة معاهدة شمال الاطلسي . وعندئذ كتب بولغانين الى آيزنهاور عدة  
رسائل أظهر فيها رغبة السوفياتيين في السلام وضرورة لقاء ذروة  
قريب ، ولكنه لم يجب على جميع طلبات مراسله ومافيا من دقة الا  
بابتذال . وضاع هجوم السلام في الرمال .

وعلى نقيض ذلك ، كانت سنة ١٩٥٨ سنة أزمات دولية . فقد كان  
جمال عبد الناصر غالباً في السويس بمساعدة روسيا وامريكا متحدتين  
وأراد ان يضع الشرق الأوسط تحت اشرافه بنفس الحكومات المعادية  
لأهدافه ، ونجحت العملية في العراق ، حيث قامت دكتاتورية عسكرية  
مقام الملكية في تموز ١٩٥٨ ، واخفت في الأردن وفي لبنان . ولكن

مصرعة الغرب في العمل لم تعارض اطماع مصر فحسب ، بل أيضاً آمال السوفيائين في الافادة من الحالة المضطربة .

وبعد قليل ، استأنفت الصين الشيوعية فجأة هجوماتها على أرخبيل كيموي وماتسو ، وأرادت أن تمنع عنها كل اتصال بفورموزا . واقتصرت واشنطن على التصريح بأن على الاسطول الامريكى السابع أن يحمي قوافل التموين الموضوعة على بساط البحث والمناقشة . وصلت هذه القوافل دون عائق إلى مرابطها ، وبعد قليل اكتفت بكين باحتجاجات شفوية . ولم تشتعل النار في الشرق الاقصى كما في الشرق الأوسط .

وفي تشرين الثاني ١٩٥٨ أصبح خروتشوف وحده سيد السلطة ، بعد أن فقد بولغانين حظوته قبل بضعة أشهر ، وبدأ أنه يعرض سلام العالم للخطر بعد أن أعلن أن السوفيائين لا يقبلون مطلقاً بحقوق احتلال الدول الغربية في برلين - الغربية ، وأنهم يعطونهم ستة أشهر للاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية . واطرحت الولايات المتحدة ، كحلفائها الاوربيين ، هذه المزاعم بهدوء . وأراد خروتشوف بخاصة أن يضع بصخب قضية توحيد المانيا الغربية والشرقية .

ولما أخفقت الطرق العنيفة كالاحتجاجات السلمية ، حاول السوفيائون واسطة ثالثة ، وهي تجريد حذر الغرب من سلاحه ، وبخاصة حذر الولايات المتحدة بتبادل زيارات الارادة الطيبة التي تهيم لقاء جديداً للذروة . جاء نائب رئيس مجلس الوزراء ، ميكويان ، وقام بجولة في الولايات المتحدة ، في كانون الثاني ١٩٥٩ . ورد نائب الرئيس نيكسون الزبارة في تموز وقبل خروتشوف نفسه دعوة آينهاور للهيء ومخضية عشرة أيام في أمريكا ، في شهر ايلول ، ١٩٥٩ ، وناقش معه جميع القضايا المتعلقة بين بلديهما في لقاء رأس لرأس في عطلة آخر الاسبوع ، في الريف ، في



معسكر دايفيد . ولم يحل رجلا الدولة شيئاً حلاً عميقاً ، ولكن كلاً منها تعاطف مع الآخر ووعدا بأن يعملوا جاهدة للوصول بالقضية الألمانية وبقضية نزع السلاح إلى حلول إيجابية مقبولة من بلديهما .

الم يحن الوقت للقضاء ذروة جديد ؟ لقد دفع الوزير الأول في حكومة بريطانيا العظمى ، ماكملان ، كثيراً في هذا السبيل . والح الجنرال دوغول أن يحضر هذا الاجتماع بعناية ، وأرجىء تاريخ انعقاده إلى ربيع ١٩٦٠ . وبانتظار ذلك ، اجتمع رؤساء الدولة الغربيون في باريس ليتفقوا على برنامج المؤتمر ، في كانون الأول ١٩٥٩ . وذهب آيزنهاور في رحلة كبرى عبر العالم وبخاصة العالم الثالث ، واستقبل بجملة من أحد عشر بلداً ، ولاسيما الهند ، وجعل ينادي في كل مكان برسائلته في السلام والصداقة في استقلال كل بلد . وفعل مثل ذلك خروتشوف في شباط ١٩٦٠ ، ولكن تهجماته ضد استعمار الغرب كان مربكاً للأمم التي كانت بحاجة للمساعدة الأمريكية لتعيش . وقد فهم ذلك ، وأحرز الكثير من النجاح في وعده لها بكل المساعدة الروسية الممكنة ، وبخاصة ، على الأقل في حالة اندونيسيا ، في تحويلها في الواقع . ولكن كان من الواضح ، في هذا السباق على الأقل ، أن الولايات المتحدة كانت في الرأس بشكل واسع .

لم يخش خروتشوف من أن المؤتمر المزمع عقده في باريس في منتصف أيار ١٩٦٠ قد يدور لصالح أمريكا ؟ لقد رأى قبل أسبوعين على انعقاد المؤتمر أن يكشف للعالم أن السوفييتين اسقطوا فوق أرضهم طائفة أمريكية 2-U وهي في مهمة تجسس كاملة . ولم تسو الولايات المتحدة الأمور بانكار حقيقة الوقائع ، ووجدت نفسها مضطرة لقبولها بعد بضعة أيام .

أما وقد حضر مؤتمر باريس على هذا النحو ، فلم يكن بإمكانه الا أن يكون اخفاقاً . ولم يذهب ، في الواقع ، إلى أبعد من جلسة الافتتاح ، في ١٦ أيار ١٩٦٠ . وطلب خروتشوف عبثاً اعتذارات من آيزنهاور وغادر باريس . واستؤنفت الحرب الباردة بأقوى مما كانت فيما تبقى من سنة ١٩٦٠ ورئاسة آيزنهاور . ووالى خروتشوف ، مع ذلك ، الإثارات والتصریحات الداعية للسلام ، وبخاصة في دورة الأمم المتحدة المنعقدة في نيويورك ، في خريف ١٩٦٠ ، دون أن يحصل على نتائج أخرى غير تجميع عدد من بلاد العالم الثالث وراءه . وكانت ككوبا على رأسها . لقد احيا تقريباً في كل مكان عداء الشيوعيين ضد الولايات المتحدة ، حتى ان حكومة اليابان اعتقدت من واجبها أن تنصح آيزنهاور بأن يتم في طوكيو جولته في الشرق الأقصى ، في صيف ١٩٦٠ . وبعد ممانية أعوام من الجهود القلقة عادت العلاقات الامريكية - السوفياتية إلى نقطة الموت .

وكان التنافس ، الذي نما على جميع المستويات بين الدولتين الكبيرتين العالميتين ، يدعو إلى الشك أيضاً . ان تقدم الروس ، في ميدان اكتشاف الفضاء والسباق إلى القمر ، مازال قائماً ولاشك ، ولكن كان يجب ، منذ كانون الثاني ١٩٥٨ ، أن يحسب حساباً للتوابع الامريكية ، وهي أقل كثافة ، ولكنها ربما كانت افضل اختراعاً . لقد حقق الامريكيون في ١٩٦٠ بغواصتهم الذرية المجهزة بصواريخ « بولاريس » البعيدة المدى سلاحاً دفاعياً بقوة عظيمة قادراً على الايحاء بالتفكير الصحي لكل خصم متوقع . وقد ادرك خروتشوف هذه الاخطار وصرح بأن الاتحاد السوفياتي ليس بحاجة للقيام بحرب ليجعل الولايات المتحدة تحت الرحمة ، وأعلن : ان قوتنا الاقتصادية تزدد بشكل امرع من قوتكم ؛ وستعمل بسرعة للبقا

بها وتجاوزها ، وختم قوله بضحك البعيع : « سندفكم من هنا الى جيلين ، الا اذا اصبحتم اشتواكيين وشيوعيين مثلنا . » وأثار هذا التحدي غضب الرأي الامريكي ، لاسيا وأن اقتصاد الولايات المتحدة كان ، على ما يبدو ، منذ زمن ، يتزايد بخطوة ابطأ من خطوة السوفيائين . ومع ذلك فان مشاوري آيزنهاور رفضوا اتخاذ تدابير جريئة لاطلاق الاعمال من جديد .

### ركود القضية السوداء

وبلاحظ نفس الركود في العلاقات بين البيض والزوج . وجزع هؤلاء ، أي فقدوا صبرهم ، من بطء الدمج المدرسي في ولايات الجنوب . ففي لیتل روك ، عاصمة الاركانساس ، حصل بعض التلاميذ الزوج أخيراً على الحق في تسجيل أسمائهم في مدرسة ظلت حتى ذلك الحين محجوزة للبيض . وحاولوا الذهاب اليها ، فمنعهم جمهور البيض . ولم يتروا آيزنهاور بارسال الجيوش الاتحادية لتحل محل فقدان السلطات المحلية واجبارها على احترام القرارات القضائية . ولا يمكن في كثير من هذه الحالات انتظار الشجاعة من جانب الزوج ، ولا مثل هذا التدخل من واشنطن . وفي ١٩٦٠ ، ضم ما يقارب ربع مدارس الجنوب البيض والزوج ، وفي الغالب ، كانت نسبة أولاد أحد العرقين بالنسبة للآخر تافهة ، ولذا كان الدمج ، كما قيل هناك ، رمزياً .

ورويداً رويداً لم يعد الزوج يكتفون ، ورويداً رويداً ، لم يعد البيض في شمال البلاد وجنوبها يريدون الذهاب إلى ما وراء ذلك . وإلى المعركة من أجل المدرسة المندمجة بحق أضيفت معارك أخرى من أجل حذف الاماكن المحتجزة لاستعمال البيض الخاص في القطارات والناقلات

والباصات ، والمطاعم ، والمقاهي ، والحدائق والمنزهات وشواطئ السباحة والمساح ، وغيرها . ورفض زنوج هونتغومري ، عاصمة الاباما ، استخدام الباصات حيث لا يستطيعون الجلوس على هوامم ورجوا الدعوى أخيراً في ١٩٥٨ . وشغل الزنوج بحضورهم الموائد المخصصة للبيض ، واستطاعوا بذلك أن يخدموا هنا وهناك ، ولكن هذه النجاحات الضئيلة والضعيفة دوماً لم تكن لتكفيهم . وكان زعمائهم يطالبون منذ زمن طويل بمساواة في الحقوق شاملة وفعلية مع البيض . وفي ١٩٥٧ أعلن الكونغرس أكثر من مرة حقهم في التصويت . وفي ١٩٦٠ حاول تشريع أكثر دقة وضبطاً أن يجنب مختلف العقوبات التي وضعتها ولايات الجنوب في سبيل ممارسة هذا الحق بحرية . وكانت القضية ، في السنة نفسها ، ان يضمن للزنوج الوصول الى جميع الوظائف على قدم المساواة وبنفس الشروط الموضوعة للبيض . ولكن المعارضة الشديدة من قبل الشيوخ الديمقراطيين في الجنوب أوقفت تبني الاحكام الضرورية .

ولاشك في أن « تفوق البيض » الشهير أصبح منذ الآن مهدداً ، ولكنه ، عن وعي أو غير وعي ، ظل منقوشاً في ذهن قسم عظيم ، وربما أكثرية شعب الولايات المتحدة .

وكان من اللازم ، للقضاء على هذه العقدة ، قيام حركة كبرى في الرأي تشجعها ، ان لم نحرضها ، السلطات الاتحادية . ولم يفكر آيزنهاور باتخاذ هذه المبادرة . وهو لم يتخذ أي مبادرة حاسمة على أي صعيد ، سواء في السياسة الخارجية ، العرقية ، الاقتصادية أو المالية ، وتحمل الحوادث بارادة طيبة متعاطفة ، ولكنها بالاجمال عقيمة وخفية ، وهذا ماكانت تأخذه المعارضة على الرئيس عند اقتراب انتخاب ١٩٦٠ ، وكثير من الجمهوريين يشاركون كثيراً أو قليلاً ضمناً هذا الشكل من الرؤية . وكان

من اللازم لأمريكا المهددة في تفوقها العالمي بروسيا ، وفي وحدتها القومية بصعوباتها العرقية ، وفي ازدهارها أيضاً بروتين اقتصاديها الرسميين ، إدارة شابة أكثر حركة وأكثر حملاً .

### انتخابات ١٩٦٠

لقد حاول كل حزب أن يدل على مرشح أهل للإجابة بشكل أفضل على هذا الانتظار . وفي الحقيقة لم يشعر الجمهوريون بارتباك في الاختيار . لقد كان نائب الرئيس ، نيكسون ، مقبولاً ، ان لم يكن مقدماً من قبل آيزنهاور ليكون خلفاً طبعياً له ، وقد ظهرت قيمته بهامه الحديثة العهد وجولاته في الخارج ، وحصل بسهولة على تسمية حزبه له . وكان المرشحون الديمقراطيون عديدين . فقد كان صتيغنسون مستعداً ليحرب حظه للمرة الثالثة . واستطاع زعيم الاكثية الديمقراطية في مجلس الشيوخ ، جونسون ، شيخ تكساس ، أن يقوي نفسه بعد أن ضم اليه مختلف قطاعات وشيع حزبه . واضطر كلاهما أن ينحني أمام ، جون ف. كينيدي ، الشيخ الشاب الغني بالملايين ، الحاذق الطموح الممتلئ نشاطاً وحيرة ، ولم يكن عنده الكثير من هذه الصفات التي يعرض بها ، في أعين قسم صالح من الرأي، عيباً يوجب البطلان تقريباً : فقد كان كاثوليكياً وحتى الآن ، لم ينتخب تابع للبابا لرئاسة الولايات المتحدة . وقد قدم واحد مرة وهو الفرد أ . سميت ، ضد هربرت هوفر ، في ١٩٢٨ ، ولكنه ضرب تماماً بالرغم من شعبيته الشخصية . ولزيادة الحظ أشرك كينيدي معه ، كمرشح لنيابة الرئاسة ، منافسه البائس ، جونسون .

كانت الحملة الانتخابية حارة ومتنازعة حتى ان برنامج الخصمين كان واحداً تقريباً ، وكان كلاهما يعدان بتنافس كثيراً من القوة في إدارة الشؤون الخارجية ، والتنمية الاقتصادية المؤمنة بشكل أفضل ، والتطبيق اليقظان

لقوانين المساواة العرقية . ولكن بقي أن نعلم أيها أقدر على الوصول إلى نتائج جدية ، وبخاصة أيها يقاوم السوفيائيين بشكل أفضل ويجزم وضبط نفس . ومن المستحيل تعداد كل ما يمكن أن يؤثر على انتخاب الناخبين والناخبات . فقد كان لكينيدي تأثير أفضل على التلفزيون . ولاشك في أن ديأنته اضررت به لدى امريكا القديمة والقوية والبروتستانتية والانغلو- ساكسونية دوماً ، ولكنها ساعدت ، ولاشك ، على كسب مساندة الاقليات المتروكة جانباً ، اليهود ، والزوج ، والمهاجرين من عهد حديث . وكان الشباب والأحرار الى جانبه ، على ما يبدو ، وقد فاز بأكثرية شعبية تافهة ٤٣٠٠٠٠٠٠ صوت تقريباً مقابل ٣٤١٠٠٠٠٠٠ إلى نيكسون ، ولكنه انتزع ، في الغالب قليلاً ، الولايات الاكثر سكاناً ، وانتخب ، في تشرين الثاني ١٩٦٠ ، ب ٣٠٣ أصوات مقابل ٢١٠ للمرشح الجمهوري .

### كينيدي او الانفراج ( ١٩٦١ - ١٩٦٣ )

« الحدود الجديدة » . - كان الرئيس الجديد افي رئيس انتخب في الولايات المتحدة حتى الآن . استلم السلطة بارادة تعترف بالتجديد في جميع الميادين ، واحاط نفسه بأركان من المفكرين ، نصفهم أساندة من جامعة هارفرد او من غيرها ، وقام بحكم مباشرة من البيت الابيض اكثر مما يحكم بواسطة أعضاء حكومته ، باستثناء أخيه ، وويوت ، فقد سماه وزيراً للعدل ولم يخف عنه سراً . وقد بعث في ذاكرته الحد الشهير في التاريخ الاميري ، وهو هذا الخط المدفوع دوماً نحو الغرب الذي كان يسجل الحد الفاصل بين الأراضي المستعمرة والأراضي التي يجب وضعها في حالة انتاج ، والذي كان قد استسلم تحت جهد الرواد . واعطى هدفاً لادارته في ارجاع حد جديد إلى وراء ، حد البؤس

والجمل ، هذا الحد الذي يجب ان يزول ، هو ايضاً ، من الحياة الامريكية . ومن هنا خرج برنامج مساعدة كامل للانشاء والتعليم والأمن الاجتماعي المتزايد ، والاستخدام الكامل المضمون . ولاشك في أن الدولة الاتحادية ستجابه نفقات جديدة ، ولكن دواء هذه الحالة لم يكن في زيادة الضرائب ، كما حاول الجمهوريون ، الذين يهتمون قبل كل شيء بتوازن الموازنة الدقيق ، بل بانقاصها ، لتشجيع الأمة على الاستهلاك وتوظيف اموالهم أكثر . وان زيادة الانتاج الحاصلة على هذا النحو من شأنها أن تقيم بسرعة توازن الموازنة ، بفضل دخول ضرائب اضافية .

وهذا ما حصل فعلاً . فقد انتقلت موازنة الحكومة الاتحادية من فائض ٦٥٠ مليار دولار في الثلاثة أشهر الاولى من عام ١٩٦٠ إلى عجز ٨ مليار في الثلاثة الأشهر الاولى لعام ١٩٦١ ، وهذا قلب فظ للوضع ، ومالبت المعارضة أن شهرته كخطر مبيت ، ولكن التوسع الاقتصادي اندفع به إلى نقطة ازال فيها فضول القيم الضريبية العجز في الثلاثة أشهر الأولى لعام ١٩٦٢ . لأن السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي نصح والتوهل للرئيس بها فنجحت ، وسادت فكرة في الاوساط الحكومية أن من حق الدولة وواجبها التدخل بصورة مستديمة في حياة البلاد الاقتصادية لتنظم بشكل أفضل المصلحة العامة . وبخاصة ، كان يراد ، ما أمكن ، تجنب كل تضخم نقدي بالحفاظ على التوازن بين الأجور والاسعار . ومن هنا قام جهد مزدوج باقناع نقابات العمال من جهة ، والشركات الصناعية الكبرى من جهة أخرى ، لئلا تتطلع هذه أو تلك إلى أي رفع دون مشاوره الحكومة على الأقل .

ولاريب في ان الرئيس الديوقراطي ترك رفع الاجور يزداد بسهولة أكثر

من ازدياد التعريفات الصناعية . وفي ١٩٦٢ ، عندما ارادت أكبر الشركات المنتجة للفلاد أن تغير بعض اسعارها بسلطانها الخاصة ، هدها كينيدي بجرمانها من طلبات الدولة اذا لم ترجع في الحال عن عزمها ، وما كان منها الا ان اعتذرت . اما الزعماء النقابيون ، وبخاصة والتو دويثر ، اكبر محرض لعمال السيارة ، فلم يظهروا دوماً طبعين ، ولكنهم تجنبوا الدخول بخطورة في نزاع مع البيت الأبيض . ولكن الحال لم تكن على مثل ذلك مع رئيس نقابة سائقي سيارات الشحن هوبا ، الذي طرده المراكز العالية ولاحقه روبيوت كينيدي ، ونجح أخيراً في تنفيذ الاحكام التي تحكم عليه بالسجن . وفي الصعيد الاجتماعي والقضائي كما في الصعيد الاقتصادي والمالي ، كان جون كينيدي يعمل بجأه الشخصي اكثر من سلطته . وكانت أوساط الأعمال لانتخب تدخلاته المعاكسة لحريتها من حيث المبدأ ، وحياناً لمصالحها المباشرة . ولكن كيف تعارضه والازدهار العام آخذ بالازدياد وهي نفسها تفيد منه ؟

ان كل اصلاح إنساني ينتهي بافادة الجميع . ولقد تناولت ادارة كينيدي مادة الايمان هذه بالعقيدة الامريكية لتطبيقها في مختلف الميادين . وكان النضال من اجل الحد الجديد ، في الوقت نفسه ، نضالاً في سبيل الزوج ، وجميع المواطنين الذين كانوا غير محظوظين اكثر من غيرهم بكثير : الم يكن واردهم المتوسط يعادل تقريباً نصف وارد البيض ؟ ويبدو أن الفارق آخذ بالتزايد لالتناقص . ولاشك في أنه كان يجب تطبيق قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٠ في كل مكان ، وحتى في الولايات التي صممت على تجاهله زمناً طويلاً ماامكن ، الاباما والميسيسي ، مثلاً ، وقد عني بذلك روبيوت كينيدي بخاصة ، فمن وزارة العدلية انطلق



عمال انحاديون يتقصون الوضع هنا وهناك مزودون بالأوامر الضرورية ليعرضوا عند الحاجة اعمال البلديات ، والكونتيات والولايات . وبقوة الصبر والمتانة والمهارة والحدق ايضا ، اذغنت المقاومات ، أو ، على الأقل ، ضعفت ، دوغما حاجة ، على العموم ، إلى اللجوء إلى القوة . وكانت هذه القوة مستعدة للتدخل . فقد أرسل الرئيس جيوشا اتحادية الى مقر جامعة المسيسي ، إلى او كسفورد ، ليتمكن طالب زنجي متابعة دروس الحقوق يرافقه جنديان . وقبلت السابقة وسويت الحالات المشابهة بسهولة أكثر . ففي عام ١٩٦٣ ، مامن ولاية في الاتحاد الا و أمكن أن يرى على الأقل في مدرستين أو ثلاث مدارس أولاد بيض وزنوج مجتمعون . وكانت الأكثرية العظمى من التلاميذ تذهب ومازالت تذهب ايضاً ، حتى في الشمال ، إلى مدارس من لون واحد . لأن الاولياء من البيض والزنوج لايسكنون الأحياء نفسها . وأثار الاكتتاب على اللوائح الانتخابية ايضاً صعوبات أكثر من الدمج المدرسي ، وفلما كان الزنوج يهتمون بذلك ، وكان عليهم باعتبارهم لامبالين بتهديدات مناضلي التفوق الأبيض ، ان يمثلوا شخصياً أمام مكاتب مؤلفة من وجهاء المكان باعتبارهم تابعين لها في الغالب بسبب عملهم ، وديونهم ، وحياتهم اليومية . ومن المعلوم في كونتيات الجنوب الريفية أن ثلث وفي الغائب ربع الزنوج فقط ، كانوا ملازمين بأن يكتبوا ولا يكون لهم في الغالب الاحق التصويت لمشرع وحيد ، ابيض وديموقراطي دوغما شك .

غير أن ما كان يلزم ايضاً هو تحسين ظروف الزنوج الاجتماعية . ولقد حاولت الادارة الجديدة ذلك بأشكال مختلفة ، مشجعة انشاء كونتيات لتنمية العلاقات الودية بين العرقين ، ومقتنة النقابات بالانفتاح على جميع العمال دون تمييز لون الجلد وتأمين نفس الاجور لهم ، ومناضلة

ضد الأكواخ الحقيبة ، التي يسكنها الزوج في الغالب ، ساعية لأن يقبل هؤلاء ويندبوا ويسكنوا في الضواحي المتناثرة حيث يقيم الشعب الأبيض تدريجياً . وهكذا أدت القضية العرقية إلى قضية العمران ، ولم تترك هذه الأخيرة بكاملها لمبادهة المتعدين . وبمنع الاعتمادات والتسهيلات الأخرى أصبح للسلطات العامة بالتدريب كلمتها التي تقولها في هذا المضمار . وهنا أيضاً ، حاولت ادارة كينيدي أن تجد وسطاً عادلاً بين حرية الأفراد التقليدية في الولايات المتحدة ، ولكنها مولدة للمفاسد ، ورقابة الدولة الشديدة الموصوفة بالاشتراكية ان لم تكن الشيوعية .

ورفاه أكثر الاقليات التي مازالت غير محظوظة ، ولكن انفتاح فكري أكثر للجميع : ويكاد يكون هذا الاهتمام الثاني لحكومة كينيدي أقل أهمية من الأول . فلم يكن الاقتصاديون الاجتماعيون والعلماء والمربون وحدهم في مرتبة الشرف بل أيضاً الكتاب ، والشعراء ، والفنانون . وهنالعبت زوجة الرئيس ، جاكلين ، دوراً شخصياً ، مجددة تزيين البيت - الأبيض ، ومتذكرة سنوانها وهي طالبة في فرنسا وفي المكسيك ، وهي أكثر عالمية في ذوقها من زوجها . ويجب الا تقتصر معرفة الانسان والطبيعة على نخب ضيقة . فعلى التعليم العالي الامريكي أن يتوجه للجميع . وعلى الحكومة أن تساعد المدارس والطلاب . وقد أصبح الذهاب إلى الكلية مطمح كثير من الشبان والشابات ، ومن المعلوم أن القصد لم يكن انشاء طبقة مثقفين ، بل أن تطلق شبيهه الولايات المتحدة لاكتشاف العالم الواسع لتعرف مختلف الحضارات وتأثيا بتعاونها .

ومن هنا اتت فكرة تنظيم فرقة شبان السلام ذوي الارادة الطيبة تحت ادارة زوج اخت الرئيس .

## التوترات مع الاتحاد السوفياتي

ظلت العلاقات مع الخارج القضية الاولى . فقد تمت القطيعة الدبلوماسية التامة مع كوبا ، في ٤ كانون الثاني ١٩٦١ ، أي قبل أن يقسم الرئيس اليمين بستة أيام ، وتحملت الولايات المتحدة بصعوبة هذا التابع الصريح للسوفياتيين المقيم على ٩٠ كم من شواطئها ، وقد سبق لحكومة آيزنهاور أن سلحت كثيراً أو قليلاً في فلوريدا وفي غواتيمالا اللاتينيين الكوبيين ، المستعدين للانطلاق ، بمساعدة البحرية الأمريكية لفتح جزيرتهم ، أرض ميلادهم ، ولم يمنعهم كينيدي من تجريب حظهم بنفسهم ، واكتفت السفن الأمريكية بمراقبة سير العمليات ، دون أن تشارك بها . وكان كاسترو على علم بهذه المشاريع . فقد نزلت بضعة الوف من الغزاة في جون الخنازير ، واصطدموا بمقاومة قوية جداً ، وبعد يومين من القتال طرخوا في البحر قتلى أو أمري . وكانت كوبا والسوفياتيون في ظروف ملائمة للتغني بالنصر والصراخ بالتدخل الأجنبي في نيسان ١٩٦١ . وتحمل كينيدي مسؤولية هذا الاخفاق الحزن لأنه ترك جزئياً الأمور تجري في اعتنا .

وكان من المستحيل نزع كوبا من كاسترو بالقوة دون المخاطرة بحرب عامة . ولذلك لزم استئناف القضية من على ، واعتبار امريكا اللاتينية بمجموعها . وتوشك هذه الأخت المحرومة أن تحذو حذو كوبا وتصبح فريسة الشيوعية اذا لم تعمل فيها تحويلات عميقة عاجلة ، وقد عرف كينيدي وخبرائه هذه الضرورة . ولذا اقترحت حكومة الولايات المتحدة ، منذ ربيع ١٩٦١ ، على البلاد الأخرى في القارة ، « حلف التقدم » . وكانت واشنطن مستعدة لتقديم العون التقني والمالي الضروري ، ولكن

شريطة أن تسير الاصلاحات الاجتماعية في طريقها ، وقبل كل شيء ،  
الاصلاح العقاري والاصلاح الضريبي . وكان يأمل بأن تسمعه الطبقة الفكرية  
والليبرالية ، ولكن هذه الطبقة رفضت دون دراسة وفحص برنامجاً « يانكياً »  
كاملاً وأرادت أيضاً اوليغارشية « اقلية محتكرة » كبار الملاكين ، التي كانت  
تقبض على السلطة في معظم الولايات أن تسمع قليلاً الكلام عن تقسيم  
الاراضي والضرائب وتوزيعها بشكل عادل . واعطت قيمة للخطر الشيوعي  
لتحصل من الولايات المتحدة على الدولارات التي ترغب بها . وبدا أن  
واشنطن تدعم على هذا النحو حكومات غير شعبية جداً . ولم يأل  
فيديل كاسترو جهداً في التشهير بهذا الموقف . واقترح على محرومي القارة مثال  
حكومته الاستبدادية ، ولكن الشريفة ، التي تعمل على تحرير الفلاحين  
الكوبيين من البؤس والجهل . ولما كان قوياً بمساندة السوفيائين الاقتصادية ،  
وعند الحاجة العسكرية ، فقد ظل يتحدى عملاق الرأسمالية . ولم يحسن  
حلف التقدم وضع امريكا الجنوبية الا قليلاً .

وكان كل شيء يتعلق مباشرة بالعلاقات بين الولايات المتحدة والائتلاف  
السوفياني . وكان كينيدي يحلم بأن يكون رجل السلام العالمي  
والانفراج العام . وقضية جون الحنازير غير المناسبة ، التي أثت في غير  
حينها ، لم تحدث لتؤمن له كسب ثقة خروثشوف . والتقى الرجلان في  
فيتا في ٣ و ٤ حزيران ١٩٦١ ، ولكن لم يتوصل كل منهما إلى اقناع  
الآخر بسلامة نواياه . وعندئذ حاول السوفيائيون التخويف : من ذلك  
بناء جدار يقطع برلين إلى قسمين في آب ١٩٦١ ، وتفجير قنبلة حرارية-  
نووية من ٥٠ ميكاتون ، في آخر شهر تشرين الأول التالي ، واتخاذ موقف  
حاسم بمناسبة كوبا . ولم يفقد الامريكيون رباطة جأشهم : ان جدار

برلين ، بالنسبة للعالم الشيوعي ، يعتبر اعترافاً بالافلاس والعجز أكثر من القوة . اما ما يتعلق بالقنابل او الصواريخ فان الولايات المتحدة تتصرف بقوة تهديم افظع بمرتين او ثلاث مرات من قوة الروس . وظلت كوبا تحت الرقابة المستدبة لطيران قواعد فلوريدا . وفوق ذلك ، ابدى الاقتصاد السوفييتي علامات الضعف ، وأصبحت المشاكل المتزايدة بين موسكو وبكين عامية تقريباً في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في موسكو في تشرين الأول ١٩٦١ . واذا ما سدت الأمم الغربية أواصرها فان الوقت يكون مناسباً لعمل جماعي لجر العالم الشيوعي إلى نزع السلاح والسلام .

وحيا الجنرال دوغول بعطف حامٍ قليلاً وصول « رفيق شاب » إلى رأس الولايات المتحدة . وتبادل الرئيسان الزبارة بود ، ولكن كل واحد منهما كان يرى بأن يوجه الآخر ويتمسك بغيره باستقلاله . ولم يجب كينيدي نعم أو لا على الطلب الذي عرضه رئيس الجمهورية الفرنسية على آيزنهاور وهو أن يكون مريكا ، وعلى الأقل بنفس الصفة التي تكون للبريطاني الأول في سياسة واشنطن . وكان يريد ، قبل كل شيء ، ان يجمع أمم اوروبية الحرة تحت ادارة الولايات المتحدة ، والأفضل ، للنجاح في ذلك ، كان في الحفاظ على بعض التوازن فيما بينها . ولم تنف علاقاته الطيبة مع دوغول العلاقات الطيبة أيضاً ، وربما الأسهل ، مع المستشار آديناور ، وبخاصة مع الوزير الأول ماكميلان . وكان هذا يرغب بأن تدخل بريطانيا العظمى في السوق الاقتصادية الأوروبية . ورأى كينيدي ان يساعده في ذلك باظهار نفسه موافقاً علناً على هذا المشروع في خطابه في فيلادلفيا ، في ٤ تموز ١٩٦٢ . وهذا التدخل الامريكى ،

في قضية هم اورية ، اثار شكوك الجنرال دوغول، وأسمهم ، ولاشك ، في طرحه لترشيح بريطانيا العظمى ، في كانون الثاني ١٩٦٣ . وبدأت فرنسا بالابتعاد دون أن تشهر بعد بمنظمة معاهدة شمال الاطلسي . وعدلت الولايات المتحدة عن الأمل بأوربة المتحدة تحت ارادتها ، أو بأوربة المتحدة دوغما زيادة .

هل تشجع هذه التنازلات خروتشوف على إثارة الولايات المتحدة ؟ من المحتمل جداً أن خروتشوف أراد أن يظهر حزمه بعد أن انتقدته الصين الشيوعية على لينه حيال الدول الرأسمالية . فقد أعلن ، في تشرين الأول ١٩٦٢ ، لحماية كوبا من كل هجوم أو ضغط امريكيين ، ان الاتحاد السوفياتي اتى اليها بصواريخ تحمل رؤوساً نووية ، وأن هناك صواريخ أخرى تعبر الاطلسي . فرد كينيدي بوضوح وعجل عظيمين على هذا الخطر المميت لأمن بلاده . واعلن أن القوات البحرية والجوية في الولايات المتحدة تلقت الأمر بأن تقاوم بجميع الوسائل وضع الاجهزة السوفياتية في مكانها . وفي يومين أو ثلاثة أيام ( ٢٤ - ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٢ ) امسك العالم بأنفاسه : لأن الحرب العالمية يمكن أن تنفجر من لحظة إلى أخرى . ووقفت فرنسا وبريطانيا العظمى صراحة إلى جانب امريكا . وفي ٢٧ منه أمر خروتشوف سفنه بأن تدور نصف دورة ووعد بأن ينزع بسرعة العتاد الذي ازل من قبل . وتعهدت الولايات المتحدة ، بالمقابل ، بالالتجأ إلى القوة ضد كاسترو . وهكذا انقذت الدولتان الكبريان السلام والمظهر ، ولكن معظم الناس كانوا يرون بان الاتحاد السوفياتي هو الذي تراجع

وبلغت شعبية كينيدي ، في الولايات المتحدة ، في العالم الحر ، أوجها ،  
ومثلها الثقة التي أبدت له .

### الانفراج

لقد كانت المخاطرة بنكبة لاسابق لها عظيمة جداً ، حتى ان الحركين  
الكبيرين خشياً منها وقررا الا يجازفا بمثلها ابدأ . وقامت مفاوضات بين  
الاثنتين للوصول إلى «تسوية» . وكان الاتحاد السوفياتي اكثر اندفاعاً ،  
لاسيا وأن علاقاته مع الصين قد تهدمت كثيراً . وأمريكا ، من جانبها ،  
ان لم تكن قلقت ، فعلى الأقل ، تأثرت من مزاعم الجنرال دوغول في  
ان يكون وحده فارساً ، ومن ارادته مها كلف الأمر في تخويل فرنسا قنابل  
ذرية وقوة ضاربة . وفي ٢٠ حزيران ١٩٦٣ ، اقيم خط هاتفى  
خاص بين البيت الابيض والكرملن ، رمزاً لارادة الدولتين الكبيرين  
في التفاوض للحفاظ على السلام . وفي ه آب التالي ، وعلى وجه الصحة  
بعد ان فسخت بكين معاهدة التحالف مع السوفياتيين بخمسة ايام ، وقعت  
الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، في موسكو ، اتفاقاً تعهدا بمرجه  
على التخلي عن جميع التجارب الجديدة النووية على سطح الارض أو في  
الجو ، واتفقا على دفع الدول الاخرى إلى ان تحذو حذوهما . وقبلت كلها  
هذه النصيحة ، باستثناء فرنسا والصين . فقد قررت كل منها الدخول  
طوعاً أو بالقوة في النادي الذري .

ويبدو ان اتفاق موسكو يسجل نهاية الحرب الباردة ، والقبول  
الصريح للتعايش بين الرأسمالية والشيوعية ، ودون شك ، بداية تقارب بين  
خصمي الامس . وتشجع كينيدي بهذا النجاح فاراد أن تكون امريكا  
اهلاً لدورها كداعية عالمية للسلام . وكيف يمكنها أن تتطلع إلى التبشير

بالتفاهم والمساواة بين جميع الشعوب اذا لم تكن قادرة على أن تعيش في بلدها جميع مواطنيها في عدل واخاء ؟ لقد كان يجب اعطاء دفعة جديدة لتطبيق الحقوق المدنية دونما حيلة ، وبنفس المناسبة ، تأمين التصويت الزنجي في الانتخاب الرئاسي القريب . وهذا مادفعه الى الذهاب والدفاع عن قضية المساواة العرقية والعدالة الاجتماعية في الجنوب كله ، وبخاصة في دالس وهي أعدى جميع مدن تكساس لسياسته . ونعلم ماجرى له في تشرين الثاني ١٩٦٣ . هذا وأن ظروف محاولة الاغتيال والقتل بعد الغد ، والقاتل الظنين ، مازالت غير واضحة . انها جريمة منعزل ، هذا ما استخلصته لجنة التحقيق التي يوجهها رئيس المحكمة العليا ، اول وودين . ربما . وهذا الزوال الفظ لكينيدي لم يكن ليسوء عدداً من الاشخاص والمصالح المجندة لبقاء التوترات الدولية والعرقية والاجتماعية . ولكنه احزن كل هؤلاء الذين اعطاهم هذا الانسان السعيد الشاب المفعم حيوية ، او أعاد اليهم الأمل والرجاء بعالم اكثر انفتاحاً وعقلاً .

### جونسون والمخاطر الاصفر ( ١٩٦٣ - ١٩٦٨ )

ودون أن يضيع ثانية نائب الرئيس ، ليندون جونسون ، الذي كان يرافق كينيدي في دالس ، اقسم اليمين وأصبح رئيساً في نفس الطائرة التي اقلته إلى واشنطن مع جثمان سلفه وارملته . لقد كان حتى ذلك الحين بعيداً عن القضايا الجديدة بعائلة وبطريقة تحتقران فيه انسان الغرب ، غير مثقف ، حديث الغف ، جاهلاً العالم كله ماعدا تكساس ودهاليز الكابيتول . ولقد اعادت درامة دالس اليه فجأة طموح حياته . وما من أحد يفكر جدياً بأنه استطاع ان يثيرها ، ولا ان يتنبأ بها ،



كما تشير إلى ذلك مسرحية سيئة تقلد « ماكبث » واسمها « ماكبرد » ومثلت في نيويورك في ١٩٦٦ ، ولكنه كان ولاشك أول مستفيد منها .

### « المجتمع العظيم »

كان أماس جونسون أقل من عام قبل الانتخاب الرئاسي القريب ، في تشرين الثاني ١٩٦٤ ، الذي سيربجه أو يحسره حسب بواعثه الخاصة . وكان يجب العمل بسرعة ، ومع ذلك مداراة الانتقال الذي لابد منه . وانصرف أعضاء جهاز كينيدي الواحد بعد الآخر ، ماعدا أمين الدولة وسك ، ووزير الدفاع ، ماك فامارا اللذين كانا يؤمنان استمرار السياسة أمام الخارج . وكان العاجل كسب ثقة الناخبين . وهل امم المجتمع العظيم الاكثر وعداً وإهاماً محل امم « الحيد الجديد » . وكان المحتوى نفسه تقريباً ، ولكن حيث كان كينيدي لامبالياً بحساسيات الكونغرس ، واصطدم بمعارضته ولم يستطع أن يفي بوعوده ، حصل جونسون ، الرجل الخنك في العاصمة وضواحيها ، في وقت ما على كل ما كان يطلبه تقريباً : متابعة السياسة الاقتصادية ، بالبداهة ، وتخفيضات جديدة للضرائب لدفع التوسع ، وستورها ، كما هو الأمر منذ قليل ، فضول قيمة ضريبية ، بل وأيضاً اعتمادات متزايدة لتشجيع تقدم العمران ، والسكن ، والتعليم ، وبخاصة التصويت على القانون « ميديكار » الذي وضعه كينيدي ويؤمن الاسعاف الطبي المجاني لجميع المواطنين الذي يبلغ عمرهم الخامسة والستين عاماً أو أكثر : وهذا الاجراء ثوري ومتعاطف مع الشيوعية في أعين امريكا الليبرالية والرأسمالية ، ولكن المنتفعين به وأولادهم ، اكثرية الأمة ، استقبلوه بطيب خاطر . وفي صيف ١٩٦٤ ، تبني قانون آخر يحاول أن يحدد أو أن يتغلب على العقوبات الأخيرة التي وضعتها ولايات الجنوب التي قاومت الاعتراف الفعلي بمساواة الزنوج والبيض .

وفي الخارج ، كان خروتشوف في الظاهر منهمكاً بشاكلة الخاصة مع بكين ، وفي داخل الاتحاد السوفياتي ، بل والكرملن نفسه ، ولم يتابع مع الولايات المتحدة تعايشاً طائشاً تشوبه نوبة مزاج . وكان دوغول ينتظر بجزع متزايد اصلاح منظمة حلف شمال الاطلسي أكثر من زيارة جونسون لباريس ، دون أن يتنازل ويوضح رغباته في هذا الموضوع . وكانت الحالة حرجية في فيت - نام ، حيث أخذ الامريكيون تحت حمايتهم حكومة سايجون منذ إبرام اتفاقيات جونيف ، في ٢١ تموز ١٩٥٤ ، ومفسادة الفرنسيين . وقد خولت ادارة آيزنهاور ثم ادارة كينيدي مساعدتها المعنوية والمادية إلى الرجل القوي في فيت - نام الجنوبية وهو الرئيس نفو دينه ديم ، ومنذ ١٩٥٦ ، جاء معلون امريكيون بصفة طوعية اولاً لافادة جيوش فيت - نام الجنوبية بمعارفهم التقنية . ولكن عددهم المتزايد سمح للمرضين القوميين بالتشهير بتدخل جديد ربما يكون في الغد احتلالاً أجنبياً ومن هنا قامت محاولات انقلابات عسكرية ، في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٠ وفي ٢٧ شباط ١٩٦٢ ، واهفقت ، ولكنها فتحت أنظار ادارة كينيدي على شعبية ديم الآفة . ثم ان تظاهرات ومظاهرات البوذيين ضد حكومة متهمه بتشجيع الاقلية الكاثوليكية ، حركت ايضاً البيت الأبيض الذي كان يخشى فوق كل شيء أن يتهم « بالباية » أي التبعية للبابا . وباختصار اخذت واشتطون تتنكر لديم ، وترك لنفسه ، غافاد أعدائه من ذلك وقلوبه وقتلوه بالانقلاب العسكري الذي تم في الأول من تشرين الثاني ١٩٦٣ ، وكذلك أخوه وشريكه . وهكذا كانت حالة الارث الدقيق الذي ترك لجونسون بعد ثلاثة أسابيع على مقتل دالس . وقد أرجأ الرئيس الجديد إلى الآجل البعيد دراسة القضية دراسة عميقة ، واقتصر على متابعة سياسة العون المالي والعسكري لحكومة سايجون وتعزيزها .

## انتخاب ١٩٦٤

كان الاسامي كسب الانتخاب الرئاسي . غير أن سياسة جونسون الاجتماعية والعرقية اغضبت المعارضة المحافظة ، القوية بخاصة في الحزب الجمهوري . حتى ان مختلف التجمعات المسلكية المناوئة للشيوعية ، ومن بينها شركة جون بورتش التي كان يولها اغنياء البترول والراديو الجدد ، جذبت التجمعات التي كانت تعتقد بأنها مهددة بسياسة الحكومة التدخلية في الحياة الاقتصادية والمناصرة للدمج ، « الفقراء البيض » ، في احياء عمال الشمال وارياف الجنوب ، صغار ارباب العمل والتجار ، وباختصار الكتلة « البوجادية »<sup>(١)</sup> . وكان الجمهوريون المحافظون يريدون الحصول على أصواتها دون أن يكونوا مرتبطين بها . وفرضوا تقريباً ، تحت التهديد بالانقسام ، مرشحاً من اختيارهم في مؤتمر الحزبي ، شينغ آيزونا ، بادي غولدووتر . وانطلق هذا في حملة مسعورة ضد كل من عمل منذ فرانكلن روزفلت على صعيد تدخلات الدولة الاتحادية ، والأمن الاجتماعي ، والحقوق المدنية ، والنشاط النقابي ، والانفراج الدولي ، مهاجماً بنفس الحرارة الاجراءات التي قبلها الجميع وجرى النقاش عليها . واستطاع على هذا النحو أن ينجح جونسون بـ ١٦ مليون صوت اكثرية عليه ، وبنسبة ٦١,١٪ من الأصوات ، متجاوزاً بذلك الأرقام القياسية التي بلغها فرانكلن روزفلت في ١٩٣٦ ! وبدأ جونسون في وضع يمكنه من اتمام برنامجهِ .

وبعد قليل على هذا الانتخاب المنتصر ، لاقى ليندون جونسون كثيراً من الصعوبات ، في جميع الميادين تقريباً ، وأفلت شعبيته بسرعة

---

(١) بالنسبة الى بوجاد الفرنسي ، وهو من صغار الكسبة .

جدا . ولذا ثبت نظره على الاحصاءات الشبه الرسمية التي تزعم متابعة  
تقلبات الرأي العام الامريكى في كل القضايا الجارية . وكانت قراراته  
في قسم عظيم منها تتعين حسب ارتفاع شعبيته وانخفاضها .

لقد اراد ليندون جونسون ان يبقى بطل « المجتمع العظيم » مقدماً  
لجميع الامريكيين ، وفي يوم آت ، إلى جميع الناس ، الرفاه والسعادة .  
وقد حوفظ على النفقات الاجتماعية بل وزيدت . وزاد الأمن الاجتماعي  
بنسبة ٧٪ بالغ معاشاته التقاعدية التي أصبحت تدفع عملياً منذ الآن  
فصاعداً إلى جميع سكان الولايات المتحدة الذين يزيد عمرهم على ٦٥ عاماً  
للرجال و٦٢ عاماً للنساء . وقد أفاد هؤلاء ، كما رأينا ، من الاسعاف  
الطبي المجاني ، ومقابل تكليف زهيد دفعت لهم أيضاً نفقات العمليات  
الجراحية . وظلت الدولة تساعد ، بصورة مباشرة وغير مباشرة ، الدراسة  
العليا للطلاب من ذوي الموارد المتواضعة ، وانشاء المساكن الرخيصة ،  
وتجديد المدن وتجميلها . وهذه السياسة المتعاطفة مع الاشتراكية ، التي  
لا تجرأ أن تقول اسمها ، كلفت غالباً ، ولكنها سبوت صناعة البناء .  
« و عندما يمشي البناء ، يمشي كل شيء » . وساعد أيضاً تخفيض نسبة  
الضرائب ، الذي طبق حديثاً ، بموجب قانون الواردات لعام ١٩٦٤ ،  
على تنشيط التوسع وبالتالي على تضخم الدخول الضريبية .

هل من الممكن البقاء على مثل هذه الحال زمناً طويلاً ؟ منذ منتصف  
١٩٦٥ ، أبدت الحالة الاقتصادية والمالية في الولايات المتحدة نقاطاً  
ضعيفة وهي : ارتفاع في الاسعار ، تهديد بالتضخم النقدي ، بطء في  
الاعمال ، اختلال توازن مزايد لا في ميزان المدفوعات فحسب ، بل  
أيضاً في الميزانية البسيطة ، وبالتالي نقص في مال الخزينة الذهبي ، وتساؤل  
فرنسا عن القيمة الحقيقية للدولار ، دولار مبالغ في قيمته يساعده

الامريكيين في الحصول بسعر رخيص على مشاريع في الخارج . وكانت هذه القضايا منذ قليل تنفر الذين لا يعلمون بظورها التقني ، ولكن اهميتها النفسية والسياسية فرضت نفسها منذ الآن على الانتباه العام ، وفي فرنسا بخاصة . واراد العملاق الاميركي ، مثل قصة ميكروميغا فولتر ، أن يصيخ بسمعه إلى هذا الكلام الدقيق ويعترف له احياناً بسبب ظاهر ، ولكن عثر عليه أن يأخذ مأخذ الجد عجزاً سنوياً بـ ٣ مليارات دولار في مادة المدفوعات ، على حين أن انتاجه القومي الحام كان في حدود ٦٠٠ مليار دولار في العام ، ولم يتوصل إلى أن يفهم كيف أن المطر من الاوراق النقدية الحضرء ، الذي مازال بعد مطلوباً بتواضع على الركب ، يظهر منذ الآن خطراً ، ان لم يكن مجرماً ، هنا وهناك . وات احتجاجات بعضهم وابعاءات الآخرين لاتستطيع شيئاً ضد ثقته الثابتة بأن العالم الاميركي ، مع كل نقائصه ، مازال على الاقل ، لهذا الجين ، أفضل العوالم الممكنة .

### الزبدة او المدافع

لقد بلغت قوة الولايات المتحدة درجة أصبحت معها مختلف نواحي الضعف فيها ، على خطورتها المتفاوتة ، لاثخاطر بزغعتها ، ولكن المعارضة أفادت من ذلك لتنتقد الحكومة . وكانت الادارة تعلن ، في مطلع عام ١٩٦٦ ، أن الولايات المتحدة تستطيع « أن تقدم لنفسها زبدة ومدافع ، وأن تجابه الحرب في فيت - نام دون التخلي عن تنمية « المجتمع العظيم » . وهل تستطيع امريكا أن تحمل هذا العب المزدوج دونما حدود ؟ ان آراء الخبراء موزعة . ان بعض الرجال السياسيين ، ومن بينهم الشيخ روبرت كينيدي ، في حملته الانتخابية الصغيرة التي انتهت بمقتله في لوس آنجلس ،

في ٥ حزيران ١٩٦٨ ، يصرحون بوضوح أن من الأفضل ان تخصص ، لتحسين مصير الزوج والمحرورين الآخرين في الولايات المتحدة ، المبالغ الضخمة - أكثر من مليارين دولار في الشهر - التي تبذلها فيت - نام ، ولكنهم ، مع ذلك ، يصوتون على اعتمادات الحرب .

ان « المجتمع العظيم » لا يفترض نفقات كبرى فحسب بل أيضاً الدمج العرقي . ولقد تابع جونسون جهده على تطبيق القوانين العديدة في الحقوق المدنية . واصطدم بمقاومة انصار العزل العنيدة في الجنوب العجوز ، المتجمعين كثيراً أو قليلاً حول حاكم آلاباما ، والس . وإذا لم يستطع هذا أن يكون منتخباً من جديد ، في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، فلا أهمية لذلك . فقد انتخبت زوجته مكانه وتركزت له ادارة الاعمال . وكان الس ، في ١٩٦٨ ، مرشحاً للرئاسة من جميع البيض المستأين والقلقين من تقدم وتهديدات الزوج ، وعلى هذا النحو انتزع في الجنوب بل وإيضاً في الاحياء العالية في المدن الكبرى ، الوف ، بل ملايين الأصوات من الحزبين الكبيرين .

ووجد أن بعض الزوج ، المتحمسين بنجاحهم والتواقين إلى التغلب على آخر مقاومات البيض ، قد انتقلوا من الحزم إلى الاثارة ، وأت معظم زعمائهم ، والدكتور مادتن لوثر كينغ على رأسهم ، الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ ، ظلوا يشجعون كل عمل عنيف للحصول على حقوقهم ، ويأملون الوصول إلى مشاركة أخوية مع البيض . وآخرون على العكس - الشاب ستوكلي كارميكائيل ، مثلاً ، ماركيون بصورة مفتوحة كثيراً أو قليلاً ، يتكلمون باستخدام جميع الوسائط ، ومن ضمنها الحرب الأهلية ، ليقيموا في كل مكان يكون فيه للزوج اكثرية ، في

واشنطن للبدء ، « سلطة زنجية » ، تود البيض إلى حظيرة العقل : هذا هو برنامج رابطة « المسلمين الزوج » ، المتطرفة والقوية بشكل كاف في حي هارلم .

وكانت هذه التطرفات ، في ذلك الحين ، من عمل اقلية ، ولكنها أثارت خوف واستياء الكثيرين من البيض الذين اساءوا الاذعان لوجود عمال زنوج في مدارس اطفالهم ، وسكان زنوج في شوارعهم . وكانت المشادات العرقية تنفجر كل صيف في الاحياء الفقيرة ، الغيتو ، في المدن الكبرى ، في لوس انجلس ، مثلاً ، في ١٩٦٦ ، وفي نيوارك ، وفي ديترويت في ١٩٦٧ . وربما كان البؤس ، أكثر من اختلاف الجلد ، سبباً في الغالب . وكان كارميكايل واترابه يريدون أن يحولوها إلى « حرب عصابات مدنية » منظمة . ومهما يكن زعماء الزنوج من سن معين واعين لرد الفعل الابيض المثار ، حتى في الاوساط الليبرالية ، عن طريق الحرائق والنهب والافتتالات ، فيبدو أنهم غير قادرين على تعديل المظاهرات . كما يظهر ان مقتل بطل اللاعنف ، الدكتور مارتن لوتر كينغ ، في ممفيس ، في ٤ نيسان ١٩٦٨ ، أعطى سبباً للمتطرفين ، وأثار ردود فعل زنجية عنيفة جداً في معظم المدن الكبرى . ولزم تدخل الجيش لتوطيد النظام في واشنطن بعد اسبوع من الدمار والحرائق وأعمال النهب .

### الحرب في فيت - نام

ولكن السياسة الخارجية للولايات المتحدة احدثت قلقاً خطيراً للرئيس جونسون وللعالم كله . ان التدخل الامريكي القوي والمحكم في سان دومينغ خفق بسرعة دفعاً « كاستروياً » جديداً في الآتيل في ربيع - صيف ١٩٦٥ . وان المساعدة الفنية ، ثم التدخل العسكري للولايات المتحدة لصالح

فيت - نام الجنوبية الواقعة في خصام مع التمرد الفيت - ككونغ قد تحولتا إلى حرب منظمة ، وان لم تعلن ، بين فيت - نام الشمالية وامريكا . وقد اعلنت الولايات المتحدة ، وكان لها في عام ١٩٦٨ في هذه الحرب ٥٠٠٠٠٠ رجل ، أنها تريد حماية فيت - نام الجنوبية ، بناء على طلبها ، ضد التهديم الشيوعي بالعنف . وإذا تفوق ذلك ، فان جنوب شرقي آسيا كله ، ومن ضمنه اندونيسيا من جهة وربما الهند من جهة أخرى ، يسقط تحت اشراف صين بكين التي أصبحت منذ الآن بجهزة بالاسلحة الذرية القوية . وتجاه هذا الخطر الأصفر الجديد ، يرى أن الولايات المتحدة عندها انطباع في الدفاع عن العالم الغربي بكامله ، وروسيا من ضمنه ، وهذه الأخيرة في خلاف ملحوظ جداً مع بكين ، سواء في التفسير الصالح للماركسية - اللينينية ، وموقف العالم الشيوعي أمام الدول الرأسمالية وحتى في الحدود المشتركة بين الدولتين . وبعد زوال خروتشوف السياسي ، في تشرين الأول ١٩٦٤ ، وقبله ، حاول الاتحاد السوفياتي بالاجمال ابرام « تسوية » مع الولايات المتحدة . وعمت العلاقات العلمية والثقافية والسياسية وحتى التجارية بين العملاقين . وكان من الممكن أن يفسح التنافس في فتح الفضاء بجالاً لتعاون إذا انفرجت الحالة السياسية ، ولكن احتلال تشيكوسلوفاكيا القريب من قبل الجيوش الروسية ، في آب ١٩٦٨ ، أحدث أثراً معاكساً ، وتحت طائلة فقدان الظواهر أمام العالم الشيوعي كان على الاتحاد السوفياتي أن يدعم فيت - نام . وهو يفعل ذلك ، على ما يظهر ، أكثر من الصين ، التي يبدو أنها تنمي هناك حالة حرجية وخطرة قادرة على اضعاف البلدين القادرين أكثر من غيرهما على احتواء طموحها وابقائها منفصلين .

ان الفيت - نام المنقسمة إلى اثنين ، المنهكة بعشرات السنين غير



المنطقة تقريباً من الحرب الأهلية والخارجية ، والبائسة ، هي ضحية ومركز لسياسة عالمية غامضة على أصحابها أنفسهم . وان أوربة الغربية تشهد هذه الدراما خرساء وعاجزة . إلا أن فرنسا الجنرال دوغول وحدها وقفت بوضوح ضد الامريكيين في فيت - نام . وفي ١٩٦٦ ، خرجت من المنظمة العسكرية حلف الاطلسي واعطت للولايات المتحدة اثني عشر شهراً للجلاء عن قواعدها في فرنسا ، وهذا ماقامت به في ١٩٦٧ . وحاولت انكثرا ، عبثاً ، تشجيع حل الحلاف الفيتنامي . وقلقت المانيا الغربية اذ رأت حاميتها الكبرى تثبت اكثر فاكتر انتباهها على جنوب شرقي آسيا على حساب أمنها الخاص . ولقد ساء قسماً طيباً من من الرأي العام الاوربي وأقلية أمريكية لايمكن اهمالها ، أن أقوى بلاد العالم يستخدم الوسائط الاكثر فاكتر عنفاً ليمنع شعباً صغيراً من سلوك السياسة التي ترضيه . كما ان المحادثات ، التي افتتحت ، في أيار ١٩٦٨ ، في باريس ، ببادرة الرئيس جونسون ، بين الامريكيين وفيتناميي الشمال ، للبحث عن شروط وقف النار ووقف ضرب فيت - نام الشالية بالقنابل في الأول من تشرين ، ربما تكون مقدمة بعيدة للسلام .

وجاءت ازمة الشرق الأوسط الحديثة العهد ، في حزيران ١٩٦٧ ، تعقد الحالة السياسية في الولايات المتحدة . فقد وقف الرأي العام الامريكي بمجموعه إلى جانب امرائيل . واربك هجومها الصاعق والمتصر واشنطون المهمة بتجنب نزاع مباشر مع موسكو والحفاظ على حصتها من البترول في الشرق الأوسط . وجنب السوء لقاء كوسيفين - جونسون ، في غلاسبرو ، باظهاره مرة أخرى أن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة متفقان على الاتخاطرا بحرب عالمية ، ولكن يبقى ، هنا ايضاً ، إيجاد حل يقبله المعسكران المعنيان .

هذه هي بعض القضايا التي خاضتها أمريكا وليالي الرئيس جونسون ومستشاريه . ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتخلى عن مشروعها في آسيا دون أن تفقد الكثير من جاهها وسلطانها . ولا تستطيع أن تتابعه دون أن تخضع وجودها اليومي إلى متطلبات حرب مكلفة بالارواح والعتاد . وقد عدل جونسون ، في ٣١ آذار ، عن قنيل نفسه في تصويت أبناء وطنه في تشرين الثاني . وختم انتخاب ريتشارد نيكسون عندئذ ثمانية سنوات من الحكم الديمقراطي فماذا يعطي قدوم الجمهوريين إلى السلطة وليس لهم اكثرية في مجلس المثلين أو في مجلس الشيوخ ؟

### امريكا الحالية

قوتها . - كانت امريكا المنتصرة عام ١٩٤٥ تأمل بأن تمنح العالم السلام والسعادة ، في نفس الوقت الذي تؤمن فيه امتداد ازدهارها إلى جميع مواطنيها . وكان الجمهوريون والديمقراطيون على اتفاق ، مع بعض الفروق البسيطة ، على هذا البرنامج . وكان هؤلاء أكثر عزماً ، واولئك أكثر حذراً . ولقد نجحوا في ابقاء أمتهم في الصف الأول في العالم في البحوث العلمية والتقنيات الجديدة والانتاج الاقتصادي والقوة العسكرية ، وأكثر من ذلك أيضاً ، في مستوى الحياة الذي بلغته تسعة أعشار الشعب . وان الأزمة ، وهي نسخة عن أزمة ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ، التي ينتظرها العالم الشيوعي بفارغ الصبر ، لم تحدث بعد : ففي كل اربعة ، خمسة اعوام ، مع بعض البطء ، يبدو أن تخفيض الضرائب يمكن منذ الآن أن أن يقي أو يحذف دون أن يهتم التوازن النهائي للحسابات . وان التقدم السريع بافراط في التقنيات الالكترونية وغيرها ، خلال هذه السنوات الأخيرة ، ساعد الولايات المتحدة على أن تتجاوز بمسافات ، في هذه النقطة ،

منافسها الرأسماليين أو الشيوعيين ، وانها بحق ، في الوقت الحاضر ، الدولة الكبرى الوحيدة في العالم .

وهذا الازدهار الحارق يمتد إلى الأمة كلها تقريباً . ولاشك في أن المورد الوسطي الزنوج ظل تقريباً نصف مورد البيض . ولكن زباده على الأقل محسوسة وأكثر من ذلك أن تحولات حالة الملونين المعنوية تحت تأثير التشريع الذي يضمن لهم من أفضل إلى أفضل المساواة المدرسية والسياسية والمسلكية والتسجيل الرسمي لتطور بطيء الرأي العام بمجموعه . ولم تخل الصعوبات : البطء ، المقاومة ، الاغتيالات من جهة ؛ وفقدان الصبر والاثارات من جهة أخرى . وبالمقابل حدثت توقيفات وصدمات هنا وهناك . وانتهى الناس من ذوي الارادة الطيبة في كل معسكر بالتغلب على اقلية من المتعصين وبسرعة كلما تراجعت البطالة والبؤس ، أبو الكثير من الخلافات العرقية وأماها .

ضعفها . - ومع ذلك فان امريكا هذه القوية القادرة ، وفي الوقت نفسه الواعية لثواقصها والمهتمة بتلافيها ، لم تنجح ، من ١٩٤٥ إلى أيامنا ، في أن تجعل علاقتها منسجمة مع باقي العالم . ولكنها لم تمنع عنه النصائح والمساعدات . فقد ساعد مشروع مارشل اوربه الغربية على الوقوف على قدميها . وكثير من بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية اعتمدت الأسف على اعتمادات الولايات المتحدة لتحسين ببساطة أكثر منها لتحويل اقتصادها . وتظهر ايضاً شطر موسكو ، وحتى بكين . ولقد كانت الشيوعية وظلت أيضاً ، بالنسبة للكثير من الامريكيين ، عدواً ، والشر الذي يجب احتوائه ودحره والقضاء عليه اذا امكن . وان المعارضة المناضلة لروسيا في سنوات الخمسين لتبدو مبهرة قليلاً اليوم ، لأن الولايات المتحدة زادت تقدمها التقني والاقتصادي . وحان الوقت الآن للانفراج بين الولايات المتحدة

والاتحاد السوفياتي ، ولكن الانقراض الامريكى في حرب فيت - نام من جهة ، والاحتلال الروسى لثييكوسلوفاكيا ، من جهة أخرى ، بقيا يتعارضان أيضاً للحظة التي عهد فيها بالسلطة إلى الجمهورى ريتشارد نيكسون . وهذه الحالة الغامضة تشهر بالقوة والضعف الأساسيين في الولايات المتحدة اليوم .

إنها قوة طبيعية ، بالبداية ، وقوة تقنية لا يمكن ادراكها تقريباً ، وقوة معنوية أيضاً لشعب مازال فتياً شاباً ، واثقاً بمصيره ، ونجح له كل شيء حتى الآن . ومن هذه النجاحات غير المنقطعة ينشأ ضعفه الكبير في فهم الآخرين ، وقبول أن الآخرين يختلفون عنه ويحرصون على اختلافهم كما يحرصون على كرامتهم . إن امريكا تريد باخلاص سعادة الجنس البشرى ، ولكن تحت اشرافها وعلى ساكتها . ولذا فان باقى العالم يتهمها بالامبريالية ويشعر بهداياها تقريباً كما يشعر بضرباتها . وهذا السوء التفاهم المحزن ربما كاد كينيدي أن يوضحه ... فهل لدى النور وقت لياتي من هذه « الفيض الروحي » الذي طلبه من قبل برغسون ، وبالرغم من الظواهر ، يشع نوراً في كل مكان تقريباً بين سكان كوكبنا القلق؟ ان الشبهة الاميركية ، وهي أقل اطمئناناً عن نفسها من هي أكبر منها سناً ، وأكثر اتجاهاً نحو تنوع العالم ووحده ، لتسمح بالأمل .

# الفصل العاشر

## امريكا اللاتينية

تغطي امريكا اللاتينية ١٥٩٪ من الاراضي البارزة على سطح الكرة الأرضية ( ٢١١٧٣٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ) ، وتنقسم إلى ٢٠ جمهورية مستقلة يسكنها ٢٥٠ مليون نسمة ، حسب احصاءات ١٩٦٨ .

وهذه البلاد ، التي اكتشفها ثم فتحها ، بين ١٤٩٢ و ١٥٥٠ ، الملاحون والجنود الايبيريون ، والتي أعلنت طوراً وطوراً استقلالها ، بين ١٨١٠ و ١٨٢٦ ، ظلت مطبوعة جداً بالتأثيرات الاسبانية والبرتغالية . ويتضح عمق هذا التأصل بهسبنة ( جعل البلاد اسبانية ) الأعراق الهندية بفضل الاختلاط الذي مسموح به بل وشجع منذ العصر الاستعماري ، وبالأهمية العددية للهجرة الاسبانية قبل اعلان الاستقلال وبعده . ولقد تغير استيطان البلاد المعتدلة في امريكا الجنوبية ( ارجنتين ، شيلي ، اورغواي ، برزيل الجنوبية ) مع ذلك ، في آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، بتيار هام من الهجرة البيضاء غير الايبيرية ( ايطالية وجرمانية بصورة أساسية ) . ويتألف الشعب اللاتيني - الامريكي حالياً من ١٠٩ مليون أبيض ، ٣٠ مليون هندي ، ٦٤ مليون خلامي أيبيري - هندي ٤٦ مليون زنجي وهجين و ١٠ مليون آسيوي من أصل صيني وبابافي .

وفيه ١٨ جمهورية على ٢٠ ، تضم ١٥٧ مليون ونصف المليون شخص ، لغتهم الرسمية الاسبانية ؛ والبرزيل ب ٨٦٥ مليون نسمة تتكلم البرتغالية ؛

تاريخ عصرنا ( ٢٦ )

والفرنسية هي اللغة الرسمية في هايتي ونفوسها ٤٨٠٠٠٠٠٠ نسمة . وقد دام فيها حكم الرئيس ايلي ليسكو من ١٩٤١ - ١٩٤٦ ، وكان خلفه د . استيميه ، ولكن اصلاحاته الاجتماعية حرخت الطبقات المالكة ، وقلبه الجيش في عام ١٩٥٠ . وانتخب الكولونيل ماغلوار ، رئيساً للجمهورية ، واضطر أن ينمحي في كانون الأول ١٩٥٦ . وبعد أن شغل كرسي الرئاسة خلال فترة مضطربة انتخب الدكتور فوانسو ذوفاليه في عام ١٩٥٧ ، ثم اعيد انتخابه عام ١٩٦٣ ، بيد أنه فرض على البلاد نظاماً استبدادياً اجتماعياً قامعاً جعلت فيه السلطة لرب العمل فيما يتعلق بانشاء وتسيير الأعمال الاجتماعية للمشروع .

غير أن ١٢ إلى ١٥ مليون هندي مازالوا يتكلمون فقط أو بصورة أساسية لهجات هندية أصلية متنوعة جداً في امريكا اللاتينية حيث يوجد ١٣٣ لغة أصلية هندية و ٣٠٠٠ لهجة .

والمراكز الأساسية للثقافة الهندية توجد في المكسيك بلهجات هندية أصلية ؛ وفي غواتيمالا لغات جماعة مايا كيشيه وفي جمهورية ايكوادور (ايكواتور) وفي بيرو وبوليفيا لغات ايمارا وكيشرا . وفي باراغواي ، اللهجة غواراني .

ويلاحظ في معظم البلاد تصنيع وتجديد سريعان في المراكز المدنية الكبرى ، بينما المناطق الريفية مازالت تحتفظ بلامح الماضي الموروثة . كما أن تشتت الرأي ، وهو رأي ضعيف البنية ، ولا مبالاة يشجعان عمل الاقليات الموجهة والعنف والانقلابات العسكرية .

ومع ذلك بدأت بعض التيارات العقائدية بممارسة تأثيرها على على شعوب امريكا اللاتينية . وأهمها التيار القومي الذي تولد بتأثير العوامل الاقتصادية .

وفي هذه البلاد الضعيفة التوفير ، تمت المشاريع الصناعية والمنجمية الكبرى ، في الواقع ، بفضل توظيف رؤوس الاموال الخارجية وبخاصة الامريكية الشمالية . وبتمهم الايبيريون - الامريكيون الشركات الاجنبية في تدمير بنية اقتصادهم وتحقيق الأرباح الفاحشة على حسابهم . ففي الأرجنتين أخذت القومية شكل حركة استبدادية : الليونية ، بالنسبة للرئيس بيرون . وفي البلاد الأخرى : فينزويلا وبيرو ... توجد أحزاب قومية ديمقراطية - متأثرة بالثورة المكسيكية - تفضل الاصلاحات التدريجية . وفي كوبا ارتبطت « حركة ٢٦ تموز » السكسترية في بداياتها ، بالنزعة السابقة ، ولكنها تطورت نحو الماركسية - اللينينية .

### امريكا اللاتينية غداة الحرب العالمية الثانية

تؤلف الحرب العالمية الثانية وما بعد الحرب دورى انفراج في العلاقات بين امريكا اللاتينية والولايات المتحدة . وقد فهم الرئيس روزفلت ، منذ ١٩٣٦ ، في مؤتمر بوينوس آيريس ، أن التهديد ، الذي تمثله الدول الجمعية في اوروبا وآسيا ، يضطر حكومة واشنطن إلى التقرب من امريكا اللاتينية وتخويلها ترضيات بغية معاكسة البرنامج الجرمانى - اليطالى . وازداد هذا الاتجاه بعد الهجوم الياباني على بيرل هاربور ودخول الولايات المتحدة الحرب في كانون الأول ١٩٤١ . وقد أغلق احتلال القوات اليابانية لجنوب شرقي آسيا ، في وجه الامريكيين ، باب الوصول إلى مناجم ماليزيا ( الملايو ) واضطرم أن يطلبوا من امريكا اللاتينية المواد الأولية الضرورية لاقتصادهم الحربي .

واحتلت الولايات المتحدة مكان أوروبا الغربية التي دمرتها الحرب ،

وأصبحت ، بالنسبة لأمريكا اللاتينية ، الجبز الأول للمواد الصناعية والمشتري الأول للمنتجات الأولية . ومن جهة أخرى زادت تدميراتها ، وبخاصة في البرازيل ( مستغلات الكاوشوك ) وفي بوليفيا ( مناجم القصدير )

وفي مناخ هذا الازدهار ، تقربت أمريكا اللاتينية من واشنطن وعلنت المكسيك والبرازيل الحرب على الدول الجمعية في ١٩٤٢ .

وحذت هذا المثل كولومبيا وجمهورية أمريكا الوسطى ، ومعظم البلاد الأمريكية الجنوبية وأخيراً الأرجنتين ، في أيار ١٩٤٥ .

وعززت عندئذ السياسة بين الدول الأمريكية . وفي مؤتمر بوينوس آيرس ( ١٩٣٦ ) ومؤتمر ليا ( ١٩٣٨ ) ، وضعت حكومات نصف الكرة الغربي نظام المشاورة في الحالة التي يتهدد فيها السلام . وفي شباط ١٩٤٥ ، صرح مؤتمر مكسيكو بأن كل هجوم على بلد من بلاد نصف الكرة يعتبر عدواناً موجهاً على جميع البلاد الأخرى كما ورد في ميثاق شاربولتيبيك . وشجع انتصار الدول الديمقراطية الثورات الليبرالية في مختلف البلاد : فينيزويلا ، غواتيمالا ، كوبا .

غير أن تحويل الاقتصاد الشالي - الأمريكي من اقتصاد حرب الى اقتصاد سلام وتعليق الواردات من المواد الأولية ذات الأهمية الاستراتيجية سببا انخفاضاً في الصادرات اللاتينية - الأمريكية وفي الأسعار . وعبر عن الصعوبات الاقتصادية ، التي نجمت عن ذلك في البلاد الايبيرية - الأمريكية ، باضرابات في الوقت الذي قامت فيه الحرب الباردة على الصعيد العالمي . وفزع البورجوازية والطبقة الوسطى اللاتينية - الأمريكية من الاضطراب الاجتماعي ، بينما كان موجهو واشنطن يتمتعون بأن يقوم النضال ضد الأقلية الشيوعية



في كل بلد من بلاد نصف الكرة . وعندئذ قامت عدة انقلابات عسكرية فرضت العودة إلى الأنظمة الدكتاتورية ، وبخاصة في بيرو في ١٩٣٨ ، وفي فنيزويلا في ١٩٤٨ .

وعلى الصعيد النقابي تمزق اتحاد شغيلة أمريكا اللاتينية بتأثير الخلافات بين المتعاطفين مع الشيوعية وخصومها . وتأسس اتحاد جديد يدعى الاتحاد الأمريكي الشغيلة في عام ١٩٤٨ بمساعدة الاتحاد الاموريكي للعمل . ولكن هذه الرعاية الخطرة حددت أهمية هذه الهيئة الجديدة . ولذا ارتأى موجهو الاتحاد الاموريكي للشغيلة حل المنظمة ، في كانون الثاني ١٩٥١ ، ليتركوا المجال حراً لمبادرات الاتحاد الدولي للنقابات الحرة الذي تأسس عام ١٩٤٩ . وعندئذ أنشأ هذا الاتحاد فرعاً مستقلاً ذاتياً وهو المنظمة الاقليمية الاموريكية للشغيلة التي استطاعت أن تجمع من جديد معظم النقابات غير الشيوعية في أمريكا اللاتينية .

### البيرونية

ترجع أصول هذا النظام الى ١٩٤٣ . ففي هذا العصر أقلق الاضطراب الاجتماعي البورجوازية الأرجنتينية وشجع نشاطات العصابات المناصرة للعسكرية ذات الالهام النازي أو الفاشي ، بينما فقدت الثقة بالنظام الديموقراطي بسبب الفساد والرشوة والفضائح المالية . ولقد رفع الانقلاب العسكري ، في ٤ حزيران ١٩٤٣ ، الجنرال واوسون الى السلطة ، ثم استعفى عنه بعد الغد بالجنرال داميريز ، ثم بالجنرال فاريل ، في كانون الثاني ١٩٤٤ . وقد كسب أمين مر الدولة المساعد في وزارة العمل ، منذ حزيران ١٩٤٣ ، الكولونيل خوان دومينغو بيرون ، المولد في

١٨٩٥ ، شهرة عظيمة باتخاذ عدة تدابير لصالح العمال ، كالحدود الجماعية ، تخفيض مدة العمل ، زيادة الأجور ودفع الاغوينالدو أو الشهر الثالث عشر . وفي سنة ١٩٤٤ ، سمي بيرون وزيراً للحربية ، في ٤ أيار ، ثم نائباً لرئيس الحكومة في ٧ حزيران . وفزع أعضاء الحكومة الآخرون لطموحه ، وحصلوا على عزله وسجنه . ولكن « الديسكاميسادوس » ( اللاتفيصين ) في الاحياء العمالية في بوينوس آيريس ثاروا لهذا الخبر وفرضوا اطلاق مراح الكولونيل ، في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٥ . وبعد بضعة أيام ، في ٢١ تشرين الأول ، تزوج بيرون الشابة المذبةعة في راديو- بلغرانو ايضا دوارته ، المولودة عام ١٩١٩ ، التي لعبت دوراً كبيراً ، في يوم ١٧ تشرين الأول ، بدعوة العمال إلى التظاهر لصالح الوزير السجين .

كان بيرون مدعوماً ، من جهة ، من الجماهير الشعبية والنقابات ، ومن جهة أخرى ، من الجيش والاكليروس . وقد انتخب رئيساً للجمهورية ، في ٢٤ شباط ١٩٤٦ . ونشر مفيد الولايات المتحدة برادين « الكتاب الأزرق » وشهر فيه بعلاقات بيرون بالبحر ، وهكذا فان الجنرال ، الذي هاجمه الامريكيون الشاليون ، أخذ منذ الآن ، وجه بطل الاستقلال القومي .

وفي الواقع ، أعلن الاستقلال الاقتصادي للارجنتين رسمياً في توكوهان ، في ٩ تموز ١٩٤٧ .

أمم بيرون المصارف ، في ٢٥ آذار ١٩٤٦ ، وخول الحكومة حصر التجارة الخارجية . واشترت المنتجات الزراعية بسعر منخفض من الفلاحين ، ثم بيعت ثانية في الخارج بسعر مرتفع . وساعدت الأموال الجسيمة ، التي حصل عليها بهذا الشكل ، الدولة على اخراج الشركات الأجنبية صاحبة امتياز المصالح الكبرى العامة والتعويض عليها ، مثل شركة

الخطوط الحديدية وشركة الغاز ، والاتحاد المهائفي في ريو دولا بلاتا وتحقيق الحطة الخمسية ( ١٩٤٧ - ١٩٥١ ) التي اُلت على تصنيع البلاد . وانشأت الحكومة اسطولاً تجارياً ، وعت الأمن الاجتماعي ، وأكثر المنازل للعمال . ونشر إعلان حقوق العمال ، أو ناموس العمل ، في شباط ١٩٤٦ . وكانت مؤسسة العون الاجتماعي التي توجهها ايفا بيرون توزع اموالاً طائلة .

وقد اعقب زيارة ايفا بيرون في مختلف العواصم الاوربية ، في ١٩٤٧ ، توقيع ميثاق اسباني - ارجنتيني بخول اسبانيا اعتمادات هامة للقيام بشراء الحنطة من الارجنتين ، في ٦ نيسان ١٩٤٨ . ولم تستطع الحكومة الاسبانية أن تدفع ديونها في المواعيد المحددة ، وقامت صعوبات بين مدريد وبوينوس آيريس . ولكن الطابع الاستبدادي للنظام ثبت من سنة لأخرى . وطهرت الحكومة الجامعة والصحافة ، وأمنت الاشراف على عدة صحف . وصوت البرلمان الاتحادي ، حيث حصل الحزب البيروني على على أكثرية الثلثين ، في انتخابات كانون الأول ١٩٤٨ ، على دستور جديد يسمح باعادة انتخاب الرئيس الخارج بعد انتهاء ولايته ( آذار ١٩٤٩ ) . وفي تشرين الثاني ١٩٥١ أعيد انتخاب بيرون ثانية بأكثرية عريضة .

وفي ذلك العصر ، عرفت البلاد صعوبات اقتصادية خطيرة . لأث الأسعار المجدية بشكل غير كاف والمعروضة على المزارعين ثببت عزم الانتاج وأدت إلى انخفاض الصادرات الزراعية . غير أن ارتفاع الأسعار العالمية بسبب حرب كوريا ( ١٩٥٠ ) وقرض ال ١٢٥ مليون دولار ، التي اعطتها الولايات المتحدة في السنة نفسها ، أمنت في العام ١٩٥١ نهوضاً مؤقتاً تواجد مع مجرى حملة الانتخابات الرئاسية . واستحوذ على الانتباه العام ، في سياق الأشهر التالية ، مرض ايفا بيرون وموتها ، في ٢٦ تموز ١٩٥٢ .

ولكن المحاصيل المنكوبة في ١٩٥١ و ١٩٥٢ ، سببت انمياراً جديداً في الميزان التجاري ، بينما أدت نفقات النظام المفرطة وعجز الموازنة إلى التضخم النقدي وارتفاع سعر الحياة . وكان على الحكومة أن تبني عندئذ خطة لتكشف وتحميد الأجور . والعت الخطة الخمسية الثانية ( ١٩٥٣ - ١٩٥٧ ) على الزراعة . وأثارت هذه التدابير استياء العمال ، دون التوصل إلى إيقاف التضخم النقدي . وصلت البورجوازية الليبرالية والجامعية معارضتها ، وسحب الاكليروس دعمه للنظام ، واتخذ الدكتاتور عندئذ عدة تدابير انتهت بتحويل الرأي الكاثوليكي عنه : كإقرار الطلاق ، وإلغاء المساعدات للمدارس الحرة ، والترخيص للبغاء .

وللتخفيف من الصعوبات الاقتصادية خول النظام إلى شركة ستاندارد اويل ، في نيوجرمي ، امتيازات هامة في باتا غونيا ، في نيسان ١٩٥٥ . ولكن هذا التصرف أثار استياء القوميين ، وبخاصة الضباط الشبان . وفي ١٦ ايلول ١٩٥٥ ، ازاح الانقلاب العسكري بيرون بدعم من الكاثوليك والبورجوازية الليبرالية وقوى اليسار .

وسمي الجنرال لوناردي ، من اليمين الكاثوليكي ، رئيساً للحكومة المؤقتة ، ولكنه انمحي أمام الجنرال آوامبورو ، في تشرين الثاني ١٩٥٥ . ووضع الحزب البيروفي خارجاً عن القانون ، في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٥ . ومارس الجيش الرقابة على النقابات التي ظلت بالاجمال وية" لبيرون . وطبق النظام الجديد سياسة تكشف أثارت استياء الجماهير الشعبية دون الوصول مع ذلك إلى تقويم الحالة الاقتصادية . ولذا اضطر ضغط الرأي العام الجنرال آوامبورو إلى تنظيم انتخابات حرة ، وكان الغالب فيها الزعيم الراديكالي آ . فوونديزي ، في ١٩٥٨ .

## قومية فارغاسي الاستبدادية

كانت البرزيل ، منذ ١٩٣٠ ، مسرحاً لتجربة قومية تحت قيادة جيتوليو فارغاس : فقد ولد هذا عام ١٩٨٣ في ريو غرانده دوسول ، ووصل إلى السلطة بثورة ذات الهام ديموقراطي وتقدمي ( ١٩٣٠ ) ، ولقاومة الضغط المزدوج الآتي من الشيوعيين والتكاملين ، تلاميذ النازيين الألمان ، اضطر إلى إعلان الوضع الجديد ، الاستادونوفو ، ذي النزعة الجمعية ، وحل الأحزاب السياسية ، في تشرين الثاني ١٩٣٧ ، وطلب الموافقة باستفتاء على تمديد سلطاته لمدة ستة أعوام .

كان فارغاس في البادئ مجبذاً للمحور أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم تقرب من الولايات المتحدة ، في ١٩٤١ ، وأعلن الحرب على المحور ، في آب ١٩٤٢ ، واسهمت تجريدة برازيلية بنقسط نشيط في حملة ايطاليا ( ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ) .

ونشأت خطة التصنيع أثناء الحرب بتوظيف الرساميل الشمال - امريكية وبارتفاع صادرات المواد الأولية . وساعد قرض من بنك الاستيراد والتصدير على تأسيس مركز فولتا ريدونا الحديدي . وحض انتصار الديموقراطيات فارغاس على تحرير نظامه ( أي جعله ليبرالياً حراً ) في ١٩٤٤ . وانشأ الحزب الاجتماعي - الديموقراطي ( الوسط ) ، وبعد بضعة أشهر ، حزب العمال . ولكن الرأي كان يرغب في العودة الكاملة إلى الحياة الديموقراطية السوية . وكان الصناعيون ، الذين يعتمدون على مساعدة امريكا الشمالية للقيام بقلب الوضع من جديد ، يرجون انحاء هذا الموجه المرتبط جداً بالعقيدة الجمعية . وادرك الزعماء العسكريون قوة هذه التيارات واجبروا فارغاس على الانسحاب ، في تشرين الأول ١٩٤٥ .

ولما انتخب المارشال هوترا ، القائد السابق لجيش الحملة على إيطاليا ، رئيساً للجمهورية ، طلب التصويت على دستور ديمقراطي ، في ١٨ ايلول ١٩٤٦ . وفي ١٩٤٧ ، وضع الحزب الشيوعي خارج القانون . وعجلت الاعتمادات والتوظيفات المالية الخاصة الشمال - أمريكية التصنيع . وفي ١٩٤٩ ، كانت الصناعة تمثل ٦٠ ٪ من الانتاج القومي ، مقابل ٣٠ ٪ في ١٩٢٩ . ولكن الجماهير الشعبية ، التي لم تشارك في الازدهار العام ، قامت ، بينما قلقت الضباط الشبان من السيطرة الامريكية على اقتصاد البلاد . وتصالح الزعماء العسكريون مع فارغاس ، وقرر هذا أن يقدم نفسه مرشحاً عن حزب العمال إلى رئاسة الجمهورية .

انتخب فارغاس بأكثرية عريضة ( ١٩٥٠ ) ، ومالئ أن يجابه بعد قليل صعوبات اقتصادية خطيرة . فقد ادى سقوط اسعار القهوة إلى عجز الميزان التجاري . وساعد ارتفاع الأجور ، التي اعطيت تحت ضغط النقابات ، وعجز الموازنة المتفاقم بالامراف وسوء الادارة ، على التضخم النقدي . والغى ارتفاع الأسعار الفوائد الممنوحة للعمال ، فغذى على هذا النحو الاضطراب الاجتماعي . وعهد فارغاس إلى ادارة حصر ( ريجي ) بتروبراس الجديدة أمر تنمية انتاج البترول البرزيلي ، بغية تحديد واردات المحروقات الحرة للبلاد ، في تشرين الأول ١٩٥٣ . وتقدم بمشروع قانون يحدد ارباح الشركات الأجنبية ، ليضع حداً لنزيف عائدات الارباح الذي يخل في توازن الحسابات . ولكن البورجوازية البرزيلية ، وقد أذرت بالاضطراب الاجتماعي ، خافت من أن يكون لهذه التدابير الجديدة أثر في نزوب توظيف رؤوس الأموال الشمال - أمريكية .

وشهرت حملة بفساد النظام قام بها زعيم شاب من أقصى اليمين ،

كارلوس لاسيردا ، في جريدة « منبر الصحافة » . وفي ٥ آب ١٩٥٤ ، نجح لاسيردا من محاولة اغتيال ، ولكن فاز ، قائد جيش الجو ، قتل إلى جانبه . ودل التحقيق على أن الاغتيال ارتكبه حرس فارغاس ، واتهمت الصحافة ابن الرئيس . وطالب جيش الجو باستقالة رئيس الدولة . وعندما تخلى الجيش البري عن جيتو ليو فارغاس انتحر في قصر كاثيت ، في ليل ٢٤ آب ١٩٥٤ ، تاركاً وصية سياسية تؤلف حك اتمام ضد الشركات الأجنبية الكبرى المقيمة في البرزيل . وفسحت وفاة الرئيس مجالاً لتظاهرات مؤثرة من الحزن الشعبي .

وأمنى نائب الرئيس كافييه فيلهو مدة ولاية الرئيس الراحل . وشغل تحضير الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٥٥ . وأثار المرشح الاجتماعي - الديمقراطي جوسيلينو كوبيتشيك ، المولود في ١٩٠٢ ، اضطراباً شديداً في الجيش لاختياره مرشحاً لنيابة الرئاسة ، جوان أو غولارت ، زعيم النقابات وحزب العمال ، الوارث الروحي لفارغاس . وبعد انتخاب كوبيتشيك وغولارت ، في تشرين الثاني ١٩٥٥ ، منع الماربرشال نيكسيرا لوت ، على رأس الحزب الشرعي للجيش ، التمديد بثورة الاسطول البحري والجوي ، وساعد بذلك الرئيس كوبيتشيك على استلام وظائفه في كانون الثاني ١٩٥٦ .

### القومية الديمقراطية

تمت القومية بشكلها الديمقراطي في مختلف بلاد امريكا اللاتينية .

### في بربو

كان الحلف الشعبي الثوري الامريكي ، الذي أسسه داؤول هايادو لا تورو ، المولود في ١٨٩٥ ، متأثراً بقوة بالثورة المكسيكية .

وقد نشرها يا دولا توره ، في مكسيكو ، أول بيان للحلف الشعبي الثوري الامريكى ، في ١٩٢٤ ، وأثنى فيه على الوحدة اللاتينية - الامريكية ، والنضال ضد الامبرياليات جميعاً ، وبخاصة ضد الولايات المتحدة ، والاصلاح الزراعي ، ووصول الجماهير الهندية إلى الوظائف ، وتأميم الصناعات الكبرى ، و د امركة ، قناة باناما .

واضطهدت الحكومات المتعاقبة ، خلال العشرين سنة التالية ، الحلف الشعبي الثوري الامريكى ، فمما في النضال السري ، وكان في العام ١٩٤٦ قوياً وبستطيع أن يؤمن بأصواته انتخاب ج . ل . بوستامانته . وقد حكم هذا بدعم البرلمانيين « الآبريين » ، رجال الحلف الشعبي الثوري الامريكى ( ٦٥ نائباً على ١٤٥ ، و ٢١ شيخاً على ٥٠ ) . ولكن التدابير الاصلاحية التي أصدرها الوزراء الثلاثة « الآبريون » ، من حيث رقابة الاسعار والقطع ، أثارَت احتجاجات شديدة في الأوساط المحافظة .

وشعر الحلف الشعبي الثوري الامريكى بأنه مهدد ، فنظم ثورة بدعم ملاحى امطول ال كاللاؤ ، ولكن هذه الحركة سحقها وزير الحربية ، الجنرال اودريا ، الذي قلب الرئيس بوستامانته ، الضعيف جداً حسب رأيه ، وشكل حكومة مؤقتة ( ١٩٤٨ ) ، ووضع الحلف الشعبي الثوري الامريكى خارج القانون ( ١٩٥٠ ) . ولما انتخب رئيساً للجمهورية فرض رقابة شديدة على النقابات . وأمنت المساعدة الامريكية خلال ولايته ( ١٩٥٠ - ١٩٥٦ ) للبلاد بعض الازدهار .

وفي اليوم الذي استلم فيه اودريا السلطة ، لجأ هايا دولا توريه إلى سفارة كولومبيا ، في ليا ، وبقي فيها ستة أعوام ( ١٩٤٨ - ١٩٥٤ ) . وفي نيسان ١٩٥٤ ، وقعت حكومة اودريا مع كولومبيا ميثاق بوغوتا ، الذي سمح لهايا دولا توريه بمغادرة ملجئه والسفر إلى المنفى . ويسدو



منذ الآن أن الزعيم « الابرى » أخذ يهتم بخاصة باحتواء الشيوعية والثأر من الجنرال اودريا . وللتغلب على مرشح هذا الأخير ، في انتخابات ١٩٥٦ ، أعطى الحلف الشعبي الثوري الأمريكي أصواته إلى المحافظ برادو اوغارتيشييه ، وكان من قبل رئيساً من ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ، وقد انتخب في هذه المرة ليكون رئيساً من ١٩٥٦ - ١٩٦٢ .

### في فينيزويلا

ناضل الديمقراطيون ضد دكتاتورية ج . ف . غوميز، وكان على رأس السلطة من ١٩٠٨ إلى ١٩٣٥ ، وضد خلفه ، الجنرال لوبيز كوتيراس ( ١٩٣٥ - ١٩٤١ ) . وأسس دومولو بيتانكورت ( المولود في ١٩٠٨ ) في العام ١٩٣٧ ، في السر ، حزب العمل الديمقراطي . وقد سمح لهذا الفريق ، بالتشكل بصورة قانونية ، الجنرال مدينا آنغاريتاس ( ١٩٤١-١٩٤٥ ) ، فقد أدرك هذا أن انتصار الديمقراطيات في الحرب العالمية الثانية يفرض « تحرير » النظام . وأطلق العمل الديمقراطي الشعار « نوماس كونسيسيونس ( لا امتيازات ) » ، وقام بحملة ضد كارتيلات البترول الدولية التي أخذت من غوميز وخلفائه امتيازات تبلغ مساحتها ١٦ مليون كم<sup>٢</sup> ( ١٨٪ من المساحة القومية ) . وفي ١٨ تشرين الأول ١٩٤٥ ، قلب مناخو العمل الديمقراطي النظام العسكري ، ودعمهم في ذلك الضباط الشبان القوميون ودعت الحوثة الثورية ، التي يرأسها دومولو بيتانكورت ، إلى انتخاب جمعية تأسيسية ، في تشرين الأول ١٩٤٥ ، وصوتت هذه الأخيرة على دستور ديمقراطي ، في ٥ تموز ١٩٤٧ ، وانتخب الروائي الشهير دومولو غاليمغوس رئيساً للجمهورية ، في ١٤ كانون الأول ١٩٤٧ . ونشرت الحكومة القانون « خمسين - خمسين » ( قانون المناصفة ) الذي يجبر

الشركات البترولية على أن تدفع للدولة ٥٠٪ من أرباحها . وغولت أحكام أخرى حال البترول زيادة في الأجور وفوائد اجتماعية .

ولذا ارتأى الرأي بشركات البترول في أنها شجعت على قيام ثورة ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ ، التي قلبت النظام وأقامت خونته عسكرية يوجهها الكولونيل دلفادو شالبود ، وقد قتل في ظروف غير موضحة ، ثم الكولونيل بيريز جيمينيز . وانتخب برلمان «مطهر» هذا الأخير رئيساً للجمهورية من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨ .

وقامت عدة احتجاجات في أمريكا اللاتينية ضد شراسة القمع ( إقامة معسكر اعتقال في غواسينا ، في جزيرة غير صحية في نهر الاورينوك ( اورينوكو ) وقتل الأمين العام لحزب العمل الديمقراطي ، ل . وويز بينيدا سراً في ١٩٥١ . ومات خلفه البرتو كاردانفالي في السجن ١٩٥٣ . ولم يجرأ بيريز جيمينيز على إلغاء قانون « خمسين - خمسين » ، ولكنه أغض عينيه عن الغش الضريبي الذي ارتكبه الشركات البترولية التي منحها امتيازات جديدة تبلغ ٨٢٣١٤٣ هكتار ، في ١٩٥٦ - ١٩٥٧ . وقد أمنت زيادة انتاج البترول ، الذي انتقل من ٩٥ مليون طن سنوية في ١٩٥٣ إلى ١٤٦ مليون طن في ١٩٥٧ ، إلى البلاد دور ازدهار وسمحت للتكنولوجيا أن تنفذ خطة اشغال عامة كبرى وانشاءات باهظة النفقات .

### في غواتيمالا

إن الحركة القومية الديمقراطية ، التي ناضل فيها بخاصة الطلاب والضباط الشبان ، قامت ضد دكتاتورية الجنرال اوبيكو ( ١٩٣١ - ١٩٤٤ ) وضد شركة الفاكهة المتحدة ، وهي شركة شمال - امريكية تملك ، عدا مزارع الموز الواسعة ، حصر الخطوط الحديدية وأجهزة ميناء

بويرتو باريوس ، المنفذ الوحيد لبلاد من جهة خليج المكسيك -  
الاطلسي ، بينما تسيطر شركتان امريكيتان اخريان بالتوالي على التلفونات  
والكهرباء .

وقد أجبر الاضطراب الجامعي اوبيكو على الانسحاب ، في حزيران  
١٩٤٤ . وبعد أن انتخب الزعيم الديموقراطي ج . ج . آريفالور رئيساً  
لجمهورية من ١٩٤٥ إلى ١٩٥١ ، طلب التصويت على دستور جديد  
( ١١ آذار ١٩٤٥ ) ، وعلى قانون العمل ، وزاد الأجور ، وأسس  
الأمن الاجتماعي . وأصدر خلفه ، الكولونيل جاكوبو آربنز غوزمان ،  
القانون الزراعي ، في ١٧ حزيران ١٩٥٢ ، وبوجهه أهم الأراضي التي  
تركها شركة الفاكهة المتحدة بوراً . وقدمت ادارة دولة واشنطن ضد  
هذا الاستيلاء احتجاجاً ، في ٢٥ آذار ١٩٥٣ ، واتبعته بطلبية رسمية ،  
في ٢٠ نيسان ١٩٥٤ وبشكل غير حذر وغير فطين غذى آربنز الحملة  
الصحفية ، التي كانت تتهمه بالشيوعية ، باحاطة نفسه بأعضاء حزب العمل  
الغواتيمالي ، وهو تشكيل شيوعي صغير لا يزيد عدده في البرلمان عن  
٤ نواب على ٤٥ .

وفي المؤتمر العاشر الامريكى (بين الدول الاميركية) المنعقد في كاراكاس،  
طلب وفد الولايات المتحدة التصويت على قرار، موجه بالبداية ضد غواتيمالا ،  
ينص على عقد مشاورة لاتخاذ التدابير الضرورية في حالة يسقط فيها  
أحد بلاد نصف الكرة تحت اشراف الشيوعية الدولية ( آذار ١٩٥٤ ) .

وفي ذلك العصر ، ألف المنفيون الغواتيماليون في هوندوراس ، التي  
يحكمها الرئيس غالفيز الحزب للولايات المتحدة ، مليشا يقودها مهاجر سياسي  
غواتيمالي ، الكولونيل كارلوس كاستيلو آرماس . واستقبل هذا الأخير

نجدات واسلحة من دكتاتور نيكاراغوا ، آ. سوموزا . وانتهت الصحافة  
الفواتيالية شركة الفاكة المتحدة بتشجيع المتآمرين . واجتازت جيوش  
كاستيلو آرماس الحدود ، في ١٧ حزيران ١٩٥٤ ، وتردد آربنز في تسليح  
المليشيات الشعبية ، ولكن زعماء الجيش ، الذين اعلنوا في البدء أنهم  
لصالحه ، اجبروه على الانسحاب ، في ٢٧ حزيران ، ووضعوا حزب  
للعمل الفواتيالي الشيوعي خارج القانون ، وتحالفوا مع كاستيلو آرماس بموجب  
ميثاق سان سالفادور ، وكان سفير الولايات المتحدة جوت ل بوير يوفي  
يدعم كاستيلو آرماس ، الذي أخذ على عاتقه رئاسة الحوثة الموقته ، ثم  
رئاسة الجمهورية ، في تشرين الأول ١٩٥٤ . وحقق الاصلاح الزراعي المعاكس  
وطهر النقابات . ولكن أحمد حرسه قتله في تموز ١٩٥٧ . وانتخب  
الجنرال يديغوراس فونتيس المحافظ ، النصير الامريكي ، رئيساً للجمهورية  
من ١٩٥٨ - ١٩٦٣ .

### في كوستاريكا

ثارت الشبيبة القومية من امتيازات شركة الفاكة المتحدة  
المفرطة ، ودخلت المسرح عام ١٩٤٨ . وقد انتخب قبل ذلك بقليل  
الحر ( الليبرالي ) اوتيليو اولاته رئيساً للجمهورية . ولكن الرئيس  
الخارج ، ت بيكادو المحافظ ، الغى الانتخابات ، وأثار على هذا النحو  
عصياناً شعبياً . وبعد حرب أهلية دامت من آذار الى نيسان ١٩٤٨ تغلب  
جيش التحرير القومي على انصار بيكادو . وتشكلت حكومة موقته  
برئاسة الزعيم الاجتماعي المسيحي خوسيه فيغويرس فيرير ، المولود في  
١٩٠٦ . وقرر فيغويرس حل الجيش ، وأمم البنوك ، ووضع الحزب  
الشيوعي خارج القانون . وصوتت جمعية تأسيسية على دستور ديمقراطي  
جديد ، في ٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ . وفي اليوم التالي ، سلم فيغويرس  
السلطة إلى الرئيس المنتخب شرعياً في السنة السالفة : اوتيليو اولاته .  
وحكم الرئيس الجديد بمساندة حزب التحرير القومي الذي أسسه فيغويرس .

ثم انتخب هذا الأخير رئيساً من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٧ ، ودخل في نزاع مع شركة الفاكة المتحدة ، وانتهى بفرض اتفاق جديد عليها ينص على أن تدفع للدولة ٤٥٪ من أرباحها .

ولذا يشتهر عدد من المراقبين في أن شركة الفاكة المتحدة شجعت الدكتاتور النيكاراغوي سوموزا على مهاجمة كوستاريكا ، في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٥ . واستطاع متطوعة مدنيون أن يجهزوا أنفسهم بسرعة ويحتوا. الغزو ، بينما ارتفعت الاحتجاجات على العدوان في أمريكا اللاتينية ، والعالم كله ، وفي أوساط النقابات الشهالية - الأمريكية . وأرسلت منظمة دول أمريكا إلى منطقة الكفاح لجنة تأمر بوقف النار . وشجبت حكومة واشنطن ، بدورها ، العدوان . واضطر سوموزا إلى استدعاء جيوشه . وانقذت الديمقراطية الكوستاريكية . ولكن الدعم التعبوي للشيوعيين ، في انتخابات ١٩٥٦ ، نصر المحافظ ماريو إيسالدي ( ١٩٥٧ - ١٩٦٢ ) . ورغم ذلك ، فإن حزب التحرير القومي الذي يتمتع بالأكثريّة في الكونغرس ، فرض التصويت على القانون الزراعي ( ١٩٦١ ) .

### الثورة البوليفية

نشأت الحركة الثورية في بوليفيا من عاطفة الثورة على الفقر المدقع الذي كانت عليه الجماهير الشعبية . ان القصدير الذي يؤلف المورد الوحيد لهذا البلد « المحروم من نافذة على البحر » يصدر بشكل مركز ومعمول في مصانع نهر أجنبية . وكانت الأرباح ، قبل الثورة ، تحتكرها ثلاثة كارتيلات ( شركات احتكارية ) دولية تسيطر على الانتاج في : باتينو آرامايو ، هوشيلد .

وللنضال ضد النظام المحافظ ، حليف كارتيلات المناجم ، أسس فريق من الشباب المفكرين ، يدفعه فيكتور باز ايستينسورو ( المولود في ١٩٠٧ ) ، في ١٩٤٠ - ٤١ ، في السر ، الحكومة الوطنية للشورية ، وكان الميجر غوالبرتو فيلا ورويل يتعاطف مع هذه الحركة وبدعمه الشباب الوطنيون . واستلم السلطة بفضل حركة سياسية مسلحة ، في ٢٠ كانون الأول ١٩٤٣ . وكان فيلا ورويل شديد التأثر بالمذاهب النازية . ولكنه قلب ، في آخر الحرب العالمية الثانية ، على يد ائتلاف من أقصى اليمين والاحرار الليبراليين والشيوعيين وقسم من الجيش . وسقط في سلطة الثائرين وعلق مشنوقاً على مصباح أمام قصر الرئاسة ، في ٢١ تموز ١٩٤٦ . ولبأ وزير المالية ، باز ايستينسورو ، في بونوس آيريس ، وافاد من حماية بيرون له .

ورفعت انتخابات ، كانون الثاني ١٩٤٧ ، إلى السلطة الأستاذ ج . ل . هرتزوغ المحافظ ، فقمع الثورة الاجتماعية بشدة . وتحالفت الحركة الثورية في السر مع فريق تروتسكي كان يارس نفوذاً كبيراً على نقابة عمال مناجم القصدير . وكان باز ايستينسورو منفياً في بونوس آيريس . ومع ذلك قدم ترشيحه ، وانتخب رئيساً للجمهورية في أيار ١٩٥١ ، ولكن الجيش استلم السلطة والغى الانتخابات . وثار انصار باز ايستينسورو في لاباز وانتصروا ، بعد ثلاثة أيام من الكفاح ، بفضل وصول عمال المناجم الذين قدموا من بوتومي واورورو ، في نيسان ١٩٥٢ . واستلم باز ايستينسورو أخيراً وظائفه . وحل الجيش النظامي . واعتمد الرئيس الجديد على مليشيات العمال والفلاحين ، ونشر عدة اصلاحات جذرية : تأميم المناجم ، في ٣ تشرين الأول ١٩٥٢ ، والقانون الزراعي ، في ٢ آب ١٩٥٣ ، ونما ، عدا ذلك ، حملة كبرى في ازالة الأمية وتعليم الشعب القراءة والكتابة . ولكن انتهاء حرب كوريا ( ١٩٥٣ ) وتدفق اكداس القصدير ، الآتية

من مناجم جنوب - شرقي آسيا ، على الأسواق ، عجلاً بسقوط الصادرات البوليفية والأسعار العالمية ، بينما عبر عن ارتفاع الأجور والامراف والتسيير غير المنظم بزيادة سعر الكلفة . وادى العجز المثلث في تسيير المناجم والموازنة والميزان التجاري إلى تضخم نقدي قافز سريع . ففي ١٩٥٦ كان الدولار يقدر بـ ١٤٠٠٠ بوليفيانو . وحاول باز ايستينسورو مكافحة هذا الاتجاه بدعم الولايات المتحدة المالي . وكان هذا الدعم متردداً ، في بادئ الأمر ، ثم تأكد رويداً رويداً . وحاول خلفه سيليس سوازو ، وهو أيضاً من الحركة الوطنية الثورية ، ١٩٥٦ - ١٩٦٠ ، أن يقوم بتنفيذ خطة ثبات مالي .

### المكسيك : الثورة النظامية

بعد الاضطرابات الثورية في الدور ١٩١٠ - ١٩٢٤ ، استطاع الحزب الثوري النظامي ، الذي أنشأه الرئيس ب . إ . كاليس ( ١٩٢٤ - ١٩٢٦ ) لتنظيم جماعات العمال المحلية والفلاحين ، أن يؤمن للمكسيك أكثر من أربعين عاماً من الاستقرار السياسي . وزع الجنرال لازارو كادوناس ، المولود في ١٨٩٥ ، والرئيس من ١٩٣٤ - ١٩٤٠ ، وعضو هذا الحزب كسانث اسلافه المباشرين وخلفائه ، على الفلاحين ١٧ مليون هكتار من الأراضي . وأمم السكك الحديدية والبترول ( ١٩٣٨ ) . وفي رئاسة الجنرال آفيل كاماشو ( ١٩٤٠ - ١٩٤٦ ) اعلنت المكسيك الحرب على المحور ، في حزيران ١٩٤٢ ، وقام وزير التربية ، توديس بودية ، بحملة واسعة في ازالة الأمية . وبمساعدة الجازين ( ليسانسيه ) ميغيل اليان ( الرئيس من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ ) ورويز كورتيس ( ١٩٥٢ - ١٩٥٨ ) ، توصل الجناح الأيمن من الحزب الثوري النظامي إلى السلطة . وانتقلت التربية والاصلاح الزراعي إلى

الصعيد الثاني . وانتقدت المعارضة فساد الاوساط الحكومية . ولكن الحكومة وضعت موضع التنفيذ برنامجاً كبيراً في الاشغال العامة .

اوصلت أعمال الري الواسعة السطح المروي من ٢٠٠٠٠ هـ في ١٩٢٧ إلى ٢٢٩٧٨٥٢ هـ في ١٩٤٩ . وسجل الانتاج الزراعي زيادة عظيمة ، ولاسيما في مضار محاصيل التصدير والاستعمال الصناعي ( القطن ، القنب وقصب السكر ) . ولكن بطء الاصلاح الزراعي والازدياد الديموغرافي ظهرا ببطالة زراعية وهجرة « البراسيوروس » ( العمال المياومين الذين يعتمدون على سواعدهم ) نحو الولايات المتحدة .

ومث الصناعة أثناء الحرب العالمية الثانية وفترة ما بعد الحرب . فقد انشئت الافران العالية في مكسيكو في عام ١٩٤٣ . واسهمت البنوك الكبرى ، بنك المكسيك ، بنك التجارة الخارجية الوطني ، والتمويل الوطني ( هيئة تابعة للدولة ) اسهاماً هاماً في توجيه الاقتصاد . ومن جهة أخرى ، ساعد انتشار التعليم ، منذ الآن ، الشبان من أبناء الطبقات الشعبية ، على الوصول إلى الوظائف العالية . وأوجد التقدم الاقتصادي طبقة وسطى وطبقة كادحة راضية نسبياً تضمنان استقرار النظام . وأمنت القوانين الاجتماعية : الحد الأدنى للأجرة ، ويوم الثماني الساعات ، وحق الاضراب ، والتعويضات في حال التسريح أو حادث العمل ، والعطلة المدفوعة والتأمينات الاجتماعية ، إلى العمال المدنيين ( العمال النقابيين على الأقل ) فوائد تشباين مع بؤس العمال المياومين الزراعيين .

وأسس المعهد الهندي ، من جهته ، ابتداء من ١٩٥٠ ، مركز تنسيق لتحسين ظروف حياة الهنود الذين ظلو على هامش الحياة القومية .

وبانتخاب المجاز آدولفو لوبيز ماتيوس ، المولود في عام ١٩١٠ ، والرئيس



من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤ ، عاد الاتجاه التقدمي في الحزب الثوري النظامي إلى السلطة . وشكلت اعتمادات التعليم منذ الآن أهم فصل في الموازنة ( ٤ مليارات بيزوس ، أي ٣٢٠ مليون دولار في ١٩٦٤ ، وأزمنت خطة الواحد عشر عاماً ، ١٩٦٢ - ١٩٧٣ ، على انشاء ١١٨٢٥ مدرسة مدنية و ٢٧٤٤٠ مدرسة ريفية ) ، ووسع الرئيس الأمن الاجتماعي وخول عمال المشاريع الكبرى المشاركة في الارباح . وأهم بعض المصالح الأجنبية الكبرى ، مثل شركة كهرباء مكسيكو ، ولكن الرأسمال الأجنبي مازال يسيطر تماماً على القطاع المنجمي . وعرفت بعض المشاريع التي تراقبها الدولة تقدماً عظيماً ، مثل معامل شيوداد - ساهاغون التي تهتم بالصناعة المعدنية وتركيب السيارات . وأصبحت المنتجات المنتهية والنصف منتهية تمثل ربع الصادرات .

ووزع لوبيز ماتيوس ١٣ مليون هكتار من الاراضي ، وساعد إنشاء التأمين على الحصول صغار المزارعين في الحصول بسهولة على قروض . ومع ذلك ، فإن ضيق قطع الاراضي الموزعة ، هكتارات ، تطبيقاً للقانون الزراعي ، وعدم كفاية الاعتمادات اجبراً عدداً من « الابطال » ( المنتفعين بالاصلاح ) على البحث عن عمل مأجور مكمل ، أو مقابل تعويض على التخلي عن استغلال حصتهم ، التي لا يجوز التصرف بها نظرياً ، إلى مستغل كبير . ويقدر في بعض المناطق أن ٣٠ ٪ من الاراضي الموزعة على الفلاحين غير مستغلة من قبل مالكيها الاسمي . ووجد أيضاً ، في نهاية ولاية لوبيز ماتيوس ، مليون ونصف عامل يومي زراعي عاطل عن العمل .

وتعلق الرئيس لوبيز ماتيوس بتنمية المبادلات مع بلاد الرابطة اللاتينية الامريكية للمبادلة الحرة وايضاً مع اوروبا الغربية ، بعد سفر لوبيز ماتيوس إلى أوربه [ ١٩٦٣ ] ، والاتفاقات الاقتصادية الفرنسية المكسيكية

وزارة الجنرال دوغول للمكسيك [ آذار ١٩٦٤ ] ، ومع ذلك تمتص الولايات المتحدة أيضاً ٧١٪ من مجموع الصادرات المكسيكية . وترأس لويز ماتيوس الحملة لصالح « لانوية » امريكا اللاتينية ، أي إخلاء امريكا اللاتينية من القنابل النووية . ولعبت المكسيك أيضاً دوراً هاماً في المؤتمر العالمي للتجارة لحماية أسعار المواد الأولية ، في جوفيف ، في ربيع ١٩٦٤ ، ورفض قطع العلاقات مع كوبا باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها .

وبلاحظ في بداية ولاية لويز ماتيوس ، بقلطة نشاطات الحزب الشيوعي وتشكل فئة كاسترية تتمثل في حركة التحرير الوطني التي انتسب اليها بخاصة المفكرون والطلاب . وبعد أن أوقف الاضطراب بطرق القمع ، مثل توقيف الرسام سيكويروس والمنظمين لاضراب « سياسي » لعمال السكك الحديدية ، أبدت السلطة الرحمة .

ووقف الجاز غوستافو دياز اوردان ، من الحزب الثوري النظامي ، المنتخب رئيساً للجمهورية ، في ٥ تموز ١٩٦٤ ، ب ٨٨٪ من الأصوات المعبرة ، ضد التدخل الأجنبي في سان دومينغ ( نيسان - أيار ١٩٦٥ ) ، ودافع في المؤتمر الأمريكي ، في ريودو جانيرو ، في تشرين الثاني ١٩٦٥ ، عن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد الأخرى ، ورفض قطع العلاقات مع كوبا في مؤتمر منظمة دول امريكا في ايلول ١٩٦٧ . وحاول الحزب الثوري النظامي ، بأمر من أمينه العام مادرازو ، من الجناح الأيسر ، أن يتبعد عن الرئاسة . ولكن مادرازو دفع إلى الاستقالة ، في تشرين الثاني ١٩٦٥ . وأثار اضطراب الفلاحين في شمال المكسيك في دول سوتورا وشيهواهاوا استئناف اصلاح الزراعي ،

ونجم عنه توزيع مليون هكتار من الاراضي في دولة شيهواهوا ، في خريف ١٩٦٧ .

وقامت حركة طلابية كثيفة ، في تموز ١٩٦٨ ، إثر حادث غير متوقع ، وقمعت بشدة بتبادل اطلاق النار من ساحة الثلاث ثقافات ، في ٢ تشرين الأول ، وهدأت بعد بضعة أيام بعد هذا الظرف المفجع ، وساعدت بذلك الالعب الاولمبية على أن تمضي بنجاح في ( ١٢ - ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٨ ) .

### الموجة الاصلاحية الثانية

بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ اسقطت موجة ديموقراطية جديدة الدكتاتوريات وأتت بأنظمة اصلاحية . وقد شجع الرئيس كينيدي هذا التيار ، ابتداءً من ١٩٦١ .

وصلت الاصلاحية إلى السلطة في الأرجنتين ، في ١٩٥٨ ، وفي فينزويلا ، في ١٩٥٩ ، وفي الجمهورية الدومينيكية في ١٩٦٢ ، وفي كوبا ، قلب فيديل كاسترو الدكتاتورية . وفي كوستاريكا ، عاد حزب التحرير الوطني ، الذي أسسه فيغويريس ، إلى السلطة في شخص الرئيس اورليش ( ١٩٦٢ - ١٩٦٦ ) .

### في الاربعينين

انتصر آرتورو فرونديزي الحامي ، المولود في ١٩٠٨ ، زعيم فئة اليسار الراديكالية ، على ريكاردو بالبن ، زعيم الجناح الايمن الراديكالي بفضل دعم البيرونيين التعبوي الذين وعدهم بالعفو العام ، والاستراكيين ، والشيعيين وبعض الديموقراطيين - المسحيين . ولكن التهديد بالحركة الانقلابية العسكرية أجبر فرونديزي ، الذي استلم وظائفه في ١٠

آذار ١٩٥٨ ، على تنويم الاصلاح الزراعي ، والانفصال عن معاونه  
فريجيرو الذي حاول أن يدخل البيرونيين في الحياة السياسية .

وظهرت الاتفاقات التي تمت بين شركة الريجي البترولية ومختلف الشركات  
الأجنبية ، الشمال - امريكية ، في معظمها ، بزيادة الانتاج ( ١٧  
مليون طن في ١٩٦١ مقابل ٥ ملايين في ١٩٥٨ ) . وساعدت خطة  
التنمية والاستقرار التي دخلت في حيز التنفيذ ، في ٣٠ كانون الأول  
١٩٥٨ ، على توطيد توازن الميزان التجاري ، وأثارت تقدماً عظيماً في  
القطاع الصناعي الأساسي ( استخراج الفحم ، صناعة الحديد ) . ولكن  
حذف الاسعار المحددة والمساعدات التي تمنح لمختلف المنتجات أدى إلى  
ارتفاع سعر الحياة ، بينما أثار توقف بعض الاشغال وتحديد الاعتمادات  
زيادة في البطالة . وهياً الاستياء العام عودة الاضرابات من جديد . ويلاحظ ،  
في انتخابات آذار ١٩٦٠ ، زيادة نسبة الاوراق البيضاء البيرونية ، ولم  
يكن مرخصاً لهذا الحزب بتقديم مرشحين .

ولكسب رضى الشعب ، سمح فرونديزي للحزب البيروني بالمشاركة  
في الانتخابات التشريعية ، في آذار ١٩٦٢ . وحصل البيرونيون بدعم  
الشوعيين على ٣٠.٩٪ من الاصوات المعبرة ، وعلى ٤٤ مقعداً في المجلس  
( على ٨٦ ) و ٥ وظائف حكام ، من بينهم حاكم بونوس آيريس . ونزل  
الرئيس أمام الضغط العسكري فالغى الانتخابات ، ولكن الجيش لم  
يغفر له ارجاع امتياز التمتع بالحقوق المدنية للبيرونيين ، وقلبه في آذار ١٩٦٢ .

ولما رأى ج . م . غيدو ، رئيس مجلس الشيوخ ، أن العسكريين  
المتطرفين ( الغوريلا ) ، الذين يأملون بتوطيد النظام العسكري ،  
يهددونه باستمرار ، أنهى الولاية القائمة ، بفضل تدخل العسكريين الشرعيين ،

بحرب شوارع في بونينوس آيريس ، في ايلول ١٩٦٢ ، وتعب الرأي من هذه الاضطرابات التي تشل الحياة الاقتصادية ، وتمنى عودة الحياة العامة إلى طبيعتها . ولذا انتخب مرشح اليمين الراديكالي ارتودو ايليا ، رئيساً بأكثرية قوية ( تموز ١٩٦٣ ) . وأمن الرئيس الجديد لنفسه شعبية كبرى بالغاء عقود البترول التي وقعها فرونديزي ، لأن الرأي كان ينهم الشركات الأجنبية بتحقيق أرباح مفرطة . وساعد نوطيد النظام على القيام بنهوض اقتصادي عظيم ، ووضع خطة التنمية موضع التنفيذ في فاتح تشرين الثاني ١٩٦٤ .

ولكن العجز المستحكم في الموازنة فرض اصداراً مضطرباً للأوراق النقدية ، واحيا ارتفاع الاسعار ، الذي نجم عن ذلك ، الاضطراب الاجتماعي ، ورفع جاه البيرونيين . وكان الجنرال بيرون منفيًا في مدريد . وساول ، دون جدوى ، العودة إلى الأرجنتين ، في كانون الأول ١٩٦٤ ، ولكن حزبه حصل على ٣٣,٨٪ من أصوات انتخابات ١٤ آذار ١٩٦٥ ، لتجديد المجلس التشريعي والمجالس الاقليمية تجديداً جزئياً . وقد أوجد الاضطراب الاقتصادي والقلق الجديد ، الذي أوحى به إلى البورجوازية تقدم البيرونيين ، مناخاً ملائماً إلى حركة مسلحة جديدة قلبت الرئيس ايليا ، في ٢٨ حزيران ١٩٦٦ . وقررت الحكومة التي شكلها الجنرال اونغانيا ، رئيس أركان الجيش سابقاً ، حل جميع الأحزاب السياسية والغاء استقلال الجامعة . ودفع هذا القرار عدداً من الاساتذة إلى مغادرة البلاد . وساول النظام ، بادئ بدء ، ابرام هدنة واقع مع النقابات البيرونية وغير البيرونية لأنها كانت قوية جداً ولا يمكن حلها . ولكن هذه النقابات اضطرت إلى تقوية موقفها اثر تبني خطة تنقية مالية تهدف إلى اقتصاد دراكوني ، في أيار ١٩٦٧ . وحقق وزير الاقتصاد آنذاك ، كويمبور فاسينا ، جولة طويلة ، في

تشرين الثاني ١٩٦٧ ، بغية الحصول على اعتمادات وعلى منافذ جديدة في بلاد اوربه الغربية ، واتجهت نحو هذه البلاد ، منذ الآن ، ٥٠٪ من صادرات الأرجنتين .

ومع ذلك فقد دخل النظام في ١٩٦٨ ، في طريق جديدة إثر التقارب مع النقابيين انصار « البيرونية دون بيرون » . ولارضاء هذا الحزب النقابي ، الذي كان يوجهه اوغستوفاندور ، اعلن الجنرال اونغانيا اصلاحات بنوية وانشاء مجلس نقابي .

البرزيل : من التزمينة الى ارضية على السلطة ( برونسيمايفنتو )

انتخب الزعيم الاجتماعي - الديمقراطي ج . كوينتشيك رئيساً ( ١٩٥٦ - ١٩٦١ ) بفضل دعم العمال والشيوعيين ، وسلك سياسة تصنيع وأشغال عامة كبرى ( سدود ، مراكز كهربائية ، طرق ) . ورغب في نقل مركز ثقل البرزيل نحو الداخل بعد أن ظلت حتى ذلك الحين تتألف ، بخاصة ، من واجهة بحرية ، وأمر بانشاء عاصمة جديدة : برازيليا ، على هضبة غواياز النصف صحراوية . وسبق أن صمم المشروع منذ ١٨٩١ وحقق في أربعة أعوام .

وحاول الرئيس أن ينمي أيضاً المنطقة الإدارية في الشمال الشرقي عند ميناء الوصيف ، عاصمة برنامبوك على المحيط الاطلسي حيث آثار جفاف هضاب الظهير ( داخل البلاد ) واحتكار كبار مزارعي قصب السكر الاراضي الخصبة على الشاطيء ، اضطراباً اجتماعياً كبيراً . فقد تجمع العمال المياومون ، منذ ١٩٤٨ ، في رابطات فلاحية ، تحت قيادة زعيمهم ، المحامي فوانشيسكو جولياؤ . ولحالة انهاء هذا التوتر الاجتماعي ، انشأ كوينتشيك وكالة عليا لتنمية الشمال الشرقي . ولكن

إنجازاته الكبرى سببت في توازن الموازنة خلال مولداً للتضخم النقدي وارتفاع الأسعار .

وشجع الاستياء الذي نشأ عن ذلك على ترشيح جانينو كوادروس ، حاكم سان باولو السابق . وحصل على تقليد حزب U-D.N ( حزب محافظ ) ، ولكن وعده بمكافحة الامراف ( واستعمل لذلك المكنسة شعاراً ) جذب اليه عطف الجماهير . وانتخب بـ ٤٨٪ من من الأصوات ، في تشرين الأول ١٩٦٥ ، واستلم وظائفه ، في ٣١ كانون الثاني ١٩٦٦ ، وخفض بمقدار ٣٠٪ النفقات العامة دون الوصول إلى منع التضخم . ودعم سياسة حلف التقدم في مؤتمر بوتنا دل ايست ، آب ١٩٦٦ ، فوطد بذلك العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الديمقراطيات الشعبية ودعا الوزير الكوبي اونيستو « شي » غيفارا ومنحه تمييزاً برزيبياً عالياً . وانتقدت الأوساط العسكرية هذه السياسة بحدة ، وكذلك كارلوس لاسييدا الذي انتخب حاكماً لدولة غوانابارا ( ريو دوجانيرو ) . وبالرغم من المهدئات التي قدمها زعماء الجيش إلى جانينو كوادروس ، فقد قدم هذا استقالته فجأة ، في ٢٥ آب ١٩٦٦ ، ونسب بعض المفسرين هذا القرار إلى أنه كان نتيجة ضعف عصبي .

وآلت السلطة شرعاً إلى نائب الرئيس ، جوانو غولارت ، زعيم حزب العمال والنقابات ، ولكن الجيش عارض استلامه وظائفه . وبفضل تسوية ، صوت الكونغرس على تعديل دستوري يخول واقع السلطة إلى وزير أول مسؤول أمام المجلسين ( ايلول ١٩٦٦ ) . ولكن عدم نفاذ النظام الجديد وتأجيل الاصلاحات سببا استياء في الرأي ، حتى ان الرئيس غولارت ، الذي أمن لنفسه بعض الدعم في الجيش ، طلب الموافقة باستفتاء على عودة النظام الرئاسي ، في ٦ كانون الثاني ١٩٦٣ .

وفي الأشهر الخمسة عشر التالية تسبب الامراف وانخفاض قيمة الكروزيرو ( فقد سقط في نيسان ١٩٦٤ إلى ١٩٠٠ دولار واحد . ) وارتفاع سعر الحياة في استياء الطبقات الاجتماعية جميعاً . ولكسب اهتمام العمال ، رسم غولارت سلسلة اصلاحات جذرية : تأمين مصافي البترول التابعة لشركات أجنبية ، انتزاع ملكية الأراضي الواقعة على امتداد ١٠ كم من جانبي طرق المواصلات الكبرى . وأغضبت هذه الاجراءات الطبقات المالكة . وحقن الضباط من ثورة جنود البحرية المتعاطفين مع الشيوعيين الذين اعتمد عليهم الرئيس لاحتواء العسكريين من أقصى اليمين . ولما رفض جانو غولارت عقاب المتمردين زحف جيشاً مينامس جيرايس وسان باولو على ريو دوجانيرو ، في ٣١ آذار ١٩٦٤ . وكانت النقابات ، التي قررت الاضراب العام ، قد دعم جانو غولارت ، ولكن حامية ريو دوجانيرو تخلت عنه ، في الأول من نيسان ١٩٦٤ ، ولذا اضطر إلى البحث عن ملجأ له في اورغواي . وقبل أن يغادر الأرض البرازيلية قلد الكونغرس السلطة ، بصفة مؤقتة ، الى دومازيلي ، رئيس المجلس ، وتقبل هذا تهنئات الحكومة الامريكية .

وأعلنت بعض الصحف اليومية اليمينية ، وبخاصة « منبر الصحافة » ، جريدة لاسيردا ، بثورة شيوعية قريبة الوقوع ، وأثارت حملة حذر ساعدت على تبرير اجراءات القمع ، وهيأت الرأي إلى تمني وصول « رجل قوي » إلى السلطة ، غير بولماني . وأصدر القادة الأعلون للأسلحة الثلاثة سكاً نظامياً ، في ٩ نيسان ١٩٦٤ ، طردت بموجبه بعض الشخصيات من البرلمان أو حرموا من حقوقهم المدنية . وكانت لاسيردا ، المرشح للظافر لحزب الـ ( U.D.N ) المحافظ ، في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٥ ، يأمل بأن تضرب هذه الاجراءات الرئيس الأسبق كوبيتشيك



فتمنعه من الولاية للمرة الثانية . ولكن كويتشيك ومعظم البرلمانيين الاجتماعيين - الديموقراطيين نجوا من التطهير بقبولهم التصويت لصالح مرشح الجيش الجنرال ، ( والمارشال فيما بعد ) هيرتوكاستيلو برانكو . وقد انتخبه الكونغرس لإنهاء الولاية القائمة ، في ١٢ نيسان ١٩٦٤ .

ومع ذلك فقد اضطر ضغط لجان التحقيق العسكرية المارشال أن يحرم كويتشيك من حقوقه المدنية ، في ٨ حزيران ١٩٦٤ . واعتمد المارشال على برلماني الوسط الأيسر ، الذي يخشون من انتخاب لاسيردا رئيساً ، وحصل من الكونغرس ، في تموز ١٩٦٤ ، على تمديد ولايته حتى آذار ١٩٦٧ .

وفي الخارج انحاز المارشال بسياسته لسياسة واشنطن وأرسل إلى سان - دومينغ جيشاً هاماً ليضخم « الغزة الامريكية » المنظمة تحت رعاية الولايات المتحدة .

وفي الداخل ، حذف قانون ١٩٦٢ الذي يحدد صادرات الارباح العائدة للشركات الأجنبية . وبالرغم من تدفق الرساميل الخاصة ومساعدة الولايات المتحدة ، فان وزير التخطيط ، و. كامبوس ، لم يستطع ايقاف التضخم النقدي ( انخفاض قيمة الكروزيرو ، في تشرين الثاني ١٩٦٥ ) . وشجع الاستياء ، الذي سببه ارتفاع الاسعار ، المعارضة على التجمع . وفي الانتخابات التي جرت لتجديد حكام الدولة ، أحرز الاجتماعيون - الديموقراطيون على نجاحات هامة ، في تشرين الأول ١٩٦٥ . وقد انتخب أحدهم ، نيفرانو دوليا ، ليكون حاكماً على غوانابارا ( ريودوجانيرو ) . ورفض المارشال إلغاء الانتخابات ، ولكنه أصدر ، في ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٥ ، صكاً تنظيمياً يحدد سلطات الحكام ويقرر بأن يكون انتخاب رئيس الجمهورية من قبل الكونغرس ، لا بالتصويت العام المباشر .

وكان على الأحزاب السياسية المنحلة أن تتجمع من جديد بصورة اجبارية في تشكيلين : حزب الحكومة وحزب المعارضة . وصدر دستور استبدادي جديد ، وانتخب الماريشال كوستا إ. سيلفا ، الذي يدعمه الجيش ، رئيساً للجمهورية ، في ٣ تشرين الأول ١٩٦٦ ، للدور ( ١٩٦٧ - ١٩٧١ ) . واستلم وظائفه ، في ١٥ آذار ١٩٦٧ ، ودشن دور انفراج في الداخل ، و « عدم التزام » حيال واشنطن . وتقرب لاسيردا من خصمه السابقين ، الرئيسين السابقين ، كويتشيك وغولارت ، وأراد أن يشكل « جبهة معارضة واسعة » . ولكن الماريشال حل الكونغرس ، في كانون الأول ١٩٦٨ ، واستلم جميع السلطات بمساندة الجيش

### الوصولات الفيدرالية الكبرى

كان الجنرال بيريز جيمينيز دكتاتوراً ، منذ ١٩٤٨ ، وغير شعبي ، بسبب فساد الإدارة وارتفاع سعر الحياة والتباين بين بذخ أصحاب الامتيازات وبؤس العاطلين الزراعيين الذين أخذوا يتجمعون في الأحياء الفقيرة ( رانشيتوس ) في كاراكاس . وقلبه ائتلاف العمل الديموقراطي ( ر. بيتانكورت ) والشيوخين ، والوسط ، والحزب الديموقراطي المسيحي ، والاسطولين البحري والجوي ، في ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٨ . ووضعت الحكومة المؤقتة ، التي يرأسها الأميرال - المساعد و. لارا زابال ، موضع التنفيذ ، خطة لمساعدة العاطلين عن العمل تقتضي تعويضات وأشغالات عامة . ومع ذلك فقد ضرب لارا زابال ، في انتخابات الرئاسة ، في كانون الأول ١٩٥٨ ، من قبل ر. بيتانكورت ، الذي أفاد من أصوات الفلاحين . ومنذ استلم بيتانكورت وظائفه ، في ١٣ شباط ١٩٥٩ ، أثار حرب رؤوس الأموال ، بسبب الخوف من الإصلاحات ،

وانخفاض اسعار البترول في السوق العالمية ، أزمة اقتصادية عامة مولدة للبطالة . كما أثار تعليق خطة لارازبال ، في مساعدة العاطلين عن العمل ، الغضب في احياء كاراكاس النائية . واضطرت الحكومة أن تجابه عنف اليمين ، فمن ذلك محاولة اغتيال بيتا نكورت التي لم تتم ، في ٢٤ حزيران ( ١٩٦٠ ) ، وعنف اليسار . وكانت العلاقات مع حكومة فيديل كاسترو ، في بادئ الأمر ، ممتازة بعد أن جمع بيتا نكورت أموالاً من أجل ثوار العصابات السكسترية في كوبا ، ثم بدأت تفسد تدريجياً . وبعد مشاركة فينيزويلا في القرار المناوئ لكاسترو ، الذي صوت عليه في مؤتمر جامعة الدول الأمريكية في سان خوسيه في كوستاريكا ، في آب ١٩٦٠ ، قام الطلاب وتلاميذ الكليات السكستريون في كاراكاس ، بدعمهم العاطلون ، بمظاهرة عنيفة متطرفة في فاتح تشرين الأول ١٩٦٠ . وبعد عدة أيام على الثورة ، قدم موكب واسع من الفلاحين من جميع المناطق ، وقام بعرض في شوارع كاراكاس لدعم النظام ، في فاتح تشرين الثاني ١٩٦٠ . وفي الأشهر التالية اقتصرت المنظمة الاوهابية السكسترية ( F.A.L.N. ) على تنظيم اغتيالات منعزلة وعلى بعض مراكز للعصابات في الجبال الغربية . وفي مجلس النواب وجدت الحكومة في أقلية بسبب تحلي حزب الوسط وعدد من نواب العمل الديمقراطي وتأليفهم حزبين جديدين مناصرين لكاسترو : M.i.R. و L' A.R.S. .

ولكن تراجع البطالة حرم المنظمة السكسترية من الدعم الشعبي ، فحاولت عبثاً انعاش الحرب الهدامة ، في ١٩٦٢ . وبعد أن سقطت الحكومة بسهولة الحركات العسكرية التي قام بها أقصى اليسار على يد كاروبانو ( أيار ١٩٦٢ ) وبويرنو كايلاو ( آب ١٩٦٢ ) رسمت

اجراءات قمع شديدة : وضع الحزب الشيوعي وحزب الـ M.I.R. الكاستري خارج القانون ، توقيف البرلمانيين من أنصار هذين الاتجاهين ، التصويت على قانون مناوئ للارهاب ( ولكنه مع ذلك لم يضع عقوبة الاعدام ، ١٩٦٣ ) .

وصرح الشعب بأنه ضد الارهاب باسهامه بشكل كثيف ( ٩٠٪ من المكتتبين ) في الانتخابات الرئاسية والتشريعية في فاتح كانون الأول ١٩٦٢ ، بالرغم من أوامر الامتناع التي أطلقتها المنظمة الارهابية الكاسترية . وانقسم ثلثا المصوتين ( ٦٧،١٩٪ ) بين مرشحي المعارضة الستة ( اليمين واليسار ) ولذا فسان الدكتور داؤول ليؤتي ، من العمل الديموقراطي الذي كان في رأس المرشحين بـ ٢٣،٨١٪ من الاصوات ، انتخب رئيساً للجمهورية . و دشن سياسة انقراج باجراءات رحيمة لصالح الارهابيين والمجذبن للعنف في قانون ١٢ كانون الأول ١٩٦٤ .

وبالرغم من هذه الصعوبات ، وضع النظام موضع التنفيذ برنامجاً واسعاً في اصلاحات . فقد انتقلت الاتاوات على أرباح الشركات البترولية من ٥٠ إلى ٦٦،٧٦٪ وأخذت الشركة الفينيزويلية للبترول ( ادارة حصر الدولة ) ، التي انشئت في ١٩ نيسان ١٩٦٠ ومازال محصولها ضعيفاً ، تشرف على شبكة التوزيع الداخلي . هذا وإن رفض كل امتياز جديد ، واستعمال حق سحب الاراضي البور وصلا بالسطح المتنازل عنه إلى ٣٢٤٣٧٠٠ هكتار بانتظار حلول عام ١٩٨٤ الذي يسجل نهاية كل الامتيازات . ولحماية أسعار البترول ، أسهمت فينيزويلا بتأسيس منظمات البلاد المصدرة للبترول ( أوبيك ) ، في مؤتمر بغداد ، ايلول ١٩٦٠ .

وخفض هو التعليم ، الذي يتنص منذ الآن ٢١،٦٪ من الموازنة ،

وتعليم القراءة والكتابة نسبة الأميين من ٣٨٪ في ١٩٥٨ إلى ١٠٪ في ١٩٦٥ . وبتطبيق القانون الزراعي ، في آذار ١٩٦٠ ، انشأ المعهد الزراعي القومي ٧٠٣ قري . ووزعت مساحة ٤٠٠٠٠٠٠ هكتار من الاراضي ، من ١٩٥٩ إلى آخر ١٩٦٧ ، على ١٤٥٠٠٠ عائلة تضم جميعاً أكثر من ٨٧٠٠٠٠ شخص . وفي نطاق « خطة الأمة » ، حقق النظام سلسلة أعمال كبرى : طرق ، سدود ، مراكز كهربائية ، وبخاصة على نهر قارون ، ريو كاروني ، رافد نهر الاورينوك ، وانشاء مركز صناعة حديدية ضخمة في ماتانزاس وقد بدى به في السنة الأخيرة من دكتانورية بيرون جيمينيز . وشجعت الاعتمادات التي حولتها وزارة التنمية ( فومنتو ) ، والتوظيفات الخارجية وسياسة الحماية الجمركية ، من تعرفات جمركية ، وتحديد الاستيراد ، نموض الصناعات التحويلية مثل مشاغل (ورشات) تركيب السيارات ، المنتجات الصيدلانية ، السجائر ، عصير الفواكه ، الجعة ... . والزيادة السنوية للانتاج القومي الخام ، الأعلى بوضوح من الزيادة الديموغرافية ( ٥١٪ مقابل ٣٧٪ ) لا تسمح مع ذلك ، بسبب الآلية ، إلا بتصنيف قسم من العاطلين عن العمل .

وفي الخارج ، طلب الدكتور ليوني من منظمة دول أمريكا ( O. E. A. ) شجب كوبا ، بسبب المساعدة التي أتى بها هذا البلد للارهابيين الفينيزويليين ، بعد أن صوت على هذه القرارات في ١٩٦٣ ، وفي ايلول ١٩٦٧ ) . ولكنه قطع العلاقات مع البرزيل اثر حركة نيسان ١٩٦٤ ، ووقف ضد التدخل الأمريكي في سان - دومينغ ، في أيار ١٩٦٥ . وكانت حكومته الحكومة الوحيدة التي رفضت المشاركة في مؤتمر الدول الأمريكية في ريو دو جانيرو الذي كانت تتمناه الولايات المتحدة بشدة ، في تشرين تاريخ عصفرا ( ٢٨ )

الثاني ١٩٦٥ ) . واشتركت فنيزويلا بالرابعة اللاتينية - الامريكية للمبادلة الحرة في ١٩٦٦ في عهد ولاية ليوني ، وأسهمت بنشاط في أعمال مؤتمر الذروة في بونتا دل ايسنت لتحويل تلك الرابطة الآتفة الذكر إلى سوق مشتركة ، في نيسان ١٩٦٧ .

وأضعفت القطيعة بين الحزب الشيوعي ( النصير - رومي ) والقباضين أخيراً على حرب العصابات هذه الحرب أيضاً . كما أن المبادرة ، التي اشتركت بها جميع الأحزاب في حملة الانتخابات الرئاسية والتشريعية ، في كانون الأول ١٩٦٨ ، تبرهن على أن العمل الديموقراطي بلغ هدفه الأصلي وهو تعديل الحياة الديموقراطية وجعلها عادية طبيعية . ولكن الاختلافات المبالغية في وسط حزب العمل الديموقراطي على انتخاب مرشح ، أدت إلى انتخاب المرشح الديموقراطي - المسيحي ، دافائيل كالديرا بتم دعم ضعيف على المرشح الآخر .

### الطستريز في كوبا

لقد انفصلت كوبا عن اسبانيا بنتيجة الحرب التي وقع فيها هذا البلد مع الولايات المتحدة ، في ١٨٩٨ ، وأصبحت هذه الجزيرة مرتبطة بصورة وثيقة بواشنطن من الوجهة الاقتصادية والسياسية . ولكن عاطفة الحجة التي سببتها هذه التبعية أشعلت ، في ١٩٣٣ ، ثورة ضباط الصف التي رفعت الى السلطة النائب العسكري ، السرجان ، ( الجنرال فيما بعد ) باتيستا .

واضطر الجنرال باتيستا إلى الانحياز في دور التحرير ، ١٩٤٨ ، ولكنه عاد إلى السلطة عام ١٩٥٢ ، بفضل الثورة ، وعمل على انتخابه رئيساً

من ١٩٥٤ - ١٩٥٨ . وفي هذه الولاية الثانية ، كانت الولايات المتحدة تدعم حكومته ، وعرفت حكومته بطرقها الاستبدادية وفسادها المفرط .

وفي ٢٦ تموز ١٩٥٣ ، حاول عبشاً فريق من الشبان المفكرين القوميين ، بقيادة فيديل كاسترو وروز ، المحامي ، المولود في ١٩٢٧ ، أن يستولي على ثكنة مونسكادا في سانتياغو كوبا . وأوقف وحوكم وحكم بخمسة عشر عاماً بالسجن ، ثم عفي عنه ونفي إلى المكسيك . وعاد فيديل كاسترو مرأ إلى كوبا على متن يخت « غوانما » مع فرقة مغيرين مؤلفة من ٨٢ رجلاً ، في ٢ كانون الأول ١٩٥٦ . وبنتيجة انزال خامس رد الفريق إلى ١٥ رجلاً والتجأ في سييرا مايسترا ، في جنوب شرقي الجزيرة . والتحقق به مئات العمال الزراعيين ، بينما انتظمت الشبكات السرية في سائر البلاد . ولايقاف المقاومة لجأت هيئات القمع ( S.I.M. ، B.R.A.C. ) إلى طرق تعذيب فظيعة ساءت الرأي . وتحت ضغط الاكليروس الأدنى ، عدلت الاسقفية عن تضامنها مع النظام القائم ، في ٢ آذار ١٩٥٨ . ولكن كلمة الأمر بالاضراب العام التي أطلقها الكاستريون ، أخفقت ، وبخاصة لعدم مشاركة الحزب الشيوعي ، في ٩ نيسان ١٩٥٨ .

وفي ٢٠ تموز ١٩٥٨ ، شكلت جميع قوى المعارضة ، باستثناء الشيوعيين ، جبهة عامة مشتركة . وانطلق صفان من الثوار من سييرا مايسترا ، وقاما « بزحف طويل » وارتبطا مع فئات العصابات الصغرى في سييرا الايسكامبريه ، في وسط الجزيرة ، في ايلول - تشرين الأول ١٩٥٨ . وبانتخاب مزيف سعى باليستا إلى انتخاب خلف له من اختياره ، ولكن قسماً من الرأي ، في الولايات المتحدة ، وقف ضده . وأضنت

الجيش النظامي عقدة العزلة ، كما أضعفه الحرب من الجندية ، فلم يبد إلا مقاومة رمزية أمام تقدم الثوار . وفر باتيستا ، في ٣١ كانون الأول ١٩٥٨ ، واستولى كاسترو على سانتياغو كوبا ، في ٢ كانون الثاني ١٩٥٩ ، ودخل صف الثوار ذوي الاحلي ، بأمر ايرنستو « شي » غيفارا ، ظافراً إلى لاهافانا في ٤ كانون الثاني ١٩٥٩ .

اكتفى فيديل كاسترو في البدء بالدور العسكري ورفع المعتدلين إلى السلطة : اوروتيسا رئيساً للجمهورية ، وميرو كاردوناس رئيساً للوزراء . وقلق هذا الأخير من دعوى لاهافانا الكبرى واعدام ٣٠٠ شخص ، في كانون الثاني ١٩٥٩ ، واستقال . وأخذ فيديل كاسترو على عاتقه وظائف رئيس مجلس الوزراء ، في ١٥ شباط ١٩٥٩ . وكان في ذلك الحين سائراً في الاتجاه القومي الديمقراطي . وكانت زيارته الاولى للرئيس الفينزويلي ، ر بيتانكورت ، في كانون الثاني ١٩٥٩ . وعندما تكلم في نيويورك عرف نظامه بأنه « ديمقراطية انسانية » وقال : « لاخيز دون حرية ، ولا حرية دون خبز » ، في نيسان ١٩٥٩ ، ورسمت الحكومة اصلاحات وافقت عليها اكثرية الرأي : تنقية الادارة ، والبدء ببناء المدارس والمستشفيات والمساكن بسعر رخيص ، والاصلاح الزراعي ، في ١٧ أيار ١٩٥٩ .

ولكن لوحظت ، في السنوات التالية ، سلسلة أعمال وردود فعل تؤدي بنتيجتها إلى جر النظام نحو أقصى اليسار .

### التطور الداخلي

إن انفكاك المعتدلين وبعض الكاستريين منذ الساعة الاولى ، مثل القائد دياز لانز ، آمر الطيران ، الذي فر إلى الولايات المتحدة ، في حزيران ١٩٥٩ ، والمؤامرات والاعتقالات التي نظمها المنفيون والمعارضون في



الداخل اضطرت النظام الى الاستناد شيئاً فشيئاً على الشيوعيين ، الذين شايعوا الحركة قبل النصر بثلاثة أشهر ، والى تبني اجراءات جذرية تدريجياً . فمن ذلك أن اوسوالدو دورتيكوس حل محل اوروتيا ( المعتدل ) في رئاسة الجمهورية ، في ١٨ تموز ١٩٥٩ .

وفي الأشهر الأخيرة من عام ١٩٥٩ وفي ١٩٦٠ أدى عمل المناوئين لكاسترو ، كضرب مزارع قصب السكر بالقنابل ، والثورة في سيرا الايسكامبريه ، وشجب الاسقفية للنظام ، في ربيع ١٩٦٠ ، إلى تصلب جديد : المنع التدريجي لجميع صحف المعارضة ، القمع الذي دبرته ال G.2 ( الشرطة السياسية - العسكرية ) ، تأميم جميع المشاريع الكبرى ( ٦٠٠ مشروع تمثل ٨٠ ٪ من الصناعة الكوبية ، في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٠ ) ، الاصلاح المدني الذي انتزع ملكية عمارات الاستئجار ، وتوقيف د . سالفادور ، وهو غير شيوعي ، وزعيم الاتحاد النقابي ( C.T.C. ) . وبينما كانت حملة مكافحة الأمية تنمو على مقياس واسع كانت الحكومة تؤمم المدارس الخاصة والدينية . وذابت حركة ٢٦ تموز الكاستوية في الحزب الشيوعي ، في ٣ تموز ١٩٦١ . وهياً د شي ، غيفارا ، وزير الصناعة ، منذ شباط ١٩٦١ ، خطة خمسية ( ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ) تعطي الأولوية للصناعة الثقيلة ، كما عهد بحقيقتي الزراعة والتجارة الخارجية إلى شيوعيين .

### العلاقات مع الولايات المتحدة

بعد نزع ملكية المزارع التابعة للشركات الامريكية ، بموجب الاصلاح الزراعي ، في صيف ١٩٥٩ ، شجعت سلطات واشنطن ، بشكل أعمال انتقامية ، نشاطات المنفيين الكوبيين .

عندئذ اتجهت حكومة كاسترو نحو الاتحاد السوفياتي بعدة أعمال :  
تدشين ميكوبات المعرض الرومي في لاهافانا ، في ٥ شباط ١٩٦٠ ،  
اتفاق تجاري كوبي - سوفياتي ، استثناف العلاقات الدبلوماسية بين  
البلدين . ورفضت المصافي الامريكية القائمة في كوبا معالجة البترول  
الرومي المستورد بموجب الاتفاق التجاري الكوبي - السوفياتي ، وتقدمت  
حكومة واشنطن إلى الكونغرس بشروع قانون يرخص للسلطة التنفيذية  
بتخفيض كوتا ( حصة ) استيراد السكر الكوبي ، وأمر كاسترو بالقبض  
على مصافي التكسكو ، وستاندارد اويل ، وشيل ، في ٢٩ - ٣٠  
حزيران ١٩٦٠ . فرد الرئيس آيزنهاور بانقاص واردات السكر الكوبي  
ب ٧٠٠٠٠٠ طن ، في ٦ تموز ١٩٦٠ . وعندئذ قرر الوزير السوفياتي  
الأول . ن . خروتشوف شراء هذه الكمية وهدد الولايات المتحدة  
بجرب نووية في الحالة التي تهدد بها كوبا ، في ٩ - ١٠ تموز ١٩٦٠ ،  
بينما قررت حكومة لاهافانا تأميم جميع المشاريع الامريكية ، وقيمتها  
٨٠٠ مليون دولار .

وشخص فيديل كاسترو إلى واشنطن للمشاركة في دورة منظمة الأمم  
المتحدة ، وخطب ، بهذه المناسبة ، خطاباً عنيفاً لام فيه الولايات المتحدة ،  
في ايلول ١٩٦٠ . وأقيمت علاقات دبلوماسية بين كوبا والصين الشعبية ،  
في ٣٠ ايلول ١٩٦٠ . وعندئذ وضعت حكومة واشنطن الحظر على  
الصادرات الذاهبة إلى كوبا ، ودفع هذا القرار إلى ابرام  
اتفاقات جديدة مع حكومة لاهافانا ، يشترى بموجبها الاتحاد السوفياتي  
القسم الأعظم من انتاج سكر الجزيرة ، في كانون الأول ١٩٦٠ .  
وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن ولاهافانا ، في ٤ كانون الثاني  
١٩٦١ . وقرر الرئيس كينيدي ، الذي استلم السلطة ، في ١٨ كانون

الثاني ١٩٦١ ، تعليق واردات السكر الكويتي كلها . وحاول جيش من المنفيين الكويتيين المدربين في فلوريدا وغواتيمالا ، غزو كوبا . وحرم الغزاة من الغطاء الجوي ، بعد أن رفضه كينيدي ، وسحقهم المليشيات الكاسترية المجهزة بالسلاح السوفياتي بكثرة ( ١٦ - ١٧ - ١٨ نيسان ١٩٦١ ) .

### العلاقات مع امريكا اللاتينية

بينما كانت الأنظمة المحافظة تكيف سياستها مع سياسة واشنطن ، كانت الحكومات القومية الديمقراطية تأخذ على كاسترو خيانتها لمثلها الأعلى المزدوج بتحالفه مع الشيوعيين ورفضه تنظيم انتخابات . ولذا فإن بعض هذه الحكومات ، وبخاصة حكومة فينيزويلا ، اشتركت بالقرار المناوئ لكاسترو الذي صوت عليه مؤتمر الدول الامريكية في سان خوسيه في كوستاريكا ، في آب ١٩٦٠ . فردت كوبا بـ « تصريح لاهافانا » الذي ينكر كل صفة تمثيلية لحكومات امريكا اللاتينية ، في ٢ ايلول ١٩٦١ . وانتهى هذا الموقف والاضطراب العنيف الذي نجم عنه في مختلف البلاد ، من مظاهرات شوارع ومحاولات اغتيالات وحرب عصابات ، باثارة الحكومات ، التي اتهمت النظام الكوبي بامداد الحركات الهدامة على أراضيها بدعايته ونجميزاته بالاسلحة . وقرر مؤتمر الدول الامريكية المنعقد في بونتا دل ايسنت ، بـ ١٤ صوتاً و ٦ امتناع ، اخراج كوبا من منظمة دول امريكا ؛ وقطعت جميع حكومات امريكا اللاتينية ، باستثناء حكومة المكسيك ، كل بدورها ، العلاقات الدبلوماسية مع لاهافانا . وبالتالي شجبت منظمة دول امريكا أيضاً وخلال مرتين النظام الكوبي ، في ١٩٦٣ وفي ايلول ١٩٦٧ .

## من أزمة تشرين الأول ١٩٦٢ الى التعايش

انعزلت كوبا عن القارة الامريكية وأصبحت تابعة شيئاً فشيئاً ، على جميع المستويات ، لمساعدة الاتحاد السوفياتي . ولذا فان موجهي واشنطن لم يفاجؤوا إلا نصف مفاجأة عندما أرسلت طائرة من نوع U-2 للاستطلاع فوق الجزيرة ، في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٢ ، وأقت بصور فوتوغرافية تبرز على أن ٤ قواعد اطلاق صواريخ سوفياتية كانت في حيز الانشاء في كوبا . وإذا أمكن انهاء هذه الاشغال ، فان ٤٢ قاعدة لقيادة الجو الاستراتيجي ، أي ٥٠٪ من التشكيل الدفاعي للولايات المتحدة يصبح موجوداً تحت نار الصواريخ ، ذات المدى ٢٠٠٠ و ٤٢٠٠ كم ، والمنطلقة من القواعد الكوبية . وقد وضع الرئيس كينيدي قواه في حالة انذار بالخطر شامل ، وحشد تشكيلة جوية - بحرية عظيمة حول كوبا . وبذا تكون مهددة بالابادة والمهدم في حال انفجار حرب . ووجه إلى الاتحاد السوفياتي انذاراً يطلب فيه تقويض القواعد التي هي في حالة انشاء ، في ٢١ تشرين الأول ١٩٦٢ . ويبدو أن الحـرب العالمية الثالثة أوشكت أن تنفجر . ولكن الاتحاد السوفياتي قبل سحب عتاده على أن تتعهد الولايات المتحدة بعدم مهاجمة كوبا . ووعد كينيدي بالامتناع عن كل عدوان كما يبدو من تبادل الرسائل بين كينيدي وغروثوف من ٢٢ - ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٢ .

وكان هذا الاتفاق ، المبرم خلافاً لرأي لاهافانا ، أول صك بالتعايش السلمي بين موسكو وواشنطن . وبتفاهم الخلاف بين موسكو وبيكين ، وضع كاسترو في موضع حرج . لأن الاجراءات التي اتخذت على عكس ما يريد « الحرس القديم » الشيوعي ، وتعلق كوبا بعقيدة الكفاح المسلح بدت

ندل على أن حكومة لاهافانا تميل نحو الصين الشعبية . ولكنها ، من الوجهة الاقتصادية ، كانت تتبع شيئاً فشيئاً وبشكل وثيق الاتحاد السوفياتي ، الذي يمتص القسم الاعظم من انتاج السكر ويجهزها ، بالمقابل ، بالمحروقات ، والسلع الغذائية والأدوات المصنوعة . حتى ان خطة التصنيع الكبرى ، التي وضعها د شي ، غيفارا ، وقعت في خطر بسبب صعوبات تكيف قطع التبديل من أصل سوفياتي مع التحنة الصناعية الكوبية الآتية من الولايات المتحدة . ولذا ذهب كاسترو إلى الاتحاد السوفياتي ليطلب عوناً اقتصادياً زائداً ، في آذار ١٩٦٣ .

ويبدو أن القرار بإبعاد د شي ، غيفارا عن المسرح السيامي الكوبي ، في آذار ١٩٦٥ ، يعكس الاهتمام في ارضاء الاتحاد السوفياتي مع متابعة حرب العصابات في امريكا اللاتينية . وإن مؤتمر العالم الثالث ، في لاهافانا ، في كانون الثاني ١٩٦٦ ، فسح مجالاً لعدة حوادث غيفة بين كوبا وحكومة بكين التي حنقت من التفضيل المحول إلى موسكو . وحصل كاسترو ، مقابل مشايعته للاتحاد السوفياتي ، على موافقة هذا الأخير على انشاء لجنة ثورية امريكية ( O.L.A.S. ) مكلفة بإعداد الكفاح المسلح في مختلف بلاد امريكا اللاتينية . ولكن تخلي معظم الاحزاب الشيوعية المناصرة لروسيا في الأشهر التالية عن حرب العصابات ، وسياسة تعايش الاتحاد السوفياتي مع بعض حكومات امريكا اللاتينية ( الموائقي التجارية ) فاقما الحلاف الايديولوجي ، الذي اتضح في مؤتمر اللجنة الثورية الامريكية ( O.L.A.S. ) في لاهافانا ، من ٣١ تموز - ١٠ آب ١٩٦٧ .

لقد أخرج الشيوعيون المناصرون للروس من الحزب الشيوعي الكوبي ،

في خريف ١٩٦٧ ، ولكن النظام الكاستري ظل تابعاً للحكومة السوفياتية من وجهة النظر الاقتصادية ومن وجهة نظر الأمن ، ويطرح اختياراتها السياسية . وهذا التناقض الأسامي لم يكن منه إلا مضايقة السياسة الكوبية في الأشهر التالية .

### ملف التقدم

. منذ أن وصل الرئيس كينيدي إلى السلطة ، في كانون الثاني ١٩٦١ ، أعرب عن عزمه على اعداد برنامج واسع لمساعدة امريكا اللاتينية . وقد درست هذه الحطة في الأشهر التالية وتبنت بصورة رسمية في مؤتمر بونتا دل ابست ( في اورغواي من ٥ - ١٧ آب ١٩٦١ ) . فقد قررت العشرون بلداً الممثلة : الولايات المتحدة وجميع البلاد اللاتينية - الامريكية ، باستثناء كوبا ، تشكيل حلف التقدم بغية تنشيط التنمية الاقتصادية ورفع مستوى حياة شعوب امريكا اللاتينية . ووعدت الولايات المتحدة بالمعونة الفنية والعون المالي ورصدت ٢٠ مليار دولار من أجل ١٩٦١ - ١٩٧١ . وتعددت بلاد امريكا اللاتينية ، من جانبها ، بتبني الاجراءات الضرورية لتأمين تنميتها : التخطيط الاقتصادي ، اصلاح الزراعة ، اصلاح الضريبي . زيادة الأجور ، انشاء المساكن ، مكافحة التضخم النقدي والبطالة والامية . وتواعد الموقعون على تحقيق « الدمج اللاتيني - الامريكي » واجباد حل للقضية الخطيرة وهي شدة التغيرات في أسعار الحاصلات الاولى من مواد أولية وسلع زراعية . ووضع خبراء المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، الذي ينعقد مرتين في العام ، منذ مؤتمر مكسيكو ، في تشرين الأول ١٩٦٢ ، موازنة حلف التقدم ، وأبدوا النتائج التالية : تقدم ضعيف على جميع المستويات خلال الدور ١٩٦١ -

١٩٦٢ بسبب انخفاض أسعار الحاصلات الأولية ؛ تقدم صناعي وزيادة الانتاج القومي الخام في معظم البلاد انطلافاً من ١٩٦٤ ؛ عجز مستحکم في ميزان الحسابات قدرة ٣ مليار دولار في ١٩٦٥ لمجموع امريكا اللاتينية ، وذلك بسبب الديون المتراكمة في العهد السابق ؛ تأخر مستحکم في جميع البلاد تقريباً في تنفيذ البرامج الزراعية والاجتماعية ( السكن والصحة ) والثقافية ( التربية ومكافحة الأمية ) .

### عصر الاستيلاء على السلطة

يتضح هذا التأخر في البرامج بخاصة بحركات الاستيلاء على السلطة التي كانت تقلب كثيراً من الانظمة الاصلاحية المنهكة ، بصورة مناقضة ، بالشيوعية بواقع ارادتها في تطبيق الاصلاحات التي أزمع عليها حلف التقدم . وكانت هذه الانقلابات سهلة لضعف قوى التقدم الاجتماعي بسبب النزاع بين الكاستريين والاصلاحيين ، والخوف من الكاسترية - الشيوعية الذي دفع البورجوازية والطبقة الوسطى إلى طلب حماية الأنظمة العسكرية . وفي الولايات المتحدة ، إن الخوف من رؤية الانظمة الاصلاحية تتطور - مثل نظام لاهافانا - نحو الشيوعية مثل القوى الديوقراطية وساعد الاوساط العسكرية وجوع « كواليس » الكارتيلات الكبرى على فرض سياستها في دعم الدكتاتوريات .

وعدا عن الانقلابات التي قلبت الرؤساء فرونديزي وايليا ( في الأرجنتين ، آذار ١٩٦٢ وحزيران ١٩٦٦ ) ، بوش ( في الجمهورية الدومينيكية ، في ايلول ١٩٦٣ ) و غولارت ( في البرزيل ، في نيسان ١٩٦٤ ) ، يلاحظ خمس ضربات قوة أخرى . وقد أدى بعضها إلى توطيد أنظمة

عسكرية دائمة ، بينما فرض الضغط الشعبي ، في بلاد أخرى ، العودة إلى الحياة الديمقراطية السوية .

### في بيرو

كانت انتخابات ١٠ حزيران ١٩٦٢ في صالح هايا دولاتوره من الحلف الشعبي الثوري الامريكى ( A.P.R...A. ) ، وطلب الجيش الذهاب المسبق للرئيس الخارج ، برادو ، في ١٨ تموز ١٩٦٢ ، ورفع إلى السلطة نخوته عسكرية الغت الاقتراع ، وأدت الانتخابات التي نظمها الحزب ، في تموز ١٩٦٣ ، إلى انتخاب فرناندو بلاونده تيري من حزب العمل الشعبي ، في الوسط ، من أجل الدور ١٩٦٣ - ١٩٦٩ .

واصطدم الرئيس ، في الكونغرس ، بمعارضة أكثرية مشكلة من تحالف الحلف الشعبي الثوري الامريكى ( الوسط الأيسر ) ومن الاتحاد القومي ( اليمين ) وحصلت السلطة التنفيذية ، مع ذلك ، على التصويت على قانون يجبر الشركات البترولية على أن تدفع للخزانة ٦٠٪ من أرباحها . وكان هذا الحكم في أصل نزاع طويل بين الحكومة وشركة البترول الدولية . ومن جهة أخرى ، ان غزو الفلاحين المنود للاملاك الكبرى أوجد جواً من القلق والاضطراب شجع التصويت على القانون الزراعي ، في نيسان ١٩٦٤ . ولذا فان الدعوات إلى العنف ، التي أطلقتها في ربيع ١٩٦٥ جماعة صغيرة من الثائرين الكاستريين ، أيقظت قليلاً من الصدى ، وسحق الجيش العصابات بسهولة ، في آخر ١٩٦٥ - وبداية ١٩٦٦ . وبالتالي ، ان الدقة الحقوقية التي أخرت تطبيق اصلاح الزراعي أثارت بعض الاستياء في الأرياف ، بينما الأزمة الاقتصادية المنبعثة عن زيادة النفقات العامة ونقص الصادرات ، كالكسكس وطحين السمك ، فرضت



انخفاضاً في قيمة الأرض . وفاقم انسحاب النواب الديمقراطيون - المسيحيين عدم الاستقرار الوزاري ، وقلب الجيش الرئيس بيلونده ، في تشرين الأول ١٩٦٨ .

### في غواتيمالا

قلب الجيش ، في ٣١ آذار ١٩٦٣ ، الرئيس فوينتسي ، المحافظ ، المنتخب عام ١٩٥٨ ، ليتمكن من تأجيل الانتخابات التي ، إذا أخذنا بعين الاعتبار حالة الرأي ، يبدو أنها تساعد على انتصار ج . ج أريفالو الرئيس الاصلاحى من ١٩٤٥ إلى ١٩٥١ ) . ورفع الانقلاب إلى السلطة الكارلونيلى . ييرالنا آزورديا ، وزير الدفاع في الحكومة الخارجة ، وقد حكم بأقصى الشدة . ولكن الهياج الشعبي أجبره على تنظيم انتخابات حرة ، خرج منها الحزب الثوري ( الديمقراطي الوسطي ) ظافراً . وانتخب رئيس هذا الحزب ، جوليو سيزار ماندريز مونتينيغرو ، رئيساً ، في ٦ آذار ، ١٩٦٧ ، ويبدو أنه لم ينجح في التحرر من الوصاية العسكرية . لأن بعض مراكز العصابات ما زالت موجودة في بعض المناطق ، بينما كان نشيطو اليمين ( اليمين البيضاء ) يكثرون محاولات الاغتيال . وقتل اوهابيو اليسار سفير الولايات المتحدة ، غوردون ماين في ٢٨ آب ١٩٦٨ .

### في هونوراس

قلبت حركة ٣ تشرين الأول ١٩٦٣ الرئيس فيليبيدا موراليس ، الليبرالي ، المنتخب في ١٩٥٧ ، الذي نشر القانون الزراعي القاضي بنزع الملكية الجزئية عن مزارع الموز التابعة لشركة الفاكهة المتحدة .

ووقع الانقلاب قبل عشرة أيام على الانتخابات التي بدا أنها قد ترفع إلى السلطة مرشحاً ليبرالياً متمماً لموراليس . وذلك أن الكولونيل لوبيز آريلانو ، زعيم الحوثة العسكرية انتخب رئيساً للجمهورية ، في آذار ١٩٦٥ ، من أجل الدور ١٩٦٥ - ١٩٧١ ، من قبل مجلس وطني منتخب قبل بضعة أسابيع في ظروف اعتبرها الناطقون بامم المعارضة قابلة للجدل والنقاش .

### في اوبكوانور (جمهورية غط الاستواء)

قلب الرئيس كارلوس جوليو آروزمينا ، في تموز ١٩٦٣ ، بضربة عسكرية . فقد انتخب ك . آروزمينا نائباً للرئيس في عام ١٩٦٠ إلى جانب فيلاسكو ايبارا رئيساً للمرة الرابعة . وطرد هذا الأخير في عام ١٩٦١ . غير أن تعاطف رئيس الدولة الجديد مع كوبا جر عليه عداوة الجيش ، الذي أقر بعد حركة الاستيلاء على السلطة ، في تموز ١٩٦٣ ، حكومة ادارة ( ديركتوار ) مؤلفة من أربعة ضباط عامين متساوين نظرياً . غير أن حركة شعبية كثيفة أجبرت الحكومة العسكرية على الانحياز ، في آذار ١٩٦٦ . وقامت خوثة مؤقتة يرأسها اندابورو ، وطالبت بانتخاب مجلس تأسيسى انتخب اوتو آروزمينا غوميز رئيساً مؤقتاً في تشرين الثاني ١٩٦٦ . وأظهر هذا الأخير اتجاهات تقدمية ورفض التوقيع على ميثاق بونشادل ابست واعتبره لاغياً ( نيسان ١٩٦٧ ) .

### في بوليفيا

قام انقلاب وطرد من الحكم الحركة الوطنية الثورية ( M. N. R. ) التي كانت على السلطة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٤ . وبعد ولاية سيليس سوازو

( ١٩٥٦ - ١٩٦٠ ) انتخب باز ايستنسورو ، الرئيس الاسبق من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ ، للمرة الثانية وللفترة ١٩٦٠ - ١٩٦٤ . غير أن خلل الموازنة والتضخم النقدي أجبراه على تبني برنامج تقشف لم يحظ بعد قليل برضى الشعب . ولاحتواء مليشيات العمال ، ألّف جيشاً نظامياً صغيراً ( ١٠.٠٠٠ رجل ) . وللحصول من الولايات المتحدة ومن البنك الاميركي للتنمية B. I. D. وجمهورية المانيا الاتحادية على الاعتمادات الضرورية لتجديد مناجم القصدير ، قبل الرئيس باعادة تنظيم الكوميسيول ( ادارة حصر المناجم ) وتسريع عمال المناجم باعداد عظيمة . وعندئذ قطعت نقابة عمال المناجم علاقتها مع الحركة القومية الثورية وألّف خوان ليشان ، زعيم النقابة ونائب رئيس الجمهورية ، حزب المعارضة ( P. R. I. N. ) ، الذي تعاهد مع الفئة الشيوعية الصغيرة والطلاب السكاستريين . وبالرغم من هذا الانقسام في الاكثرية الحكومية ، فان باز ايستنسورو ، غير الدستور الذي يمنع ولايتين متواليتين ، وانتخب مرة أخرى رئيساً بفضل مساندة الجيش ، منع الجنرال باربانتيوس نائباً للرئيس ، في ٣١ أيار ١٩٧٤ . وعندما تحالف اليسار مع الوسط والفرقة السياسية الفاشية ( اليمين ) قامت مراكز التمرد في عدة مناطق ، واتفق الجيش مع الثائرين ، واضطر الرئيس إلى الحرب إلى الخارج رغم مساندة الفلاحين ، في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ . وبادرت الحزبته المؤقتة تحت رئاسة الجنرالين باربانتيوس ، نائب الرئيس الأسبق ، و أوفاندو ، القائد الأعلى ، إلى قطع علاقاتها مع اليسار . وقامت محاولات تمرد من قبل عمال المناجم ، وبخاصة في اورورو ، ولكن الجيش كسرها وأمر بنزع سلاح المليشيات العمالية ، في أيار وايلول ١٩٦٥ . وقطع الجنرال باربانتيوس علاقاته مع الفرقة البوليفية ، لسان حال اوليغارشية أصحاب الاطيان ، التي قدمت له

تحالفها الانتخابي ، وحصل بذلك على مشايعة الفلاحين المستفيدين من الإصلاح الزراعي ، وانتخب رئيساً للجمهورية ، في ٣ تموز ١٩٦٦ . أما جماعات الثوار الكاستريين المتمركزين في سبب منطقة سنثا كروز في سييرا كاميري فقد أبادها الجيش . وإذا أخذنا بالنص الرسمي ، وقد وضع موضع الشك من بعض المراقبين ، ولكن الحكومة الكوبية أبدته ، نجد أن القائد ايرستو د ثي ، غيفارا الذي كان يوجه شخصياً إحدى الوحدات ، لاقى الموت في إحدى الملاحم ، في تشرين الأول ١٩٦٧ . كما أن الجامعي الفرنسي ويحيىس دوبريه ، الذي القي القبض عليه قبل بضعة أسابيع في منطقة الثوار ، حكم عليه بالسجن ٣٠ عاماً بعد دعوى تعسفية أثارت العديد من الاحتجاجات في فرنسا وفي العالم أجمع .

### مرف قناة باناما

إن قناة باناما ، التي أنشأتها الولايات المتحدة ودشنت في ١٩١٤ ، أثارت ، في العام ١٩٦٤ ، حوادث بين حكومة واشنطن وجمهورية باناما التي انفصلت عن كولومبيا في ١٩٠٣ . ان المعاهدة الامريكية - البانامية لعام ١٩٠٣ تنازلت الى الابد للولايات المتحدة عن منطقة عرضها ١٦ كم ( ١٤٠٠ كم<sup>٢</sup> ) واقعة على جانبي القناة ، مقابل تعويض ثابت رفع في العام ١٩٣٦ ثم نقل في ١٩٥٨ الى ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دور . غير أن وجود الجنود الامريكيين والتباين بين بذخ السكان الامريكيين في « منطقة القناة » وبؤس الطبقات الشعبية البانامية ، ولدا قومية هائجة بشدة ، بينما كان الدخول بحرية للبضائع الشمال - امريكية في منطقة القناة يسمح لتجارة تهريب ضارة بالتجارة المحلية .

شجعت هذه التظاهرات على انشاء حزب قومي استبدادي يوجهه آرنولفو أرياس ، وقد انتخب رئيساً ، في ١٩٣٩ و ١٩٤٩ ، وفي كل مرة كانت تقلبه حركة مواتية للولايات المتحدة . واثو نداء هذا الحزب قامت مظاهرات عنيفة في باناما في ١٩٥٩ . وعندئذ اعترف الرئيس آيزنهاور بمبدأ السيادة البانامية على منطقة القناة . وقرر الرئيس البانامي دوبرتو شياري ( من الحزب الليبرالي القومي ، انتخب عام ١٩٦٠ ) والرئيس كينيدي أن يحقق العلمان معاً على عمارات « منطقة القناة » ، كما تم في لقاء ١٣ حزيران ١٩٦٢ . غير أن هذه الاحكام انتهكت ، وقامت حوادث دامية قاوم فيها المتظاهرون الباناميون الجنود الامريكية ( ٩ - ١٠ كانون الثاني ١٩٦٤ ) . وقطع الرئيس شياري العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وقدم شكواه إلى مجلس الأمن وفسخ معاهدة ١٩٠٣ .

وبعد استئناف العلاقات الدبلوماسية ، في ٤ نيسان ١٩٦٤ ، عقدت مفاوضات صعبة ، بينما كانت حكومة واشنطن تهدد بانشاء قناة ثانية على أرض جمهورية أخرى . واعترف جميع الخبراء بأن ضرورات الملاحة تتطلب انشاء قناة أخرى أفقية ، قبل عام ١٩٨٠ . وان مدة العبور تحدد ، في الواقع ، عدد القبول اليومي ( ٣٠ سفينة حالياً ) . ولكن كان يراد معرفة ما اذا كانت القناة الثانية ستنشأ على أرض بانامية ، في جنوب القناة الحالية ، أو في بلد آخر . وعندما أعلنت المكسيك بأنها « غير معنية » بحفر برزخ تيموانتسيك ، أهملت حكومة واشنطن العروض

التي قدمتها نيكاراغوا ( ريو سان خوان - لاك نيكاراغوا ) وعقدت مفاوضات مع كولومبيا بغية حفر قناة أفقية تجذب المواصلات البحرية كلها . ولكن الرمم البانامي للقناة الثانية كان أقل بمقدار النصف من رمم قناة كولومبيا ( ٧٠ كم عوضاً عن ١٦٤ كم ) ، وهذا يسمح بتخفيض ٥٠٪ من نفقة الأشغال ومدتها . وتغلبت هذه الحجة على فكر الموجهين الأمريكيين . ولذا فإن الاتفاق الأمريكي - البانامي ، في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، المبرم في عهد ولاية هادكوس ووبليس ، الليبرالي القومي ، المنتخب في ١٠ أيار ١٩٦٤ ، كرّس المطالب البانامي الأساسية : إلغاء معاهدة ١٩٠٣ ، الاعتراف بسيادة باناما على منطقة القناة ، الدمج التدريجي لهذه المنطقة في الارض البانامية ( القواعد والاجهزة تترك للجيش الاميركي ) وحفر قناة ثانية في أرض باناما . أما ما يتعلق بالقناة الحالية فقد وضع لها مشروع نظام جديد ووضع بعد مفاوضات طويلة . ولكن هذا المشروع انتقده الزعيم القومي آنولفو أرياس ، الذي انتخب رئيساً في أيار ١٩٦٨ ، وخلعه الحرس القومي في شهر تشرين الأول التالي .

### الديموقراطية المسيحية في سبلي وفي امريكا اللاتينية

لقد لوحظ في امريكا اللاتينية ، في السنوات الخمس الأخيرة ، تقدم محسوس في مختلف المنظمات الديوقراطية - المسيحية : التجمعات الدينية ( العمل الكاثوليكي ) ، رابطات الشبيبة ( وبخاصة في الجامعات ) ، والأحزاب ولا سيما المنظمات النقابية . وإلى جانب ( اتحاد العمال والفلاحين المسيحيين ) في كوستاريكا ، يرى في امريكا الوسطى وفي جزر بحر الكريبي نمو : اتحاد الشغيلة المسيحيين في برونز باناما ،

والـ F.E.C.F.T.R.A.G. ( في غواتيمالا ) ، الحركة النقابية المستقلة ( في نيكاراغوا ) والـ F.A..S.H. ( في هوندوراس ) ، النقابات المسيحية والرابطات الزراعية في الجمهورية الدومينيكية . وفي البرزيل ، كان اتحاد الفلاحين ، في الشمال الشرقي ، يضم ٤٠٠.٠٠٠ عضو ( قبل انقلاب الأول من نيسان ١٩٦٤ ) . وفي بيرو كانت الـ M.O.S.I.C.P. يضم ٢٠٠.٠٠٠ مشترك في الأرياف . وفي فينزويلا صنف حزب كوبي في الموقع الثاني ، بعد حزب العمل الديمقراطي ، أثناء انتخابات كانون الأول ١٩٦٣ ( ب ٢١٪ من الأصوات ، و ٤٠ نائباً ) .

و تجمعت المنظمات النقابية الديمقراطية - المسيحية في الـ : الاتحاد اللاتيني - الامريكى للنقابات المسيحية ( C.I.A.S.C. ) الذي ارتبط ، منذ كانون الأول ١٩٥٤ ، ب الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية ( C.I.S.C. ) . والاتحاد اللاتيني - الامريكى للنقابات المسيحية يتألف من ٢٦ اتحاداً وطنياً ( ومن ضمنها اتحادات الاراضي الواقعة تحت سيطرة دولة اوربية ) ، ويضم ٥ ملايين مشترك . وقد عقدت المنظمة عدة مؤتمرات ، وبخاصة في كاراكاس ، في تشرين الثاني ١٩٦٢ ، ونشر مجلسها التنفيذي ، المنعقد في ريو دو جانيرو ، وثيقة وقف فيها ضد هيئات جامعة الدول الامريكية التي تضم الولايات المتحدة وبلاد امريكا اللاتينية مثل منظمة دول امريكا ( O.E.A. ) والاتحاد النقابي ( O.R.I.T ) ووقف لصالح دمج امريكا اللاتينية على الصعيد السيامي والاقتصادي ( السوق المشتركة ) وعلى الصعيد النقابي . ( عالمان وجهاً لوجه : العالم اللاتيني - الامريكى والعالم الشمال - امريكى ... وان جامعة الدول الامريكية عدو اللاتينية - الامريكية . رسالة ريو دو جانيرو ، ٩ - ١١ آذار ١٩٦٤ ) .

وانتصرت الحركة في شيلي ، حيث كانت الانجازات الأخرى عاجزة عن حل القضايا الملحة الاقتصادية والاجتماعية . وحقت حكومات اليسار ( ١٩٣٨ - ١٩٥٢ ) اصلاحات هامة اجتماعية ونشطت التصنيع ( انشاء رابطة التنمية ، مركز لصناعة الحديد في هواشيباتو ) . ولكن تدفق العمال على المدن أوجد قضية السكن الخطيرة . ومن جهة ثانية أدت نفقات التوظيف إلى عجز الموازنة ، واختل ميزان الحسابات بتغير أسعار النحاس ( الصادر الأساسي ) والواردات الكثيفة من أدوات التجهيز والواردات الغذائية التي يتطلبها تفريط الانتاج الزراعي . وأدى العجز المزودج في الموازنة وميزان الحسابات إلى التضخم النقدي . وحاول الجنرال - الرئيس كادلوس ايبانيز دل كامبو ( ١٩٥٢ - ١٩٥٨ ) ، وكاث من قبل رئيساً في ( ١٩٢٧ - ١٩٣١ ) ، عبثاً السيطرة عليه . وقد انتخب بمشاركة أصوات اليسار على برنامج قومي واجتماعي قريب من البيرونية الأرجنتينية ، ولم يستطع تحقيق أي اصلاح من الاصلاحات الموعودة .

وحكم خلفه جورج اليساندروي المحافظ بمساندة الأحرار الليبراليين والراдикаليين ، وأثار استياء الطبقات الشعبية ببرنامج التقشف وتجميد الأجور ، دون التوصل إلى ايقاف ارتفاع سعر الحياة . وفي انتخابات ١٩٦٤ ايلول ، انتخب الزعيم الديموقراطي - المسيحي ادوار دو فوي رئيساً للجمهورية ضد اللاند ، مرشح الجبهة الشعبية F.R.A.P. ، ولكن تطبيق برنامجه « ثورة في الحرية » شل منذ البدء بالمناورة البرلمانية ، من بين ويسار ، وأعطى انتصار الحزب الديموقراطي - المسيحي في الانتخابات التشريعية ، في آذار ١٩٦٥ ، الرئيس فوي الاكثية المطلقة في مجلس النواب . واتخذ ادواردو دو فري عدداً من الاجراءات ذات النفع



الاجتماعي ( بناء مساكن بسعر رخيص ) وطلب الموافقة من الكونغرس على الاتفاقات الموقعة بين حكومته والشركات الأجنبية صاحبة امتياز مناجم النحاس ( وهذه الاتفاقات أوجدت شركات مختلطة تملك الدولة في داخلها ٥١٪ من الحصص ) . أما المناقشة في الكونغرس على مشروع الاصلاح الزراعي فقد جمعتها أحزاب اليمين ( الاقلية ) واعتبرته غير دستوري باعتباره ينال من حق الملكية الذي يضمنه الدستور ، ولذا طلب الرئيس التصويت على تعديل دستوري ليستطيع البدء بتنفيذ الاصلاح الزراعي . وأدى ارتفاع سعر الحياة إلى اضطراب اجتماعي كثيف في ١٩٦٧ . ومن جهة أخرى ، أثار فري حركة شديدة معاكسة في قلب الحكومة والحزب الديمقراطي المسيحي بتقديمه مشروع «توفير اجباري» يطبق على جميع العمال ، بغية تغذية مال للتوظيف يساعد بهذا الشكل على انشاء صناعات جديدة ( خريف ١٩٦٧ ) .

وفي الخارج ، تقرب فري من الأرجنتين وأوربة الغربية ، وأعاد توطيد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، ووقف بقوة ضد الانزال الامريكي في سان دومينغ ، وضد كل شكل للتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى ( ميثاق بوغوتا ، آب ١٩٦٦ ) . وجهد في تعجيل الدمج اللاتيني - الامريكي ، ولعب ، في هذا الاتجاه ، دوراً رئيسياً في مؤتمر القمة في بونتا دل ايسنت ، في نيسان ١٩٦٧ .

### أزمة سان دومينغ

إن الحوادث الدامية ، التي كانت الجمهورية الدومينيكية مسرحاً لها في ربيع ١٩٦٥ ، تجد أصلها في دكتاتورية الجنرال رافائيل ليونيداس تروجيلو مولينا ( المولود عام ١٨٩١ ) . كان زعيم المليشا المساعدة التي

تألفت أثناء احتلال الجيوش الامريكية للبلاد ( ١٩١٦ - ١٩٢٤ )  
لمحاصرة الثوار الوطنيين . وعمل تروجيللو على انتخابه رئيساً للجمهورية في  
١٩٣٠ . وقد سيطر على الجيش وعلى جهاز بوليسي معقد ساعده على فرض  
الارهاب ، وحكم خلال واحد وثلاثين عاماً ، اما بصفة رئيس ( ١٩٣٠ -  
١٩٣٨ ، ١٩٤٢ - ١٩٥٢ ) واما بواسطة رئيس تمثيلي للدولة بصفة محضة  
( ١٩٣٨ - ١٩٤٢ ، ١٩٥٢ - ١٩٦١ ) وقد شجبت منظمة دول  
امريكا ( O.E.A ) النظام ، اثر محاولة اغتيال أعدت في أرض دومينيكية ،  
ضد الرئيس الفينيزويلي ر . بيتانكورت ( ١٩٦٠ ) . واضطر هكتور  
تروجيللو ، ( اخر الجنرال ) بصفته رئيساً منذ ١٩٥٢ ، ان ينسحب  
تاركاً ظواهر السلطة إلى نائب الرئيس بالاغير . أما الجنرال ر . ل .  
تروجيللو ، الذي ظل يحكم في الواقع ، فقد قتل ، في أيار ١٩٦١ .

وأجبرت المظاهرات الشعبية ، وعلى ما يبدو ، الضغط السري  
للولايات المتحدة ، الرئيس بالاغير بدوره على الاستقالة ونظمت حكومة  
مؤقتة ، يرأسها بونيللي ( الليبرالي ) ، في كانون الأول ١٩٦٢ ، انتخابات  
أشرفت عليها منظمة دول امريكا ، وكان النصر فيها ، ب ٦٠٪ من الأصوات  
المعبرة ، حليف الزعيم الاصلاحى والكاتب سخوان بوش المولود عام  
١٩٠٩ ، وقد نفي خلال خمس وعشرين عاماً ، وكان مؤسساً للحزب  
الثوري الدومينيكي . واستلم سلطاته في شباط ١٩٦٣ ، وأقلق  
الطبقات المالكة باصلاحاته ، وخلعه الجيش ، في ايلول ١٩٦٣ . وتألف  
ثالث تحت رئاسة رجل الأعمال وايد كابرال ( ايلول ١٩٦٣ - أيار  
١٩٦٥ ) . غير أن الفساد الاداري ، وتأجيل الاصلاحات والبطالة  
والبؤس أثارت استياء شعبياً شديداً . وحدث أن كثيراً من الضباط الشبان  
القوميين تأمروا لصالح ج . بوش فعزلوا من وظائفهم ، فاستولى رفاقهم

على محطة اذاعة الراديو والقوا بنداء إلى الشعب ، ولدى هذه الاشارة ،  
نزل إلى الشارع في ٢٤ نيسان ١٩٦٥ .

واستقال الثالث ، وبدأ النزاع بين « الدستوريين » ( العسكريين  
والمدنيين انصار خوان بوش ) وقوى المدرعات التي يقودها الجنرال فستن  
اي فستن . وقد هنت معنويات هؤلاء الجنود أمام عدد خصومهم ، كما  
أضعفهم الفرار من الجندية ، فلاقوا « انهياراً ظاهرياً » ( حسب التعبير الذي  
استعمله أمين الدولة الامريكية المساعد ت . مان ، في تصريح إلى  
صحيفة « نيويورك تايمز » ، في ٩ أيار ١٩٦٥ ) . وعندئذ قرر الرئيس  
جونسون نزول فرقة المظليين الـ ٨٢ على سان دومينغ ، في ٢٨ نيسان  
١٩٦٥ ، وبرر هذا القرار الناطقون بلسان حكومة واشنطن ، باديء بدء ،  
بالاهتمام في تأمين أمن المغتربين الامريكيين ثم بوجود عدد من العملاء  
الشيوعيين الذين تسللوا في صفوف الدستوريين .

وبدا أن القوات الامريكية ، بالرغم من أهميتها العددية ( ٤٠.٠٠٠ )  
رجل جملة مع المصالح المساعدة ) والموقع المتوسط بشكل دهليز الذي  
احتلته بين العسكريين ، كانت عاجزة عن انهاء الكفاح . وفي الأحياء  
الشعبية ، في سان دومينغ ، التي يحتلها الدستوريون ، انتخب الكونغرس  
الكولونيل كاماليو رئيساً للجمهورية ، في ٤ أيار ، بينما كانت خواته  
الجنرال فيستن ، في المعسكر الآخر ، تهيم مكاناً لحكومة مؤقتة يرأسها  
الجنرال امبرت بادرياس أحد قتلة تروجيلو . وقد دخل وقف النار بفضل  
جهود لجنة السلام من قبل منظمة دول امريكا O.E.A. ، في ٥ أيار ،  
فلم يحترم . غير أن جيش الجنرال امبرت ، الذي اضطرب نظامه قبل  
بضعة أيام ، عزز بسرعة بنجندات وبعساد قوي ثقل ، وفتح الأحياء

الصناعية في سان دومينغ ( ١٤ - ٢٠ أيار ) . وأثار هذا الكفاح ، الذي ملأ شوارع سان - دومينغ بالجنث والانقاض ، مظاهرات استياء في عواصم امريكا اللاتينية وفي العالم كله .

وكثير من الحكومات الايبيرية - الامريكية ( المكسيك ، شيلي ، فينيزويلا ، اورغواي ... ) وقفت بحزم ضد التدخل الشمال - امريكي . وأدت جهود المصالحة ، التي بذلها في سان - دومينغ مايور الفينيزويلي ، المبعوث الخاص للأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ، إلى توقيع هدنة ٢٢ أيار .

وفي اليوم نفسه ، صوت مجلس الأمن على قرار اقترحه فرنسا لصالح وقف النار .

وعملت الجيوش الامريكية التي دخلت في « قوة السلام » التابعة للدول الامريكية والتي ازدادت بفرق برزيلية ، وهولنداسية ونيكاراغوية ، ابتداءً من ذلك الحين ، على احترام الهدنة . وأدت مفاوضات طويلة ، في تموز ١٩٦٥ ، إلى اتفاق : واستقالت الحونتتان ، وحاولت حكومة مؤقتة برئاسة غواسيا غودوا ، بالرغم من حوادث عديدة أثبتت هيم الانتخابات العامة .

وجرت هذه الانتخابات في جو هادئ ، في الفاتح من حزيران ١٩٦٦ ، ونصرت الرئيس الأسبق ج . بالاغير ب ٧٥٩٢٦٥ صوت مقابل ٥٢٥٠٠٠ إلى خوان بوش . ويوضح بعض المراقبين هذه النتيجة بالنش الذي لم يستطع اشرف مندوبي منظمة دول امريكا ( O.E.A. ) منعه . ويبدو أن انتصار معاون تروجيلو السابق يرجع إلى تصويت الفلاحين الكثيف المتأثرين بالاكليروس وإلى الاقتناع بأن رجل الدولة

هذا كان الوحيد الذي استطاع أن يحصل على جلاء قوات الاحتلال وعلى المساعدة الاقتصادية من الولايات المتحدة . وفي الواقع أن قوة الدول الامريكية ( F.I.P. ) أجلت البلاد ، في ايلول ١٩٦٥ . ولكن عدم كفاية المعونة الامريكية ، وفقدان كل اصلاح واسع ، وأزمة صادرات السكر والسكاكز ، والنواب الطبيعية ( الجفاف ، والاعصار اينيس ) تسببت في تدمير الحالة الاقتصادية بينما كانت الحوادث تتكاثر بين الجيش ومناضلي اليسار . وهذه الرقائع حضت حزب بوش على تصليب موقفه عند انتخاب بينيا غوميز ، وعمره تسع وعشرون عاماً ، زعيم الجناح المتشدد ، أميناً عاماً في تشرين الأول ١٩٦٦ .

### من حرب العصابات الى النعابى

إن عودة الولايات المتحدة إلى سياسة التدخل العسكري ، التي كان يعتقد بأنها انتهت ، أحدثت في بعض الأوساط انطباعاً بأن الاصلاحية ليس لها أي حظ في فرض نفسها ، وشجعت على هذا النحو اشتعال العنف ( مظاهرات ، اغتيالات ، ثورات ) . وبينما كان مؤتمر القارات الثلاث في لاهافانا ينشئ اللجنة الثورية الامريكية لتنسيق مختلف عصابات امريكا اللاتينية ( كانون الثاني ١٩٦٦ ) ، حاولت الولايات المتحدة تأليف قوة امريكية مستديمة مستعدة للتدخل في جميع البلاد التي تهددها الاعمال الهدامة . ويبدو أن امريكا اللاتينية انزلت نحو حرب عصابات معممة .

ولكن مشروع القوة الامريكية اصطدم بمقاومة معظم الحكومات اللاتينية - الامريكية ، ولذا لم يبعث في القضية في مؤتمر الدول الامريكية في ريو دو جانيرو ، تشرين الثاني ١٩٦٥ . فقد وقف رؤساء شيلى وكولومبيا وفينيزويلا ، المجتمعون في بوغوتا ، رسمياً لصالح المبدأ

المقدس في عدم التدخل ، ( آب ١٩٦٦ ) . وحاولت الأرجنتين عبثاً أن تطلق من جديد المشروع بشكل « منظمة الأمن الدائمة » في مؤتمر رؤساء الدول ، في بوينوس آيريس ، في تشرين الثاني ١٩٦٦ . وكانت المقاومات حازمة جداً حتى ان الولايات المتحدة لم تجرأ أن تبحث القضية في مؤتمر القمة في بوتتا دل ايست ، في نيسان ١٩٦٧

ومع ذلك ، هدأت الأفكار رويداً رويداً بعد الانفراج السلمي لأزمة سان دومينغ . ولذا فان الثورات التي زحفت إلى غواتيمالا وكولومبيا تراجعت إلى فينيزويلا ولاقت في بيرو اخفاقاً خطيراً ( ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ) اتبع هزيمة أخطر أيضاً في بوليفيا ، في تشرين الأول ١٩٦٧ .

ومنذ ١٩٦٥ دفع سحق ثورات الأدغال الأحزاب الشيوعية المناصرة للسوفيياتين إلى العدول عن الكفاح المسلح ، فعجل بذلك على أفول العصابات . ورأى الشيوعيون أن الشدة الثورية ، بطرحها الطبقة المتوسطة نحو اليمين ، شجعت على رسوخ الدكتاتوريات المحافظة المناصرة للامريكيين ، ولذلك قرروا الرجوع إلى طريقة « الجبهات المتحدة » مع الاحزاب التقدمية المعتدلة . وقام جدل طويل في هذا الموضوع وقف فيه فيديل كاسترو معارضاً الحزب الشيوعي الفينيزويلي ، الذي لم يسهم ، في الواقع ، في مؤتمر اللجنة الثورية الامريكية ( تموز - آب ١٩٦٧ ) . وكان الشيوعيون الارجنطينيون ، وهم قريبون من البيرونيين ، والحزب الشيوعي البرازيلي ، الذي قرر دعم « الجبهة الواسعة » لاسيرودا - كوبيتشيك ، في مؤتمر سري في كانون الأول ١٩٦٧ ) غائبين . وأمل الحزب الشيوعي الشيلي ، الذي انضم إلى الاشتراكيين ، بكسب انتخابات الرئاسة في عام ١٩٧٠ ، وعبر أيضاً عن وجهة نظر قانونية بصوت أمينه العام ،

كوروفالان ( في مقال نشرته جريدة « البرافدا » ، قبيل مؤتمر اللجنة الثورية الامريكية ، في تموز ١٩٦٧ ) .

وحض التعايش السلمي مع واشنطن واخفاق الكفاح المسلح الاتحاد السوفياتي على منح الدعم الاقتصادي لمختلف الحكومات اللاتينية - الامريكية ، ليحاول تخليصها من نفوذ الولايات المتحدة . وأدت العلاقات التجارية التي تمت أو استؤنفت مع سبعة بلاد : المكسيك ، الأرجنتين ، البرزيل ، شيلي ، كولومبيا ، اكرانور ، اورغواي ، إلى زيادة المبادلات الروسية - اللاتينية - الامريكية وزادت قيمتها بأربعة أضعافها بين ١٩٦٠ و ١٩٦٧ . وكان الاتحاد السوفياتي ، الذي يخول ، عدا ذلك ، إلى شيلي معونة فنية هامة ، بموجب اتفاقات كانون الثاني ١٩٦٧ ، على ما يبدو ، مستعداً لمتابعة هذه السياسة ، بالرغم من احتجاجات لاهافانا .

### نظام الدول الامريكية

إن نظام دول امريكا الذي تصعد أصوله إلى ١٨٨٩ ، في مؤتمر واشنطن ، دخل في مرحلة تنظيمية بانشاء منظمة دول امريكا O. E. A. ، في مؤتمر بوغوتا ١٩٤٨ .

وتضم منظمة دول امريكا ، في الأصل ، ٢١ دولة : الولايات المتحدة و ٢٠ جمهورية ايبيرية - امريكية ، ولكن كوبا أخرجت من المنظمة في ١٩٦٢ . وتتبنى القرارات الهامة فيها اما بلجنة وزراء الشؤون الخارجية ، واما بمؤتمر الدول الامريكية . ومقر الهيئتين الدائمتين فيها : الأمانة العامة ومجلس المنظمة ، الولايات المتحدة . ويساعدهما عدد من المجالس الفنية : المجلس الثقافي الامريكي ( C. I. C. ) ، ومجلس الفقه الامريكي

( C. I. J. ) والمجلس الاقتصادي والاجتماعي الاميركي ( C.I.E.S. ) الذي تتبعه لجنة حلف التقدم الامريكية منذ ١٩٦١ .

وأوضحت أزمة سان - دومينغ عجز منظمة دول امريكا ، وقرر مؤتمر ريو دو جانيرو اصلاح المنظمة الامريكية ، في تشرين الثاني ١٩٦٥ . ووضع النظام الجديد ، على صعيد الخبراء ، بمؤتمر بافاما ، في آذار ١٩٦٦ ، وتبنى بمؤتمر وزراء الشؤون الخارجية في بوينوس آيريس ، في شباط ١٩٦٧ ، وقوى سلطات الأمين العام . ولكن الأزمة التي أثارها انتخاب أمين عام جديد ، في شتاء ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، أوضحت اختلاف وجهات النظر التي ظهرت في داخل المنظمة .

على الصعيد العسكري ، وضع ميثاق ريو دو جانيرو ( ايلول ١٩٤٧ ) ميكانيكية المشاورة العاجلة في حالة مهاجمة أحد البلاد الموقعة من قبل دولة خارجية عن القارة . وعلى الجهاز الاداري لمنظمة دول أمريكا أن يقرر بالاكثورية البسيطة ما اذا كان يحسن الدعوة لاجتماع وزراء الشؤون الخارجية . وفي هذا الاجتماع يتبنى ، بأكثورية الثلثين ، قرارات أمر لجميع المشتركين ، هذا مع العلم بأن التدخل المسلح لا يفرض على أي من الدول . وقد شجبت الواحدة والعشرون الدولة الموقعة اللجوء إلى الحرب في الحلفاء الامريكية . وفي حال خلاف بين بلدين أو أكثر من بلاد نصف الكرة ، يتباحث الموقعون بغية التدخل محل سلمي .

ووقعت معاهدة « تجريد من الطاقة النووية » تضع أمريكا اللاتينية على هامش خلاف ذري محتمل الوقوع ، في مكسيكو في ١٤ شباط ١٩٦٧ .

وعلى الصعيد الاقتصادي ، كان : « بنك الاميركي للتنمية » ( B. I. D. )



الذي انشئ في ١٩٦١ ، بإدارة الرأسمال الاعتباري للتقدم الاجتماعي ( F.F.P.S. ) ، وقدره ٥٢٥ مليون دولار ) ، الذي قدمته الولايات المتحدة لتنشيط التنمية الاقتصادية - الاجتماعية في أمريكا اللاتينية .

### القضية الزراعية

كانت قضية الأرض أشد حدة من جميع القضايا التي وضعت لأمريكا اللاتينية . ولأسباب جغرافية - مناخية ( جفاف أو أمطار طوفانية ، كثرة التضاريس العالية ، والمناطق القاحلة النصف صحراوية والمساحات المحرقة أو المستنقعية ) لا يمثل السطح المغيد ، ومن ضمنه المراعي ، إلا ٥٠٪ من السطح العام . وخمس هذا السطح الجاهز مستغل عقلاً . وقد حسب ، في أمريكا اللاتينية ، أن نصف - هكتار من الأراضي المزروعة لكل رأس ساكن عوضاً عن ١٥ هكتار في أوروبا الغربية . وهذا التفریط في الاستغلال يتضح بتوزيع الملكية المضطرب . والقسم الأعظم من السطح القابل للزراعة يحسره عدد صغير من كبار الملاكين .

إن لا مبالاة كبار الملاكين ، الذين يتقاضون دخلاً مرتفعاً ليس لهم أي مصلحة في البحث عن طريق جديدة لزيادة عائد المكثار ، والطرق القديمة التي يستعملها صغار الزراع يعبر عنها بإنتاجية ضعيفة . ويزداد الانتاج الزراعي بشكل أبداً من عدد الأفواه التي يجب اطعامها ، وهذا يفرض على معظم هذه البلاد ، الزراعة بصورة أساسية ، واردات غذائية تسهم في خلل توازن ميزان التجارة الخارجية .

والأراضي الأكثر خصباً في البلاد المدارية تكون غالباً أراضي الوديان ، ويحسرها كبار الملاكين . كما أن استغلال العمال الزراعيين المياومين الأراضي

الواقعة على المنحدرات العالية العظيمة الانحناء ، بعد ازالة بوارها بالنار ، يساعد على الحث ويعجل بتخريب التربة . ويقدر في كولومبيا ، مثلاً ، أن ٢١٣.٠٠٠ هكتار من الأرض تصبح غير صالحة للاستعمال كل سنة .

إن احتكار الأرض والتفريط في استغلال الأملاك الكبرى يقتضيان ، عدا ذلك ، وفرة اليد العاملة ، والبطالة الفصلية ، وتدني الاجور ، وأخيراً ، الفقر الزراعي ، الذي يعبر عنه ، بخاصة ، بالطابع البدائي للسكن الريفي ( أكواخ من الحشب أو اللبن ) وبسوء التغذية . ويقدر ، في الوسط الريفي ، أن ٣ إلى ٦٪ من أطفال متين إلى سبع سنوات تظهر عليهم أعراض خطيرة عن سوء التغذية و ٤٧٪ أعراض خفيفة .

وتسبب ظروف هذه الحياة رحيل الريف نحو المدن الكبرى . وهذه الحركة الاكثر سرعة من النمو الصناعي كانت في أصل انشاء الأحياء الفقيرة ، حول المدن الكبرى ، حيث يتزاحم السكان ولا يندمجون عملياً في النشاط المدني .

ولتقويم هذا الخلل البنوي صدرت الاصلاحات الزراعية : في المكسيك ( ١٩١٥ ) ، في كوبا ( ١٩٥٩ ) ، في فينيزويلا ( ١٩٦٠ ) ، في كولومبيا ( كانون الأول ١٩٦١ ) ، في باناما ( ايلول ١٩٦٢ ) ، في هوندوراس ( ايلول ١٩٦٢ ) ، في غواتيمالا ( ايلول ١٩٦٢ ) ، في كوستاريكا ( ايلول - تشرين الأول ١٩٦٢ ) ، في بيرو ( تشرين الثاني ١٩٦٢ - كانون الثاني ١٩٦٣ ) ، في باراغوي ( ١ آذار ١٩٦٣ ) ، في نيكاراغوا ( نيسان ١٩٦٣ ) ، في ايكواتور ( ١٩٦٣ ) ، في سالفادور ( ١٩٦٤ ) ، في البرزيل ، قانون غولارت ( آذار ١٩٦٤ ) الذي الغاه الماريسال كاستيلو برانكو وعرض على الكونغرس مشروءاً زراعياً . وفي شيلي تمت الموافقة

على الاصلاح الأول في ولاية الرئيس البستاندي ، وعرض فري على الكونغرس مشروعاً أكثر جذرية ( كانون الأول ١٩٦٥ ) . وكان تطبيق هذه النصوص في معظم البلاد ، بطيئاً أو حديثاً جداً ، ولذا لم يتمكن من تغيير بنية الملكية الزراعية بشكل قابل للتقدير .

وأثارت خيبة طبقة الفلاحين تفجرات عنيفة في بعض البلاد ، وبخاضة في البرزيل ، كعصبة الفلاحين في منطقة الشمال الشرقي ، وفي كولومبيا ، حيث قامت عصابات مسلحة من العمال المياومين بمن ليس لهم موارد وسكنت الأدغال منذ ١٩٤٨ في بعض المناطق الجبلية ؛ وحاولت مختلف الأحزاب السياسية ، في القديم المحافظون والليبراليون ، واليوم الكاثوليون والشيوعيون ، أن يجعلوا لصالحهم هذه الثورة الدائمة التي كلفت ، حسب بعض التأكيدات ، حياة ٣٠٠٠٠٠٠ شخص .

### « التفجير » السطحي

إن النقص السريع في وفاة الأطفال الناجم بصورة أساسية عن مكافحة الحشرات حاملة الجراثيم ، في بيئة لم تتطور أخلاقها وعاداتها بنفس الوتيرة ، يعبر عنه بتفجير ديموغرافي . ان نسبة زيادة السكان التي لا تتجاوز ١,٨٪ في آسيا و ١,٩٪ في افريقية ، ارتفعت في امريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة إلى متوسط ٢,٦٪ . والحد الأعلى الذي وصلت اليه في ١٩٦٤ هو ٢,٩٪ .

وهذا « التفجير » الديموغرافي يتضمن وجود نسبة مئوية استثنائية من السكان الشبان ( في فينيزويلا بحسب ٥٣٪ من الأطفال والمراهقين من عمر أقل من ٢٠ عاماً ) . وعدا ذلك ، إن الهجرات الكثيفة ، التي

تُكسر النطاقات الاجتماعية التقليدية فاقمت الأخطار الناجمة على المرأة بسبب سلبيتها ، ونقص تربيتهما . ولذا تلاحظ نسبة مثوية غير عادية للأطفال الطبيعيين ( ٤٩٪ من الولادات في فينيزويلا ) .

إن الدراسة ووثيرة نحو الصناعة والاستخدام ليست على مستوى النمو الديموغرافي ، وأمريكا اللاتينية تضم عدداً عظيماً من المراهقين دون قدرات ودون استخدام ، وهم مهيئون لكل أشكال العنف من جنوح الفتيان ، والاعتقالات ، والعصابات .

### التطور الاجتماعي

إن مستويات الحياة ، المنخفضة جداً على العموم ، تختلف بشكل عميق من بلد لآخر .

وهذه المستويات غير الكافية تظهر في التعينات الغذائية غير الكافية ، والأمل الضعيف بالحياة . ولكن يلاحظ ، في هذا المضمار أيضاً ، اختلافات محسوسة بين البلاد .

وهذه المتوسطات النظرية ليس لها إلا قيمة دلالة ، إذ يلاحظ ، في داخل كل بلد تفاوتات عظيمة ؟ ولقد أوجد النورس الصناعي أو أمي ، إلى جانب الأقلية الممتازة ، قطاعات سكان مكثفة نسبياً ( الطبقة الوسطى ، الطبقة الكادحة المدنية النقابية التي تستفيد من التأمينات الاجتماعية ) ، بينما تظل طبقات من السكان ، آخذة بالتوسع رويداً رويداً حسب البلاد ، على هامش الحياة الاقتصادية ( المياومون الزراعيون الذين يشكون البطالة الفصلية ، وصغار الزراع الذين يعيشون عيش الكفاف ، والعاطلون عن العمل في المدن . والتفاوت بين الأجور المدنية والزراعية

يعبر عنه ، من جهة أخرى ، بتفاوت اقليمي . ففي البرزيل ، مثلاً ، يعادل المستوى المتوسط للحياة في الدول المصنعة في سان باولو وغوانابارا ( ريو دو جانيرو ) خمسة أضعاف متوسط مستوى الحياة في المنطقة المدارية في الشمال الشرقي .

وفي المراكز المدنية الكبرى التي تستفيد من أعلى مستوى حياة متوسط ، يرى أيضاً تفاوتات محسوسة ، بسبب وجود سكان عائين من أصل ريفي ، غير مندجين في الحياة المدنية . وبالرغم من أن زيادة الانتاج القومي الخام ( ٤٠٩٪ لمجموع أمريكا اللاتينية ) أعلى من زيادة السكان ( ٢٩٪ ) ، فإن الصناعات الجديدة ، وتصف بأعلى درجة من الآلية ، والقطاع الثلاثي ( الخدمات وماليها ) لم يستطيعا امتصاص هذه البقية من اليد العاملة غير المستخدمة . وفي الواقع ، إن الرغ الكلي للعاطلين عن العمل لا يمكن ضبطه ، لأن معظمهم لا يمارس مطلقاً مهنة نظامية ، ولأن اسمهم غير مسجل في سجلات البطالة . ونشأت مشكلة الاسكان الخطيرة في المدن بسبب وجود هؤلاء السكان الهامشين الذين يعسكرون على محيط الدول الكبرى ( « توغوريوس » في لبا ، و « فافيلاس » في ريو دو جانيرو ، و « رانشيتوس » في كاراكاس ، النخ ) ويقدر أن ٦٦٪ من اللاتينيين - الامريكيين ( في المنطقة المدنية والمنطقة الريفية ) يعيشون في مساكن غير صحية أو بالية متوهنة .

وحل قضية الاسكان في ثلاثين عاماً ، مع الأخذ بعين الاعتبار العجز المتراكم ، وقدم المنازل ، والهجرة نحو المراكز الكبرى وزيادة السكان ، يجب أن يبنى في كل سنة ٢٨٠٠٠٠٠٠ مسكن : ( ١٧٠٠٠٠٠ في المنطقة المدنية ، و ١١٠٠٠٠٠٠ في المنطقة الريفية .

## البيانات الاقتصادية

يلاحظ ، في معظم البلاد الايبيرية - الامريكية ، نهوض في صناعات التحويل ، وأيضاً ، تقدم عظيم في القطاعات الأساسية . وإذا أخذنا مجموع امريكا اللاتينية ، وجدنا أن انتاج الصناعة المعدنية ، الذي لم يتجاوز ٢٢٠٠٠٠٠ طن قبل الحرب العالمية الثانية ، قد بلغ ، في العام ١٩٦٥ ، مجموعاً قدره ٧٥٠٠٠٠٠٠ طن . ومع ذلك ، فإن هذا الرقم لا يمثل إلا ٢٪ من المجموع العالمي ؛ وتظهر دراسة الصادرات الأساسية أن بنية الاقتصاد تظل زراعية و منهجية بصورة أساسية .

وبالنسبة لمجموع امريكا اللاتينية ، تمثل تسعة منتجات وحدها ٦٩.٣٪ من القيمة الكلية للصادرات ( البترول ٢٨.٤٪ ؛ القهوة ١٦.٧٠٪ ؛ القطن ، ٥.٢٪ ؛ النحاس ، ٥.١٪ ؛ اللحوم ، ٤.١٪ ؛ السكر ، ٣.٤٪ ؛ الصوف ، ٢.٨٪ ؛ الحديد ٢.٤٪ ؛ الموز ١.٢٪ ؛ وبسبب هذا الحادث « الوحيد التصدير » نجد أن الاقتصاد اللاتيني - الامريكي ، المتعلق لحد واسع بعدد صغير من المنتجات الاولى ، يتأثر بصورة خطيرة بتغيرات أسعار هذه المنتجات في السوق العالمية . ففي الدور ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، يسجل انخفاضات قطعية في أسعار القهوة ، والنحاس ، واللحم ، والموز ، والقطن . ثم ارتفعت الأسعار انطلاقاً من ١٩٦٤ ، بينما سعر السكر الذي كان ، على العكس ، قد ارتفع في ١٩٦٢ - ٦٣ ، عاد فانخفض من جديد . ولكن إذا أهملت هذه الذبذبات ذات الوقت القصير وقورنت أسعار الدور الذي سبق الحرب العالمية الثانية بأسعار اليوم ، لسجل انخفاض في قيمة هذه المنتجات الاولى المعدة للتصدير ، وارتفاع موازي في أسعار المنتجات الصناعية المعدة للاستيراد . وفي المؤتمر العالمي

للتجارة في جونيف ، آذار - حزيران ١٩٦٤ ، برهن الخبراء اللاتينيون -  
الامريكيون بأن بلادهم من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٤ خسرت ، بهذا الواقع ،  
١٠ مليارات دولار ، أي ٥٠٪ من المساعدة المتوقعة لحلف التقدم .

وهذا الانخفاض في الأسعار يسهم في خلل ميزان الحسابات المثل من  
قبل ببقايا الدين الخارجي . إن عدم كفاية التوفير وهرب رؤوس الأموال  
( يقدر بـ ١٠ مليارات دولار بالغ رؤوس الأموال اللاتينية - الأمريكية  
الموضوعة بالفائدة في الخارج ) يخفضان ، في الواقع ، إلى ١٥٠٥٪ مثل  
التوظيف الحام ، وبضطران البلاد الايبيرية - الأمريكية إلى دعوة المآ في  
الأجنبية لتمويل تصنيعها . فمن ١٩٥٦ إلى ١٩٦١ ، ارتفعت الاعتمادات  
الخارجية إلى ١٣ مليار دولار ، وانتقل مدفوع الفوائد والبقايا ، في نفس  
هذا الدور ، من ٤٦٤ مليون دولار سنوي إلى ١٠٧٣٠٠٠٠٠٠ . وهذا  
العبء الآخذ بالتناقل ، يضطر أمريكا اللاتينية إلى تخفيض وارداتها من  
وسائل التجهيز .

وعلى الصعيد الداخلي ، إن عدم توازن الأموال العامة ، الناجم عن  
نفقات التصنيع والامراف وعدم كفاية دخول الموازنة ، يضطر شيئاً  
فشيئاً إلى اللجوء إلى قروض واصدار أوراق نقدية تسبب نمو تضخم نقدي  
حاد بخاصة في الأرجنتين ، والبرازيل ، وبوليفيا ، وشيلي . كما يؤدي  
غلاء الأسعار الناجم عنه إلى انخفاض قوة شراء المأجورين وإلى الاضطراب  
الاجتماعي . ويخلق عدم الأمن مناخاً ملائماً لمظاهرات الطلاب التي أخذت ،  
في العام ١٩٦٨ ، طابعاً حاداً في عدد من البلاد : المكسيك ، الأرجنتين ،  
البرازيل ، اورغواي ، شيلي ، النغ .

## الدمج اللاتيني - الأمريكي

لقد ظهرت منظمات اقليمية مختلفة منذ الحرب العالمية الثانية . فقد انشأت كولومبيا ، وفينيزويلا ، والاكواتور ، بموجب ميثاق كيتو ١٩٤٨ ، المنظمة الاقتصادية لكولومبيا الكبرى . غير أن انسحاب فينيزويلا ضرب هذه المنظمة الضربة القاضية .

وانشئت منظمة دول امريكا الوسطى ( O. D. E. N. A. ) بؤتمر وزراء الشؤون الخارجية لدول : السالفادور ، وغواتيمالا ، وهوندوراس ، ونيكاراغوا ، وكوستاريكا ( ميثاق سان السالفادور ، ١٩٥١ ) . وأدى الاجتماع الخامس للجنة الاقتصادية لهذه المنظمة في نيفوسيفالبا ، في ١٠ حزيران ١٩٥٨ ، إلى توقيع معاهدة تنص على انشاء سوق مشتركة ( تخفيض تدريجي للحواجز الجمركية ، تعرفات خارجية مشتركة تطبق على الواردات الآتية من البلاد الأخرى ، بنك مركزي - امريكي ) .

كما إن انشاء الرابطة اللاتينية - الامريكية للمبادلة الحرة ( A. L. A. L. C. ) قرره المكسيك ، والأرجنتين ، والبرزيل ، وبيرو ، وشيلي ، والارغواي ، وباراغوي ( في معاهدة مونتفيدو ، في ١٨ شباط ١٩٦٠ ) . وتنص المعاهدة على أن تخفض الحواجز الجمركية تدريجياً بين الدول الأعضاء ، خلال دور انتقالي مدته اثني عشر عاماً ، ومع ذلك فقد تركت وتيرة هذا التغيير لتقدير الحكومات . وبينما كانت المبادلات بين الرابطة اللاتينية - الامريكية للمبادلة الحرة تنمو بسرعة على صعيد المنتجات الاولى ، كان التقدم بطيئاً كثيراً على الصعيد الصناعي بسبب الابقاء على تعرفات الحماية الجمركية . ولكن ضيق مختلف الاسواق الوطنية كان من نتيجته اعاقا عمال الانتاج الصناعي . ولقد وعى هذا الخطر ، رئيس شيلي ،



١. فوي ، وقام ، بمساندة خبراء اتحاد دول أمريكا اللاتينية والبنك الأمريكي للتنمية ، بمحلة شديدة لصالح تحويل الرابطة اللاتينية - الأمريكية للمبادلة الحرة إلى سوق مشتركة حقيقية . وتبنيت نظرياته جزئياً في مؤتمر وزراء الشؤون الخارجية ، في بوينوس آيريس ، في شباط ١٩٦٧ ، ووضعت خطة دمج لاتينية - أمريكية من قبل مؤتمر تمهيدي في مونتيفيديو ( آذار ١٩٦٧ ) ، وتبنيت في مؤتمر القمة في بونتا دل إيست ( تصريح الرؤساء ، في ١٤ نيسان ١٩٦٧ ) ، وتنص على تخفيض تدريجي للحواجز الجمركية - التي يجب أن تزول تماماً في ١٩٨٠ - وعلى إنشاء هيئات فوقية ، مثل لجنة وزراء الشؤون الخارجية .

وبقدر معظم الخبراء أن هذا التعاون وإنشاء سوق واسعة من ٢٥٠ مليون مستهلك من طبيعتها تخفيف الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا اللاتينية .

## الفصل الحادي عشر

### الشرق الأدنى

#### منطقة معقدة

الشرق الأدنى عتبة . وعلى هذه الارض الكثيرة التباين ، منذ زمن عريق القدم ، تتواكم التنوعات البشرية ، وتتوطد الاتصالات ، وتتعقد الخلافات .

ولذا فان كل تثبيت للحدود في هذه المنطقة ربما يكون تحكيمياً أكثر مما في غيرها .

ومن المقبول أن الشرق الأدنى ينتهي ، نحو الغرب ، على طول شواطئ المتوسط الشرقية ، من استانبول إلى الاسكندرية وعلى الحدود المصرية - الليبية ؛ ونحو الجنوب ، على الحدود المصرية - السودانية والشاطئ الجنوبي من شبه جزيرة العرب ؛ ونحو الشرق ، على النجوم الشرقية لایران ؛ ونحو الشمال ، على الحدود والشواطئ الشمالية لایران وتركيا . ولكن هذه الحدود ، هي في كل مكان تقريباً حدود ، وليست أطرافاً : فالبحر المتوسط يمتد بالشرق حتى فرنسا ويجعله « أدنى » . ومثل هذه الفتحات توجد نحو افريقية ، المحيط الهندي ، آسيا الوسطى ، والحاجز ، الذي شادته نحو الشمال المنازعات التقليدية ، يبدو اليوم أقل رهبة .

والبهار المتصلة بالمضائق ، كالدرديل والبوسفور ، تيران ، باب المندب ، هرمز ، أو بفن الانسان ، كقناة السويس ، والانهار والقنوات الروسية بين البحر الاسود وبحر الحزر ، توهم تعاريج وفجوات هميقة كخليج العربي وخليج العقبة . وعبء الاراضي ، نحو المواني القديمة : الاسكندرية ، ويبروت التي تم صور ، تلتقي الطرق التقليدية الآتية من آسيا نحو الغرب ومن العالم السلافي نحو البحار الدائنة .

وتلتقي في الشرق الأدنى حضارات معرفة باللغة والثقافة أكثر بما هي معرفة بالارومة العرقية الأصلية ، ومتأثرة ببعضها في الغالب ، وأحياناً متصادمة ، وكلها تتجاوز حدوده بشكل واسع .

في الشمال الغربي ، الفريق التركي ، وأصله من آسيا الوسطى ، حيث يوجد أيضاً نصف أعضائه

في الشمال الشرقي ، الفريق الايراني ، ويمتد نحو آسيا الوسطى ، وقد تأثرت بحضارته الهند . وبفضل فرعه الكردي يتجاوز على الصعيد السياسي الحالي العالم العربي وتركيا . ويحتل عرب شبه الجزيرة العربية ، والمستعربين في « الهلال الحبيب » والنيل وسط المنطقة وجنوبها . وتغطي لغتهم وحضارتهم في الغرب المغرب العربي وتمتدان إلى الجنوب نحو أعالي النيل . أما الشعب الامراتيلي الصهيوني الدخيل على فلسطين فهو من اليهود المنتشرين في جميع أنحاء العالم .

والشرق الأدنى مهد الديانات الموحدة الثلاث ، حسب تسلسل الأقدمية اليهودية ، والمسيحية والاسلامية ، وبضم الاماكن المقدسة : القدس ومكة والمدينة ، وبعض العناصر الممثلة لحياتها الحديثة .

وقد شغل العبرانيون خلال هجراتهم القديمة أرض فلسطين حيناً من

الزمن ثم لفظتهم البلاد وانتشروا في الآفاق ، واليوم عادوا واغتصبوها بقوة الفتح والغلاب ومساعدة الدول الكبرى ولكن هل ما فعله الصهاينة طبيعي ومقبول ومعقول وعادل ؟

وتمت المسيحية حول العواصم القديمة ، في الامبراطورية الرومانية ( انطاكية ، الاسكندرية ، القسطنطينية ، القدس ) أو في خارجها ( في سلوقيا - بابل ، وايتشمايادزين ارمينية ) ؛ ومن هنا نشأ تنوع طقوسها الشرقية ( السريان ، المارونيون ، الأقباط ، البيزنطيون ، الكلدانيون ، الأرمن ) ، وراكت فوقه الانقسامات البائسة الناجمة عن المنازعات الدينية وسوء التفاهم الحديثة العهد التمييز بين الطوائف المنظمة إلى روما ( السريان الكاثوليك ، المارونيون ، الاقباط الكاثوليك ، الملكيين أو الاغريق الكاثوليك ، والكلدانيون - الكاثوليك ، والارمن الكاثوليك ) ، أو غير المنظمة ( السريات - اليعاقبة ، الاقباط ، الاغريق - الارثوذكس الناطقين هنا باللغة العربية ، والنساطرة والأرمن ) . ويؤلف المسيحيون أقليات قليلة العدد في العراق وتركيا ، وهم أكثر انتشاراً في سورية ومصر ، ويؤلفون نصف الشعب اللبناني .

والمسلمون في الشرق الأدنى أكثرية واسعة . ومعظمهم سنيون ، وأحياناً مطبوعون بالطهرانية المتطرفة ، كالوهابيين في المملكة العربية السعودية ، وأحياناً منقسمين ، كما في تركيا ، بين تقليديين في الأرياف ، ومجددين علمانيين ( كإلين ) في المدن الكبرى ، وفي الغالب متأثرين بالأفكار الإصلاحية تحركهم إرادة حازمة في التكيف مع عالم اليوم كما في سورية ، لبنان ، مصر وغيرها . ولكن ، يوجد ، في الشرق أكثر مما في غيره ، اتباع تختلف الفروع التي نجحت عن الخلافات القديمة الناشئة عن

الخلافة مثل الحوارج في مسقط وعمان الذين أبو أن يكون زعيمهم من نسل الرسول ، وكذلك الشيعة ، الذين انقسموا فرقاً ، ومعظم الشيعة يتجمعون في ايران ، حيث يؤلفون تسعة أعشار السكان ، وفي جنوب العراق ، وفي لبنان ، وهناك فرقة الزيديين ، ويؤلفون نصف سكان اليمن ، والاممائيين في سورية وزعيمهم آغا خات . وتبنى بعضهم مذاهب خاصة بهم وضعتم خارجاً عن الاسلام ، كالدروز في لبنان ، وسورية ، وجبال الجليل في فلسطين . يضاف إلى ذلك العلويون ، على الشاطئ السوري وفي لواء الاسكندرون ( هاتاي ) الذي أخذه الاتراك على حساب سورية . ونشأت فرق جديدة كالبهائية المنبثقة عن الشيعة الايرانية في القرن التاسع عشر .

وهذه الدلائل السريعة جداً والاجمالية تباعد ، على الأقل ، على معرفة كيف أن التعقيد البشري في الشرق الأدنى لا يقل في ثي عن تنوع صفاته الطبيعية . ولقد سيطرت عناصر الاختلاف هذه أحياناً في القديم على تاريخ الشرق وما زالت تلعب دوراً في تطوره الحاضر .

### عشرون سنة من التطور السريع ( ١٩٤٥ - ١٩٦٨ )

كان الشرق الأدنى وما زال موضع نزاع بين الدول الكبرى . فقد عبره الجيوش من ١٩١٤ إلى ١٩١٨ ، ورأى ، في ١٩٤٢ ، الحرب العالمية الثانية تنتهي على سياج أراضيه في ستالينغراد والبلخ . وهو يؤلف ، بالنسبة للحلفاء ، طريق عبور ، وميدان تجمع للجيوش ، وصخرة انتظار واستياء في الغالب أيضاً . فقد ظلت تركيا محايدة حتى الاسابيع الاخيرة من النزاع ، رغم أنها مالت شيئاً فشيئاً نحو الانغلو - ساكسون

وتلقت تجهيزاتهم . واحتل الحلفاء ايران في صيف ١٩٤١ ، ليفيدوا من نقل أسلحة الدول الغربية ومؤنها إلى الاتحاد السوفياتي ضد دول المحور . وحاول العراق ، في ربيع ١٩٤١ ، أن يعارض عبور القوات البريطانية فاستعملت القوة ونصبت حكومة متعاطفة معها . وأمل الشعب المصري بالخلاص من الحكم البريطاني ، ولكن الملك فاروق تحت ضغط الجيش البريطاني استدعى ، في شباط ١٩٤٢ ، حكومة قررت التعاون معها .

وعلى العموم كانت بلاد الشرق الأدنى الرازحة تحت الحكم الاجنبي تأمل بأن تنتهي الحرب الثانية وقد حققت استقلالها ، ولذا انتهزت الفرصة وأخذت تقاوم سلطات الاحتلال ما استطاعت لذلك سبيلاً .

### معرض ما بعد الحرب (١٩٤٥ - ١٩٥١)

في ١٩٤٥ ، انتصر الحلفاء وسيطر الاتحاد السوفياتي على البلقان . وقامت « الحرب الباردة » ، مقام النزاع المسلح مع المحور ، بين الكتلة الغربية والكتلة السوفياتية . وكان على الشرق أن يعرف بنفسه من جديد ويعمل تبعاً للنزاع يتجاوزه .

وأخذت الدول القائمة على « الطرف الشمالي » ، تركيا وإيران ، تحسب حساباً لجارها الروسي القوي ومن المحتمل أن يكون عادياً معتدياً .

تركيا . - قامت تركيا ، منذ صيف ١٩٤٥ ، أمام الضغوط الروسية الاولى ، وبجئت ، لدى الغرب ، وبخاصة الولايات المتحدة ، عن أكبر دعم ممكن . وفي العاجل الاول الاسلحة والتجهيزات . وفي ١٩٤٧ ، قبلت مساعدة ترومان ؛ وفي ١٩٤٩ توسلت إلى البنك الدولي للاعمار

والتنمية ؛ وفي ١٩٥٠ ، وضعت الديموقراطيين على رأس السلطة ، وعدلت مذهب تدخل الدولة الكهالية في اتجاه الليبرالية الاقتصادية التي فتحتها على الغرب ، وفي ١٩٥٢ دخلت الحلف الاطلسي .

إيران . - تعلقت إيران باستعادة حرية عملها بصيانة نوازنها التقليدي بين القوى المتصارعة الشالية والجنوبية . وفي ١٩٤٥ - ١٩٤٧ ، أجلى المحتلون عن أراضيها وحذفت الآثار المباشرة كثيراً أو قليلاً للوجود الرومي ، جمهورية أذربيجان وجمهورية ماهاباد الكردية . وقوى العون الامريكى الدولة ، ولكن القومية الايرانية تأكدت بشدة وتغنت . ولذا حاول الدكتور مصدق ، في ١٩٥١ ، اخضاع شركة الزيت الانكليزية - الايرانية القوية ، صاحبة امتياز بترول الجنوب . ولم ينجح الا نصف نجاح ، وفي عام ١٩٥٣ ، أخذ كونسورسيوم دولي على عاتقه استغلال المناجم المؤممة ، ولكن بعد كل هذه التشنجات ، وجدت إيران طريقها المعتدل .

القومية العربية . - اطاحها كثيرة ، واندافعا كثيرة تنقذها من مراكز مختلفة ، وتزعجات متباينة ، وتقتحم الاخطار لتقف وتجعل اختياراتها هادئة وتسلسل مساعيها بتؤدة وتعقل وحكمة . واخمين إلى الوحدة بتملكها ويغلب عليها . ففي عام ١٩٤٢ ، القى نوري باشا السعيد من بغداد مشروع « الهلال الحبيب » . وفي ١٩٤٤ وضع النحاس باشا مشروعاً وحدوياً واسعاً . وجمع بروتوكول الاسكندرية ، في ٧ تشرين الاول ، مصر ، العراق ، سورية ، لبنان ، الاردن ، العربية السعودية ، واليمن ، ولكنه اصطدم بالنعرات المحلية التي حولت ، في ٢٢ آذار ١٩٤٥ ، هذا النظام الشبه اتحادي إلى نوع من منتدى دبلوماسي بروابط مرنة ورخوة ، وهو جامعة الدول العربية .

## سجل اسرائيل في ١٩٤٨ ونتائج

لقد كان النزاع مستمراً بين العرب والصهاينة في فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى والانتداب الانكليزي على فلسطين وتنفيذ وعهد بلفور المشؤوم . وأخيراً بعد الحرب العالمية الثانية رأت انكلترا أن تجلو عن البلاد ، ورفعت أمر القضية الفلسطينية إلى منظمة الامم المتحدة فقررت ، في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ خطة التقسيم التي قبلها اليهود ، ورفضتها الدول العربية . وانتهى الانتداب البريطاني في ١٥ أيار ١٩٤٨ . وفي هذا اليوم نفسه أعلن في تل أبيب ميلاد امرايل . وقام جيش الانتقاذ العربي . ولكن عدم وحدة القوى العربية وعوامل أخرى كثيرة أفست على العرب أمرهم لم يتمكنهم من منع تشكل دولة امرايل على قسم كبير من فلسطين وراء الخط الفاصل الذي رسمته الهدنات التي فرضتها الامم المتحدة .

وقضية فلسطين قضية تأمر دولي واغتصاب صهيوني لحق الشعب العربي في أرضه ووطنه ، وهذا أمر تكشف لكل عين . وما كان من الدول الكبرى إلا أن كرمست سياسة الامر الواقع وأرادت تجنب صدامات جديدة لان المهم بالنسبة اليها هو بقاء امرايل والحفاظ على وجودها . وقد أعلن البيان الثلاثي في ٣ أيار ١٩٥٠ أن خطوط الهدنة لائس ، ومنع سباق التسلح بين امرايل والدول العربية . وحاولت الدول العربية تطبيق الحصار الاقتصادي على امرايل ، والافادة من ندم الغرب وحماة الشعب العربي ، وقضية اللاجئين الذين يرغبون في العودة إلى أرض آبائهم وأجدادهم . وأفادت امرايل من دعم الدبلوماسية اليهودية العالمية والمساعدات الامريكية والتعويضات التي تدفعها جمهورية المانيا الاتحادية لليهود عن الجرائم التي ارتكبتها النازيون ضدهم ، أثناء الحرب العالمية الثانية .



وسببت الحسارة التي منيت بها الدول العربية ، من تردي الاوضاع في فلسطين ، الامتعاظ والنقمة والحركات الانتقالية ، ورفعت الطبقة الوسطى إلى السلطة . وهكذا كانت انقلاب حسني الزعيم ، في ٢٩ آذار ١٩٤٩ ، وبعده انقلاب سامي الحناوي واديب الشيشكلي في سورية ، والضباط الاحرار ، في ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، بزعامة محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، في مصر . ومن بعد انقلاب عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق .

### الجهز الانقلابي — ساكسوني : حلف بغداد ١٩٥٥

نحت تأثير الولايات المتحدة ، فكر الغرب بخاصة بأن ينظم خطأ دفاعياً ، ضد الكتلة السوفياتية ، في المشرق العربي الذي ركزت رغبته في الأخذ بالنار من امرائيل المعتدية وفي التحرير الاجتماعي اكثر من أي وقت مضى على قضاياها الخاصة ، ومال من جديد إلى الحياد . ولذا ا طرح خطط الدفاع الغربية مثل منظمة الدفاع عن المشرق الاوسط التي رفضها مصر في تشرين الأول ١٩٥١ .

ويبدو أن الولايات المتحدة لم تفهم بعد أهمية عاطفة الحياء العربية ورأت أن الحلاف المصري - الانكليزي يقف عقبة أمام كل تقارب مع الغرب ، وضغطت على لندن لتصفيته ، وبمعاهدة ١٩ تشرين الاول ١٩٥٤ تعهد البريطانيون باجلاء عن قواعدهم في قناة السويس ؛ ووعدهم المصريون باحتلالها مؤقتاً في حالة حرب أو تهديد بحرب ضد البلاد العربية أو تركيا . وبهذا الشكل ارتبطوا بصورة غير مباشرة بمعاهدة منظمة حلف شمال الاطلسي . وبدا هذا الامتياز باهظاً في نظر القوميين المتطرفين ، وبعده سبعة أيام ، كاد الرئيس جمال عبد الناصر أن يقتل على أيدي الاخوان المسلمين .

ومع ذلك ، فقد اهتمت بريطانيا العظمى باستقرار علاقاتها السياسية - العسكرية المفضلة مع العراق أكثر من الدفاع عن الشرق الأدنى ؛ واعتقدت بأنها تبلغ هذين الهدفين بفضل حلف بغداد ( ٢٤ شباط ١٩٥٥ ) ، المبرم بين تركيا والعراق والذي ضمت اليه ، مع الباكستان وايران ، اتفاقاً عسكرياً ملحقاً مع العراق . أما الولايات المتحدة التي كانت تأمل بتشكيل دفاعي أعمق ، فلم تشترك بالحلف ، ولكنها تعاونت مع مختلف لجانه ؛ وحاول أعضاء الحلف أن يجذبوا الاردن ، فآلقوا سورية في قلق التطويق . وسهرت ايران من جهة ثانية ، على تأمين جاراتها القوي في الشمال ، الاتحاد السوفياتي ، وأشارت إلى المظهر الدفاعي الدقيق للحلف ، وفي صيف ١٩٥٥ زار الشاه موسكو .

### الرد السوفياتي : اسوان والسويس ( ١٩٥٦ )

وأحست مصر بما يحاك حولها من مؤامرات . لأن الغرب بتسليمه أسلحة إلى العراق ، الذي قبل الالتزام ضد الاتحاد السوفياتي ، أمن لها أولوية القوة في العالم العربي . والتقى الغيظ المصري والقلق السوفياتي . وفي ٢٧ ايلول ١٩٥٥ ، استطاع الرئيس جمال عبد الناصر أن يعلن بأن الكتلة السوفياتية ستسلم البلاد العربية ، دون تحديد ، الأسلحة التي رفض الغرب أن يسلمها إياها . ولعبت موسكو بالاهواء العربية ، ودخلت دخول الظافرين المسرح السيامي الشرقي ، المحتجز منذ عهد قريب إلى النقاش الوحيد بين العروبة والغرب .

ولتوازن القضية حاول جمال عبد الناصر أن يعهد إلى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والبنك الدولي تمويل السد العالي ، مفتاح التنمية المصرية . ولكن الدبلوماسية الامريكية ، بوحى من فوستر دالس ،

كانت تريد أن تلعب بما هو أدق وأنعم ، وأجلت فجأة منح الاهتادات المنتظرة .

عندئذ ، أظهر الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة فنه في الرد ، وأمم قناة السويس ، في ٢٦ تموز ١٩٥٦ ، وخدع نفسه باعتقاده بأنه وجد على هذا النحو الموارد الضرورية لبناء السد العالي ، ولكنه نبتج في تقسيم الحلفاء الغربيين . فقد هيات بريطانيا العظمى وفرنسا ببطء تدخلا عسكرياً ، سبقه بيضع ساعات هجوم « وقائي » ، في سيناء ، في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ ، من قبل القوات الاسرائيلية بخية معحق الجيش المصري قبل أن يتعلم استخدام الأسلحة السوفياتية الجديدة . ولكن الولايات المتحدة اتفقت مع الاتحاد السوفياتي ومع الأمم المتحدة وفرضوا جميعاً على الفرنسيين والبريطانيين ، في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ ، وقف العمليات .

ولا شك في أن مصر أوشكت أن تبنى بخسارة عسكرية فادحة ، ولكنها استطاعت أن تحصل على نصر دبلوماسي مؤزر كان له الأثر الدائم في جاه الرئيس جمال عبد الناصر في المشرق العربي . وتمكنت الولايات المتحدة من بعد بواسطة « مذهب آيزنهاور » أن تمنح نفسها وسيلة دائمة للتدخل من شأنها الحد من أطماع عبد الناصر بأثرة مناوئين ومنافدين . وهكذا ساعدت الولايات المتحدة الملك حسين على استعادة قوته ، ولم تنجح في إعادة الثقة الى سورية وافسدت لبنان .

### نهضة الناصرية وطموحها ومشاكلها (١٩٥٨)

لقد كانت فكرة الرئيس جمال عبد الناصر أن تقوم وحدة العرب مقام التوازن الشرقي الضعيف الذي حماه اتفاق الغربيين بصعوبة ،

ولاشك في أن هذه الفكرة كانت تستجيب لما كان يتطلع اليه العرب من آمال في الوحدة والقوة والمنعة ، وتسبغ عليه رواء الاساطير وتجمع من حوله الشعب العربي في حماسة واندفاع .

وكانت سورية مأخوذة بكهامة المثاليين المناصرين للبريطانيين من رجال حلف بغداد ، ومشغولة بقوى التقدم الاجتماعي ، ولكنها تخشى الشيوعية ، وغير قادرة على أن تسير بقوة النظام البرلماني الذي تأسس في ١٩٥٤ ، ومتحمسة مع ذلك لمنظور وضع الحجر الأول في بناء الوحدة العربية ، وبدأ لها الاتحاد مع مصر سبيلاً للسلام : وفي لحظة ، التفت جميع الاتجاهات السورية لتحقيقه . وهكذا ولدت « الجمهورية العربية المتحدة » ( ١ شباط ١٩٥٨ ) . وتبعتها اليمن وحدها وتشكل « اتحاد الدول العربية المتحدة » في ٨ آذار ١٩٥٨ . ومقابل هذا الاتحاد شكلت العراق والاردن « الاتحاد العربي » الملكي في ١٤ شباط ١٩٥٨ . وفي القاهرة ، وخاصة في دمشق ، كان يحلم « بضم » لبنان ، بعد أن أصبح فريسة لأزمة عنيفة ومعقدة تفاقمت فيها المنازعات الداخلية بين الأحزاب حول تجديد الرئاسة برد الفعل العربي ضد سياسة كميل شمعون المناصرة للغرب ، وأثارت ثورة خطيرة .

وفجأة قلب الجنرال عبد الكريم قاسم يساعده الكولونيل عبد السلام عارف الملكية المناصرة لبريطانيا ، في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقتل الملك الفتي فيصل الثاني ، والوصي على العرش عبد الله ، والوزير الأول نوري باشا السعيد . ولكن النظام الجديد بقي محتفظاً ببعده عن الناصرية ، واستدعى الملك حسين في عمان ، والرئيس كميل شمعون في بيروت ، القوات البريطانية والأمريكية . وبرد فعل حكيم رفع لبنان على رأسه

حكماً محابداً ، الجنرال فؤاد شهاب ، الذي أمن الاستقلال القومي وأعاد  
الوفاق بعد الشقاق .

### الهرودء النفسي ( ١٩٥٩ - ١٩٦١ )

اهتمت الأمم المتحدة بتسوية أزمة ١٩٥٨ : فقد وقف التدخل الغربي ،  
وارجع الموجهون الشيغيون التوازن الاقليمي بمساعدة الأمين العام ، داغ  
همرشولد ، وطبعت السنوات التالية بمحاولات نشيطة في الاعمار في أكثر  
من دولة وبتخفيض نسبي للتوترات الاقليمية المزمنة .

في تركيا ، قلب ائتلاف الضباط والطلاب والاساتذة والصحافيين  
النظام الديمقراطي ، في ٢٧ أيار ١٩٦٠ . وبعد ظواهر محاولات مقارمة  
من الكمالين - الجدد ، اقتصر على تطهير سيامي شديد واصلاح  
دستوري ، وفتح الطريق إلى حكومة ائتلافية .

في ايران ، حاول الشاه عبثاً أن يؤمن لسياسته الاجتماعية قاعدة  
برلمانية . واضطر أن يأخذ وحده على عاتقه المسؤولية في توزيع الأراضي .  
وظلت الدولتان ، تركيا وايران ، مرتبطتين بالحلف المركزي  
« الستهو » ، الذي حل د في ١٩٥٩ ، محل ميثاق بغداد بعد أن تخلت  
عنه العراق .

في العراق ، حرر الزعيم عبد الكريم قاسم في البدء جميع الاتجاهات  
المعادية للنظام الساقط ، ولكنه اضطر فيما بعد إلى حذف الناصريين  
الذين يقودهم رفيقه عبد السلام عارف ، وإلى حماية نفسه ضد اليسار  
المتطرف . وظلت لبيروالته الاولى حيال الأكراد دون غمد ، ومن ثم  
اقتصر على وسائل وطرق تارة مرنة وتارة فظة .

في فلسطين المحتلة ، سيطرت على البنيات السياسية شخصية قوية ،  
دافيد بن غوريون ، ولكنها شاخت وضعفت ، وبعد انتخابات آب  
١٩٦١ الف حزب الماباي الائتلاف الحكومي بشقة .

في الجمهورية العربية المتحدة ، قام الرئيس جمال عبد الناصر ببناء  
السد العالي في أسوان ، بفضل أموال ومساعدات فنية سوفياتية ، وضرب  
على أيدي الشيوعية ، وحصل من جهة أخرى على مساعدة امريكية .  
ولكنه اصطدم في سورية بصعوبات اقتصادية وسياسية متزايدة . ووقع  
في خلاف مع العراق ، الذي أخذ ينافس الزعامة ، ومع ايران ،  
المتعاونة مع اسرائيل ، ولكنه ظل يقظان حيال هذه الأخيرة . وبالرغم  
من داغ همرشولد حافظ على الحصار في قناة السويس ، ولكنه قبل بوجود  
قوى الأمم المتحدة على الأرض المصرية تراقب خط حدود سيناء وسمح  
لاسرائيل بحرية الملاحة في مضيق تيران نحو العقبة . وحاول أن يداري  
واشنطن . وعلى وجه الدقة استلم الحزب الديمقراطي السلطة في الولايات  
المتحدة . وكتب الرئيس كينيدي إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، في  
١٢ أيار ١٩٦١ ، وأرعى اليه بتبادل المشورة ، وكان ذلك منه مسعى ماهراً  
أسهم في تجميد النزاع العربي - الاسرائيلي مؤقتاً .

### حركة في العروبة وكثرة فردية ضد اليمين ( ١٩٦١ - ١٩٦٣ )

يسجل صيف ١٩٦١ في بلاد « الهلال الخصيب » نهاية الهدوء النسبي .  
ففي حزيران ، حاول الزعيم عبد الكريم قاسم عبثاً ضم الكويت إلى  
العراق بعد أن تحررت من الحكم البريطاني . وفي تموز ، جابه العراق  
ثورة الأكراد دون أن يقمعها .

وفي آب ، حاول الرئيس جمال عبد الناصر جمع الصف وتوحيد الكلمة بعد أن ظهرت علائم المقاومة والملل من فظاظة ممثلي الحكم الناصري في سورية . وفي ٢٨ ايلول قامت حركة عسكرية منتهزة الاستياء العام وفصلت سورية عن الجمهورية العربية المتحدة ، وتأسست « الجمهورية العربية السورية » بنظامها البرلماني البورجوازي غير المستقر .

رد الرئيس جمال عبد الناصر على التحدي مصرحاً بأن الشعب السوري لم يهزمه ، بل « الرجعية » ، وأنه أخطأ في التعامل معها وأعد « الميثاق القومي » الذي يقضي بإنشاء الاشتراكية في مصر مساعدة الحركات التقدمية والوحدوية في البلاد العربية الأخرى . فأتار بذلك الاضطراب في سورية ، ودعم بالسلاح ثورة اليمن و « الضباط الأحرار » الذين أعلنوا ، في ٢٧ ايلول ١٩٦٢ ، الجمهورية وردوا الامام البدر إلى حرب العصابات التي أمدها بالمقابل السعوديون وبعض السلاطين الذين فهمهم عدن .

وفي ٨ شباط ١٩٦٣ ، قتل الزعيم عبد الكريم قاسم في بغداد بعد أن ثألت عليه قوى الناصريين ، مع عبد السلام عارف ، والبعثيين الاشتراكيين . وفي ٨ آذار ، استولت فئة مماثلة ، ولكن دون عنف ، على السلطة في دمشق . وفي ١٧ نيسان ، رمم اتحاد ثلائي في القاهرة ، دون أن يتحقق : وذلك لأن العراقيين ، وبخاصة السوريين ، أخذوا على جمال عبد الناصر وجهات نظره المركزية وتشخيص السلطة ، وأرادوا أن يصنوا ، في الوحدة العربية ، كثرة الكيانات التابعة وسلطة القيادة الجماعية . وأبعدت سورية الناصريين واشترك البعثيون على اختلاف مشاربهم وألوانهم في حكومة جماعية . وفي العراق ، سقط الحكم البعثي ، ومارس عبد السلام عارف ، وقد أصبح مارشالاً ، ابتداءً من ١٧ تشرين الثاني ، سلطة دكتاتورية يدعمها نفوذ ناصري قوي .

وبعد أن أخفق الحل الامريكى في استغلال مختلط لمياه نهر الأردن ، قرر الامرائيليون اقتطاع حصتهم . واعتبرت سورية هذا العمل « سبباً للحرب » ، ودعت العروبة إلى السلاح . وكان الرئيس جمال عبد الناصر يحاول اجتناب تجربة القوة في فلسطين وحل أزمة اليمن فتصور من جديد سياسة التجمع .

### الضمم العربية ( ١٩٦٤ - ١٩٦٦ )

دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى « مؤتمر قمة عربية » ، نظم في القاهرة ، من ١٣ إلى ١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ ، زعماء الثلاث عشرة الدولة العربية الأعضاء في الجامعة العربية . وبعقد هذا النوع من « مؤتمر فينا » ، تخلى حقاً عما كانت قرره قبل عامين وهو : دعوة الشعوب مباشرة من فوق رؤوس حاكمهم . وساعدته هذه الوسيلة التعبوية الجديدة على وضع أترابه أمام مسؤولياتهم . وذلك لأن قواهم ، ولو كانت منضمة إلى بعضها ، كانت ضعيفة للفوز بحرب خاطفة على امرائيل ، قبل أن تساعدوا الولايات المتحدة . ولذا ينبغي في هذه المرة العزف عن اللجوء إلى الاسلحة ، على أن يبدأ الجيش الموحد للأخذ بالثأر ، وان يوضع في منظمة التحرير الفلسطينية كيان فلسطيني ، وأخيراً أن تبطل خطط امرائيل بتحويل الروافد العربية لنهر الاردن . وكانت سورية جزعة ، خائفة صبرها ، ولم تحرز الاكثوية واضطرت إلى مشايعة هذه الخطط . أما الماريشال عبد الله السلال ، رئيس جمهورية اليمن ، فكان عليه أن يتعاون هنا مع الملكين حسين وسعود . ولم يسبق أن تحققت هذه الدرجة من التفاهم بين الدول العربية منذ إنشاء الجامعة .



غير أن الانجازات الايجابية التي تمت كانت قليلة كما لوحظ ذلك ، في ايلول ، في مؤتمر القمة العربي ، الثاني في الاسكندرية . وعادت المنازعات بين الدول العربية إلى الاشتعال . وأثار النشاط المضطرب ، الذي قام به أحمد الشقيري ، رئيس منظمة تحرير فلسطين ، النقد ، وألفت سورية عصبة وحدها جانباً ؛ وفي ربيع ١٩٦٥ ، أفاد رئيس الجمهورية التونسية ، الحبيب بورقيبة ، من رحلته إلى المشرق ، ليذيع علناً في موضوع القضية الفلسطينية ، نظرات واقعية ، اعتبرها الرئيس جمال عبد الناصر تحدياً له .

ولكن حوادث شبه الجزيرة العربية ، أخذت منذ الآن فصاعداً ، بالنسبة لمختلف الدول العربية ، وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة ، كثيراً من الأهمية يفوق أهمية النزاع العتيق مع اسرائيل . وبينما كان الجمهوريون والملكيون يتجهجون في اليمن ، ويزقون هذا البلد ، ويقسمون العربوة إلى معسكرين ، كان البريطانيون ، في عدن وفي المحميات المتحدة في اتحاد الجنوب العربي المدعو إلى استقلال قريب ، يلاقون العمل الارهابي الذي توحى به القاهرة ويهدف إلى منعهم من صنع حليف عربي جديد لهم . وكان ذلك سبباً آخر للرئيس جمال عبد الناصر للابقاء على جيش الحملة في اليمن ، غير أنه اضطر أن يعترف ، في ٣١ أيار ١٩٦٥ ، بأن هذا العبء شل عمله حيال فلسطين .

وتعهدت الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، أخيراً ، باتفاق جدة ، في ٢٤ آب ١٩٦٥ ، أن تسحب كل منها مساندتها للتمحاربين في اليمن ، ولكنها لم تنجها في المصالحة بينهم ، حتى ان المؤتمر المختلط في حوض ، في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، توقف فجأة دون



المحافظة في العالم العربي . وظلت تركيا وايران ، في « السنو » ، حليفي الغرب الانغلو - ساكسوني ، ولكنها ضخمتا المظهر الاقتصادي البنيان على حساب محتواه العسكري ، وبانضمامها إلى باكستان ، فضلا له رويداً رويداً الصفة الشرقية المحضة : المجلس الاقليمي للتنمية ؛ وتقرب الثلاثة شيئاً فشيئاً من الاتحاد السوفياتي . وأخيراً كان بوجه اسرائيل دافيد بن غوريون ، ولكنها وضعت ، منذ صيف ، ١٩٦٣ ، تحت إدارة ليفي أشكول المنظمة ، غير أن انتخابات ١٩٦٥ لم تجزئه إلا بقاعدة ضعيفة لائتلاف نشيط .

وفي العالم العربي ، جابهت الدول بسهولة كثيرة أو قليلة صعوباتها المزمنة . ففي العراق ، حل الجنرال عبد الرحمن عارف محل أخيه عبد السلام عارف المتوفي إثر حادث طائرة ، وظل في ركاب الرئيس جمال عبد الناصر ، وأبرم مع الأكراد ، في شباط ١٩٦٦ هدنة ضعيفة . وأصبحت سورية ، منذ ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، توجهها فئة البعث المتطرفة وكان تعاطفها ظاهراً مع الجمهورية العربية المتحدة والانحسار السوفياتي . ومنيت الجمهورية العربية المتحدة بصعوبات اقتصادية خطيرة واستياء داخلي عبرت عنه مؤامرة الاخوان المسلمين في آب ١٩٦٥ . ووضعها انقطاع المساعدة الامريكية عنها . في صيف ١٩٦٦ ، في تبعية أعظم حيال السوفياتيين الذين انهر لها السد العالي في أسوان .

وداور الملك حسين في الاردن الرئيس جمال عبد الناصر وأحمد الشقيري ، وفي الوقت نفسه برهن على تعاطفه مع الوطنيين الفلسطينيين باستقباله في عمان مفتي القدس السابق الحاج أمين الحسيني . ثم توترت من جديد علاقاته مع الرئيس جمال عبد الناصر ومع الملك فيصل .

ووضعت الازمة بشكل مقلق في شبه الجزيرة العربية ، وتالت

المنازعات الداخلية في اليمن ، واتسع الارهاب في الجنوب العربي ولم تدر الحكومة الاتحادية ماتفعل ، ورفضت البعثة في الأمم المتحدة سلطتها في ٦ نيسان ١٩٦٧ .

ولكن التوتر ازداد بخاصة على الحدود العربية - الاسرائيلية . وأدت الأعمال الجريئة التي كان يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون إلى أعمال انتقامية اسرائيلية في الاراضي الاردنية ، في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، والسورية ، في ٧ نيسان ١٩٦٧ .

واتهمت الاركان الاسرائيلية نظام دمشق والرئيس جمال عبد الناصر الذي ربما اقنعه الروس بأن سورية تواجه خطراً محققاً ، فحرص على نجاتها ، وطلب وحصل على سحب قوى الامم المتحدة المربطة على الخط الفاصل في سيناء وأمام مضيق تيران ، في ١٨ و ٢١ أيار ١٩٦٧ .

وهذا الاجراء الجديد يحاصر ، على عكس ماتريد اسرائيل ، خليج العقبة . وتأثرت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، باسم مبدأ حرية البحار ، وأعطنا البلاد العربية ، المقتنعة طويلا بالاعتماد على الانحسار السوفياتي ، شعوراً بدعما لاسرائيل . واقترحت فرنسا ، عبثاً ، أن يتباحث الاربعة الكبار لاييجاد حل للازمة .

واستنفرت اسرائيل جيشها ، وأدخل ليفي أشكول الجنرال موشيه دايان ومينا حيم بيجين في حكومة ائتلافية . واستسلمت الجمهورية العربية المتحدة وسورية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، للدعاية الداخلية العربية . وزادت حدة التوتر بخطورة . وتصالح الرئيس جمال عبد الناصر مع الملك حسين . وحضت الدول والامم المتحدة الطرفين المتنازعين على « ضبط

النفس » . ولكن امراييل العنصرية المعتدية دوماً بادرت بالعنصيات العسكرية ، في ٥ حزيران ١٩٦٧ ، ودمرت معظم الطيران المصري ، وولت الجيوش العربية الثلاثة الأدبار ، ووصل الجيش الاسرائيلي حدود قناة السويس وتخطى الاردن ووطد مراكزه في أراضي الجولان السورية ، في منتصف الطريق إلى دمشق . ولجأ نحو ٢٠٠ ٠٠٠ عربي من الضفة الغربية لنهر الاردن إلى الضفة الشرقية منه .

ومضى صيف ١٩٦٧ دون بارقة أمل أو منظور حل . واصدرت امراييل ، في ٢٨ حزيران ، قراراً « بضم » القدس بصفة « أرض محررة » . وأملت في أن تستخدم باقي المناطق المحتلة « رهينة » للتفاوض والدخول في مباحثات منفردة بغية إبرام السلام مع كل الدول العربية المعنية . وبعد اتفاق جديد مصري - سعودي بعيد عن المنفعة بشأن اليمن ، وبينما كانت الحكومة الانحدادية والسلطات البريطانية عاجزة عن رد الوطنيين في الجنوب العربي ، عقدت الدول العربية مؤتمر « القمة » الرابع في الخرطوم ، في ٢٩ آب - ١ ايلول ، وقررت عدم إبرام الصلح مع اسرائيل ، وعدم الاعتراف بهذه الدولة ، وعدم المفاوضة معها ، واقترحت أن توحد جهودها « لمحور آثار العدوان » . وأخذ هذا الاتجاه « الوسط » قوته من التفاهم ، على هذه الأسس ، بين الجمهورية العربية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والاردن ، ولكنه بدا غير واقعي بالنسبة لدول معتدلة مثل تونس ، بينما ألقت الجزائر وسورية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فيه نوعاً من استسلام . وكانت الامم المتحدة مجمعة تقريباً في ٥ - ١٥ تموز ، وشجبت افلاطونياً السيطرة الامرائيلية على القدس ، ولكنها لم تنجح في الحصول على اكثرية الثلثين الضرورية

لتحديد حل يرضاه الجميع . بيد أنها وضعت مراقبين على قناة السويس بغية الرقابة المحلية لوقف إطلاق النار الذي عكسته في الغالب حوادث عنيفة ، في ٢١ تشرين الأول ، مثل تدمير سفينة الحرب الإسرائيلية « أيلات » على يد سفينة حربية تحمل صواريخ مصرية من صنع سوفياتي .

## البنيات والنمو

### المنظمة الداخلية

لقد سادت في البلاد العربية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، على الانظمة البرلمانية الواقعية أو الاعتبارية ، أشكال غريبة : من تدخلات عسكرية « شعبية » وإنجازات عامة أو جماعية ، « الاشتراكية العربية » ، وتشخيص السلطة ، واسطورة « الرجل القوي » . وفي الاطراف المحيطية ، تماسك النظام البرلماني بشكل رسمي في الاردن وإيران ، وبشكل فعلي في تركيا ، وبشكل خاص قليلا ، في لبنان .

ان العسكريين من حسني الزعيم في سورية ( ١٩٤٩ ) ، إلى جمال عبد الناصر في مصر ( ١٩٥٢ ) ، وعبد الكريم قاسم في العراق ( ١٩٥٨ ) ، الذين حلوا محل الحاكمين القدامى من الباشوات أو الاقطاعيين أو البورجوازيين كانوا رجالا من الطبقة الوسطى . وقد عرفتهم الخدمة بالحاجات الابتدائية للشعب : وهي الغذاء والكساء والسكن والتوجيه . زأوحى اليهم الجيش بمعنى الخير العام ، ووضع في أيديهم مع الاركان انعاما ، صيغة صالحة للاستعمال ، في التنظيم والعمل وفئة من معاونين

المشدين . وإذا صرفوا رسمياً رئيساً منتخباً ، وبرلماناً أو ملكاً دستورياً ، فقد ألغوا في الواقع دوماً دكتاتورية ، وسورية الاستثناء الوحيد ، ونظاماً بدا قليل النفاذ ، غير اجتماعي ، غير سليم جاءت نكبة فلسطين ، في ١٩٤٨ ، فزال اعتباره . وتؤلف هذه التدخلات في بلاد العرب ، في سنوات ال ٥٠ ، الشكل النموذجي في ابدال طبقة الوجهاء بطبقة الشعب

وكان روساء الدول هؤلاء المرتجلون يعملون حسب المناسبة دون أي برنامج موضوع ، ويعرفون كيف يتخذون منذ أول وهلة التدابير الضاربة التي تعجب الجماهير ، كما في دمشق في ١٩٤٩ ، وفي بغداد في ١٩٥٨ ، كالتدابير الصارمة ضد الحجازين . وانشأوا أحياناً نظاماً ( مؤسسات ) تدل على مهارة ساذجة ، كما هي حال عبد الكريم قاسم عندما أقام في العراق محكمة ثورية صاخبة ، أفادت نظراً لفقدان المجلس التشريعي ، كواسطة للتخلص من العناصر المناوئة ، والآراء العنيفة والاهواء العامة ، ولكن كان من النادر أن توصلت إلى إشادة ابنية سياسية مثقنة . وكان الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو الامهر من غيره في هذه الظروف والوحيد الذي عرف كيف يدوم ، وبشعر بأفضل من غيره بالحاجة إلى قاعدة نظامية شعبية ، ولكنه لم ينجح ، مع الاتحاد الاشتراكي العربي ، في تنظيمها وتحريكها ، وبث الحياة فيها . وكان بين من يعملون بفكرهم ، اديب الشيشكلي ، في سورية ، من ١٩٤٩ الى بداية ١٩٥٤ ، يحاول طويلاً بالا يكون إلا نوعاً من د حام ، للبنات السياسية المدنية التي اعيد تأسيسها . ويبدو ضعف هؤلاء الحكام العسكريين عندما يرى أن عدداً منهم يخضعون بدورهم بسهولة تافهة لحركات عسكرية لم يعرفوا الاحتراس منها ، مثل حسني الزعيم ، وعبد الكريم قاسم ، أو لم يريدوا أن يكافحوها ، مثل

أديب الشيشكلي ، وإذا استلموا السلطة دون سفك دماء ، فقد قتلوا بفضاعة  
وشراسة ، مثل حسني الزعيم ، وعبد الكريم قاسم غير المسؤول عن مذابح تموز  
١٩٥٨ ، وقد أعدم بعد أن سبق وعفا عن عبد السلام عارف بصفته  
الشخصية . ومع ذلك فقد نجا جمال عبد الناصر من مؤامرتين دبرهما  
الاخوان المسلمون ضده ، في ١٩٥٤ وفي ١٩٦٥ ، وظل باقياً على رأس  
الحكم بعد اخفاقين : في ١٩٥٦ وفي ١٩٦٧ . وبعد هذه السنة الاخيرة ،  
أبدته انتفاضة شعبية وأبقته على رأس السلطة ، ولكن كان عليه أن  
يقمع مكابذ « الرجعيين » التي اشترك فيها عسكريون ، ومنهم المارشال  
عبد الحكيم عامر ، رجل ثقته ، وقد انتحر بصورة غامضة .

وإذا منبت الحركات العسكرية العربية ، على هذا النحو ، بالفشل  
والخيبة في سنوات الـ ٥٠ ، باستثناء حركة الضباط الاحرار في مصر ،  
فقد ظلت الفكرة مقبولة وهي أن الجيش يؤلف « وجدان الامة » .  
وعلى الاقل ، جزئياً ، تحت هذا الالهام ، وفي ظروف غير موضحة  
بشكل كافٍ تدخل الضباط من جديد : في ١٩٦١ ، في سورية ،  
لفصم الوحدة مع مصر ، وترك المجال بالحال لحكم مدني ؛ وفي ١٩٦٢ ،  
في اليمن ، لابدال الامامة العتيقة ، التي أخفى عليها الدهر ، بجمهورية ذات  
الهام ورعاية ناصريين ؛ ومن جديد في ١٩٦٣ في سورية لصرف الحاكمين  
« الانفصاليين » غير الاقوياء ، وللإفادة كدعم للاشتراكيين البعثيين ، وفي  
١٩٦٣ أيضاً في العراق لوضع حد لتحكم عبد الكريم قاسم ، وبعد  
عقبات غامضة ، أدى ذلك بعد ستة أشهر إلى تحكم عبد السلام عارف  
نفسه .

وحتى في البلاد التي ظلت وفيّةً لتنظام البرلماني ، كان هذا اللجوء



إلى « الوجدان القومي » العسكري يظهر في المناسبة . ففي مرتين ، بصورة عارضة في ١٩٥٢ ، وبصوره دائمة في ١٩٥٨ ، استدعى لبنان ، بطرق وأصول نظامية ، قائد القوى المسلحة ، الجنرال فؤاد شهاب . وجنب هذا بصورة منظمة أن يحشر جنوده ضد المتمردين في ١٩٥٨ ، خشية أن يدمر الشعب اللبناني بكسر قوته الاسلامية ، ولذا ظهر حكما محايداً اقتضته حالة الازمة . وعندما أصبح رئيساً « مدنياً » رئيساً للجمهورية ، كان دستورياً بشكل دقيق ، حتى انه رفض كل مناورة لتجديد ولايته بصفة استثنائية ، ومع ذلك أخذ عليه ، فيما بعد ، أنه استخدم جهاز « المكتب الثاني » في حكمه .

وفي تركيا ، لم يؤد استياء « المفكرين » ، في ١٩٦٠ ، إلى حركة نافذة إلا باشتراك العسكريين في انتفاضه . ولكن الحوته ذات الاكثوية العسكرية تخلت بعد قليل عمن سلطانها إلى منتخبي الشعب الجدد ، ولم تفد منها إلا الحد الاعظم . حتى ان بعض الضباط ، العالين بشكل سيامي ، ذابوا في الاحزاب السياسية ، ( « الأربعة عشر » ) أو تاهوا في محاولتين عابثتين للقيام بحركة . ومع ذلك ، ظلت رئاسة الجمهورية ، بالرغم من التقلبات السياسية للجنرال غورسيل ، الصورة الرمزية التي انتخبها رجال أيار ١٩٦٠ . وعندما قبضه المرض ، انتقلت إلى جندي من نفس الطبع ، الجنرال سوناي .

ان التدخلات العسكرية في البلاد العربية شعبية في أعماقها ، وقد أعدت بشكل إرادي أو لاإرادي المكان للاشتراكيات العربية . ففي ١٩٤٩ كان حسني الزعيم ، ومن بعده بقليل أديب الشيشكلي ، يعتبران أكرم الحوراني ، أحد زعماء حزب البعث ، بين رجالهما . أما في مصر

فقد أعطى جمال عبد الناصر نفسه للعروبة شكلها الاشتراكي الخاص . ولكن الفكرة الاشتراكية العربية أتت من بعيد ، وسلكت مسالك شتى ، ولبست أشكالاً مختلفة ، بل ومتناقضة . فنذ أن شعر العالم العربي بأنه سلم إلى نفسه ، أمام الخطر الصهيوني ، وشك في الغرب ، نشأت هذه الفكرة ، في الشبيبة الفكرية ، من فكرتين انضمتا إلى بعضها :

١ - يجب تأمين الخير العام للشعب العربي ، والوجهاء التقليديون تعوزهم الموارد وروح التنفيذ واللانفعية .

٢ - يجب على الدولة أن تنظم وتسير العمل الجماعي بقوة السلطة .

نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي ، في سورية ، في عام ١٩٥٣ من اتحاد الفريقين المفكرين الذين تحركها هذه الافكار : فقد وضع ميشيل عفلق المسيحي الارثوذكسي مذهبه ، وأخذ المسلمان أكرم الحوراني وصلاح البيطار بحركان الجماهير الريفية والعمالية . وكان أكرم الحوراني يدس نفسه بين الحكام العسكريين من قبل في ١٩٤٩ ، وفي ١٩٥٤ ، عندما صوت من جديد ، وأحرز نجاحاً انتخابياً مذهلاً بين فلاحين وسط سورية . أما جمال عبد الناصر فقد غاظه اخفاق ١٩٤٨ ونسبه إلى الملكية وإلى طواغيتها العاجزين غير الأكفاء ، وحرك أفكاراً بمائلة غامضة أيضاً ، في كتابه « فلسفة الثورة » ، ( ١٩٥٤ ) ، وأطلق الاصلاح الزراعي فوراً . وضمت الجمهورية العربية المتحدة ، في العام ١٩٥٨ ، هذه العقائد المتوازية ، وبالرغم من اختلاف الآراء بسرعة بين الرئيس جمال عبد الناصر والزعماء البعثيين ، مدت الاصلاح الزراعي إلى سورية أيضاً .

ولكن المحاولة الجديدة للاتحاد في عام ١٩٦٣ فجرت معاكسات . ففي سورية أراد البعث التعبير عن عاطفة عربية شاملة ، ولكنه كان حساساً بتأثيرات الغرب الفكرية . كان مذهبياً عمداً ، وأراد أن يكون علمانياً وفسح مجالاً واسعاً لعناصر الاقليات المنشقة عن الاسلام أو المسيحية . وشاد بحق بنية قيادية ، ولكنه لم يزل نوتراته الداخلية التي لاتنقطع إلا بوجود واقع « رجل قوي » .

وفي مصر ، كانت شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ، بمساعدة فريق من الرفقاء ، تجمد السلطة . وقد عرض الميثاق القومي ( ١٩٦٢ ) التبرير التاريخي للحركة التي تعتمد على الاخلاق الاسلامية المفسرة بمرونة وعلى العاطفة الشعبية العربية ، وتستمد عزتها من صفاتها الذرائعية . والاتحاد الاشتراكي العربي ليس إلا مجموعة انصار معينين والاتصال فيه يتم بصعوبة من القاعدة إلى الذروة .

وأخيراً حاول عبد السلام عارف في العراق ، ولحد ما السلال في اليمن ، على قدر مساعدتها قوة الموجبين القليلة ومرونة الرعايا القليلة ، اتباع هذا النموذج .

وبعي الاتحاد الاشتراكي العربي والبعث وعياً حاداً اختلافاتها . وهذه الاختلافات تنأت عن أن كليهما « ذرائعيان » ، وكل منهما يتكيف من جانبه ، مع الظروف والامكنة والناس . ولكنها يلتقيان على صعيد مشترك : وهو احترام القيم الروحية ، ونفي ، وقد خف هذا النفي عند البعث في ١٩٦٦ ، نزاع الطبقات ، والحماية الجزئية للملكية الخاصة ، والترحيب في قطاع حر « بالرأسماليين الوطنيين » والتشميزات الاجنبية ، ورفض تضحية الجيل الحاضر كلية لسعادة الأزمنة المستقبلية . والاشتراكية

عربية غير ماركسية ، وتميز عن الشيوعية ، وتعتبر نفسها مدعوة  
قاية البلاد العربية منها .

ولكن الحضم الاقليمي الحقيقي للاستراكية العربية ، ولم ينجح  
لرئيس جمال عبد الناصر في ذلك ، هو « الرجعية » . وتعتبر هذه  
لاخيرة عن عواطف محافظة ظلت منتشرة بصورة عريضة وظهرت بأشكال  
متعددة . ان حاكمي الأمس « الوجهاء » البورجوازيين ، الملاك ،  
التجار وضعوا خارج القضية بالتدابير الأولى التي اتخذتها الحكومات  
الاستراكية العربية وزالوا أو تكميسوا ؛ وهناك جماعات نشيطة  
سياسية - دينية ، مثل جمعية الاخوان المسلمين في مصر أو الجبهة الاسلامية  
في سورية ، حاولت أن تناضل بالتأمر او بالحركة ، ولكن ضرب على  
يدها . ولم تظهر المقاومة الأساسية إلا عندما قام الملك فيصل آل سعود  
الذي توصل إلى السلطة في خريف ١٩٦٤ وأصلح مملكته في اتجاه نظام  
حديث ، وعارض ببنيات اسلامية تقليدية ، ولكنها متجددة ، مasher  
الاستراكيات العربية كتقدمية اسلامية . وعرض على هذا النحو اختياراً  
ربما يكون قادراً على تحريض القوى المحافظة التي مازالت عتيبة في كل مكان  
تقريباً . ولكن أزمة ١٩٦٧ ولدت نوعاً من هدنة عقائدية بين العرب .

وبالمقابل ، يبدو أن النظام البرلماني لم يحافظ إلا على مواقع انطواء  
أو انتظار تتفق مع حالات خاصة . ففي أعقاب الانتداب كان دورياً  
في سورية واعتبارياً في العراق ، حيث كانت السلالة الهاشمية تغطي  
دكتاتورية « رجل قوي » ، نوري باشا السعيد .

وفي ايران ، لم يتحقق النظام البرلماني بعد ، ومعارضة سلطة الامبراطور  
الابوية المستتيرة يعبر عنها برد فعل الزعماء الدينيين او الاقطاعيين أو مفكري  
اليسار . وليس له معنى حقاً في الاردن ، حيث تعتبر شخصية الملك

حسين الكل في الكل . ولكنه بشكل في تركيا ، حيث عبر عن الاتجاهات السياسية والاجتماعية بوضوح كثير أو قليل ، بأحزاب . واذا استثنينا أدوار السلطة شبه شخصية ، كما هي الحال في عهد المرحوم عدنان مندريس ، فان قاعدة القضية ظلت محترمة رسمياً . وكذا الحال في اسرائيل . فقد شجع التمثيل النسبي ، بالرغم من جهد التجمع ، على كثرة الاحزاب ، وتعتمد الحكومة دوماً على ائتلاف محوره حزب الماباي ، الوسط الايسر أو الاشتراكي المعتدل . وفي لبنان ، كان البناء البرلماني نافذ المفعول دون تغيير منذ ١٩٢٦ ، وفي ذلك ما يؤلف رقماً قياسياً اقليمياً للاستقرار ، ولكن شكل التمثيل هنا خاص جداً ، لأن المقاعد البرلمانية توزع على الطوائف بالنسبة لعدددها . وكل نائب ينتخب مع ذلك من قبل ناخبي جميع الطوائف . وهذا الوضع يجعل من البرلمانات آلة وفاق بين الطوائف واتحاداً وطنياً ، ولكنه يشله .

ولا يوجد أحزاب حقيقية ، بل عشائر أو كتل متجمعة حول شخصية ، والسلطات التقليدية تحافظ على وزن سيامي عظيم .

### التوازنات الجهادية والتوترات الداخلية

تتقاسم الشرق الادنى ثلاث مجموعات سياسية متفاوتة السعة وهي : المنطقة العربية ، الطرف الشمالي ، اسرائيل الغاصبة .

تتميز المنطقة العربية بلغة واحدة وحضارة واحدة ، وتطلع إلى تشكيل وحدة سياسية تمتد إلى المغرب العربي ؛ ولكنها تكشف عن نعرات شديدة تتفق مع اختلاف الاقسام الطبيعية : « كالهلال الحبيب » ، وشبه الجزيرة العربية ، ومصر ؛ ومع العواصم التاريخية : دمشق ، تاريخ مصرنا (٣٢)

بغداد ، القاهرة ، مكة المكرمة ، النج . والدول العربية المعاصرة :  
سورية ، العراق ، مصر ، النج .

ولذا اقترحت عدة أشكال للوحدة العربية ، وفي الغالب متواجدة  
معاً ، وأدى ذلك إلى خلافات شديدة بين الدول العربية . أما نموذج  
« الهلال الحبيب » ، الذي كانت السلالة الهاشمية في العراق بطله ،  
فقد فضله « الحزب القومي السوري » . وامن هذا الحزب يلفت النظر ،  
وقد اطلقتة النخبة اللبنانية والسورية المتعلمة ، وهذا الحزب سري اليوم  
ولكنه قوي نشيط . وبالمقابل سويت الوحدة الشاملة ، بأجاء القاهرة ،  
بشكل جامعة الدول العربية ، بموجب ميثاق ٢٢ آذار ١٩٤٥ ، وضمت ،  
إلى الدول العربية المؤسسة السبع ، السودان والكويت واليمن الجنوبية  
المتحررة فقط عام ١٩٥٦ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ ، وبلاد افريقية الشالية  
الاربعة . وهذا الامتداد الجغرافي لايتسامح به إلا بفضل مرونة التعهد ؛  
ولايمكن اتخاذ أي قرار إلا بالاجماع لذا لايتستطيع الجامعة حل الخلافات  
بين الدول العربية . ومن هنا كان حرد العراق ، وتونس ، والصدام  
السوري - المصري في قلب الجامعة نفسها . ولكنها أنشأت بجهد بعض  
النظم الوجدوية ، كالمواصلات والتجارة والثقافة ، النج ، وبخاصة عملت  
كناد دبلوماسي لتقدم للخارج وجهات النظر العربية ؛ وبهذا الشكل ،  
فتحت الطريق لأشكال من التضامن الأفروآسي .

وتزجو العاطفة الوجدوية العربية أن تذهب إلى بعيد ، ولكن  
انتخاب الطريق للوصول الى ذلك يلزم الصفة المستقبلية للمؤسسة .

يرى بعض أن الوحدة لايمكن أن تفهم الا حول دولة ، أو رئيس ،  
على أن تقبل هيمنتها أو هيمنته ؛ وهذه هي الناصرية ووسائلها السلطة

المتجسدة في شخص الرئيس والمركزية . ويرى آخرون أن الوحدة تكون بتجميع قائم على المساواة بين الدول الحالية التي ستصبح كيانات تابعة . وهذه هي النظرية البعثية التي تعتمد على القيادة الجماعية . وإذا أخفقت الوحدة بين سورية ومصر من ١٩٥٨ - ١٩٦١ ، والاتفاق الثلاثي في عام ١٩٦٣ فذلك لأنها لم يجلا أولاً التناهد بين هاتين النظريتين . وطريقة التقارب الجديدة التي حاولها الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٤ ، بإنشاء اتحادات ثنائية : الجمهورية العربية المتحدة - اليمن ؛ الجمهورية العربية المتحدة - العراق ، توجهاً بحال رئاسة ، متساوية مبدئياً وتهدف إلى الانسجام المتوازي في النظم الداخلية ، هي أكثر حذراً وتعتدلاً ، ولكن التفاوت بين القامات الوطنية والشخصية خطأ التجربة ، التي لم تقم في الواقع إلا على علاقات سيد ومسود أو سيد وزبون .

وهذه الاخفاقات تسمح باستخلاص صعوبة تحقيق الوحدة العربية حالياً ولكن دون انكار استحكام الحنين إلى الوحدة وتحقيقها في مستقبل قريب أو بعيد . وهنا توجد قوة جاهزة دوماً رغم أن استعمالها لا يخلو من مشقة وعسر .

أما « الطرف الشمالي » فقد وضع قضايا أقل عسراً . ولذا لا توجد هنا قضية في الذهاب إلى أبعد من تحالف بسيط يتجاوب مع المصالح المشتركة الواضحة جيداً وهي الدفاع ضد الخطر السوفياتي والتنمية المنسجمة . ان حلف بغداد ( ١٩٥٥ ) ، الذي نشط العراق ، أفسد التوازن السيامي الضعيف للمنطقة العربية ، ونجح بالمقابل ، في إعطاء شكل دستوري إلى التضامن الايراني - التركي . وبعد انفصال العراق ، أتمه الحلف المركزي « السنسو » ( ١٩٥٩ ) وخرج منه تدريجياً تفاهم قاصر على الاتراب الشرقيين ، والمجلس الاقليمي للتنمية . وبدت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة متعاونتين معه من الخارج . وفقد

المظهر العسكري للحلف أهميته تدريجياً : فقد الحث إيران أولاً ، وبالتالي تركيا على طابعه الدفاعي المحض وأكدتا أو حسنتا علاقاتهما مع الاتحاد السوفياتي ؛ وفاق المظهر الاقتصادي باقامة ارتباطات بين الطرق البرية والسكك الحديدية والمواصلات السلكية واللاسلكية وبعض الانسجام في الخطط والمشاريع . وبدخول باكستان تجاوزت المجموعة المنحقة على هذا النحو حدود الشرق الادنى .

وتظهر اسرائيل عنصراً منعزلاً دخيلاً على البلاد العربية غريباً عنها ، ولقد نشأت عن اليهودية العالمية ومازالت مرتبطة بها ، ونهيها لها سبب وجود معنوي ، ونوعاً من امتداد قومي . وتلقى منها موارد من المال ، لا يمكن الاستعاضة عنها حالياً ، ومن الرجال . وعلى هذا النحو تبدو عنصراً محلياً لمجموعة عالمية ، ووضعاً شرقياً لتوازن جماعي غريب ، مما يجعل لها وزناً في المنطقة ، ومعنى لا يملكه وحدها . ولكن ألا يخالف وجود اسرائيل في هذه المنطقة العربية طبيعة الاشياء والعقل والمنطق .

ان تكييف هذه المجموعات الثلاث : المنطقة العربية ، الطرف الشمالي ، ، اسرائيل ، يحدث توترات داخلية تذهب من الاحتكاكات البسيطة إلى الخلافات الحادة ؛ وان حدود امتداد الحضارات والشعوب العربي والتركي والايراني لا تنطبق ، في الواقع ، بالضبط على الحدود السياسية . وفي ذلك ما يجعل اسرائيل في نظر العرب غريبة عن كونها دخيلة ومعتمدة على أرضهم .

وبين تركيا والبلاد العربية خلاف حاد بشأن هاتاي ، وذلك لأن سورية لا يمكن أن تدعن أو أن تستسلم لاقطاع سنجق الاسكندرونه الذي جرى في عهد الانتداب الفرنسي عام ١٩٣٩ والحق قسماً عظيماً من الناطقين باللغة العربية من أبناءها بتركيا .



وبين ايران والعراق تخضع الحدود إلى منازعات تفصيلية على طول شط العرب وتدع تحت السيطرة الايرانية ناطقين باللغة العربية من اقليمي خوزستان وعربستان . وتطالب ايران بالبحرين كما أن تحديد المياه القومية للخليج العربي والاعماق البترولية التي تغطيها هذه المياه ، وبخاصة التفوق السيامي في المنطقة يمكن أن تفسح مكاناً للمنازعة .

وهناك حالة خاصة هامة مازالت تعطي مجالا لصعوبات خطيرة ، وهي قضية اسكان الاكراد ، وهم من ارومة ايرانية : والشعب الكردي ، بالرغم من عواطفه لم يؤلف أمة بعد وهو مقسم سياسياً بين تركيا وإيران والعراق وسورية وارمينية السوفياتية . وكانت القضية حادة في تركيا قبل الحرب العالمية الثانية وبقيت عديدة ، وفي إيران في ١٩٤٥ - ٤٦ ، وهي موضوعة اليوم بشكل جدي في العراق ، حيث يناضل الأكراد من جديد منذ ١٩٦١ في سبيل الاستقلال الذاتي الذي يوعدون به ، وقد منحوه في ١٩٧٠ .

وقام بين الشعب العربي في المشرق نزاعان مسلحان يلفتان النظر : اليمن والجنوب العربي . قامت أزمة اليمن نتيجة لحركة انقلابية عسكرية غير تامة وأدخلت عوامل مختلفة جداً . وبالرغم من أن الامام الزيدي مع مايسانده من القبائل التقليدية ، يناضل ضد الجمهوريين ، فلم يستطع ضم كافة الزيديين لأن بعضهم يعادون السلالة ، كالمباريشال السلالة نفسه . وبالمقابل ، اصطفت القبائل السنية إلى جانب المتمردين ، الذين يستمدون قوتهم من الروح المحافظة ومن عاطفة العداء حيال التدخل الاجنبي الذي يمثله المصريون . أما المعتدلون من الجمهوريين ، الذين يزعمون تأسيس « قوة ثالثة » فيحاولون البحث عن تسوية مختلفة وراءها طويلاً كل معسكر مع اقتناعه بعدم الخضوع . والكفاح في هذا البلد هو في

آن واحد اجتماعي - ديني ، عقائدي ، وقومي . وقبلت الدولتان اللتان غذتاه من الخارج ، الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، في ١٩٦٥ ، ومن جديد في ١٩٦٧ أن يتحررا من كل التزام بغية تشكيل الاتحاد العربي أمام اسرائيل . وانسحبت الجيوش المصرية ، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وزال السلال لصالح الجمهوريين المعتدلين في ٥ تشرين الثاني .

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية توجد حالات يجدر تمييزها . فبالرغم من أن عروبة القاهرة تريد شمولها في نضال جمع ضد الامبريالية البريطانية ، فقد ادعت بريطانيا بحقوق محميةها في الخليج على واحة البريمي التي يطالب بها السعوديون . وقاالت أمام عمان الذي ثار على سلطان مسقط، زبون لندن ، بدافع عقائدي خارجي ( من الحوارج الاباضية ) وقومي وبخاصة ، بحثت عن حل لقضية عدن . وربما أوشكت أن تنجح في تشكيل اتحاد الجنوب العربي ، الذي سيستقل في عام ١٩٦٨ ويوازن الوطنيين والنقابيين في المدينة بشيوخ المحميات المحافظين ، لولا أن الجمهورية العربية المتحدة ، بغية معاكسة الحطط الانكليزية في بقاء التسهيلات الستراتيجية ، أثارت الارهاب . ودعم هذا الارهاب بالعاطفة الوطنية المحلية ، وطوال صيف ١٩٦٧ ، عمل على اخفاق الحكومة الاتحادية ودفع البريطانيين إلى الاذعان لمشينة الوطنيين باستلام السلطة . واعلنت جمهورية اليمن الشعبية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

إن خلافات اليمن والجنوب العربي التي جهزت الرئيس جمال عبد الناصر بوسيلة الدفاع ، ثبتت طويلا قسماً من قوته وأسهمت على هذا النحو ، على بماطلته في موضوع فلسطين . وان النزاع العربي - الامرائيلي ، الذي عقد منذ ١٩٣٦ ، وعبر عنه بشكل بين - دولي منذ ١٩٤٨ ، وآل ، خلال

ثلاث مرات ، إلى تجربة القوة ، يؤلف قضية الشرق الحادة اليوم . واسرائيل التي تعتبر نفسها غالبية بقوة السلاح في ١٩٦٧ مازالت مستمرة في التأكيد بأنها تريد فقط تأمين حياتها وأمنها على أرض تطالب بها بامم التاريخ الذي أخفى عليه الدهر وتريد انعاشه في عصر يقظة الشعوب . والشعب العربي من جهة أخرى ، يطالب بأرضه المغتصبة في فلسطين المحتلة ويعتبر اسرائيل وجودها في فلسطين عدواناً لا يمكن السكوت عليه والتسامح به . وهو رفض التفاوض مع اسرائيل مستنكراً عملها . ومازالت الدبلوماسية الدولية حتى الان تبحث عن طرق للحل . ويفكر بعضهم ، في اسرائيل ، ويريدون أن يأملو بإمكان التعايش بين العرب واليهود . وهذه هي حال اشتراكي اليسار المتطرف في حزب المابام وحركة « البيان السامي » الذي وضعه أوري آفنيري وتتلخص في أن التحسين المعنوي والنفسي لحالة العرب ، الطيبة مادياً ، في اسرائيل ، ومنح شروط مقبولة لحياة السكان في الضفة الغربية المحتلة ، كل ذلك يبرهن على امكان هذا التعايش . وهكذا ينشأ شعب اسرائيلي ويؤلف الاكثوية على أرض فلسطين ولا يشعر بأنه رأس جسر للغرب ، ويرتبط قليلا باليهودية العالمية . غير أن الاحداث الجديدة زادت في التضامن الفعلي بين اليهودية العالمية ( دياسبورا ) ودولة اسرائيل .

ولكن حل قضية فلسطين لا تتعلق بالصهيانة وحدهم لأن الشعب العربي وقد حنكته التجارب المرة ، سينور يوماً على الاوضاع القائمة ويعرف كيف يجد الطرق الكفيلة باسترداد الحق السليب وعودة البلاد إلى أهلها العرب وحدهم دون منازع ولاغاصب .

## التنمية

أن الدور الطبيعي للشرق الادنى ، كعقدة للمواصلات ومركز للعبور والسمسرة ، يتأكد في نفس الوقت الذي تتأكد فيه مكانته العالمية كمجهز بالمواد الاولية الاساسية ، البترول والقطن وبعض الحاصلات الثانوية .

ولكن الصناعة ظلت محلية ونائية ، ومستويات الحياة متفاوتة جداً ، ومازالت المنطقة تشارك العالم الثالث في تخلفه .

ان طرق المواصلات تتنوع وتزداد . ففي البر تضاف الطرق في كل مكان إلى السكك الحديدية التي بقيت هامة في تركيا وايران ووادي النيل والدلتا والعراق ، ولكنها لا تعتبر في باقي العالم العربي . وفي البحر تظل قناة السويس طريقاً عالمياً عظيم الأهمية وتحسينها التنفي المتابع باستمرار يجعلها تصل إلى حمولات من ٦٠.٠٠٠ إلى ٧٠.٠٠٠ طن . ولكن الانعطاف عن طريق الكاب لنناقلات البترول العملاقة التي يزداد عددها وحولتها دون انقطاع ، أكثر اقتصاداً . ويبدو أن انسداد القناة في ١٩٦٧ أقل ازعاجاً لاوروبا منه في ١٩٥٦ .

وعندما تفتح القناة تبدو مهددة بفقدان قسم من خط نقل البترول بالاتجاه الجنوبي - الشمالي الذي مازال رئيسياً إلى عهد قريب . ولكنها ستظل تتقبل في الاتجاه الشمالي - الجنوبي ناقلات البترول التي تعود فارغة إلى الخليج العربي ، وحمولات الحبوب الغربية إلى الهند ، الخ . والمواني نشيطة : وتظل بيروت في الصف الاول ، غير أن اللاذقية وطرطوس في خدمة سورية ، والعقبة في خدمة الاردن والعراق ، دون الكلام عن حيفا وايلات في خدمة امراثيل الغاصبة تنافسها أو تتواءم مع

الحاجات الخاصة . وترتبط بور سعيد وعدن بطريق السويس . أما في النقل الجوي ، فيبقى الشرق الأدنى ، بالرغم من طرق الاستعاضة الجديدة : باريس - طوكيو ، عن طريق القطب الشمالي ؛ ولندن - سيدني ، عن طريق موسكو ونيودلهي ، إلخ ، مركز لقاء طبيعي نحو آسيا الجنوبية والشرق الأقصى ، وأستراليا وإفريقية الشرقية . ولقد دفعت التيارات التجارية الاتباعية سماعة من الصعب الاستعاضة عنهم : وتعتبر بيروت ، الميناء الحر ، مركزاً لأمثل له في الأعمال التجارية ، وسوف للذهب يعيش لبنان بخدماتها .

وازداد انتاج البترول في الشرق الأدنى بأكثر من عشرة اضعاف خلال عشرين عاماً ، وانتقل من أجل مجموع المنطقة من ٤٢ مليون طن في ١٩٤٥ إلى ٤٦٨ في ١٩٦٦ ، أي قرابة ٢٩٪ من انتاج الكرة ، من أجل احتياطات من المؤكد أنها تقارب ثلاثة أرباع المجموع العالمي . وكانت إيران في الرأس ، وقد انتجت في العام ١٩٦٦ ، مقدار ١٠٣ مليون طن ، ولكن العربية السعودية تجاوزتها بـ ( ١١٧ ) مليون ، والكويت بـ ( ١١٤ ) مليون ، على حين أن العراق لم يبلغ إلا ٦٧ مليون طن . وبالرغم من منافسة ليبيا الموضوعة من الوجهة الاقتصادية في غرب السويس ، والتي ستتجاوز الكويت بعد سنوات قليلة ، يبقى الشرق الأدنى مجموعة بترولية وحدها وقائمة بذاتها . وإن عائدات البترول التي كانت وماتزال موضع نقاش حاد وثافذ ، أفادت في قسم منها النفقات الباهظة ، في العربية السعودية قبل الملك فيصل ، أو الخدمات : مثل الخدمات الاجتماعية ، والتعليم العام وغيرها المجانية في الكويت وقطر . إلخ . وتستطيع العراق وإيران بصعوبة ، وفي الحد الأدنى العربية السعودية ، استخدامها في انشاء اقتصاد مستقل عن البترول .

وإلى كنز المال وشراء العقارات في بيروت أو وضع المال المنقول بالفائدة في مدينته لندن لحساب الكويت بخاصة تضاف القروض الماهرة التي تقوم بها الكويت أيضاً لتنمية الأردن ولبنان وتونس وغيرها . وجرت محاولة مقاطعة بتولية لشركاء إسرائيل الغربيين ، في صيف ١٩٦٧ . ولكن عدل عنها بعد أن أظهرت للمنتجين الشرقيين بأنهم لا يستطيعون الاستغناء عن هذا المورد . والبلاد الشرقية غير المنتجة للبتول ، وبعضها يفيد فقط من مرور خطوط الانابيب التي تصل العراق والعربية السعودية بشاطئ البحر المتوسط ، سورية ولبنان والأردن ، وبخاصة المرور من قناة السويس في جمهورية مصر العربية ، ترجو المشاركة أيضاً في مصدر الثروة البتولي . وقد قرر مؤتمر الذروة ، في الخرطوم ، في آب - ايلول ١٩٦٧ ، أن يذهب اسهام الكويت والعربية السعودية وليبيا على التوالي : ٥٥ ، ٥٠ ، ٣٠ مليون جنيه استرليني إلى جمهورية مصر العربية ( ٩٠ مليون ) والأردن ( ٤٥ مليون ) بغية المساعدة على نهوضها الاقتصادي .

والانتاج الزراعي موزع تقريباً بصورة متفاوئة كالموارد البتولية . إلا أن معظم الدول تفيد على الأقل من بعض المناطق الحصبية المسقية جيداً أو المروية ( قبل كل شيء مصر وبوادي النيل ودلتاه ، ولكن أيضاً تركيا مع شواطئ بحر ايجة وكيليكيا وإيران مع اذربيجان وغيلان ، وسورية بأراضي الحنطة في المعمورة وحوران ، الخ . ) ، والتقدم سائر وتأتي مصر في الرأس بالسد العالي في أسوان وضخ المياه الجوفية من الصحراء الغربية ؛ وتنظيم واستغلال نهري دجلة والفرات يمكنها من أن يسدا التأخر النسبي في بلاد ما بين النهرين السورية والعراقية . كما أن الافادة من مياه خوزستان يؤلف في إيران نموذجاً للنفاذ الأمريكي . هذا

ونكفي الموارد الغذائية في كل مكان تقريباً ، إلا في لبنان بخاصة ،  
الحاجات المحلية مقابل بعض المبادلات كالماشية العراقية والتركبة والسورية  
ويضعى بها بشكل منظم ، في مصر ، لاقتصاد السوق المؤسسة على  
القطن ذي الالياف الطويلة التي يبعث عنها . وقد عرفت السودان  
وكيليكيا التركية والسهول السورية بخاصة منذ بضع سنوات نهضة قطنية  
عظيمة . ولكن الدفع الديموغرافي يضع بشكل حاد في مصر وبشكل جدي  
أيضاً في تركيا ، قضايا الغذاء . ان السد العالي في أسوان ، الذي  
يساعد على تخزين واستعمال كامل غزارة النيل بما فيها الفيضانات الاستثنائية  
المتعددة ، لا يساعد مع ذلك إلا في بعض السنين على مجابهة الحاجات  
الناجمة عن هذا الدفع السكاني .

ولذا يبدو التصنيع مفيداً في كل مكان ، ولا غنى عنه من أجل  
تركيا ، وحيوياً بحق في مصر . وقد قام هذان البلدان به . ففي تركيا  
درست خطة خمسية مبدئية ، وأفادت من مساعدة الغرب ، ووجهت الجهد  
في هذا الاتجاه ، وأمنت تقدماً رصيناً . وفي جمهورية مصر العربية ،  
يسمح التيار الكهربائي ، الذي يجهزه السد العالي بكميات عظيمة وبسعر  
رخيص ، بالأمل بنمو صناعي تتصوره السلطات بأنه سيكون عظيماً  
وضخماً ، ولكنه ، نظراً لضعف القوة الشرائية الوطنية ، يتطلب منافذ  
خارجية : وهل من السهل وجودها ، كما يؤمل ، في افريقية ؟

وتبقى حالتان خاصتان هامتان ، لبنان وامرائيل . ان اللبنانيين  
يعيشون بصورة اتباعية من الخدمات . ولقد أكدت المهارة الكبرى  
والوضع الجغرافي الممتاز والتقاليد المديدة للتجارة ، والنظام الحكومي  
الحري والمشجع للمشروع الخاص ، كما عززت هذا الوضع الاستثنائي لبيروت  
كمكان تجاري ومصرفي ، ومنه خرج ازدهار البلاد . وهذه القاعدة

الاقتصادية « الثلاثية » بشكل وحيد تقريباً ، ظهرت في السنوات الأخيرة ضيقة قليلاً ، وبدافع من الجنوال شهاب درست خطة ، كما تصورت في الوقت نفسه اجراءات لانعاش الجبل بغية توازن الأهمية الزائدة للعاصمة . ولكن يبدو أن مثل هذا التغيير صعب التحقيق ولو جزئياً وتدرجياً ، بالرغم من أن انقطاع نشاط بنك انترا ، في ١٩٦٦ ، من خطر بعض المضاربات المالية ، قد دل على الضرورة العاجلة لتوازن اقتصادي أفضل .

أما امراثل فقد حاصرتها المقاطعة العربية ، واضطرتها إلى البحث عن منافذ في باقي العالم . غير أن حركية القسم الاعظم من سكانها الأوروبي الأصل وقيمتها التقنية ووفرة التوظيفات المالية التي تفيد منها ساعدتها على انشاء اقتصاد من نوع غربي مبني على زراعة السوق والصناعات التحريلية التي توسعت توسعاً سريعاً ليس بالسهل ضبطه .

## الشرق والعالم

إن الشرق الأدنى ، الذي بدأ خلاصه من الاستعمار مبكراً وكان بالاجمال بطيئاً وما زال ناقصاً بعد ، لم يتجه بصورة أساسية ، على خلاف افريقية ، نحو الدول الغربية المسيطرة من قبل لقبول المساعدة منها . ان موقفه حيال العالم الخارجي كان أكثر تعقيداً . أولاً لأن الانطباع ، في قسمه العربي على الأقل ، كان في أن السيطرة الغربية تحاول الامتداد لا بقواعد وبسيطرة اقتصادية فحسب ، وإنما ، بخاصة ، بالبوثة الامبريالية ، امراثل . وأيضاً ، لأنه كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار جوار الاتحاد السوفياتي ، وذلك ما يستطيع عمله بأشكال مختلفة : باشتواكه فيما يتعلق به باحتياطات الغرب الدفاعية ، وهذه حال « الطرف الشمالي » ، أو باستخدام



امكانيات اللعب ، حتى المزايدة ، المقدمة على هذا النحو ، وهذا ما فعلته معظم البلاد العربية .

لقد انطلقت دولنا « الطرف الشمالي » ، تركيا وايران ، منذ ١٩٤٥ ، من اتفاقات دفاعية وأحلاف حماية وصيانة مع الغرب ، ثم تطورت قليلاً قليلاً نحو علاقات ودية مع جار الشمال القوي ، دون الاضرار بالعلاقات التفضيلية مع الغرب .

وبالمقابل ، وضعت البلاد العربية ، مع قليل من الاستثناء ، في الحرب الباردة بين الغرب والشرق ، الموقف المحايد الذي فضله أثناء الحرب العالمية الثانية . وأفادت في البدء من ذلك لتلعب لصالحها بالمنافسات بين الديمقراطيات الغربية والعالم السوفياتي ، ولكن عندما بدأت الكتلتان تقبلان بالتعايش السلمي ، أصبحت ، بالعكس ، بالنسبة لهما ميداناً من الميادين الأخيرة المغلقة التي تستطيعان فيها الاستمرار بالمعارضة صراً .

فرنسا . — بين الدول الخمس الكبرى ، تعتبر فرنسا الدولة الوحيدة التي ليس لها أهداف سياسية بصورة أصلية في الشرق الأدنى . فهي تقيم ، مع لبنان ، وأيضاً مع تركيا وايران « صداقات متينة وقديمة دون ارتباطات » . ومنذ أن زالت آثار أزمني الجزائر والسويس ، أقامت علاقات ودية مع سورية والاردن والعربية السعودية ، والكويت ، والجمهورية العربية المتحدة ، مع الحفاظ على علاقاتها التقليدية مع اسرائيل . ولكن تحفظ حكومة باريس أثناء أزمة حزيران ١٩٦٧ خيب رجاء اسرائيل . وتعتبر فرنسا زبوناً مميناً لبتول الشرق ، ويمكنها أن تحاول بيع الكثير في هذه المنطقة . وهي تهتم بخاصة بتعزيز اشعاعها الفكري بالتوسيع والتجديد ، الكثيف بشدة في لبنان ، حيث يوجد ثنائية لغوية

حقيقية عربية - فرنسية ، وهامة أيضاً في سورية ، ايران ، امراثل ، وحتى في تركيا ، ومن الممكن أن تنمو وتتقدم في غيرها .

بريطانيا العظمى . - أصيبت هي أيضاً ، كفرنسا ، محلياً بقضية السويس ، وما زالت تمسك بعد في المنطقة بمواقع استعمارية ، أو استعمارية - مستعارة ( سلطنة مسقط وامارات الخليج العربي ) . وتغذي حولها عملاً سياسياً من بقايا العهد السابق يحاول أن يتكيف مع الظروف بهارة ونجاح . وما زال الوجود البريطاني في المشرق يعيش على هذا النحو ، على قضيته الأساسية التي تكمن حتى ١٩٤٧ ، في ضرورة « مواصلات الامبراطورية » مع الهند ؛ ويوجد هذا التبرير لحدما في رغبة لندن بالاستمرار في أن تلعب دوراً استراتيجياً في المحيط الهندي ، وغطاء للهند ، عضو الكومنولث ، وربما أكثر من ذلك أيضاً في قناعة الحكومة ، التي يناقشها قسم من الرأي ، بأن أمن البترول - الاسترليني للخليج العربي يتعلق بالقوات البريطانية المرابطة عن كسب في البحرين . وقد أعيد النظر بهذه الأوضاع في بداية ١٩٦٨ . واستقلت البحرين في ١٩٧١ . وكانت السياسة البريطانية ، في القسم الاعظم منها ، تعتمد على وجود حليف مفضل في الشرق العربي : حتى ١٩٥٨ العراق ، في ١٩٦١ ربما الكويت المستقلة ، ثم على مشروع دقيق ، ولكنه أخفق ، وهو الجنوب العربي المتحد حيث توازن محافظة المشايخ المحمين قومية المتطورين في عدن . والنقطة الضعيفة في السياسة البريطانية في الشرق ، عدا الطابع البالي لبعض وسائلها « كالسياسة العربية » و « دبلوماسية ثغرة المدفع » ، تكمن في عدا مصر لها ، ولم تنجح لندن في تخفيفه إلا خلال فترة قصيرة من صيف ١٩٥٤ إلى صيف ١٩٥٦ ومن جديد في آخر ١٩٦٧ .

الولايات المتحدة . - عندها من الوسائل ما لا تتصرف به انكثرا ، ولكنها لم تفهم إلا ببطء وصعوبة « معنى » هذه المنطقة الدقيقة . ومع ذلك فقد تطورت سياستها ، وبخاصة ابتداءً من ١٩٦١ ، تبعاً للوقائع المحلية المقدرة بشكل أفضل ، وبعد أن اقترحت ، وحتى حاولت أن تفرض ، أحلاماً ومبادئ ، عرضت اتفاقات . إن الدخول في إجراءات الدفاع الغربية ، قبل في « الطرف الشمالي » ، منذ ١٩٤٥ ، إلا أنه رفض ، في ١٩٥١ ، بتفجير ، ثم قبلته مصر في ١٩٥٤ ، فترة ، بصورة غير مباشرة ، ثم من جديد غطي بالعار ، من دمشق إلى القاهرة ، ابتداءً من اللحظة التي جذب فيها العراق ، في العام ١٩٥٥ . إن رعايتها الأولية لامرأيل واضحة . فقد اعترفت بها في الواقع ، في ١٩٤٨ ، بعد ست عشرة دقيقة على إعلانها كدولة . وعزمها المؤكد في ١٩٥٠ بالاستتراك مع بريطانيا العظمى وفرنسا ، في الحفاظ على « الوضع الراهن » الشرقي ، أي ضمان وجود إسرائيل . وإرادة فوستر دالس الناعمة بسداجة في صيد مصر والاتحاد السوفياتي بالفتح ، في ١٩٥٦ ، بالوعد الآفل في تمويل السد العالي في اسوان ؛ ومحاولة إيريك جونسون السلمي الذي اعتبره العرب مثيلاً لأنه يؤمن تقسيم مياه الاردن بين العرب والامرائيليين وتوطيد اللاجئين العرب ؛ والصيغة غير المناسبة « لمذهب آيزنهاور » الذي يزعم ، في بداية ١٩٥٧ ، سد « الفراغ السيامي » في المشرق العربي ويهدف ، دون نجاح ، إلى معاكسة عمل جمال عبد الناصر ؛ وعمليات الانزال ، في تموز ١٩٥٨ ، في لبنان ، بناء على طلب الرئيس شمعون . وقد حمل العرب كل هذا للولايات المتحدة لأنه كان أثقل كثيراً من تدخلها ، الموازي لتدخل الاتحاد السوفياتي ، على ما يخالف الفرنسيين والبريطانيين ، في قضية السويس ، وحديثها الودي إلى اللاجئين العرب الذين

تدبر أمورهم وكالة الغوث ( L . U . N . R . W . A ) ، وثباتها زمناً طويلاً في تقديم عون وافر لا يئيل . وبعد ١٩٥٨ ، وبخاصة بعد المبادرة السعيدة التي اتخذها ، في ١٩٦١ ، الرئيس كينيدي عن طريق الاتصال الشخصي بالمراسلة مع الرئيس جمال عبد الناصر ، تغيرت هذه السياسة بشكل عظيم ؛ وقبلت المنافسة ، وبالتالي تجمع العون الامريكي والعون السوفياتي لمصر ، وإذا استمرت بضمان امرائيل ، فذلك صراً بوجود الاسطول السادس في البحر المتوسط .

ولكن حكومة واشنطن تعرضت منذ عهد قريب لكرهية عميقة من قبل أكثر الأحزاب التزاماً بالعروبة وذلك أولاً : بسبب انقطاع تسليم الفائض من المواد الغذائية إلى الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦٦ ، وثانياً بموقفها المكشوف شريكاً نشيطاً في العدوان الاسرائيلي في ربيع ١٩٦٧ .

الاتحاد السوفياتي . - لم يظهر في البدء ، في المشرق العربي ، إلا ببعثات دورية ومحاولات تسلل في الأوساط الفكرية ولدى بعض الاقليات . وفجأة ، في عام ١٩٥٥ ، وبسبب تسليم غير مشروط للأسلحة جعل الشعب العربي يشعر ببارقة أمل بشأن ممكن ضد اسرائيل ، ودغدغ اهواءه ، كسب الاتحاد السوفياتي في البلاد العربية مركزاً عظيماً معنوياً وسياسياً . واقتصر ، كما كان يفعل ملوك فرنسا في البلاد الألمانية ، على أن يبقى في الشرق « القضايا » في صعوبة عظيمة ما أمكن ، ، واكتفى بمنع الغرب من تنظيم المنطقة وامتنع عن أعمارها بنفسه . وفي شتاء ١٩٥٨ - ١٩٥٩ لم يتنازل بتشكيل ديموقراطية شعبية في العراق وتحمل طويلاً الشدة التي استعملتها حكومة القاهرة حيال الشيوعيين المحليين بعد أن بداله أن نفاذهم قليل الأهمية . وركز بهارة مساعدته المالية والتقنية

على انشاء السد العالي في اسوان ، وأخذ على عاتقه تبعته ، وحقق أثراً ضخماً للدعاية ، وربما يكون على هذا النحو قد هباً ، مع التصنيع ، طبقة كادحة مصرية تساعد على أجل في القيام بثورة تبدو له بأنها لم تستكمل شروطها اليوم .

وبدا موقفه في أزمة ١٩٦٧ مهماً وملتبساً ، وازدورت البلاد العربية نفسها على المساعدة التي كان من الممكن أن تنتظرها منه ، ولكنها تلقت منه تعويضاً جزئياً لحمايتها في الاسلحة والعتاد العسكري ، ويبدو أنها تستمر قبل كل شيء في الاعتماد على مساندته السياسية والدبلوماسية .

أما الطرف الشمالي ، فلم يظهر بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي ساحة دفاع يكره الحفر من الداخل ، بل كسياس تترج الرقابة السرية عليه بمساعدة ودية آخذة بالأهمية تدريجياً .

الصين . - تأثيرها عظيم وجذاب ولكنه يقلق . وحركتها المميزة ، عدا عن المساعدة الفنية الدورية المحولة لليمن ، تقوم على تشجيع مفرط يبذل إلى التطرف اللفظي لمنظمة تحرير فلسطين . وما زالت أهميتها مستمرة لأنها تتأني بخاصة عن سلاحها النووي . ويرى الكثيرون أن من الممكن على وجه الاحتمال أن تفيد به حركة ثورية ما في العالم الثالث .

ولكن المشرق العربي ، الذي لعب على الحرب الباردة بين الشرق والغرب ويلاحظ أيضاً باهتمام امتداداتها السرية كثيراً أو قليلاً على أرضه ، لا يملك ، على ما يبدو ، الوسائط أو الذوق في حشر نفسه في النزاع الداخلي للعالم الشيوعي .

وربما يؤلف هذا الحذر ، في الوقت الحاضر ، الصفة المطننة ، بل المطننة الوحيدة لسياسته الشاملة التي تسيطر عليها قضية فلسطين المعقدة .

## الفصل الثاني عشر

### الشرق الاقصى

#### تقديم

إذا كانت آسيا أوسع القارات مساحة بـ ٤٤ مليون كيلو متر مربع فالشرق الاقصى يؤلف فيها القسم الأكثر كثافة بالسكان بـ : ٤٣٦,٠٠٠,٠٠٠ و ٦٨٧,١ في شطر من الكرة يقع بين ٦٠° و ١٦٠° طول شرقاً ، ويمتد من خط الاستواء إلى ٥٠° عرض شمالاً ، مع العلم أن سكان العالم في العام ١٩٦٦ بلغ ٣,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة . وتساكن فيه اليوم ثلاث وعشرون دولة مستقلة تؤلف خمسة قطاعات كبرى :

١ - الهند ، وتجتمع حولها الباكستان ، افغانستان ، النيبال ، بوتان ، سيلان ، وجزر مالديف .

٢ - الصين ، مع مونغوليا ، فورموزا ، جمهورية كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية .

٣ - الكتلة الهندية - الصينية ، وتضم يمانيا ( بورما ) ، التايلاند ، كامبوديا ، لاؤس ، فيت - نام الشمالية ، فيت - نام الجنوبية ، ماليزيا ( ملايو ) وسنغافورة ؛

٤ - الأرخبيل الياباني .

٥ - ارخبيلات جنوب - شرقي آسيا : اندونيسيا ، الفيليبين

وفي كل زمان ، أفاد الشرق الاقصى ميداناً مغلقاً على الفاتحين المهتمين بتوكيد سلطتهم أو ، بشكل أبسط ، الجشعين إلى السلع الثمينة . وهكذا أصبح طريق الحرير ، خلال العصور ، طريق الغزو . ومن هنا كان الاحتكاك غير منقطع بين الاعراق ، التي توجد نماذجها الاصلية الثلاثة ، النقية كثيراً أو قليلاً ، في مختلف أجزاء القارة :

١ - الزنوج ذوو القامة الصغيرة ، واللون الاسود الداكن ، والشعر القصير الاجعد ، بين منحدرات همالايا ، كمبوديا وماليزيا ؛

٢ - الآريون ذوو الجلد الابيض نسبياً والقسمات المنتظمة ، في الهند ؛

٣ - الصفر ذوو الشعر الاسود الأملس ، والوجه العريض ، والحدود الناتئة ، والعيون المشدودة جانبياً ، ويظهرون بكثرة في البلاد الآسيوية الاخرى .

وقد لعب التدخل المتعاقب للدوغول الاغريق والفرس والعرب ومسيحي أوربة الغربية دوراً قاطعاً في مزج هؤلاء السكان .

وكان الشرق الاقصى ومازال ملتقى أعراق ومكان لقاء للتيارات الروحية الكبرى التي ولدت ، أحياناً ، فروعاً متنافسة ، كالهندية والبوذية والكونفوشية والطاوية والشتوية ، أو التي اصطدمت فيه بعنف في أحيان أخرى .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، كان الشرق الاقصى بكامله تقريباً مقسماً بين الدول الامبريالية ، التي تحولت عنه زمناً ثم عادت اليه بقوة عندما سوت حساباتها في أوربه . ووجدت فيه حالة جديدة مطبوعة بالدور المتفوق ، الذي يلعبه الاتحاد السوفياتي ، وبقطة القوميات أيضاً .

في الهند ، طالب الماهاتما غاندي بـ السفاديشي أي الاستقلال التام ، وبشر بالثورة السلبية . وفي الصين ، وجه الزعيم سن يات - سين الحزب الوطني ( كيو - من - نانغ ) لمهاجمة السلطة الامبراطورية . وعند وفاته ، في ١٩٢٥ ، خلفه تشانغ كاي - تشيك في هذا النضال . وسيكون مصيره غريباً لأنه كان طوراً وطوراً عدواً ، وحليفاً ، ومغلوباً للحزب الشيوعي الصيني ، الذي يواجهه ماوتسه - تونغ ، ليوشاو - شي ، شوان - لاي ، شو - ته ، شين - يي ، لن يياؤ وتسجل « المسيرة الطويلة » في ١٩٣٥ نقطة الذروة لأول مجابهة بين تشانغ و ماو . ثم تصالح الرجلان ، في ١٩٣٧ ، بعد عدوان اليابان الغاثم ، ثم عادا وتجاها من جديد في ١٩٤٥ ، بعد عودة السلام ، وكان ماو ، في هذه المرة ، غالباً .

ودفع القومية نفسه ، الذي تشجعه انعكاسات أزمة ١٩٢٩ ، يوجد في جنوب - شرقي آسيا كله : فقد الف الدكتور سوكارنو ، في اندونيسيا ، في عام ١٩٢٧ ، الحزب الوطني الاندونيسي ؛ ووجه هوشي منه الحزب الشيوعي في الهند الصينية منذ ١٩٣٠ ، وسيصبح رفاقه في الكفاح منظمات سياسية - دينية : كاؤداي و هوا - هاؤ .

ومنذ ١٩١٦ ، خولت الولايات المتحدة نصف - استقلال ذاتي إلى الفلبين ، حيث شكل هانيويل كويرزون ، في ١٩٣٥ ، حكومة مسؤولة رغم أن واشنطن مازالت تختص بالسياسة الخارجية والعدلية .

وفي برمانيا ( بورما ) ، المنفصلة عن الهند ، حاولت بريطانيا العظمى القيام باصلاحات بمائلة .

ومها تكن ردود فعل الدول الاستعمارية ، من تسويات أو مقاومات فظيعة ، فيجب أن تعترف بأن الحركة عامة ، لاتقاوم . وعليها طوعاً أو كرهاً أن تتخلى عن فتوحاتها .



ولقد عجلت الحرب العالمية الثانية أيضاً بهذا السير والنمو ، وسجلت نهاية الاستعمار ، وفتحت عهداً جديداً في تاريخ البشرية : عهد الاستعمار الآخذ بالتحسن بوتيرة مريعة .

## اليابان

### هلم اليابان الجنوبي

لم تنتظر اليابان انضمامها إلى الميثاق الثلاثي ، مع ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية ، في ١٩٤٠ ، لتبسط دمجها الحيوي ، بواسطة سياسة القوة . ولكن قبلة هيروشيما ، في ٦ آب ١٩٤٥ ، أنهت حلمها الجنوبي في الهيمنة ؛ وكان على طوكيو أن تستسلم وتجلي عن جميع الأراضي التي احتلتها بغیر محق ، مثل منشوريا والصين .

وخسرت ، عدا ذلك ، البلاد التي كانت فتحها واستعمرتها لتجعل منها مجزأ أساسياً لها بالمواد الأولية : شبه جزيرة كوريا ، جزيرة فورموزا ، جزر ماريان ، وجنوب جزيرة ساخالين ، بمجموع ٢٩٣٩٧٠ كم<sup>٢</sup> ، أي ٤٥٪ من أرضها ، التي وصلت إلى ٣٦٩٦٢٢ كم<sup>٢</sup>

### لوقوى صليحة الطهرقا

لقد اتبع الاستسلام الياباني بوباء الانتحار . إن عدداً من زعماء الجيش بخاصة ، وأيضاً الرجال السياسيين ، والمفكرين ، والتجار وعدوا بأن يغسلوا عار الهزيمة بالانتحار « هارا كيري » .

أما المسؤول الأول عن النكبة ، حسب المفهوم الغربي ، الميكادو القادر والمعصوم ، فلا شيء يمكن أن ينال من الاجلال اللازم له .

ولاجتناب الفوضى ، قبل الغالبون بأن الامبراطور هيرو - هيتو ، نصير السلام بأي ثمن ، قد جر رغباً عنه في النزاع العالمي إلى جانب دول المحور ، وأنه كان يجبل حتى اللحظة الاخيرة عملية بيرل هاربور الشائنة ، التي صممها ونفذتها الفئة العسكرية التي كانت سيدة البلاد آنذاك .

واكتفت السلطات الحليفة ، التي احتلت اليابان ، بعد التسليم ، بالغاء الصفة الإلهية للامبراطور . ووطدت وعززت النظام الملكي الدستوري لذي أقامه في العام ١٨٨٩ الامبراطور مييجي ، كالسلطة التشريعية مثلاً ، بل أيضاً الصلاحية في حقل التنفيذ والقضاء .

وروضت ديمقراطية اليابان بسلسلة اصلاحات تهم الزراعة والعدل والتعليم العام والشرطة ونقابات العمال ، وكلها محتواة في دستور ١٩٤٦ ، الذي أعده الجنرال ماك آرثر زعيم الجيش والادارة الامريكية في اليابان . وتعلن هذه الوثيقة ، عدا ذلك ، عن عزم اليابان الرسمي الصريح وبألا تقيم مطلقاً قوى مسلحة ولا أي قوى حربية عديدة أخرى .

وإذا كانت معاهدة السلام ، الموقعة في سان فرانسيسكو في ٨ ايلول ١٩٥١ ، تعطي صفة قطعية ورسمية للخسائر الارضية التي تحملها امبراطور الشمس - المشرقة ، فهي لاتأتي بأي تلميح إلى اي تحریم أو تحديد لاعادة تسليح اليابان . وكل ما في الامر أنها ارفقت فيما بعد بمعاهدة أمن تبقى بموجبها القوات الامريكية في اليابان ، بناء على طلب حكومة هذا البلد الذي لايملك من القدرة ما يؤمن دفاعه الخاص .

ومع ذلك فقد ضغط الجنرال ماك آرثر ، منذ شهر تموز ١٩٥٠ ، على حكومة يوشيدا لانشاء « احتياطي شرطة وطني » ، قومي من ٧٥٠٠٠ رجل ، أصبح ، بعد سنتين ، « قوة أمن وطنية » ، مؤلفة من ست فرق

تضم الواحدة ١٨٠٠٠ رجل . ولم تكن حرب كوريا ، التي نشبت ، في تلك الفترة ، غريبة حقاً عن هذا التطور في وجهات النظر الامريكية ، وازداد الجيش الدفاعي منذ ذلك الحين بصورة فريدة ، وأصبح يتألف في العام ١٩٦٦ بما يلي :

- ١٣ فرقة قوات برية ، أي ٣٤٠٠٠ رجل ، ولها اسطول جوي مستقل يتألف من ٣٠٠ طائرة .

- اسطول بوزن ١٤٠ ٠٠٠ طن يخدمه ٣٥ ٠٠٠ ملاح .

- طيران مجهز بـ ١٥٠٠ طائرة امريكية من أحدث النماذج يضم ٤٠ ٠٠٠ طيار وفي .

وعدا ذلك ، يحسن أن نشير إلى أنه يوجد ، إلى جانب الرجال العسكريين ، نسبة هامة من المدنيين ، ١٥٪ تقريباً ، تخدم في وحدات الدفاع الوطني .

### النظام البرلماني

وعلى الصعيد السامي ، نجد أن الحجة العميقة التي تلت الهزيمة ، والاحتلال الامريكي الذي ظل حتى نيسان ١٩٥٢ ، والانتقال المفاجيء من النظام الجمعي إلى النظم الديموقراطية لم تسهل عمل الموجهين اليابانيين ولا تسيير النظام الجديد . وظهرت عقب الحرب أحزاب سياسية لاعد لها ، ونشأت في الغالب من هذه الجمعيات السرية التي تنتشر بكثرة في جميع البلاد الآسيوية التي تنقسم فيها الفرق السياسية - الدينية إلى مالا نهاية . وقد عاش منها خمسة تشكيلات كبيرة ممثلة في مجلسي البرلمان ، مجلس الممثلين ( الديباط الذي يضم ٤٨٦ عضواً ) ومجلس المشاورين ( ٢٥٠ عضواً ) . ومنذ ١٩٤٨ ، احتفظ الحزب الليبرالي - الديموقراطي

نفسه بالسلطة . ولأول مرة ، في انتخابات ١٩٦٧ ، خسر الاكثريّة المطلقة في النسبة المئوية للأصوات ، فقد حصل على ٤٪ عوضاً عن ٥٤٪ في اقتراع عام ١٩٦٣ ، ولكنه حافظ عليها في الديباط الذي قدم المروحة السياسيّة التالية :

- الحزب الليبرالي - الديمقراطي ، المحافظ ، والمرتبط جداً بأوساط الاعمال التي تساعد ، وهو يناصر التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة ويتمثل بـ ٢٧٧ نائباً ؟

- الحزب الاشتراكي ، وكان على رأس السلطة خلال ثمانية أشهر في ١٩٤٧ - ٤٨ ، ويقيم علاقات طيبة مع موسكو ويرجو تقارباً مع بكين ، ويشغل ١٤٠ مقعداً .

- الحزب الاجتماعي - الديمقراطي ، نشأ في ١٩٦٠ اثر شقاق في داخل الحزب الاشتراكي ، وهو يناصر الحياذ بين الكتلتين الكبيرتين السياسيّتين والعقائديّتين في العالم وله ٣٠ مقعداً .

- حزب كوميتو ، السيامي - الديني ، نشأ في ١٩٦٤ ، وهو حزب قومي ، محب للسلام ، بشهر ، بخاصة ، الفساد السيامي : ويشغل ٢٥ مقعداً .

- الحزب الشيوعي ، وهو محايد بعد أن كان مناصراً صينياً بفضاعة ، وله ٥ مقاعد .

وهذه الاحزاب الاربعة الاخيرة معادية لليثاق الياباني - الامريكي . وما أن أبرمت معاهدة السلام في سان فرانسيسكو ، إلا واهتمت الحكومة اليابانية باعادة عقد العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع جميع عوامم العالم وتوصلت إلى ذلك دون كثير صعوبة في معظم الاحوال .

وفي كانون الاول ١٩٥٦ ، قبلت في منظمة الامم المتحدة ، وطبقت منذ ذلك الحين ، على قدر استطاعتها ، سياسة وجود في جميع الظروف الدولية .

### الفهم والرعاية : مطن محدود

سلك النهوض الاقتصادي في اليابان ، بعد الحرب ، منحني صاعداً يضع هذا البلد اليوم بين الدول الصناعية الاولى في العالم . وله هنا بعض الفضل ، لانه وان أفاد من العون الامريكى الواسع ولم يتحمل ، كالمانيا ، تبعه تسلع جديد ثقيل ، فقد جابه ، على الاقل ، عندما عاد السلام ، صعوبات خطيرة جداً .

لقد بتو ٤٥٪ من أرض اليابان فردت إلى سطح يمثل نحو ثلاثة أرباع مساحة فرنسا ، وتحتل الجبال أكبر جزء فيه ، وتكاد تترك ١٦د٤٪ من الارض الصالحة للزراعة . ومازال يحسب فيه بعد ٥٨ بركاناً ، في حالة نشاط ، تضيف ضرامه الدوري إلى النكبات التي تسببها الزلازل ، والامواج الهائلة المنتقلة والتيفونات ( العواصف العنيفة ) الكثيرة في الأرخبيل الياباني .

وينمو الشعب الياباني بانتظام في هذا المجال الضيق المخصص له . وآخر تعداد للسكان ، في آذار ١٩٦٦ ، يظهر ١٠٠ر٥٠٠ر٠٠٠ نسمة ، بنمو ١٠٠٧٢٠٠٠ على تعداد السنة السالفة ، وحشداً هاماً في المدن. وتؤوي العاصمة وحدها أكثر من ١١ مليون مواطن ، أي ان يابانياً واحداً على تسعة يقيم في طوكيو . وتضم أوزاكا مايقارب ٤ مليون . وخمسة مدن أخرى تضم الواحدة أكثر من مليون نسمة . وهذا يعني أن ٤٠٪ من السكان يتجمعون على ١٠٪ من الارض القومية .

ولم يكن جرد موارد الأرخبيل الياباني مشجعاً في ١٩٤٦ . فقد تدهمت المعامل بنسبة ٩٥٪ ، وردت الزراعة إلى مايسد بلغة العيش ، والتربة التحتية بائسة . ويبقى صيد السمك ، فهو يؤمن في كل زمان للبلاد المتمم الغذائي الذي لاتستطيع مراعيها العجيفة أن تجهزها به . وهنا أيضاً جاءت التقنيات في النفقات فأعاقت نشاط الاسطول الياباني في عرض البحر ، وكانت تفرضها تارة سيؤول وتارة بكين أو موسكو .

ووضعت سياسة اقتصادية أخذت بعين الاعتبار هذه المعطيات كلها .

ولما كان المكان محسوباً على الفلاحين بشح ، فان مساحة كل مزرعة من مزارعهم الـ ٨٢٨٥٠٠٠ تبلغ أقل من هكتار واحد . ولذا تطبق فيها الزراعة الكثيفة . والرز غذاء أسامي . ويبلغ الاستهلاك السنوي ، المتوسط ١٢٨ كغ لكل رأس من السكان ، وهو موضع عناية خاصة . ومقابل ذلك ، ان وارد هذه السلعة ، الذي كان أيضاً ١٢٥٥٠٠٠ طن في سنة ١٩٥٥ ، هبط بعد عشرة أعوام إلى ٣١٨٠٠٠ طن . وسجل تقدم من نفس النوع لانتاج الحنطة ، والشعير ، والصويا ، والبطاطا .

والارقام المتعلقة بصيد الاسماك بالغة التأثير أيضاً . ان العماثر من جميع الفئات تمثل معاً ، في ١٩٣٩ ، انتقالاً قدره ٩٤٠٩٥٤ طن . وقد انتقل هذا المقدار إلى ٢٠٧٨٨٤٦ طن في ١٩٦٣ . وبينما أتى الصيد بـ ٢٥٠٠٠٠٠ طن من السمك في السنة ١٩٤٨ ، فقد بلغ مايقارب ٧٠٠٠٠٠٠ طن في ١٩٦٣ ، ولايدخل في ذلك الحيتان والتديات البحرية الاخرى ، وهذا مادفع اليابان إلى الصف الثاني بين البلاد المنتجة ، قريباً جداً من بيرو ، التي تأتي في الرأس ، وبعيداً أمام الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والنرويج وكندا .

### اقتصاد في عز توسع

ولكن في الصناعة أمكن الكلام بدقة وضبط عن ، « المعجزة الاقتصادية » اليابانية . انه نجاح يستحق الثناء لاسيما وأن اليابان تابعة تقريباً وبصورة خاصة للخارج في كل مايتعلق بالمراد الاولية والمحروقات . وفي الحقيقة ، تغطي الواردات ١٠٠٪ من حاجتها من القطن والصوف والكاوتشوك الخام والبوكسيت ( الألومنيوم الخام ) ، ٩٦٪ من الفحم ، ٩٨٪ من البترول الخام ، ٩٥٪ من فلزات الحديد ، ٨٤٪ من فلز النحاس ، ٤٨٪ من فحم الكوك . والباقي مثل ذلك .

ان نظام الامطار الذي تخضع له اليابان وفقر منابعها دفعها إلى البحث في تضاريسها الجبلية عن مصدر الطاقة الذي يمثل بالنسبة لها ضرورة حيائية . فقد وضعت موضع التنفيذ خطة واسعة لانشاء السدود والمراكز الكهربائية . وفي شهر آذار ١٩٦٤ نجح في التيار الكهربائي من ٢٢٠٠ مركز ، منها ١٦٠٠ مائي - كهربائي ، تعطي بمجموعها ١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلو واط ساعي .

وبدخل قومي خام من ١٠٠ مليار دولار في السنة ، تعتبر اليابان اليوم ثالث دولة صناعية عالمية . وارتفعت زيادة حجم انتاجها إلى ٩٪ بين ١٩٥٦ و ١٩٦٥ . وكانت ١٠٠٪ في سنة ١٩٦٦ وحدها ، أي ضعف زيادة فرنسا ، وثلاثة أضعاف بريطانيا العظمى .

واليابان ، منذ ١٩٥٦ ، أول منشئ للسفن في العالم . ففي ١٩٦٤ ، أطلقت رحابها ١٩٠ ٤٠٨٥ طن من السفن ، أي ٤٠٪ من الانتاج العالمي . وفي أربعة عشر عاماً ، من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٤ ازدادت الصناعة

الكيميائية ، بانتاجها الصيدلاني بخاصة ، بمقدار العشرة أضعاف . وعرفت صناعات النسيج والميكانيك والساعات النمو نفسه .

### العلاقات الخارجية

تبدي اليابان ، من وجهة النظر هذه ، عدة تناقضات عجيبة . فقد ظلت هذه الدولة الكبرى المصنعة جداً آسيوية بشكل عميق وشعرت بأنها متضامنة مع وحدة المحيط الهادئ ومنجذبة ، بخاصة ، نحو أستراليا وزيلانده - الجديدة والولايات المتحدة ، مع الوقوف أيضاً مأمكن بالقرب من الصين واندونيسيا . وفي صيف ١٩٦٧ ، زار الوزير الاول سائو سايجون ، سيؤول ، تاييه والعواصم الأخرى في جنوب شرقي آسيا ، المشايعة لسياسة واشنطن ، في الوقت الذي شخص فيه وزير الشؤون الخارجية إلى موسكو ، فارسوفيا ( وارسو ) ، براغ وبودابست ، وكل منهما عرف علناً بسياسة خارجية يابانية مؤسسة على مبادئ متناقضة إطلاقاً .

وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، انجحت تجارة اليابان الخارجية ، بخاصة تقريباً ، شطر الولايات المتحدة ، التي تمثل ٦٥٪ من كامل صادراتها و ٨٥٪ من وارداتها . وقد نسقط هذه الأرقام نباعاً إلى ٢٨ و ٢٩٪ في ١٩٦٤ . ومنذ أن حصل المنتجون اليابانيون على الوسائل بحثوا عن منافذ جديدة في أجزاء العالم كلها ، ومن ضمنها البلاد التي لم تسو بعد علاقاتها الدبلوماسية مع طوكيو ، مثل الاتحاد السوفياتي ، كوريا ، الصين القارية . وتعتبر هذه الأخيرة بسكانها ٧٠٠ مليون نسمة سوقاً تمهم الاقتصاديين اليابانيين بشكل خاص تماماً .

وبسياسة الباب المفتوح هذه حصلت اليابان على فوائد جوهرية .



وهكذا عُرفت دورة الالعاب الاولمبية الثامن عشرة ، المنظمة في طوكيو في ١٩٦٤ بمشاركة ٩٤ بلداً ، نجاحاً عظيماً جداً .

وفيما يتعلق بفرنسا بخاصة فان علاقاتها مع اليابان ما فتئت في تحسن منذ خمسة عشر عاماً ، سواء على الصعيد الدبلوماسي أم على الصعيد التجاري . وقد باعت فرنسا في عام ١٩٥٠ بضائع اليابان ببلغ ١٣٩٧ مليون ين واشترت منها ببلغ ٣٧٥٨ مليون . وانتقلت هذه الأرقام على التوالي إلى ٢٥٣٥٥ مليون و ١٤٩٤٨ مليون في ١٩٦٤ .

وتمت مشاورات منتظمة بين الحكومتين أثناء زيارة مورييس كوف دو مورفيل إلى طوكيو في نيسان ١٩٦٣ .

وبدا أن اليابان تميل إلى التخلص تدريجياً من الوصاية الأمريكية وترفض أن تبدو كموزع اعاشات للولايات المتحدة في الشرق الأقصى . ولكنها باعتبارها بمنوعة من تشكيل قوة عسكرية هامة فليس في وسعها الاستغناء عن السياج الأمريكي . ولم يذهب عن بالها ، من جهة أخرى ، أن التحالف مع واشنطن ساعد على نهوضها ، وان ثلث مبادلاتها يتم أيضاً مع الديمقراطية الغربية الكبرى .

ولم تعط بعد القوة الاقتصادية العظيمة لليابان المسكنة التي تتطلع اليها بصورة شرعية على المائدة الدبلوماسية الدولية .

ولا يبعد ، مع ذلك ، أن ترى نفسها مجرورة بعبءة المسؤوليات السياسية ، وحتى العسكرية ، في منطقة المحيط الهادئ .

## الصين

### نهضة الاتحاد المقدس في الصين : ماو ضد تانغ

حقق اليابانيون بعدوانهم الذي لا مبرر له ، في عام ١٩٣٧ ، هذه المعجزة في التعام وحدة الصين واثارة الحقد ضد الم طبقات الشعب الصيني كلها . فقد تحالف زعماء الحزب الوطني ( كيو - من - تانغ ) والحزب الشيوعي . وأسهم الحلفاء بجهود الصين الحربي . وفتح الاتحاد السوفياتي لبكين اعتماد ١٠ مليارات روبل . وشاركت فرنسا وبريطانيا العظمى ثم الولايات المتحدة بهذا العمل بارساليات كثيفة من الاعاشات والأسلحة والمؤن .

ولكن ما كادت اليابان تلقي السلاح حتى انفطت اسطورة الوحدة السياسية الصينية . وفي الواقع ، ان رجال الحزب الوطني ورجال الحزب الشيوعي الصيني الذين كافحوا طويلاً جنباً إلى جنب لم ينصهروا معاً في بوتقة واحدة حقاً وصدقاً .

وفي ربيع ١٩٤٥ ، كانت نسبة القوى بين التشكيلين الكيويين ثميل بوضوح لصالح الماركسيين . وبينما كان هؤلاء يتاضلون بفضاعة ضد المحتل ، لم يذهب عن بالهم هدفهم الغالي ، وهو استلام السلطة . ولذا كانت الدعاية وتمذهب الجماهير ينطلقان سوية ، بالنسبة لهم ، مع العمليات العسكرية . وقد أثمرت هذه الطريقة التعبوية . وفي آخر الحرب ، شابع شمال الصين ووسطها ماو . وكاث الحزب الشيوعي يضم ١٠٢١٠٠٠٠٠ مشترك ، بينما كان يضم ٤٠٠٠٠٠ في عام ١٩٣٧ ، ولم يشكل الـ ٣٠٠٠٠٠ الباقيون ، بعد « المسيرة الطويلة » ، في عام ١٩٣٥ ، أكثر من نواة جيش ، من ٩٠٠٠٠٠ رجل ، قوي ومنظم .

أما الحزب الوطني نفسه ، فقد أساء تحمل شدة الحرب . وسقطت حماسة محركيه الأوائل . واهتوا تشانغ - كاي - تشيك . وانتهى السياسيون والعسكريون الفاسدون في الحكومة المركزية بنزع كل ثقة به في الخارج .

فقدت الصين دماءها ودمرتها الحرب الخارجية وستكون عرضة " لحرب أهلية جديدة .

وفي الحقيقة ، ان جميع محاولات الاتفاق بغية تشكيل حكومة ائتلافية قد أخفقت بحالة يرثى لها ، ومن ضمنها وساطة الجنرال الامريكى مارشل في ١٩٤٦ . وكان على الجيش أن يحل عقدة الأزمة . وسحق الحزب الوطني اثر كفاح رهيب . وخسر في خريف ١٩٤٩ أكثر من مليون محارب .

وانتهى حكم الحزب الوطني . ومنذ ٢١ كانون الثاني ١٩٤٩ ، استقال تشانغ - كاي - تشيك من رئاسة الجمهورية . وفي الحريف التالي ، احتضى مع قبضة من أوفياؤه في « حصن » فورموزا .

### الجمهورية الشعبية

في الأول من تشرين الأول ١٩٤٩ ، أعلن ماوتسه - تونغ ، في بكين ، ميلاد جمهورية الصين الشعبية .

وتم تغيير النظام والشعب في لا مبالاة تامة بعد أن أضنته جروح أربعين سنة حروباً وثورات . وتكفل الزعيم الشيوعي بإيقاظه وربطه به أولاً باستغلال غرضي الدعاية الأساسيين : القومية ، التي اتخذت الولايات المتحدة هدفاً لها منذ الآن ، والاصلاح الزراعي ، وكانت جماهير الفلاحين

الصينية العظيمة توجوه كثيراً . وتؤلف هذه الجماهير اليوم ٧٠٪ من رجال الحزب الشيوعي ، على حين أن عمال المدن لا يؤلفون إلا ١٤٫٥ .

وقام مباشرة « مجلس الحكومة » و « مجلس الدولة » ، اللذان يرأس كلاهما ضمن اختصاصه ، ماوتسيه - تونغ و شوآن - لاي ، بوضع البنيات المختصة لتهيئة الانتقال إلى النظام الاشتراكي .

في ١٤ شباط ١٩٥٠ ، أبرمت معاهدة تحالف مع الاتحاد السوفياتي ، وفي شهر آذار تقرر ثبات الأسعار والنقد ، وثبت اليون ، ووحدة النقد الوطنية ، بسعر ٢٠٤ للدولار الأمريكي الواحد . وفي ١٣ نيسان ، كرس قانون الزواج تحرير المرأة . وفي ٢٩ حزيران ، نشر نص جديد ينظم النقابات . وفي ٣٠ حزيران ، أخيراً ، حذف الإصلاح الزراعي كبار الملاكين العقاريين من الحياة الاجتماعية وخص أراضيهم بمن يفلحونها .

وعندما بدأت حرب كوريا حولت ، لزمن ، انتباه الموجهين الصينيين عن برنامجهم السياسي - الاجتماعي . ودخلوا في تشرين الثاني ١٩٥٠ في تجربة قوة جديدة ، وقاوموا خلال ثلاثة أعوام جيوش منظمة الأمم المتحدة التي كان يقودها تبعاً للقادة الأمريكيون ماك آرثر ، ريد جوي وكلارك . وردت همدنة بان مون جوم ، في ٢٧ تموز ١٩٥٣ ، ثم اتفاقات جونيف المتحاررين إلى لاغالب ولا مغلوب ، وأنت بختامة « مشرفة » للخلاف .

ولم يدع ماو نفسه يلهم طويلاً بقضاياها . فقد ترك إلى الضباط العسكريين الشبان أمر صيانة حدود الصين الشمالية واختص بقطع دابر كل بادرة معارضة في داخل البلاد . وفي ٢١ شباط ١٩٥١ ، نشر قانون يشجب « النشاطات المناوئة للثورة » ، ويقصد بذلك ، في الواقع ،

تأمين الحذف الغائم لأكبر عدد ممكن من المشبوهين ، الاعضاء القدامى في الحزب الوطني ، التجار الأثرياء وأصحاب المهن الحرة المشبوهين بالتحالف مع الرجعية ، ممثلي المشاريع الصناعية والتجارية الأجنبية ، وضرب خيال الجماهير . وشجعت الوشاية بهم . وكانت الضابطة في كل ليلة تقوم بالوف التوقيفات ، وتعد المحاكم جلساتها دون انقطاع وتلفظ الحكم بالموت أو العقوبات الثقيلة بالسجن . وعاشت المدن والأرياف ، خلال ثمانية أشهر تحت حكم الارهاب . واستخدمت الحكومة الصينية طويلاً خداع الجماهير لتحقيق مقاصدها .

وفي الحقل الاقتصادي ، شهدت السنتان ١٩٥١ و ١٩٥٢ القيام بالاشغال الكبرى الاولى : السكك الحديدية ، السدود ، والمعامل المائية - الكهربائية ، ووضوح نظام التعاونيات الزراعية . وأعدت فيها أيضاً أول خطة خمسية ( ١٩٥٣ - ١٩٥٧ ) بمساعدة الاتحاد السوفياتي الذي تكفل بـ ١٥٠ رجة ( ورشة ) من المراكز الصناعية .

وفي ختام المهلة المحددة أمت الدولة تقريباً كامل المشاريع الصناعية ، التي تؤمن ٩٩,٩٢٪ من الانتاج ، وتشرف على ٩٨,٧٣٪ من العمال المستخدمين ، وضمت في تعاونيات جماعية ٩٠٪ من المستغلات الريفية . وكان ذلك العهد عهد رفاه ورضى بالنسبة إلى بكين بعد أن سجلت في الدور نفسه نجاحات قيمة في حقل السياسة الداخلية والدبلوماسية .

وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٤ وقعت الحكومة الصينية معاهدة صداقة مع الهند . وشاركت في تموز في مفاوضات جونيف فانهت بذلك الحرب، التي قامت بها فرنسا في فيت - نام ، كما سوت مصير كوريا . وفي ٢٠ تاريخ عصفا ( ٣٤ )

أيلول ، احتفلت بروتنق وبهاء بالذكري السنوية الخامسة للنظام . ومن ١٨ إلى ٢٤ نيسان ١٩٥٥ ، أخيراً ، مثلت بشكل لائق في مؤتمر باندونغ الأفروامي ، حيث أكد مندوبوها عالياً تعلقهم بالسلام واهتمامهم بالعالم الثالث . وانتقل عدد المنتسبين إلى الحزب الشيوعي الصيني في عشر سنوات من ١٢٠٠.٠٠٠ إلى ما يقارب ١١ مليون عضو .

### القفزة الواسعة الى الامام والزراع الصيني - السوفياتي

وما كادت الحطة الاولى تبلغ أهدافها إلا وألقى ماو بأمر تغير جديد . وكان يريد ، في هذه المرة ، مضاعفة الانتاج الصناعي ، في عامين بدلاً عن ثلاثة أعوام ، وأعدت خطة لاثني عشر عاماً ( ١٩٥٦ - ١٩٦٧ ) لتنمية الزراعة . وهذه هي « القفزة الواسعة إلى الامام » التي أسهمت فيها « القومونات الشعبية الريفية » و ٤ ملايين مفكر ، من طلاب وموظفين دعاهم « حركة المائة زهرة » للعمل فعلاً على تشييد الدولة الاشتراكية .

ولكن المظاهرات الشعبية الكبرى المنظمة في كل مناسبة في ساحة تيان - أن - مين الكبرى في بكين لم يكن لها أي تأثير على قوى الطبيعة . ومنيت تجربة القومونات الشعبية بالافئاق . ان ثلاث سنوات متتالية عجيبة الغلات ( ١٩٥٩ - ١٩٦٢ ) أفسدت بخطورة توازن البلاد الاقتصادي وهددت وجود النظام نفسه . ورأى الشعب الصيني ، كما كان يرى في أظلم أزمنة تاريخه ، طيف المجاعة يعود من جديد . وفرضت اجراءات عاجلة ، بعد أن نفذت الاحتياطات الضئيلة بسرعة . وهلك الوف الأطفال جوعاً بسبب حرمانهم من الغذاء . ومهما يكن من أمر ، فان حكومة بكين اضطرت إلى أن تلقي ببدايات البؤس والضيق إلى الدول الرأسمالية .

وساعدتهم السفن المحملة بالحبوب من كندا والارجنتين واوستراليا وزيلاندة الجديدة على البقاء على قيد الحياة .

وكانت هذه الظروف البائسة أبعد من أن تحض الموجهين الشيوعيين على موقف معتدل ، وأفادت حجة حملة جديدة وعنيفة ضد العناصر المعتدلة في الجهاز وضد الجامعيين الذين يشهرون أخطاهم .

وفي السنتين ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ظل هؤلاء « المناوئون للحزب » هؤلاء « الرجعيون » ، هؤلاء « المفكرون من اليمين البورجوازي » يشهر بهم أمام الاستياء العام كخونة ودعي كتاب مشهورون وأساقفة أجلاء للقيام بنقد ذاتي علناً . وأقيل ثلاثة وزراء ، من بينهم وزير الدفاع ، ورئيس الاركان العامة من وظائفهم ، وطرده نائباً من المجلس الوطني ( مجلس الأمة ) .

وأراد الحزب الشيوعي الصيني أن يارس دكتاتوريته على جميع نطاقات الأمة ، كما صلب مواقفه حيال الخارج ، وحيال الاتحاد السوفياتي بادیء ذي بدء . ولم يقبل موجهو بكين مطلقاً ببإدء مؤتمر موسكو العشرين في الخلاص من الستالينية وعبادة الشخصية . لقد كانوا أنصار الثورة الدائمة ، ومعادين لكل تسوية مع النظام الرأسمالي ، وعارضوا بشدة التعايش السلمي الذي دشنه نيكيتا س . خروتشوف وتبناه خلفاؤه في الكرملن . وكان قصدهم التشكيك و « اعادة النظر » التجريبية التي تجعل الحزب الشقيق نفسه شريك « العداة الامبرياليين » الامريكيين . وهذا الخلاف العقائدي ، الذي نشأ في ١٩٥٦ ، سيأخذ في السنوات التالية نسباً وجدت فيها العاصمتان ، مرات عديدة ، على وشك القطيعة الدبلوماسية .

وهذا الدور مطبوع أيضاً بضرب عنيف بالقنابل للجزر التابعة لفورموزا ، في صيف ١٩٥٨ ؛ وبقيام الثورة في التبت ، حتى اضطرت

العامل ، الدالاي - لاما ، في آذار ١٩٥٩ ، إلى البحث عن ملجأ في الهند ؛ وبجوادات الحدود الصينية - الهندية ، في شهر آب من السنة نفسها ، التي انقلبت ، بعد ثلاثة أعوام ، إلى نزاع حقيقي مسلح .

ولذا انعقد المجلس الوطني الثاني من ١٧ إلى ٢٨ نيسان ١٩٥٩ ، ورفع ليو شاو - تشي إلى رئاسة الجمهورية . وانتخب إلى جانبه نائبان للرئيس : السيدة سن يات - سين ، أرملة مؤسس الحزب الوطني ، وتونغ بي - يو . وعزف ماوتسه - تونغ عن رئاسة الدولة . وحافظ ، مع ذلك ، على رئاسة الحزب وهي من بعيد أهم وظيفة .

### القضية

وحان الوقت لحبر الصداقة السوفياتية . وكان على الصين الشعبية أن تجتاز مرحلة أخيرة قبل الوصول إلى صف الدولة النووية . ففي ١٥ تشرين الأول ١٩٥٧ وعد خروتشوف أن يساعدنا في ذلك بتسليمها نموذجاً من القنبلة الذرية ، ومفاعلاً ذرياً ضخماً يسير على الماء الثقيل والاورانيوم الغني المخصص لصنع البلوتونيوم ، ومضى الزمن ، ولم تربكنا شيئاً يائساً . وعندما أخرج رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي تهر ب . وفي ٢٠ حزيران ١٩٥٩ فسخ الاتفاق المتعلق بهذه القضية والمبرم قبل عامين . وإذا كانت الاختلافات المذهبية في أصل القطيعة الصينية - السوفياتية ، فلن هذه « الحيانة » نصيبها أيضاً .

حقاً ، لقد أسهم الاتحاد السوفياتي عن سعة بالتنمية العلمية للجمهورية الصينية . ولكن كلما طلب اتفاق مربي يسهم بموجبه الاتحاد السوفياتي في صنع قنابل نووية وحرارية نووية صينية كانت موسكو تقابل دوماً برفض مهذب ، ولكنه حازم .



وبعد رفض «خ» ، ( خروتشوف ) واستدعاء الخبراء السوفييتيين ، أعطى ماوتسه - تونغ الأولوية المطلقة للبرنامج النووي ، الذي يساعد ، كما يرى ، على اشعال قنبلة ذرية في عام ١٩٦٥ . وكان تحت تصرفه فريق هام من العلماء والباحثين ، الذين قطعوا الصلة بالأنظمة الغربية ، وأشخاص علميون تكاملوا في موسكو وفي العواصم الأجنبية الأخرى ، ونخص بالذكر منهم تشيان سان - شيانغ « أبو » القنبلة الصينية وقد عمل ، من ١٩٣٤ إلى ١٩٤٩ ، في باريس تحت ادارة فويدريك هوليو - كوري .

وعاد كل هؤلاء وكثير غيرهم أيضاً إلى وطنهم لدى أول دعوة . وبعد سفر العلماء السوفييتيين ، تبينوا نتائج ثرواتهم فوجدوا : معامل غير تامة ، مخازر مدمرة ، خططاً اختفت ، وآلات ثينة في طريق التركيب عُرِضت للعوامل الجوية وفقدت بشكل لا علاج له . وبعد قليل ، أشارت المصالح السرية الامريكية إلى نشاط كثيف حول معمل فصل النظائر في لان - تشينو ، وانشاء مفاعلات جديدة في باؤ تو ، وفي منطقة جونغفاري ، في السن - كيانغ حيث جند ٤٠٠.٠٠٠ عامل تحت «حماية» ١٠٠.٠٠٠ جندي مسلحين بقوة .

وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٦٤ ، في الساعة ١٥ ( الساعة المحلية ) ارتفعت غيمة بشكل خطر فوق منخفض تود - فان ، في صحراء سين - كيانغ : انها أول قنبلة ذرية صينية تفجرت ، قبل عدة أشهر على قنبذات أكثر المتفائلين . وفي ١٤ أيار ١٩٦٥ ، ففجرت الصين قنبلة أقوى اللقت من طائرة . وانفجرت قنبلة ثالثة « في الجو » ، في ٩ أيار ١٩٦٦ ، أقوى من الاولى بعشر مرات ، و « مشحونة » بالمواد الحرارية - النووية .

فالى الذين يشككون أيضاً باستعداد الصين لاحاق بـ « كـبار » الذرة ، وإلى الذين يشيرون ، بخاصة ، إلى فقرها بالصواريخ الموجهة ، أجابت الصين ، في ٢٧ تشرين الأول التالي ، بالقيام بتجربة الصاروخ الموجه برأس نووي . وأحرق علماؤها مرحلة الطائرات الحاملة للقنابل ، وهذا ما لم يستطع الباحثون الفرنسيون انجازوه .

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩٦٦ ، تحققت التفجير الخامس من ميدان تجارب المتفجرات عند بحيرة لوب نور في اقليم سين - كيانغ ، فبرز الجواب انه « قنبلة جديدة مشحونة » بقوة ٣٠٠ كـ ط ، هذه المرة ، حيث آخر سنة متموجة . وفي ١٧ حزيران ١٩٦٧ ، وعلى سطح سين - كيانغ نفسه ، كان تفجير أول قنبلة حرارية - نووية صينية ولم يبق أي شك عند جميع خبراء العالم بقدرته بكن على التصرف بقوة ضرب حرارية - نووية في الثلاث السنوات القادمة . وهكذا اقتحمت الصين الشيوعية باب النادي الذري وأخذت مكانة عالمية بين الدول الكبرى ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي ، بريطانيا العظمى ، كندا ، فقلبت فجأة علاقة القوى في الشرق الأقصى .

وكانت « قوة الدفاع » الصيني ممثلة من قبل بجيش من النوع التقليدي متين التركيب منذ اقرار الخدمة العسكرية الاجبارية في السنة ١٩٥٥ . ويضم ٣ ملايين رجل ، وهذا العدد يبدو متواضعاً بالنسبة إلى شعب يقدر اليوم بـ ٧٣٠ مليون نسمة ، ولكنه يعتمد على المليشا أي على ٢٠ مليون متطوع من الجنسين ، وسيلقى تعزيزاً عاجلاً ، في حالة نزاع ، من فئات الاحتياطي التي لا تقتضب عملياً .

### الثورة الثقافية الطامحة

في ربيع ١٩٦٦ استعدت الصين الشعبية لتنفيذ خطتها الخمسية الجديدة . وكانت الظروف مواتية أكثر من أي وقت مضى .

في الداخل ، حقق الموجهون الشيوعيون « القفزة إلى الأمام » الحقيقية ، وأنقذوا البلاد من الأوبئة التي كانت تضفيهم منذ آلاف السنين : الجهل والبؤس والجوع .

وفرضوا ، عدا ذلك ، تدابير دراكونية للحيلولة دون نمو ديموغرافي مخيف . حتى ان المساعدات العائلية التي كانت تدفع للولدين الأولين حذفت بتمامها عند ولادة الثالث . وإذا كرر الزوجان نفس الخطأ ، كانا هدفاً لعقوبة يضرب بها المثل : فيها يجبران على الانفصال ، ويدعوان إلى الإقامة في مساكن يبعد الواحد عن الآخر ، أحياناً ، عدة الوف الكيلومترات .

وبينما كانت الصين تضم في العام ١٩٤٩ نسبة ٩٠٪ من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، أصبح ١٠٠ مليون من أبناءها يجتهدون اليوم إلى الصفوف الابتدائية والثانوية ؛ و ١٥ مليون شاب مسجلون في السكليات والمدارس الكبرى . وعاد مهندسوها من من الغرب وشكلوا ٤٢٠.٠٠٠ مهندس ، ١٠٠.٠٠٠ مهندس زراعي ، ١٢٥.٠٠٠ اختصاصي في العلوم الاجتماعية ، ١٥.٠٠٠ فيزيائي وملايين الفنيين المهرة عالياً .

وتغطي الصناعة المحلية ما يقارب كامل حاجات البلاد من الفولاذ ومن ضمنها أنواع الفولاذ الخاصة ، والمنتجات المصنوعة .

وعلى الرغم من أن العامل الصيني لم يبلغ ، ويلزمه الكثير ، مستوى حياة المأجورين الغربيين فقد وجد الضمان بالاستخدام الكامل . ولم يكن في أي وقت مضى أسعد مادياً بما هو عليه الآن . وهو يعي ذلك تماماً ، ويعترف بشكل طبيعي بفضل زعماء النظام ، الذين لا يحتاجون إلى استعمال القسر لفرض احترام أوامرهم .

وعلى صعيد العلاقات الخارجية ، سجلت الصين الشعبية أيضاً بعض النجاحات خلال هذه السنوات الأخيرة .

وعمل الزمن للصين في منظمة الأمم المتحدة ، حيث أمن ضغط البلاد النامية ، قبل ١٩٧٠ ، قبولها عضواً على حدة . وبالفعل قبلت عضواً في الأمم المتحدة في دورة ايلول ١٩٧١ . وفي آسيا تعامل الصين اليابان معاملة الند للند وتعرض مساعدتها الناجحة لجاراتها المباشرة ، ككوريا الشمالية ، فيت - نام الشمالية ، لاوس ، كامبوديا ، نيبال ، برمانيا ( بورما ) ، باكستان ، بعد أن أبرمت معها اتفاقات ثبتت الحدود المشتركة .

وفي ٢٣ تموز ١٩٦٢ ، وقعت ، في مؤتمر جنيف الثاني ، المعاهدة الدولية التي تكفل حياد لاوس . وكانت بريطانيا العظمى أولى الدول الغربية الكبرى التي اعترفت بالنظام الصيني الجديد ، منذ ١٩٥٠ ، كما اعترفت به فرنسا أيضاً في ١٩٦٤ .

ولا تعرف الدبلوماسية الصينية إلا النجاحات . غير أن محاولاتها في التغلغل في افريقية غير موفقة وخرقاء . وصرفت عنها دعايتها العلنية وطرقها كثيراً من المتعاطفين . وفي ١٩٦٥ ، قام شو إن - لاي رئيس حكومة بكين ، والمارشال شين - يي ، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية ، بجولة طويلة عبر الدول « التقدمية » في القارة السوداء . وبالرغم من جهودهما الجذابة ، اضطرت البعثات الصينية ، مع ذلك ، إلى الاقلال بصورة محسوسة من نشاطها ، حتى انها أغلقت أبوابها .

ولم تتحسن العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، بل ، على العكس ، قام بين الطرفين جدل ، في ١٩٦٥ و ١٩٦٦ ، وكان أعنف من أي وقت

مضى . وفي بكين وموسكو حل قاتنان بالأعمال بسيطان محل السفيرين ، وردت المبادلات التجارية إلى أبسط تعبير لها ، وكرس طرده أواخر الطلاب الصينيين من الجامعات السوفياتية ، في ٩ تشرين الأول ١٩٦٦ ، القطيعة لاتفاقية التعاون الثقافي التي تمت في ١٩٥٦ بين الدولتين الاشتراكيتين .

ونحت اسم « الثورة الثقافية » أطلقت على وجه الدقة الحركة الثالثة الجماهير الصين الشعبية ، وكانت باتساعها ونتائجها أهم من « تطهيرات » ١٩٥٣ و ١٩٥٦ . لأن القصد ، في هذه المرة ، إخضاع « المعارضين » الذين كانوا أكثر مكرراً وخداعاً من أسلافهم ، فئة أرادت أن تؤمن لنفسها وسائل القيادة في قلب الحزب ، والجيش ، والحكومة ، لتسهل عودة البورجوازية المناوئة للثورة على رأس البلاد .

بدأت التظاهرة ، في ٣ حزيران ١٩٦٦ ، في بكين ، حيث شهر بانغ - شين ، عمدة المدينة ، مشككاً بالنظام ورجعياً ، واضطر إلى الاستقالة من مناصبه مع المجلس البلدي بكامله .

وأخذ جماعة « الحرس الأحمر » ، من طلاب ومتطوعين ، وكشافة ، ورواد ومراهقين من الجنسين يطيعون أوامر وتعليمات مربية ، وتجمعوا في العاصمة قبل أن ينتشروا في البلاد كلها بمواكب لا تنتهي ، رافعين الأعلام الحمراء ، وأشرطة حمراء مزينة بأفكار ماوتسه - تونغ ، ومؤلفات ماو المجلدة بالأحمر ، مرددين الشعارات ، ومنشدين أناشيد على مجد ماو . وقلب هؤلاء المناضلون الشبان في الثورة الجديدة البنيات الاجتماعية كلها في الصين ، وأطلقوا لنفسهم العنان في جميع أنواع الشدة والشطط بحجة تخليص البلاد من آخر بقايا ماض مدموغ بالتفوذ الرأسمالي . ودمروا بشكل منظم روائع البناء القديم ، وسترت أطلالها بجدران بشعة من الآجر .

ولم يغيب الحقد عن هذه المظاهرات الموجهة ، أولاً ، ضد الكنائس والبعثات التبشيرية الأجنبية . ولكن الجميع مروا بها بعد قليل ، من أكابر النظام ، مثل السيدة سن يات - مين التي دعيت ، وهي في السادسة والسبعين من عمرها ، إلى التخلي عن منزلها الفخم المليء بالذكريات ، حتى رئيس الدولة ، الرئيس ليو شاو - شي الذي عزل من منصبه في ١٩٦٨ ؛ وتانغ هسياو - بنغ ، الأمين العام للحزب الشيوعي ؛ والأمناء الاقليميون في الحزب ؛ ومحاربون قدامى من عهد « المسيرة الطويلة » وزعماء أجلاء من الجيش . وغطيت جدران العمارات وأبوابها وأشجار الشوارع بالاعلانات المخطوطة على ورق أحمر بالطبع حورتها الشمس والمطر إلى مزق ، ثم استعيض عنها مباشرة بأوراق حمراء جديدة تحمل نفس الشواهد المقتطفة من آثار ماو أو خطبه . ووقعت صدامات دامية بين رجال الحرس الأحمر ، و « الشبيبة الشيوعية » ونقابيي المدن الصناعية . ولكن الأوائل لاقوا موافقة اللجنة المركزية للحزب وأفادوا من حماية الجيش .

ولن يعلم أبداً ، ولا شك ، حتى ولو بصورة تقريبية ، عدد ضحايا هذا التفجير الأخير . أما أسبابه العميقة فترجع إلى مشاغل واهتمامات داخلية وإلى إرادة التأثير على خصوم النظام في الخارج ، الولايات المتحدة بخاصة ، التي يمكنها أن تقوض بعد قليل من الزمن بناءه الاقتصادي ، ثمة العمل المستشري والتضحيات العظيمة .

وبتواجد عظيم لم يكن صدفة حقاً تفجرت « الثورة الثقافية الصينية الكبرى » في اللحظة التي عين فيها ماو المارشال لين - بياؤ ، وزير الدفاع ، ليكون خلفاً له ، عند مقتضى الحال ، على رأس جهاز الحزب . وقد كان الرئيس ليو شاو - شي يعتبر ، حتى ذلك الحين ، ولي

عهد « القائد الصيني العظيم » . ووجد آخرون يمكن أن يتطلعوا إلى هذا اللقب ، مثل شو إن - لاي ، الجنرال شو - تيه ، كانغ - شينغ ، الذين كانوا رفقاء ماو في النضال في الازمنة البطولية وأمسك بهم جانباً .

إن تلميحات الصحافة الشبه رسمية إلى « مؤامرة ضد الزعيم الجليل » ، دبرها بعض الرفقاء من ذوي المناصب العالية ، وتهجمات رجال الحرس الأحمر ضد شخصيات سياسية مرموقة دعت إلى التفكير بأن « ككفاحاً خفياً » ، لا يبدأ ، قلب قادة الحزب بعضهم على بعض وجعلهم يتطلعون إلى خلافة « القائد العظيم إلى الحد الأقصى والمحترم بشكل لا متناه » . وقد عهد رئيس الجيش لين بياؤ إلى شيبة متعصبة أن يقيموا أمامه العقبات بارهاب منافسيه المتوقعين بأسكات أنصارهم .

ولكن هل تجاوزت الاحداث الصانع الساحر ؟ في هذه الاشهر الطويلة من الاضطراب كانت مدن هامة مثل فانكن ، شانغهاي ، كانتون ، تين - تسن مسرحاً لصدامات دامية بين العمال ورجال الحرس الاحمر . وشوشت الاضرابات الهامة ، التي قام بها عمال السكك الحديدية بخاصة ، اقتصاد البلاد . ولا شيء يدل على أن أنصار السياسة المرنة حيال الغرب ، والتفاهم مع الاتحاد السوفياتي سيحاولون يوماً أن يفرضوا أنفسهم .

وفي غضون ذلك ، أراد ماوتسه - تونغ أن يتجاهل منازعات القصر ، فظهر في وقت واحد إلتهاماً وندياً لدين جديد ، الشيوعية الآسيوية ، التي كتب تعاليمها ، وظل يبلي قواعدها ، بعيداً أكثر مما يعتقد عمومًا عن الاحزاب الشيوعية الغربية .

### كوريا وخط العرض الثامن والتمردون

لقد ضمت كوريا إلى اليابان في ١٩١٠ وانتظرت استقلالها خمساً

وثلاثين عاماً . وفي القاهرة ، في آب ١٩٤٣ ، اعترف روزفلت وتشيرل  
وتشانغ كاي - تشيك بحق هذا البلد في الاستقلال الذاتي ، وفي بالطا ،  
في شباط ١٩٤٥ ، شايح ستالين وجهة النظر هذه . ولكن الاتفاقات  
التي أعادت له الحرية كانت نتيجتها تقسم كوريا إلى قسمين متفاوتي  
الأهمية واعطاءهما نظامين سياسيين متضادين .

في كانون الأول ١٩٤٥ ، في مناخ الحرب الباردة ، عقد مؤتمر دولي  
في موسكو بغية تعيين شكل الحكم الذي يلائم كوريا المتحررة حديثاً  
من السيطرة اليابانية . وأمام استحالة التوصل إلى صعيد مشترك آل  
الأمر إلى الحفاظ ، لمدة خمس سنوات ، على الخط الفاصل القديم الذي  
كان يفصل مسرحي عمليات القوات الامريكية والسوفياتية . وهذا الخط ،  
الذي يتبع رسم خط العرض الثامن والثلاثين شمالاً ، يقسم البلاد إلى  
منطقتين تخضع كل منها إلى نفوذ المحتل .

في القطاع الجنوبي ، أدت حملة مطالب طويلة ، في ١٠ آذار  
١٩٤٨ ، إلى انتخابات عامة . وأعلنت الجمهورية ، وعهد رئيسها الدكتور  
سينغمان ري ، البالغ من العمر ٧٥ عاماً ، زعيم الحزب المحافظ ، إلى  
كيم سنغ سو ، رفيقه القديم في الكفاح ، أمر تشكيل أول حكومة  
لنظام الجديد .

ولم ينتظر رد الشمال . ففي ٢٥ آب ، انتخب مجلس وأقر ، في  
ايلول ، جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية ، ودعا الزعيم الشيوعي الماريسال  
كيم ايل سنغ لرئاسة الحكومة .

وهكذا شكل خط العرض ٣٨ منذ الآن حداً حقيقياً بين دولتين  
متنافستين . وانفجرت فيه الحوادث ، وأخذت تتكاثر حتى أصبحت



خطيرة ، وخرقت خمس فرق شمالية الخط ، في ٢٥ حزيران ١٩٥٠ ،  
وغطت في ثلاثة أيام الـ ٦٠ كيلو متراً التي تفصلها عن سيؤول  
وحاصرت العاصمة .

### التدخل الأمريكي

بدأت حرب كوريا . ودامت ثلاثة أعوام ، وكلفت ٨ ملايين نفس  
بشرية وخسائر مادية عظيمة لتود ، في آخر الأمر ، الجزأين إلى قواعد  
انطلاقها وتكرس انقسام البلاد . وهيات أيضاً للولايات المتحدة فرصة  
التدخل مباشرة في قضايا القارة الآسيوية وتوكيد عزمها أمام العالم على  
احتواء التوسع الشيوعي .

أجاب مجلس الأمن مباشرة نداء سيؤول ، وخرطت ١٦ أمة بالتالي ،  
وحدات تحت راية منظمة الأمم المتحدة . وفي ٢٧ حزيران ، أرسل  
الرئيس ترومان إلى الجنرال ماك آرثر أن يطلق في الكفاح جميع القوات  
الأمريكية ، البرية ، الجوية ، البحرية ، المربطة في اليابان . وبينما  
كانت الجيوش الحليفة تدحر الحشم وتجتاح أرضه وتبلغ حدود منشوريا ،  
وبدت القضية خامرة بالنسبة للكوريين الشماليين ، هجمت ٣٠ فرقة  
صينية ، في ٢٤ تشرين الثاني ، على عرض الجبهة كله . وقفز النزاع .  
وركم الاحزان والدمار على « بلاد الصباح المداىء » . وعندما اقترح  
ماك آرثر ، في نيسان ١٩٥١ ، اقحام العزم باستعمال السلاح الذري ضد  
الصينيين ، اصطدم بمعارضة ترومان .سمية ، الذي نزع من قيادته .

وامتدت المذبحة ، وقطعت بمفاوضات طويلة وعسيرة ، وأخيراً ، في  
٢٧ تموز ١٩٥٣ ، وصمد الهدنة في بان مون جوم . وبعد سبعة  
وثلاثين شهراً وبومين على حرب يقتل فيها الاخ أخاه ، لم تعترف الهدنة

بغالب ولا مغلوب . أما توحيد كوريا من جديد فلم يكن مؤتمر برلين ، في شباط ١٩٥٤ ، ولا مؤتمر جنيف في نيسان بقادرين على فرضه .

### كوريا الشمالية

لم يبدل شيء خارطة كوريا منذ ذلك التاريخ . وظل خط العرض ٣٨° خط التقسيم بين الجمهورية الشعبية والدولة الجنوبية ، وضمن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة السلامة الارضية لكل منها .

وعاد السلام ، ولم توضع أي قضية سياسية لكوريا الشمالية ، حيث ظلت البنات الناشئة عن دستور ١٩٤٨ في مكانها ، وحيث جمع جمع رجل النظام القوي كيم ال سونغ وظائف رئيس الحكومة ورئيس حزب العمل . ولكن الحالة كانت مشؤومة على الصعيد الاقتصادي ، واهم موجهر البيونغيانغ في المقام الاول بتلافي اعاشة ١٣ مليون مواطن لدولة اجتمعت بكاملها . هذا ولما كان فاز الحديد ونجم الانتراست ومساقط الماء متوفرة بغزارة في شمال خط العرض ٣٨° ، فقد أعطت حكومة الجمهورية الشعبية الاولوية المطلقة لبرنامج التنمية الصناعية .

وتعطي جداول الاحصاء فكرة عن التقدم الذي تم في ختام الحطة السبعية الأخيرة لعدد من المنتجات الأساسية كالكهرباء والفحم والصلب والفولاذ والجرارات وسيارات الشحن والاممدة الكيماوية .

ولا تؤلف الزراعة في هذه المنطقة قطاعاً هاماً للاقتصاد ، بالرغم من أن الريفيين فيها يمثلون ٤٠٪ من السكان . وعلى مثال الصين ، مولت السلطات الشمال - كورية ، مع ذلك ، برنامجاً واسعاً في الري والمكنكة . وشجعت استعمال الأممدة الكيماوية والبذور المنتقاة ، في الوقت الذي كانت تكافح فيه ضد الأمراض وطفيليات النباتات .

## كوريا الجنوبية

وعلى عكس مامر في القطاع الشمالي ، لم تساعد اتفاقية بان مون جوم جمهورية كوريا على إيجاد توازنها السيامي . ان الدكتور سينغمان ري ، الذي تفانى في قضية الاستقلال ، في زمن الاحتلال الياباني ، بدا ، وهو على رأس الدولة ، سياسياً ضعيفاً وطموحاً ، يستعمل أسوأ الوسائل للبقاء في السلطة . وقد انفجر الاستياء الشعبي عقب انتخابات الرئاسة ، في ١٥ آذار ١٩٦٠ ، التي زيفت بفضاعة . واعطى الطلاب عندئذ الاشارة لمظاهرة عظيمة انضمت فيها بالتدريب جميع طبقات المجتمع الكوري الجنوبي واضطرت ، في ٢٦ نيسان ١٩٦٠ ، سينغمان ري الى الاستقالة .

وقامت جمهورية ثانية ، يرأسها يون بوزوم ، وكان عاجزاً عن توطيد النظام ، وعندئذ خرج الجيش عن طوره شاهداً صامتاً ، وتدخل بدوره . وفي ١٦ أيار ١٩٦١ ، في الساعة الثانية صباحاً ، قام الجنرال بارك شونغ هي ، القائد الاعلى للقوى الكورية الجنوبية ، وجمع تشكيلاً حربياً أمن له الاشراف على جميع المؤسسات . ومن هذه الحركة العسكرية ولدت جمهورية كوريا الثالثة . وفي بداية ١٩٦٣ ، قدر المجلس الاعلى للخونته بأن الوقت قد حان تسليم اجيزة القيادة للسلطة المدنية . وحدد موعد انتخابات الرئاسة في ١٥ تشرين الأول . وانتخب الجنرال بارك رئيساً ، وكان قد استقال من الجيش في تلك الفترة . وعين وزيراً اولاً إل كون شونغ وكان سفيراً لكوريا في واشنطن وفي باريس .

ان مشايعة جمهورية كوريا الجنوبية دون حيلة لسياسة الولايات المتحدة ، فسحت مجالاً لظاهرتين لها مدلولهما :

١ - المؤتمر الوزاري لبلاد آسيا والمحيط الهادئ المنعقد في سيؤول من ١٤ إلى ١٦ حزيران ١٩٦٦ .

٢ - الاتفاق العسكري المبرم في سيؤول ، في ٩ تموز ١٩٦٦ ، وتبعاً له سجلت كوريا الجنوبية اسهامها في جهود الولايات المتحدة الحربي بارسال ٤٥٠٠٠ محارب إلى فيت - نام .

وبعد أن عاد الاستقرار السياسي اتجه موجره كوريا الجنوبية الجدد شطر الاممار . واعدت الحطة الخمسية الثانية في ١٩٦٥ . واستهدفت الاستقلال الاقتصادي للجمهورية قبل ١٩٧٠ .

ويقدر سكان هذا البلد ٢٩٠٠٨٦٠٠٠ نسمة ، وينتمون إلى طبقة الفلاحين بنسبة ٦٧.٢٠٪ ولذا شجع الانتاج الزراعي في بادئ الامر . ووضع ٤٠ مليون دولار في هذا القطاع .

ولم تهمل الصناعة ، بالرغم من فقر المنطقة بالموارد الطبيعية . فقد انتقل انتاج الفحم من ٣٥ مليون طن في ١٩٦٠ إلى ١١٠٧ طن في ١٩٦٦ . وساعدت ٨ مراكز حرارية ومائية على مضاعفة انتاج التيار الكهربائي في خمسة أعوام وتجهيز ٧٦٠٠٠٠ كيلو واط ساعي في ١٩٦٥ . وانتجت المصفاة الاولى للبترول المنشأة في اولسان نحو ١٢ مليون برميلاً من البنزين في العام وفي الوقت نفسه الكيروزين ، والهروبان ومختلف المواد الرئيسية .

## الفيت — نام

### حرب الرنند الصينية

أدى استسلام اليابان ، في ١٥ آب ١٩٤٥ ، إلى شغور السلطة في الهند الصينية ، المستعمرة الفرنسية ، التي احتلتها قوات الميكادو غداة هدنة ١٩٤٠ بين ألمانيا وفرنسا .

وبين الحركات ، التشكيلات السياسية ، العصابات ، الفرق الدينية — المستعمارة ، التي تتطلع إلى توجيه البلاد ، تملك « الفيت — نام دوك لاب دونغ مينه » وباختصار « فيت — منه » ، أي جبهة الاستقلال ، أكثر البنيات قوة ، وأكثر القيادات وثوقاً ، وأكثر الجيوش هدداً وفضلها تدريباً . وكانت زعيمها نغوين أي كوك ، المعروف تحت اسم هوشي منه ، مؤسس الحزب الشيوعي الهندي الصيني ، يعد نفسه منذ زمن طويل لاستلام السلطة .

وفي ١٩ آب ، أي بعد أربعة أيام على هزيمة اليابان ، رفع على هانوي العلم الأحمر ذو النجم الذهبي . وفي ٢٥ منه ، طلب إلى باؤداي ، امبراطور أنام ، تنازله عن العرش .

وفي اليوم نفسه ، استسلمت سايجون بدورها . وفي ٢٩ آب أعلنت جمهورية فيت — نام وضمت « الثلاث كي » ، أي الثلاثة بلاد : تونكن ، أنام ، كوشنشين . وأعطت انتخابات عامة ، في كانون الثاني ١٩٤٦ ، أكثرية ساحقة إلى الفيت — منه ، ورفعت هوشي منه إلى رئاسة الدولة الجديدة ، في ٢ آذار .

تاريخ عصرنا (٣٥)

ولم تكن عودة فرنسا إلى مستعمراتها القديمة ، على كل حال ، بالشيء الذي يرجوه حلفاؤها . ففي مؤتمر بوتسدام ، من ١٧ تموز - ٢ آب ١٩٤٥ ، الذي لم تدع اليه فرنسا ، تقرر في الواقع أن يعهد بنزع سلاح الوحدات اليابانية والادارة المؤقتة للبلاد إلى القوات الصينية والبريطانية المرابطة على جانبي خط العرض ١٦° ، ووقع اتفاق لم تحسب الحكومة الفرنسية له أي حساب .

وفي باريس ، في ٤ تشرين الاول ١٩٤٥ ، سمى وكيل الوفد العام للتحقيق والبحث ، القائد آندريه دوجه ، البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً ، صهر آلير مارو رئيس الوزراء السابق ، مفوضاً للجمهورية في نونكن وآنام الشمالية ، وأرسل ، تحت اسمه الحربي جان سانتوني ، إلى الحدود الصينية - التونكنية . وتقتضي مهمته الاتصال بالصين ، التي تحتل هذه المنطقة ، وبالزعماء السياسيين الهنديين - الصينيين . كما أرسل ، في الوقت نفسه ، إلى سايجون الاميرال تيموري دار جانليو ، مفوضاً سامياً ، والجنرال لوكليرك على رأس جيش بلغ ٥٠.٠٠٠ رجل في آخر السنة ، وكلفا « بتوطيد السيادة الفرنسية من جديد في أرض الاتحاد الصيني » . وبينما كان تيموري دار جانليو يناصر سياسة الحزم ويأمر بالعودة دون قيد ولا شرط إلى النظام الاستعماري ، كان لوكليرك ، باتفاق مسع سانتوني ، يضغط على الحكومة الفرنسية لاستقبال زعماء الفيت - نام . وأخيراً خولت اتفاقات ٦ آذار بين جان سانتوني وهو شي منه دخول الجيوش الفونسية إلى هانوي مقابل بعض الاعتراف بفيت - نام .

كان اللبس شاملاً . فبينما قام في الهند الصينية مناخ عدم تقام كامل واحتتار متقابل بين فرنسيي المستعمرة وممثلي فرنسا الجديدة ؛

وبينما كانت العلاقات تفسد بسرعة بين الاميرال دار جانليو والجنرال لوكايرك ، لم تبد باريس أي اهتمام بالقضية الهندية - الصينية : لان قضايا السياسة الداخلية وحدها كانت تستأثر باهتمامها .

وبصورة ضعيفة استسلم الاشتراكي ماريوس موتييه ، الذي حل محل سوستيل في وزارة فرنسا ماوراء البحار ، لضغوط سانتوني ، وأعلمه ، في شهر أيار ١٩٤٦ ، بأنه على استعداد لاستقبال الرئيس هوشي منه . واقلع هذا في ٣١ منه على متن طائرة خاصة ، يرافقه الجنرال سالان واقرب معاونيه ، وفي اليوم التالي ، وبينما كان يحلق في أجواء سورية ، أعلمه الراديو أن « جمهورية كوشنشين المستقلة » أعلنت في مايفغون بالبحاء من تييري دار جانليو .

واستقبل هوشي منه ، مع ذلك ، في باريس ، بكل الحفاوة الخاصة برؤساء الدول . ان معطفه العسكري المهب ، وعمرته الاستعمارية ولحيته جعلته شعبياً لدى جمهور الناظرين . وافتتح المؤتمر الفرنسي - الفيتنامي في ٦ تموز ، في جناح من قصر فونتينبلو . وجلس إلى خوان المناقشة الوفد الفيتنامي برئاسة فام فان دونغ والوفد الفرنسي بقيادة الجنرال سالان والاميرال بارجو . وهددت المفاوضة بالقطيعة مرات عديدة ، ولكنها امتدت حتى ١٣ ايلول دون أن تنتهي إلى شيء ، لأن الجانب الفرنسي رفض بعناد الادلاء بكلمة استقلال ، وتجنب معالجة حالة الكوشنشين .

فقد فام فان دونغ صبره ، وضرب الطاولة بجمع يده ، وأغلق اضبارته ، وانطلق ضارباً الباب وأخذ أول قطار إلى مرسيليا . والتحق به في اليوم التالي هوشي منه مع باقي الوفد . وخشي فوق كل شيء أن يعود إلى هانوي خالي اليدين ويعدم ، فوقع في ليل ١٤ بلاغاً غامضاً ،

حرره موثيه ، يدعو الحكومتين لتابعة سياسة التعاون « بروح الثقة المتبادلة » ، وما الفائدة بعد أن زالت الثقة من كلا الجانبين .

في كوشنشين ، بلغ الفساد بسرعة اجهزة الادارة الجديدة كلها ، حتى ان الدكتور تينه العف النزيه ، رئيس أول حكومة في « الجمهورية المستقلة » وجد مشنوقاً في غرفته في فجر ١٠ تشرين الثاني .

في تولكن ، تعددت الحوادث حتى ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٦ ، عندما انمالت ، تحت حجة واهية ، سفينة الحرب الاستطلاعية « سوفرن » ، ومدفعية الارض والطيران على هايفونغ ، واجتاحت النيران أحياء بكاملها ، وعُد القتلى بالالوف ، وكانوا أول الضحايا لحرب دمرت البلاد خلال ثماني سنوات .

وخلال هذا الدور الطويل توالى الازمات السياسية في فرنسا بايقاع مدو دون أن تجد أي حكومة الواسطة لاتخاذ قرار أو لانهاء النزاع . وبينما كانت النقابات واوساط اليسار المتطرف تتظاهر ضد « الحرب القذرة » في الهند الصينية ، انفجرت الفضائح ، كقضية الحرب وقضية القروش ، ولم تسهم في رفع شأن فرنسا .

في الهند الصينية ، حيث أبدت الوحدات الفتية في جيش الحملة ، قامت الخلافات المذهبية والمنافسات الحادة بين الاشخاص فوضعت الزعماء العسكريين ضد المفوضين السياسيين ، وقد أصبحوا طوراً وطوراً مسؤولين عن حالة تتردى بسرعة . لان عمل القوات المسلحة ، المعتبر في بادئ الامر عملية ضابطة بسيطة ، أخذ مظهر حملة استعمارية حسب التقاليد القديمة : فمن جهة ، الجيش فيت ، الذي يكافح لتحرير بلاده تحت قيادة ضابط شاب ذكي ومتحرك ، استاذ تاريخ سابق ، فونغوين جيباب ؛ ومن جهة أخرى ، جنرالات ذوو ماض مجيد ، حقاً ، ولكن



تشكيلهم اسماء اعدادهم لحرب العصابات : روفير ، بلان ، فالوي ، كاربانتيه ، دولاتر دوتاسيني ، سالان ، كوني ، نافار استنفدوا في هذه الحقبة . وبعثاً طالبوا تارة بتعزيزات وتارة بافتتاح مفاوضات السلام . وفي الوقت نفسه ، سجلوا على أرض المعركة سلسلة اخفاقات مريعة ظلت أسماؤها مشهورة بحزن : كاؤبانغ ، لانغ سون ، دونغ كيه ، هوا بينه ، سهل الجرار ...

وزاد انتصار ماوتسه - تونغ على تشانغ كاي - تشيك في ١٩٤٩ ، وافتتاح حرب كوريا ١٩٥٠ أيضاً ، ثقة الفيت مينه في العالم الشيوعي وحققا لها عروناً متزايداً من الصين والاتحاد السوفياتي .

وفي ٧ أيار ١٩٥٤ ، سجلت نكبة ديان بيان فو نهاية الكارثة . ففي منخفض طوله ١٦ كم وعرضه ٨ تركت ست كتائب فرنسية ، حشد ضدها الجنرال جيب أربع فرق مسلحة بقوة . وبدأ الهجوم الفيت في ١٣ آذار فقابلته دفاع قام به الكولونيل دوكاستري ، وأدى إلى خسارة فرنسا ١٦٠٠٠ رجل : ١٥٠٠ قتيل ، ٤٠٠٠ جريح ، وأكثر من ١٠٠٠٠ أسير .

كانت الموازنة العامة لثمان سنوات حرباً على النحو التالي :

خسرت القوات الفرنسية ٩٤٥٨١ قتيل أو مختف ، و ٧٨١٢٧ جريح ؛ وفي صفوف الفيت - منه ، ٢٢٢٠٠٠ قتيل ، ٢٣٠٠٠٠ أسير . وشردت التخريبات أكثر من مليوني شخص لا مأوى لهم .

### اتفاقات هورنغ

في شباط ١٩٥٤ ، اثناء انعقاد مؤتمر برلين بشأن كوريا ، المؤتمر الذي لم

يؤد إلى أي اتفاق ، اوحى مولوتوف بانعقاد حلقة دولية جديدة تسوي  
معاً قضية كوريا وقضايا الهند الصينية . وقدم هذا الاقتراح بخاصة إلى  
جورج بيدو ، وزير الشؤون الخارجية في حكومة لانيل .

وعفوياً ، قال الوزير الفرنسي نعم . وأعلم بذلك فوستر دالس ،  
أمين الدولة الامريكية ، فقبل بدوره ، وأبدى تحفظه في أن يكون  
الاربعة « الكبار » : الولايات المتحدة .، الاتحاد السوفياتي ، فرنسا ،  
بريطانيا العظمى الدول الداعية ، وبشكل لاتكون فيه على قدم مساواة  
بسيطة مع البلاد الشيوعية في آسيا .

وفي ٢٦ نيسان ١٩٥٤ ، وقبل أن تقع نكبة ديان بيان فو ، افتتح  
مؤتمر جوينيف .

ولم تنقدم المفاوضة بشأن الهند الصينية . وكان الشيوعيون مطمئنين  
للهناج العسكري فلم يبدو مستعجلين للنتائج . وكانوا على حق ، لان  
سقوط ديان بيان فو ، في ٧ أيار ، كرس هزيمة الجيش الفرنسي . وفي  
باريس ، أثارت هذه الكارثة ، بعد كثير غيرها ، رد فعل شديداً في  
الرأي والبرلمان . وهوجمت الحكومة ، واضطرت إلى الاستقالة . وامتدت  
الازمة حتى آخر شهر حزيران . والى الحكومة الجديدة بيير مالمديس  
فرانس ، وجمع بين وظائف رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية ،  
وبهذه الصفة ، ذهب وأخذ مكانه في جوينيف ، وأعلن جهاراً بأن يعطي  
خلال شهر حلاً سلمياً للهند الصينية . وكسب الزمن . وفي الواقع ،  
وقعت هدنة في ٢١ تموز ١٩٥٤ ، وضمت من جديد القوات المتخاصمة  
على جانبي خط العرض ١٧° بانتظار عودة اتحاد البلاد الذي يجب أن يتم  
عند أبعد حد ، في ٢٠ تموز ١٩٥٦ ، اثر انتخابات عامة تشرف عليها  
لجنة دولية .

ونقصت بعض التوقعات بالاحرف الاولى في اسفل هذه الوثيقة :  
توقيع الوزير الامريكى ، الذي رفض التوقيع إلى جانب شو إن - لاي ،  
مثل بلاد تريد واشنطنون تجـاهل وجردها ؛ وتوقيع نفو دينه ديم ،  
وهو سيامي كاثوليكي يدعمه « المستشارون » الامريكيون في مايفون ،  
وقد رفعه باؤ داي إلى منصب الوزير الاول في فيت - نام . ومع ذلك فقد  
كان المشاركون في مؤتمر جوينف يشعرون بأنهم أنهموا حرب الهند الصينية .

### فيت - نام : تجربة قوة ثانية للولايات المتحدة .

وبانتظار المشاورة الشعبية ، في تموز ١٩٥٦ ، كان على فيت - نام  
الشمالية أن تحمل قضايا خطيرة . كانت تضم نحو ١٦ مليون نسمة على  
أرض تبلغ مساحتها ١٦٤٠٠٠ كم<sup>٢</sup> . وكان العمل العاجل بالنسبة للرئيس  
هو شي منه و فام فان دونغ ، رئيس الحكومة ، يقتضي النهوض بالاقتصاد  
الذي دمرته الحرب بغية تأمين اعاشة السكان في الحد الأدنى . واتخذت  
اجراءات جذرية لاستغلال واستثمار أقل قطعة أرض ممكنة وتشغيل  
المعامل و المناجم بغاية السرعة ، بعد أن هجرها في الغالب مالكوها  
القدامى . وساعد الاصلاح الزراعي و خطة التنمية الصناعية في التغلب  
مريباً على الازمة ، بل وعلى تصدير المواد الأولية والاشياء المصنوعة في  
ظروف مرضية . ومنذ السنة الأولى وجد أن مستوى انتاج السلع كالرز ،  
اللحم ، السكر ، الملح ، الفحم ، والكهرباء ، قد بلغ ، بل تجاوز ،  
مستوى ١٩٣٩ .

لقد نصت اتفاقات جوينف على أن تكون هذه السنة ١٩٥٥ ، على  
وجه الدقة ، السنة التي تتحدث فيها حكومتا الشمال والجنوب بغية تنظيم

الانتخابات في السنة التالية . ولكن سايجون أجابت جميع دعوات هانوي بالرفض . وعزز « المستشارون » الأمريكيون ديم في رفضه لبروتوكول جونيف ، الذي لم يوقعه .

كانت الحالة السياسية في جنوب خط العرض ١٧° قريبة من الفوضى . فقد الامبراطور كل سلطة . والشعب المحلي ، الذي لا يتجاوز عادة ١٢٠٠٠٠٠ نسمة ، ازداد فجأة ب ٨٠٠٠٠٠ لاجئ من الشمال ، ولم تكن اعاشتهم وتصنيفهم بالأمر السهل ، فضلاً عن أن وجودهم يزيد بشكل محسوس الفوضى وهي عظيمة من قبل . وكانت العصابات المسلحة للفرق الكاؤدائية ، هواهاؤ ، بن كسووت يمزق بعضها بعضاً بشراسة في معارك حقيقية منظمة وجهاً لوجه . وكانت العناصر السلمية في البلاد تشهد بحزن مبرح هذه الحالة أو تذهب فتضخم الحلايا الشيوعية .

وكانت الفرصة طيبة أمام ديم للاستيلاء على السلطة . وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٥ دعا استفتاء الشعب للاختيار بين ديم و باؤداي . وقررت الأكثرية الساحقة لصالح الوزير الأول ، حتى ان عدد أوراق التصويت تجاوز بصورة واسعة عدد الناخبين . فلما يم ذلك . ووقع باؤداي للمرة الثانية تنازله عن العرش . وأعلنت الجمهورية ، ورئيسها ديم ، في ١٦ تشرين الأول .

ونظم استفتاء ثان ، بشروط الأول نفسه ، حول الحكومة رفض كل اتصال بسلطات هانوي .

ومع ديم في سايجون انتصرت المحسوية ، وأصبحت الفئة الحاكمة تابعة تماماً لواشنطن . وفي ١٩٥٦ ، أُنذرت الحكومة الفرنسية باجلاء آخر قطعاتها المرابطة في فيت - نام الجنوبية . وحلت الولايات المتحدة

محلها . وجاء « المستشارون العسكريون » لتدريب الجيش الفيتنامي وتعليمه ، وأخذ هذا الجيش يتلقى من المصدر نفسه عتاداً وتجهيزات مناسبة .

كان ديم منذ البدء غير شعبي ثم أصبح كريهاً لما مارسه من قمع ضد كل من يعارض ، ولو بتواضع ، سياسته ، وضد من يهتم بالشيوعية . واكتسبت ضابطته السياسية ومحاكمه الاستثنائية شهرة مشؤومة . ولكنها كانت عاجزة ، مع ذلك ، عن إيقاف تقدم هذه المعارضة التي كانت تضم في وسط جبهة التحرير الوطنية ماركسيين اقحاحاً ، وبمثالين عن الفيت - منه ، كما تضم أحراراً وأنصار تفاهم مع الشمال والضحايا التي لا تخصي للنظام المؤسس على الارهاب والمحظية والفساد .

وفي شهر أيار ١٩٦٣ أخذت الازمة الداخلية نسباً مقلقة بقيام البوذيين . وقد اتبعت المظاهرات المنظمة الاولى في هويه برد فعل دام . ونهب المعابد البوذية ، وأثارت الانتحارات اليومية للكهنة البوذيين ، الذين يحرقون أنفسهم احياء في الساحة العامة ، الرأي الدولي ضد حكومة سايجون . وشجب النظام الديمي . وقام الجيش ليضربه الضربة القاضية . وفي ليل الأول من تشرين الثاني ١٩٦٣ هاجم قصر الرئاسة . وقتل قسم من الحرس ، وزحف فريق من الضباط على الأبنجة الخاصة ، حيث قتل ديم وأخوه نهو في ظروف ما زالت مريبة .

### باليه الجمرات

وفي تلك الفترة تقدمت قضية الحرب تقدماً مريعاً . كثرت العصابات النائرة . ونفذ قاتلي الفيت - كونغ في جميع البلاد . وألف الفيت -

كونغ<sup>(١)</sup> قوة سياسية وجيشاً في آت واحد . وطلب ، من جهة ، احترام اتفاقات جونيف ؛ ومن جهة أخرى ، الاستقلال الحقيقي للبلاد التي تخلصت من وجود الجيوش الأجنبية .

وفي السياسة الداخلية ، تركت تصفية ديم فراغاً حاول السياسيون والعسكريون الطموحون سدّه ، وتعاقبت الأزمات : ظلت باليه القادة تلعب خلال ثمانية عشر شهراً بشكل تسوية للحسابات . ففي ١٩ حزيران ١٩٦٥ تغلب قائد الطيران نغوين كاؤكي على منافسيه ، وعلى اثر حركة ، استولى على السلطة ، وأصبح تاسع رئيس دولة في فيت - نام الجنوبية منذ زوال ديم . وحافظ الحكم العسكري ( الحنوته ) الذي أقامه على الاستقرار السيامي النسبي . ولكن الرأي طالب بالعودة إلى النظام الديوقراطي .

وبعد أن راوغ كي طويلاً ، تحت ضغط الموجهين الامريكيين ، قرر أن ينظم انتخابات رئاسية في ٣ ايلول ١٩٦٧ . ولم يكن من هذه الانتخابات إلا أن أقرت شرعية وظائف المستفيدين من الانقلاب ، مع هذا التصحيح ، وهو أن الجنرال نغوين فان تيو ، انتخب ، لمدة أربعة أعوام ، رئيساً لجمهورية فيت - نام الجنوبية ، ورد الجنرال كي ، لنيابة الرئاسة . واحتفظ الاقتراع بمفاجأة وهي : ان قائمة ترونغ دينه دزو ، المسالم والمعارض للحنوته العسكرية ، وضع في المقام الثاني ، بـ ٨٠٠.٠٠٠ صوت ، وإن قائمة تيو - كي ، الاولى ، حصلت على أكثر من الضعف بقليل . وبذل الفيت - كونغ نشاطاً اراهيباً كثيراً أثناء الحملة الانتخابية

---

(١) الفيت - كونغ بالغة الفيتنامية مأخوذ من فيت - نام وكونغ - سان ( الشيوعيين ) . وفي فيت - نام الجنوبية ، اسم أطلق على أعضاء جبهة التحرير الوطنية .

التي ارتفعت موازناتها إلى ٦٥ قتيلاً ، و ٣٠٨ جرحى ، و ٢٧٧ شخصاً  
مخطوفاً ، جروا إلى الأدغال .

وفي ذلك الحين لم تكن قضية التوحيد موضع بحث . لقد اهتمت  
جمهورية الشمال العدو ، وفيما وراءها ، الصين الشعبية ، بتعليم محاربي  
الفيت - كونغ السريين ، وبتقديم الجنود والقواعد والأسلحة والعتاد لهم .

وزاد الامريكيون ، من جانبهم ، ضغطهم . قام الاسطول السابع  
بالحراسة على طول الشاطئ الفيتنامي ، حيث تتوالى سلسلة قواعد محصنة  
مؤثرة . وتلقى الجيش تعزيزات جديدة دون انقطاع . وكانت الطائرات  
الامريكية المقاتلة تهاجم أهدافاً في شمال خط العرض ١٧° حتى محاذاة  
الحدود الصينية . وأصبحت البلاد كلها ميدان قتال واسع ، وحلقت القرى ،  
وعاث الفساد في مزارع الرز والكاوتشوك ، ودفع المدنيون ضريبة حرب  
ثقيلة . وبالرغم من كل شيء ، جرت محاولات للوصول إلى السلام :  
فقد حدد الرئيس جونسون بالضرب بالقنابل على فيت - نام الشمالية ، في ٣١  
آذار ١٩٦٨ ، ثم أوقفه في الأول من تشرين الثاني ، وبدأ بمحادثات مع  
هانوي في باريس في شهر أيار . ولكن طريق السلام طويل .

### (سيام القديمة)

لقد أمن خصب الاراضي المروية بغزارة لثايلاند ، التي يبلغ عدد  
نفسها ٣١ مليون نسمة ومساحتها ٥١٤٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، ازدهاراً نسبياً .  
وجعلها التحالف الامريكي من أغنى بلاد آسيا الشرقية ، بالرغم من أن  
فلاحها ، التابعين لسعر الرز العالمي ، يعرفون دوماً فصولاً عميقة البؤس .

إن دستورها الموقت ، المنشور في ١٩٤٩ ، جعلها ، من حيث

المبدأ ، دولة ديمقراطية ، وعلى رأسها وجد الملك الشاب بهو ميدول آدوليا ديجي يساعده مجلس خاص يعين الملك أعضاءه والسلطة التنفيذية بيد مجلس الوزراء الذي يرأسه اليوم الماريشال تانوم كيتيكاشورث ، وقد أصبح ، في ١٩٦٣ ، خلفاً للماريشال ساريت قانادات ، الذي خلع في ١٩٥٧ بيبول سونغوام ، سيد البلاد منذ ١٩٣٨ . وإلى جانبه ، الجنرال برفاس شاروواتين ، رجل النظام القوي ، الذي كان معاً وزير الداخلية وقائداً أعلى للجيش ، وقانات خومان ، وزير الشؤون الخارجية ، نصير التشيع دون حيطة لسياسة الولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا .

ومنذ إبرام معاهدة حلف جنوب شرقي آسيا ( O.T.A.S.E ) أخذت التايلاند مظهر حصن حقيقي امريكي يقيم فيه على الدوام ٣٠٠٠٠ جندي ، كما رصدت واشنطون ٨٠ مليون دولار لانشاء قواعد من كل نوع ، وأراضي طيران ، ومحطات ملاحية جوية - بحرية . ومنها كانت طائرات B-52 ، F-105 ، و F-4C تطلع وتقنبل فيت - نام الشمالية حتى تشرين الثاني ١٩٦٨ .

وحط فيها الرئيس جونسون ، في ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٦ ، في ختام مؤتمر مانيللا . واستقبلته فيها السلطات استقبالا حاراً ، مصطبغاً ، مع ذلك ، بامتعاض من جانب النخبة الفكرية وبعض الحلقات السياسية .

### اللاؤس

لقد أعطى مؤتمر جونييف استقلالاً رمزياً لفيت - نام ، وأعاد السيادة للعضوين الآخرين في الاتحاد الهندي - الصيني السابق : اللاؤس وكمبرديا .



واللاؤس مستقلة ذاتياً منذ ١٩٤٩ ، ومستقلة استقلالاً تاماً منذ ١٩٥٤ ، ومع ذلك تحملت طويلاً نتيجة النزاع الذي امتد منذ ١٩٤٥ على حدودها الشرقية . وذلك أن تكوينها الجغرافي يعرض منظورات طيبة ، في فيت - نام الجنوبية والشمالية ، على السترايجيين الذين يريدون مهاجمة العدو فجأة دون التعرض لسدود النار في خط العرض ١٧° . وقد فهمت الفيت - منه ذلك جيداً عندما أقامت ، في عام ١٩٥٣ ، عصاباتهم الاولى بقصد الهجوم من خلف على الوحدات الفرنسية المتجمعة في خليج تونكن . وفهم الجنرال نافار المناورة جيداً ، وجعل دبان بيان فو في مركز تشكيله المخصص لمنع التسللات الشيوعية باتجاه اللاؤس . ونعرف ما نجح عن ذلك . واليوم أيضاً ، تخلق الطائرات المقاتلة الامريكية فوق اللاؤس ، بالرغم من نظام الحياذ الذي اعترف به لهذا البلد في اتفاقات جوينف ١٩٦٢ .

واللاؤس بمدة نسبياً . مساحتها ٢٣٦٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، ونفوسها ٢٣٠٠٠٠٠ نسمة فقط . وقد سوى منها دستور ١٩٥٦ ملكية دستورية . وتعكرت الحياة السياسية فيها بتنافس د ثلاثة أمراء ، يتنازعون السلطة ، سوفانا فوما الحايذ ؛ بون آوم ، نصير التحالف الوثيق مع الولايات المتحدة ؛ سوفانو فونغ ، زعيم الباتيت - لاو ( لاؤس الحرة ) التقدمي . وبينما كان الملك يقيم في لوانغ برابانغ ، عاصمة الشمال ، كانت فيانتيان ، العاصمة الادارية ، تطالب بها طوراً وطوراً الأحزاب المتنافسة . وبعد عدة انقلابات، تحقق أخيراً اتفاق، في ١٩٦٢ ، وبوجبه تشكلت حكومة اتحاد وطني يرأسها الأمير سوفانا فوما . غير أن ضغوط بانكوك ، بعض الأطماع الشخصية ، أثارت الخلاف، مع ذلك ، دورياً . وفي ٢٢ تشرين الأول ، أيضاً ، حاول الجنرال ثوما ، زعيم الطيران ، حركة

عسكرية جديدة . ولكنه أخفق بسرعة وقرّر بطريق الجو وحط في  
التايلاند ، الملجأ الطبيعي للثاثرين اللاوسيين المهزومين .

## كمبوديا

كمبوديا أقل سعة من اللاوس . سطحها ١٧٥٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، ولكنها  
أكثر سكاناً ، ويبلغ عدد نفوسها ٥٧٥٠٠٠٠ نسمة . تحملت كجارتها  
البائسة ضغوطاً كثيرة من فيت - نام الجنوبية والتايلاند اللتين حاولتا  
جرها إلى المعسكر الأمريكي . ولكن الأمير نورودوم سيهانوك ،  
الذي يتزعم مقدرات بلاده ، قرر اختيار سياسة حياد دقيق بين الكتلتين ،  
وهذا ما ساعده على تلقي مساعدة جهورية من الولايات المتحدة وفرنسا  
وكذا من الصين والاتحاد السوفياتي . وقد مهر الفنيون الاجانب ،  
بخاصة ، كمبوديا بشبكة طرق ، ومستشفيات ، ومطار حديث بالقرب  
من فنوم بن العاصمة ، وميناء كومبونج سوم في جوف خليج سيام .  
فحررت بذلك تجارتها من وصاية سايعون التي كانت منفذها الوحيد على البحر .

والأمير سيهانوك شاب ذكي ، مستنير ، مجرب ، عارف بالانظمة  
الغربية ، وقد اهتم باقامة الأنظمة الديمقراطية في كمبوديا . وفي ١٩٤٧  
أصدر دستوراً جديداً ، منسوخاً عن دستور فرنسا . ولكنه اهتم بالحكم  
أكثر من تولي العرش ، ولم يحسن تحمل المرامم المعقدة في البلاط .  
وتنازل عن العرش ، في ٢ آذار ١٩٥٥ ، لصالح أبيه نورودوم  
سوراماديت ، وأصبح له الوزير الأول ، وأسس عندئذ السانفكوم ،  
حزب الجبهة الوطنية باتجاه اشتراكي ، وشابعته النخبة الحزبية السياسية والفكرية .

ويموت أبيه ، في ١٩٦٠ ، عهد إلى الملكة أمر تأمين استمرار

السلالة ، واهم من جانبه بابقاء البلاد بعيداً عن الخلافات التي تجتاح الدول المجاورة .

وكانت علاقات كمبوديا مع فرنسا ودية دوماً . وقد استقبل الامير نورودوم سيهانوك استقبالا رسمياً في باريس ، في ٢١ حزيران ١٩٦٤ . وفي فنوم بن ، القى الجنرال دوغول ، في ٣١ آب ١٩٦٦ ، خطاباً مدوياً رد فيه على رسالة الحكومة الامريكية ، وطلب منها أن تسحب جيوشها من فيت - نام ، وأن تعقد مفاوضات سلام ، وأن تحترم « حياض الشعوب الهندية - الصينية » .

وشعب الخمير شعب وديع ، مضاف ، يتعلق من أعماقه بالتقاليد البوذية . وتأتي موارده الاساسية من صيد الاسماك وزراعة الرز ، والقطن ، والفلفل ، والتبغ .

### ماليزيا الكبرى ( الملايو )

في ختام تغييرات طويلة دامية ، ولد اتحاد ماليزيا الكبرى ( الملايو ) ، في ١٦ ايلول ١٩٦٣ ، وضم ١٤ دولة مساحتها الكلية ٣٣٢٨٩٩ كم<sup>٢</sup> ، ونفوسها ١٠ ملايين نسمة ، أي الاحدى عشرة دولة في الاتحاد الماليزي القديم ، في طرف شبه الجزيرة التايلاندية ، التي انضمت اليها دولة سنغافورة ، وساراواك وصباح المستعمرتان الانكليزيتان السابقتان الواقعتان في شمال بورنيو ، والمنفصلتان عن بحر الصين الجنوبية بـ ٦٤٠ كم . والعاصمة الاتحادية هي كوالا - لمبور ، في دولة سيلانغور . ثم انفصلت دولة سنغافورة في عام ١٩٦٥ وأصبحت دولة مستقلة في الكومنولث البريطاني .

وهدف هذا الانشاء أن يضم دومنيونات جنوب شرقي آسيا ، الخاضعة لنظام « تسويات المضائق » المعقد ( من أجل سنغافورة ، بينانغ ، ومالاقا ) ، ودولاً متحدة ودولاً أخرى غير متحدة . ولم يتحقق هذا الانشاء دون ألم في هذه المنطقة التي تبدو ملتقى عجيباً للأعراق . ولا يشغل الملاييون الأصليون فيه إلا المكان الثاني بـ ٤٠٪ من السكان ، بعد الصينيين الذين يؤلفون ٤٣٪ . ثم يأتي بعد ذلك الهنود ( ٩٪ ) ومن أصلهم من بورنيو ( داياك ، ميلانو ، دوسون ، موروبوت ، النغ . ) ( ٧٪ ) ، والأوروبيون ، والاوراسيون . والاسلام ، الدين الوطني ، يمارسه الملاييون جميعاً وبعض الهنود . وهؤلاء الأواخر موزعون أيضاً بين المؤمنين بالهندوكية وديانة السيخ ، والصينيون أتباع الكونفوشييه ، والطاوية أو البوذية ؛ والسنغاليون بوذيون . وتحاول المسيحية أن يكون لها أتباع من جميع الطوائف .

ولا يقل تنوع اللهجات عن تنوع الديانات ، ومع أن اللغة الملايوية هي الرسمية فإن اللغة الانكليزية تبقى أفضل واسطة للاتصال ، وتستعمل بشكل واسع في التعليم والمبادلات التجارية .

### اثنتا عشرة سنة حروباً أهلية

ولم تكن العلاقات دوماً مطبوعة بالركة والعذوبة بين مختلف الجماعات العرقية . وكانت سينة صراحة ، في عام ١٩٤٥ ، عندما عادت الادارة البريطانية إلى البلاد بعد أربع سنوات من الاحتلال الياباني . في كانون الثاني ١٩٤٦ ، نشرت لندن قراراً وزارياً ينص على تشكيل اتحاد ماليزي تفيد فيه جميع الطوائف من حقوق واحدة . ورأى الملاييون أنهم مهددون بفقد امتيازاتهم القديمة فاتحدوا ضد هذا المشروع .

وقامت حملة تحض على الثورة دبرها الشيوعيون الملاويون ، في الجيش المناوىء لليابان ، الذين كانوا يكافحون المحتل الياباني مرأ ولم يلقوا السلاح . ثم صرف النظر عن المشروع . وفي الأول من شباط ١٩٤٨ ، استبدل بخطة اتحاد ملاوي تضع شروطاً شديدة للمواطنة . فاحتج غير الملاويين هذه المرة ، وبخاصة الصينيون والشيوعيون ، الذين كانوا يتلقون اوامرهم من ماوتسه - تونغ .

واضيفت الفوضى السياسية والاجتماعية الى الحالة الاقتصادية الاليمة ، ومالبت النزاع أن اخذ شكل ثورة حقيقية .

وفي شهر حزيران ، قامت حركة اضراب واسعة في المناجم والمزارع فشلت البلاد جميعاً . وسلكت الجيوش الشيوعية طريق العصابات في الادغال وساد جو الارهاب على الارياف . واضطرت السلطات الاتحادية أن تستنجد بقوى الكومنولث المسلحة ، البريطانية ، الاوسترالية ، الزيلاندية - الجديدة ، والافريقية ، وتدارك انتقال وامكان نصف مليون فلاح كانت قراهم تتحمل الضغط الشيوعي .

وامتدت الفوضى اثنتي عشرة سنة ، وفي ١٩٦٠ فقط رفعت حالة الاستثناء التي قررت في ١٩٤٨ .

ومها يكن فان الحقوقين والبرلمانيين تابعوا أعمالهم التي ترمى إلى تشكيل أمة ملاوية . وفي ١٩٥٥ ، اقترح دستور اتحادي جديد في ماليزيا ، واعطت انتخابات ٢٧ تموز الاكثرية الساحقة الى الأمير تنكو عبد الرحمن ، زعيم الحلف ، الذي حصل على ٥١ مقعداً على ٥٢ في البرلمان المحلي . وبصورة موازية ، بدلت انظمة سنغافوره وميلسكات شمال بورنيو في اتجاه تاريخ عصراً (٣٦)

الاستقلال الذاتي . وفي ربيع ١٩٦١ ، اقترح هبد الرحمن الوزير الملاوي الأول انشاء الملايو ( ماليزيا ) ، الرابطة السياسية لممتلكات التاج السابقة في هذا القطاع من العالم . ونصر استفتاء في سنغافوره ، وانتخابات في صباح وساراواك انصار هذا التشكيل الذي أصبح حقيقة واقعة ، في ١٦ ايلول ١٩٦٣ .

وتعتبر ماليزيا ، عضو الكومنولث والمثلة في الأمم المتحدة ، دولة ذات سيادة ، ملكية دستورية ، ينتخب مليكها لمدة خمس سنوات السلاطين الملاويون الوراثيون في مجلس السادة . وتأمين السلطة التنفيذية بواسطة الحلف وهو ائتلاف سيامي تمثل فيه : منظمة الملاويين الوطنية المتحدة ورابطة صيني ماليزيا ( M . C . A . ) ومركز هنود ماليزيا ( M . I . C ) والسلطة التشريعية خاصة بالبرلمان وهو يتألف من مجلسين ديوان نيغارا ( مجلس الشيوخ ) وعدد أعضائه ٥٠ عضواً ، وللايتهم ستة أعوام ولا يمكن أن تحل ؛ ودينان رعايات ( المجلس الأدنى ) وعدد أعضائه ١٥٩ نائباً وينتخبون لمدة خمسة أعوام .

والاقتصاد الملاوي مؤسس ، من جهة ، على الزراعة ، والعناية بالغابة للحصول على الأخشاب ، وصيد الأسماك ، وتستخدم جميعاً ٥٣٩ ٪ من الشعب العامل ، أي ١٧٩٧٤٠٠ شخص ؛ ومن جهة أخرى ، على انتاج المواد الأولية ، ومن وجهة النظر هذه ، تتصرف البلاد بموارد طبيعية هامة . وهي من أهم البلاد المجهزة بالكاشوك والقصدير في الاسواق العالمية . وساعدت التوظيفات المالية التي قبلها الاتحاد على تجهيز موانيه الثلاثة بالأجهزة الحديثة : سنغافوره ، وتبلغ حركته ١٤ مليون طن بضائع كل سنة ؛ بينانغ ( ٣ مليون طن ) ؛ سويتنام ( ٢ مليون طن ) .

وعدا ذلك توجد تجارات أقل أهمية تنعش موافي مالاقا ، كوالا دنغون ،  
تيلوك ، آنسون ، ميرى ، سانداكين ، لابوان ، إلخ .

وتصل الخطوط الجوية الدوابة والطيران الملاوي أهم مدن الاتحاد .  
وأخيراً ، قامت المشاريع الكبرى على أرض الملايو كلها في هذه  
السنوات الأخيرة ، بغية تحسين الزراعات وتشجيع التصنيع ، وثلها  
الحكومة البريطانية في القسم الأعظم منها ، كما تحملها منظمة تنمية الكومنولث .

### اندونيسيا وسوكارنو واندونيسيا الجبشى

غداة الحرب العالمية الثانية ، وجدت البلاد المنخفضة ، كفرنسا  
في آسيا ، أمام الأمر الواقع . ودعيت الدولتان الاستعماريتان لمجابهة  
القضايا الخطيرة في بلديهما ، ولم تفهما ، بالتالي ، سعة الحركة الثورية التي بدأت  
في الطرف الآخر من العالم .

في ١٧ آب ١٩٤٥ ، انقطعت الهند الهولندية عن الوجود . وفي  
باتافيا ، التي استعادت اسمها القديم جاكارتا ، أعلن الدكتور سوكارنو  
في ذلك اليوم ، استقلال جمهورية اندونيسيا . وفي ٦ ايلول تألفت  
حكومة جديدة وسمي سوكارنو رئيساً للجمهورية .

وعندما كانت حكومة الملكة وللمين ، في منفاها في لندن ،  
أعلنت ، في ١٩٤٢ ، خطة اصلاح لمستعمرتها الشرقية ، لتخولها ، نوعاً ما ،  
بعض الاستقلال الذاتي ، ولم تكن موضع بحث قضية قطع الروابط التي  
تجعل من اندونيسيا الغنية ممتلكاً للتاج .

ولكن تم تجاوز وجهات النظر هذه بشكل فريد عندما عاد البلاط  
والحكومة الهولندية إلى لاهاي التي تحررت أخيراً من الاحتلال النازي .

وانقضت أزمته « سياسة المدفع » ، وعندما نزل النائب - الحاكم فان موك في جاكارتا ، في تشرين الأول ١٩٤٥ ، بمهمة استرجاع المستعمرة بيده ، وجد نفسه أمام سوكارنو غير مستعد للانحناء .

وفي هذه الحالة كان النزاع غير محتجب الوقوع ، ووجد الهولنديون بعض حلفائهم متعصبين ضدهم ، لأن الولايات المتحدة وأستراليا ، بخاصة ، كانتا تكرهان عودتهم إلى المحيط الهادئ . وقد شعرت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى نفسها بالصعوبات الخطيرة في هذا القطاع من العالم ، فترددتا . وبسرعة فائقة توصلت الحكومة الهولندية إلى التفاوض ، ولم تأت بحسن نية أكثر من حكومة باريس ، في نفس الوقت ، في البحث عن تسوية . وأدت وساطة بريطانية إلى إبرام هدنة ، في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٦ ، وبعد شهر على اتفاق لتفاجاتي قبلت حكومة لاهاي ووقعت الاتفاق في ٢٥ آذار ١٩٤٧ .

ويتضمن هذا الاتفاق ، بصورة أساسية ، إنشاء « اتحاد هولاندي - أندونيسي » ، تدخل فيه « الولايات المتحدة الاندونيسية » ، التي تضم جمهورية اندونيسيا ( جاوا ، سومطرا ، مادورا ) ، « الشرق الأكبر » ، وبورينو ، تحت سلطة الملكة . ولم يطبق مطلقاً .

وبينا كان الطرفان يركزان على مظاهر الاتفاق الاقتصادية ، انفجرت في الجزر حركات انفصالية أوحى بها المعمرون كثيراً أو قليلاً وشجعوها ، واتخذت الحكومة الهولندية من ذلك حجة وقامت ، في ٢٠ تموز ١٩٤٧ ب « عملية ضابطة » في ميدان وشيريبون . وتدخلت الأمم المتحدة ، هذه المرة ، وفرضت هدنة وقعت ، في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٨ ، على متن السفينة الأمريكية « رنقل » ، وردت أرض الجمهورية إلى منطقة جاوا الوسطى وأراضي سومطره العالية .



اضطر الرئيس سوكارنو إلى الانحناء ، تحت ضغط قضايا خطيرة داخلية واقتصادية وسياسية . ولم يقد إلا من بضعة أشهر من السلام النسبي . وفي ١٨ ايلول قامت ثورة شيوعية في سوراكارتا وفي ماديوم ، وتمعت بسرعة وشدة ، ولكنها جهزت أنصار اسلوب الشدة بحجة . وقامت « عملية ضابطة » ثانية موجهة ضد جو كجا كارتا ، العاصمة الجمهورية الموقبة التي ضربت بالقنابل جواً . وأخذ سوكارنو ومحمد هاتا ، رئيس الحكومة ، وعدة وزراء أمرى ، وراقب المظليون الهولنديون جميع ملتقيات الطرق واحتلوا جميع العمايز العامة .

ومن الممكن أن يظن أن الجمهورية الاندونيسية انتهت في هذه المرة . ولكن الرأي العالمي استنكر ضربة القوة وغادت الحرب تدريجياً في داخل الجزر ، وقدخلت الأمم المتحدة من جديد وأمرت وقف النار . وأندرت القوات الهولندية باخلاء جو كجا كارتا ، ودخلها سوكارنو في ٦ تموز ١٩٤٩ ظافراً . وفي ٢٧ كانون الأول التالي ، في ختام مؤتمر المائدة المستديرة ، الذي انعقد في لاهاي ، اعترف رسمياً باستقلال اندونيسيا . وقامت الملكة جوليانا عن البلاد المنخفضة ومحمد هاتا عن اندونيسيا بنقل السيادة . واستعادت جا كارتا مكانتها عاصمة .

وفي ١٧ آب ١٩٥٠ صدر دستور مستوحى من مبادئ سوكارنو الخمسة ( بانتجاشيلا ) : القومية ، الانسانية ، الديمقراطية ، العدالة الاجتماعية ، الايمان بالله ، وفي ١٠ آب ١٩٥٤ فسخ الاتحاد الهولندي - الاندونيسي . وهكذا انقطعت آخر حبال الوصل ، الرخوة حقاً ، التي كانت تربط الجمهورية الوحدية الفتية بالادارة الهولندية .

وهيات أن يتم التغلب على جميع الصعوبات من أجل ذلك . فنذ ١٩٥٠

كان على الحكومة الاندونيسية أن ترد ، طوراً و طوراً ، محاولة استرداد جنوبية لمغامر هولاندي ، النقيب وستولينغ ، وعدة ثورات ذات طابع استقلال ذاتي في جزر الملوك ومكسر . واضطرت ، في ١٧ تشرين الأول ١٩٥٢ ، إلى قمع حركة عسكرية في العاصمة . وفي ايلول ١٩٥٣ ، حاولت حركة دار الاسلام ، التي تتصرف بجيش مؤلف من ٥٠٠٠ رجل ، أن تثير سكان جاوا وسومطرة ، وأن تفرض حكومة مشيئة إقليمية .

وكشفت انتخابات ١٩٥٥ عن وجود أربعة أحزاب سياسية كبرى :

١ - المسجومي ، وهو من ابناء ديني ، محافظ ، مناوئ للشيوعية بعنف .

٢ - نهضة العلماء ، وهو فرع منشق عن التشكيل الأول وأكثر منه اعتدالاً .

٣ - الحزب الوطني الاندونيسي الذي أسسه سوكارنو ، وبرناجه يرمي إلى وحدة الارخبيل واستقلاله .

٤ - الحزب الشيوعي ، أخيراً ، ويمارس بعض النفوذ على النقابات الاندونيسية ، كتنقابة عمال السكك الحديدية التي تأسست في ١٩٠٥ ، وهي أقدم النقابات وأفضلها تنظيماً في جنوب شرقي آسيا .

ومن البديهي أن الدكتور سوكارنو، رئيس الجمهورية الاندونيسية مدى الحياة ، لا يمكنه أن يلعب إلا دور الحكم بين زعماء هذه الأحزاب المختلفة .

انفجرت الأزمة الاولى ، في كانون الثاني ١٩٥٧ ، عندما قام حزب

المسجون ، تدعمه بعض عناصر الجيش الوطني ، وأندره مجل البرلمان وفتح الاتفاقات التي أبرمها في السنة السالفة في موسكو وبكين . وقاوم رئيس رئيس الدولة الحاصفة .

رفض أن يشجب الـ ٦ مليون مواطن الذين أرسلوا ٣٩ نائباً شيوعياً إلى البرلمان وأن ينثني عن سياسته الخارجية . وعزل الضباط المتمردين ، وتخلّى رفيقه السابق في النضال ، هاتا ، عن نيابة الرئاسة . وبالتالي استقال جميع الوزراء التابعين لحزب اليمين .

ومافئء الاضطراب في ازدياد ، تشجعه ، كما يقال ، منظمات أجنبية . وتعددت الاغتيالات . وفي ٣٠ تشرين الثاني ، بخاصة ، نجح سوكارنو من قبلة انفجرت حوله وسقط على اثرها ١٥ قتيلاً وبعض الجرحى . وتقرر الاضراب العام .

ورأى سوكارنو أن يغيب عن الأنظار أملاً بأن يساعد غيابه على تهدئة الأفكار ، وعهد بوكالة الرئاسة إلى ساتومو ، رئيس المجلس الوطني ، وذهب في بداية ١٩٥٨ في رحلة طويلة إلى الخارج . واستقبل تبعاً في اليابان ، النرويج ، السويد ، الهند ، باكستان ، بورما ، سورية ، مصر ، ويوغوسلافيا . وأكد في كل مكان بأنه نصير مؤمن مقتنع بالحياد الإيجابي والتعايش السلمي . ثم عاد إلى جاكرتا ، في شباط ١٩٥٨ ، وعلم أن محاولة انقلاب عسكري أجهضت في سومطرة حيث قهرت القوات الموالية دون عناء زعماء الجيش الثائرين .

وفي أيار ١٩٦٣ ، وبعد نزاع طويل حكمت فيه الأمم المتحدة انتقلت جزيرة غينية الجديدة الغربية ( ايربانه ) إلى الادارة الاندونيسية .

وبينما كانت الحكومات تتعاقب من ( الاتحاد الوطني ) ، تعززت الأحزاب

وأدت الى أزمة ، أخطر أزمة وأدماها في تاريخ الجمهورية الاندونيسية القصير .

وبعد أن حرم الحزب الشيوعي من زعمائه ، في العام ١٩٤٨ ، بسبب القمع ، عاد فتألف من جديد واسترجع اعتباره كله بدفع من د . ن آيديت أمينه العام الشاب والحري . وفي ايلول ١٩٦٥ ، كان يضم ٣ ملايين عضو ، واعتقد بأنه قوي بصورة كافية ، وباستطاعته استلام السلطة . وجرت محاولة عملية في الليل من ٣٠ ايلول - الى الأول من تشرين الأول ، وانشئ « مجلس ثوري » تحت ادارة النائب الكولونيل اونتونج قائد الحرس الرئاسي ، ووضع رئيس الدولة تحت « حمايته » وقام ، بين الحزب الشيوعي الاندونيسي والجيش ، نزاع حتى الموت . وعبثاً ، في هذه المرة ، عرض سوكارنو وساطته . ولم يصغ اليه العسكريون الذين أخذوا عليه غزله الطويل مع « المتمردين » الماركسيين . وخول الجنرال عبد الحادس ناسوتيون ، وزير الدفاع والقائد الأعلى للقوى المسلحة ، نفسه سلطات واسعة . وكلف الجنرال سوهارتو بالحفاظ على النظام في العاصمة ، وتحت حماية المدرعات ، نظمت المجزرة بشكل أصولي . وقتل الكولونيل اونتونج و « شركاؤه » في الجرم . واشعلت النار في مقر الحزب الشيوعي ، وأوقف الاشخاص المشهورون بتعاطفهم مع الحزب الشيوعي الاندونيسي ، وفي الغالب أعدموا دون محاكمة . وفي شهر أيار ١٩٦٦ ، قدر أن ضحايا حمام الدم كانت أكثر من ٧٠٠.٠٠٠ ضحية ، في اندونيسيا كلها .

ولكن الزعماء العسكريين لم يكتفوا بعد . بل طالبوا برؤوس شهيرة . فقد اوقف ثمانية عشر وزيراً من وزراء سوكارنو ومثلوا أمام محكمة خاصة . وفتحت سلسلة هذه الدعاوى بدعوى حاكم البنك الوطني ،

يوسف مضيء الظلام . وفي ٥ ايلول حكم عليه بالموت . وبعده مثل الدكتور سوبانديرو ، وزير الشؤون الخارجية السابق والصدیق الشخصي لرئيس الدولة ، الذي جعل منه « ولي عهده » . وفي ٢٦ تشرين الأول ، سمع سوبانديرو قرار الحكم عليه بالموت .

وقات ذلك أحكام أخرى عديدة ، حتى ٢٨ آذار ١٩٦٨ . عندما انتهى الجنرال سوهارتو بجلع سوكارنو وعمل على انتخاب نفسه رئيساً للجمهورية الاندونيسية لحسة أعوام .

وبعد كثير من التقلبات الأليمة ، بلغت الجمهورية الاندونيسية رشدھا . فهل تجد أخيراً توازنھا ؟ ان الارخبيل الاندونيسي أهم ارخبيل في العالم ، فهو يتألف من نحو ٢٠٠٠ جزيرة ، من كل الابعاد ، ممتدة على ٤٠٠٠ كم ، ونفوسه ١٠٥ مليون نسمة وتوجه الآن حكومة عسكرية ( خوئته ) . وبدأ رؤساء هذه الحكومة يطالبون منظمة الأمم المتحدة بالسكان الذي غادره النظام السابق بضجة ، في كانون الثاني ١٩٦٥ . واعرخوا أيضاً عن عزمهم على العيش بعلاقات طيبة مع جارتهم التيلاند ، والملايو ، بعد أن اوقعهم معها طويلاً خلاف عنيف بسبب بورنيو ، والفيليبين واستراليا .

ويريد الجهاز الجديد ان يعطي الاولوية إلى القضايا الاقتصادية التي جعلتها عشرون سنة من المنازعات الداخلية في حالة اھمال . وكان النهوض سهلاً ، لاسيا وان البلاد بمهورة بثروات طبيعية تجعل منها ثاني منتج عالمي للكاوشوك ( ٦٠٠٠٠٠ طن في العام ) ، ورابع مجز بالرز ( ٤٧٠٠٠٠٠ طن في العام ) والقصدير ( ٤٤٠٠٠ ) . فضلاً عن أن أرضھا من اخصب الاراضي . وتكشف أرضها التحتية أيضاً عن مناجم عظيمة من البترول والفحم والبوكسيت والكوبلت والنيكل والماس .

ولكن الشرط الاول لهذا النوض هو بضع سنوات من الاستقرار  
السياسي .

### الفيليبين

كانت الفيليبين مستعمرة اسبانية قديمة ثم تخلت عنها الولايات المتحدة  
بموجب معاهدة باريس ، في ١٠ كانون الاول ١٨٩٨ ، ومافتئت ، منذ  
ذلك الحين ، تناضل في سبيل استقلالها . وقد خول لها هذا الاستقلال ،  
في ٤ تموز ١٩٤٦ ، في شروط تحدد بصورة غربية أهميته .

تمتد جمهورية الفيليبين على أرخبيل يتألف من ٧٠٠٠ جزيرة وجزيرة ،  
منها ٥٠٠ جزيرة فقط مأهولة بالسكان ، وتغطي جميعاً مساحة  
٢٩٧٠٠٠ كم<sup>٢</sup> . ونفوسها ٣٣٥٠٠٠٠٠ نسمة ، وهم ، في القسم الأعظم  
منهم ، من أصل ملاوي . ومع ذلك ، يؤلف الهنود والصينيون والعرب  
فيها طوائف هامة . ويبلغ نفوس العاصمة مانيلا ١٧٠٠٠٠٠ نسمة .

ولم يغير الاستقلال بنية البلاد السياسية والاقتصادية . وقيم  
الامريكيون فيها ثلاثين قاعدة عسكرية قوية . وتستغل المشاريع  
الامريكية فيها اعظم جزء من ثروات الارخبيل الطبيعية : الرز ، القهوة ،  
التبغ ، قصب السكر ، مناجم الفحم ، الفضة ، الحديد ، النحاس وآبار  
البترول . وبالإضافة إلى هذه الشركات البعيدة ، تشرف الاوليفارشية  
« الاقلية » ، مالكة الأفيان ، على أملاك واسعة رد فيها الشغيلة إلى  
حالة الاقتان . والطبقة الكادحة الصناعية غير موزعة بشكل أفضل في هذا  
الاقتصاد العاجز الذي تبلغ فيه البطالة مايقارب ربع السكان .

ان الشعب الفلبيني ، الذي كان بشكل ، بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ ،

عصابات عديدة في الارخبيل كله ويمد حرباً ضروساً ضد المحتل الياباني ، رأى برارة أن عودة الامريكيين لم تأت بأي تحسين لمصيره . وغادرت حكومة الرئيس كرويزون ، التي كانت في المنفى ، المكان لحزب مانويل روكساس الحر ، وهو مالك أطيان غني يفضل أقرباه ويشجع على الرشوة والفساد .

عندئذ شكل الثوار المناوئون لليابان « جيش التحرير الشعبي » وكان قوياً ب ٣٠٠٠٠ رجل . وكان يفيد من العطف الذي كان يتمتع به في الأرياف . وبعد روكساس ، وبعد كويرينو ، دعي الزعيم العسكري ، دامون ماغسيسي ليقم قليلا من النظام في شئون البلاد . وقبلت بعض الاصلاحات الزراعية ، ولكن مستوى حياة العمل والفلاحين ظل في الدرك الأسفل .

وعاد الأمل ، في بداية سنة ١٩٦٦ ، بعد انتخاب فوناندو ماركوس لرئاسة الجمهورية . وهو محام ، عمره أربعون سنة ، ومحارب قديم في الحرب السرية ضد اليابان ، وقد خصص المحتلون جائزة لمن يأتي برأيه بعد أن نفذ الحكم بأبيه ، رئيس مجلس الشيوخ السابق . وقرر هذا الانسان العف النزيه ، أن ينهي البؤس الذي يفتك ببلده .

وربح القوميون الفيليبينون الجزء الاول من معركتهم . وظلوا يقظين ، مع ذلك ، وعلنوا عن عزمهم على طرد الامريكيين ليعلموا ، بعد كثير من التقلبات ، ديموقراطية حقيقية .

## الهند بين عالمين

إذا كانت بريطانيا العظمى طويلاً أول دولة استعمارية في العالم ، فقد كانت أيضاً أول الدول التي جوبهت بقضية الاستعمار ، وحلتها بروح واقعية في الشرق الأقصى ، واعترفت رسمياً ، منذ ١٩٤٧ ، بسيادة الهند دون التوصل ، مع ذلك ، إلى صيانة وحدتها .

ان العداء المزمع ، الذي أقام في شبه الجزيرة الهندية المسلمين ضد الهندوكيين ، عمل على اخفاق مؤتمر سيملا ونيو دلهي في ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ومنع تشكيل دولة اتحادية كبرى .

في ٢٠ شباط ١٩٤٧ ، أعلن كليمانت أтли وزير المملكة المتحدة الاول ، في وستمنستر ، الاستعاضة عن اللورد وافيل باللورد مونتباتن في وظيفة نائب - ملك الهند وعزم حكومته على نقل جميع السلطات السياسية إلى حكومة محلية ، في الآجل البعيد في حزيران ١٩٤٨ . وفي ٢ حزيران ١٩٤٧ ، تمكن مونتباتن من أن يقدم فلندن خطة ثالث رضى الطائفتين . وحصل الرئيس المسلم محمد علي جناح لائناء دينه على انشاء دولة مستقلة سميت « الباكستان » أي « بلد الأَطهار » ، وستصبح كاراتشي عاصمة لها . وفي ١٥ آب سحبت القوات الانكليزية كلها من الدومنيون السابق ، وشكل حزب المؤتمر مباشرة حكومة مؤقتة .

وفي بداية السنة الثانية ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨ ، زال بشكل مفاجع أهم صانع للاستقلال ، الزعيم السياسي والديني في الهند ، المفاوض الذي لا يكل ، حواري اللاعنف ، الماهاتما « النفس العظيمة » ، غاندي ، الذي سقط ، تحت طعنات براهماني متعصب ، في سن التاسعة والسبعين



عندما انتصرت أفكاره في ختام كفاح طويل . وانتخب أعز تلميذه ، البانديت ( د العالم ) جواهر لال نهرو وله من العمر آنذاك تسع وخمسون عاماً ، وزيراً أول للجمهورية الهندية ، الحرة والمستقلة ، التي أبقاها في الكومنولث . واحتفظ ، عدا ذلك ، بحقية الشؤون الخارجية وتولى مهامها حتى وفاته .

وكان عليه أن يسوي قضية المؤسسات الفرنسية في الهند ، وعقد بشأنها اتفاق على النقل بحكم الواقع في ١٩٥٤ ، وغوا التي استردت من البرتغال في ١٩٦١ .

### الصين مدار خطير

لقد ساعد موقف نهرو المحايد على عرض وساطته على الطرفين المتخاصمين في حرب كوريا . وبعد غزو التبت ، في ١٩ آذار ١٩٥٩ ، لم تعد الهند سوى حاجز رقيق للجيش الصينية التي لاحقت الدالاي - لاما إلى ما وراء الحدود الهندية . وكثرت الحوادث التي تثيرها الدورات الشيوعية حتى شهر تشرين الأول ، وكانت بكين تطالب بأراضي على حدود الدولتين . وانتهى موقف نهرو القوي برد المزايم الصينية إلى جادة الصواب ، ولكن التوتر استحكم بين الدولتين ونشب الخلاف من جديد بعد ثلاثة أعوام .

وبينا كانت أزمة كوبا تثقل العالم بتهديد حرب نووية ، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٦٢ ، في الساعة الخامسة صباحاً ، اندفع جيش صيني قوي على المنحدرات المتجلدة في هيمالايا واحتل دون صعوبة عدة قرى هندية . وكان الضغط شديداً بخاصة في منطقة ضولا ، في الشرق ،

وفي منطقة لاداخ ، في الشمال ، وكلاهما تقعان على ارتفاع ٤٠٠٠ م .  
وعجز الدفاع الهندي بسرعة . وفي ٢٥ منه ، حاصر الغزاة تاوانغ ،  
الواقعة على ٣٠ كم في جنوب خط ماك - ماهون . وتقدمت باتجاه  
العاصمة .

أوعز نهر إلى شعبه بأن يقاوم مهما كلف الامر ، ودوت تحديد  
زمن ، ، ووجه نداءات قلقلة إلى العواصم الغربية . ووصلت الاسلحة  
من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة بالطائرة ، ولكن الحالة كانت  
تتفاقم من ساعة لساعة ، وتدل بشكل مفرج على ضعف الجيش الهندي .  
حتى ان كوشينا مينون ، وزير الدفاع ، المدين بجده السيامي لصدافته  
لنهر ، والناطق باسمه في منظمة الامم المتحدة ، اضطر إلى الاستقالة  
لأنه لم يعرف كيف يعد الجيش للمهام التي كانت تنتظره . واستلم نهر  
حقيبة الدفاع زيادة على وظائفه الخاصة .

واستمرت الحرب ، وكانت نكبة للهند بالرغم من الجسر الجوي  
الذي كان يصب عليها الاسلحة ليل نهار ، وبالرغم من طائرات الميغ ٢١  
التي سلمها الاتحاد السوفياتي لها . وطوراً وطوراً عرضت المساعي الحميدة  
التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر وخروتشوف . وفي ١٨ تشرين  
الثاني احتل الصينيون والونغ التي فتحت لهم طريق أسام إلى مزارع الرز  
الحصبة ، والحقول الغنية بالبترول ، واندفعوا نحو الجنوب . وبدأ الغزو  
الحقيقي الآن ، وقاثل الجيش الهندي أمامه متراجعا .

وفي ٢٠ تشرين الثاني تمت الضربة المسرحية . فبينما بدا أن نهر  
خسر القضية نهائياً ، ولاشيء يقاوم تقدم الجيوش الصينية الظافر ، أمرت  
بكين بوقف النار على الجبهة عامة . وفي الليل من ٣٠ تشرين الثاني إلى

الاول من كانون الاول ، تحركت كتاب ماو وانطوت بنظام الى قواعد انطلاقها ، إلى ٢٠ لكم فيما وراء الحدود المعنية في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

وهكذا انتهت الحرب التي فتحتها بكين لتفرض على الهند تصحيحاً للحدود . وإذا لم يكن اعلان للحرب حسب القوانين والقواعد ، فكذلك لم يوقع الطرفان معاهدة سلام وظل جوار الصين يثير القلق بالنسبة للجمهورية الهندية .

### سـاتـري « الصغير » يخلف نهرو الكبير

كانت حياة البانديت نهرو كفاحاً طويلاً تقطعه إقامات في الزنزانات الانكليزية . واثقلت السنوات الآن كاهليه فأخذوا ينهنيان من يوم لآخر وبعد الغارة الصينية ، ظل يرأس مجلس الوزراء ، ولكنه تخطى عن قسم كبير من امتيازاته إلى معاونيه ، واحتفظ لنفسه بالاضرابات الهامة . وكانت قضية كشمير تشغله بخاصة ، ويأمل أن يجد حلاً عادلة ويتوج ، على هذا النحو ، مهنته الدبلوماسية . ولكن هذا الرضى السامي لم يخول له . ونحو آخر ١٩٦٣ ، سببت صحة الزعيم الهندي قلقاً خطيراً لحاشيته . وفي ٧ كانون الثاني ١٩٦٤ ، أصابته نوبة قلبية ، وتغلب عليها بصعوبة ، ولكنها اضطرت نهرو إلى نظام شديد . وفي ٢٧ أيار ، في الساعة ١٤ ، فأجأته أزمة جديدة لم يستطع الأطباء فعل شيء حيالها .

وانطلقاً نهرو في سن الرابعة والسبعين . وشهدت وفاته الشعب الهندي الذي يحله اجلالاً عظيماً حقاً . ولذا خرجت عشرات الألوف من الأشخاص ، رئيس الدولة والحكومة محتاطين بجمهور عديد من الفقراء والمساكين

وسارت في موكب ، في ٢٩ أيار ، ترافق جثمان رجل الدولة الكبير إلى مثواه الأخير في نيغام - بوض - غات ، على ضفة نهر جامونا حيث نصبت النار التي حورت الجثمان إلى رماد على بعض خطوات من الضريح الذي اقيم على شرف ذكرى غاندي .

وفي ٢ حزيران ، انعقد المؤتمر ليعين خلفاً لنهرو، وتم الاجماع بسرعة على امم لال باهادور شاستري ، الوزير دوت حقبة ، وزارة ، ممثل الوسط في البرلمان ، الاشتراكي المناوئ للشيوعية ، الذي جعله الرئيس الراحل د ولي عهده ، وسلمه بالتدريج زمام المبادرة .

كان عمر شاستري ستين عاماً ، وكان طباقاً حياً لنهرو . فبينما تمحدر هذا الأخير من أسرة ارستقراطية ، واستطاع ، وهو فني ، أن يجوب العالم ويتابع دراساته في كمبودج ، كان الزعيم الجديد من أصل متواضع جداً ولم يخرج من بلاده أبداً . وكان يسميه الزعيم الراحل د شاستري الصغير ، وطوله ١٥٢ م ووزنه ٤٧ كغ، وكان يمتاز بقوة عمل فائقة .

### قضية كشمير

ومنذ أن توصلت باكستان إلى الاستقلال مافتئت تطالب بكشمير . وهي دولة واقعة في الشمال الغربي من الهند ، نفوسها ٥ ملايين نسمة ، ثلاثة أرباعهم مسلمون ، ولكنها في العام ١٩٤٧ اشتركت رسمياً بالاتحاد الهندي . وعندئذ قامت جماعات باكستانية مسلحة واجتاحت البلاد واحتلت فيها أغنى الاقاليم وتدخل الجيش الهندي ، وحدثت بعض الاشتباكات وانتهت منظمة الأمم المتحدة، في الأول من كانون الثاني ١٩٤٩ بأمر وقف النار . وأوصت المنظمة الدولية مراراً باستفتاء ولم تتم هذه المشاورة ، لأن كلا من الطرفين رفض الجلاء عن الاراضي التي أقام عليها ادارته .

وظلت العلاقات متوترة بين نيو دلهي وكاراتشي ، دون أن تتردى مع ذلك ، إلى نزاع مسلح ، مادام نهر ي يقبض بيد حازمة على مصير الهند ، غير أن وفاة البانديت والضعف الظاهر لحلفه شجعا التطلعات التوسعية للحكومة الباكستانية ، وظلت هذه الأخيرة تتابع قضية كشمير ، حتى ثارت من جديد الاقليات المسلمة في دول الهند . وقرر المؤتمر انهاء القضية ، وفي ٦ ايلول ١٩٦٥ ، انطلق من صحراء السند بهجوم منظم ضد الباكستان .

وفي هذه المرة ، قامت حرب حقيقية بين البلدين ، اقلقت نتائجها العالم لأنها ، من جهة ، تهدد بدمار الهند والباكستان الذين يقاثلان في اوضاع اقتصادية صعبة ؛ ومن جهة أخرى ، دعمت الصين مطالب كاراتشي بنية اضعاف الهند وربما لتزمتها ، بشكل أفضل في عملية قادمة .

ولفتت هذه النقطة الاخيرة انتباه الحكومة السوفياتية ، وعرض رئيسها الكسي كوسيفين وساطته على الطرفين المتشاحنين . وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٦٦ ، دعا المارشال أيوب خان ولال بهادور شاستري إلى اللقاء في طشقند . وامتدت المفاوضة حتى ١٠ كانون الثاني ، وانتهت ، فيما انتهت ، إلى وقف الحرب وسحب الجيوش عن المواقع التي كانت تحتلها في كل من البلدين ، في ٥ آب ١٩٦٥ .

وغداة توقيع هذا الاتفاق سقط الوزير الهندي الاول اثر نوبة قلبية . واعتبر مؤتمر طشقند نجاحاً دبلوماسياً هاماً للاتحاد السوفياتي ، ولكنه لم يات بحل لقضية كشمير ، ومازالت موضع نزاع بين الهند والباكستان .

## انديرا غاندي

بعد جناز شاستري ، رفع المؤتمر الهندي امرأة ، السيدة انديرا غاندي ، في ٩ كانون الثاني ١٩٦٦ ، على رأس الحكومة الهندية . والسيدة غاندي ابنة نهر الوحيدة ، ونجته وبيت صره ، ومعاونته وصفيته . وتشتهر من طرف لأخر ، في بلادها الواسعة ، بأنها كانت ، منذ حداثة منها ، تناضل بشغف وهوى في صفوف رواد الاستقلال . وعرفت أيضاً في مانهاتن وفي كبريات عواصم العالم ، حيث شاركت ، الى جانب أبيها ، في جميع اللقاءات الدولية . وباعتبارها الوزير الاول للاتحاد الهندي قامت برحلتها الاولى إلى باريس ، وتباحثت ، في ٢٥ و ٢٦ آذار ، مع الجنرال دوغول .

ولم يكن لدى السيدة غاندي الكثير من شعاعها للتغلب على الصعوبات التي جابهتها من جميع الجهات . إن خمس عشرة سنة من الممارسة غير المنقطعة للسلطة استنزفت بعض الشيء حزب المؤتمر ، الذي تمثل فيه جميع الاتجاهات ، حيث كان عليها دون انقطاع أن تحكم في المنازعات بين أقصى اليسار المتسامر للشيوعية ، واليمين الرأسمالي ، حيث يعارض « الجنوبيون » تفوق هنود الشمال ، وحيث تحاك الدسائس للاستيلاء على مفاتيح المراكز الرئيسية .

وبينا كان التهديد الصيني يثقل الهند والنزاع مع الباكستان يمكن أن يشتعل من جديد ، أثار محرضون بعض الدول ضد السلطة المركزية . وكانت جميع الحجج صالحة : ففي مدراس ، فرض الهندي لغة وطنية ؛ وفي بنجاب ، طالب السيخ بالاستقلال الذاتي الشامل .

وفي بداية ١٩٦٧ خول هذا الاستقلال الذاتي لأسم المنطقة الجبلية في الشمال الشرقي من الهند ، في ملتقى الصين وبرمانيا ( بورما )

وبالباكستان الشرقية ، حيث توجد قبائل من العرق المغولي تدين أكثريتها بالدين المسيحي . وقد تألف فيها اتحاد في داخل الاتحاد الهندي .

ولكن القضية الأخطر التي وضعت للحكومة الهندية هي قضية الجذب أي القحط الذي يعيث في حالة مستوطنة .

### مطافئ الجوع

تغطي الهند الأصلية مساحة ٣٢٦٨٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، أي ٢٠٢٪ من السطح السكاني للكرة الأرضية . ونفوسها اليوم ٥٠٠ مليون نسمة تمثل أكثر من ١٣٪ من سكان الكوكب . ولكن البؤس لم يغلب في هذا البلد الذي يتضور فيه جوعاً وباستمرار ٥٠ مليون شخص ، على الأقل .

وهذه الحالة المؤلمة تعود ، في جزء منها ، إلى حركة السكان المتفجرة في الهند التي تضم ٢٣٥ مليون نسمة في كل الامبراطورية الهندية في ١٩٠١ ، و ٣٦٠ مليون في ١٩٥١ . وقد أجريت عدة محاولات لمعالجة هذه الولادة المضطربة . ولا ينتظر ، مع ذلك ، من البرلمان أن يذهب إلى ما وراء رفع السن القانونية لزواج النساء .

ومع هذا الجورد العام في الشعب الهندي ، تؤلف العبادات الدينية عاملاً آخر في الضعف الفيزيولوجي . إن حملات الساضو ، الرجال المقدسين ، تنطلق دورياً وتحرم ذبح البقر تحريماً عاماً وباتاً . ويرى الاقتصاديون أن القضية هي معرفة « ما إذا كانت الهند ستأكل بقرها أو أن بقرها سيأكلها ، ولكن ما من حكومة تجرأ بعد على القيام بصورة مفتوحة ضد التعصب الهندوسي .

وبالمقابل قامت الحكومات التي تعاقبت في نيودلهي ، منذ ١٩٤٩ ،  
بكفاح قوي ضد الجهل والمرض ، شاركت فيه منظمة الصحة العالمية ،  
وأعطى نتائج مشجعة .

### اقتصاد المخطط

إن الشروط المؤسفة التي يتطور فيها شعب الهند توضح أن دخلها  
القمي من أخفض الدخول في العالم : لأن الفرد يصيب فيها ١١٠  
دولارات سنوية .

ووضع موضع التنفيذ برنامج للتنمية الاقتصادية مؤسس على خطط  
خمسية انطلقت رابعتها في نيسان ١٩٦٦ . وأسهم البنك العالمي والبلاد  
المصنعة من الشرق والغرب بعون مالي جوهرى بلغ ٧٢٩٧ مليون دولار  
منها ٢٠٠٧ مليون من الولايات المتحدة ، ١٠١٧ مليون من الاتحاد  
السوفييتي ، ٨٧٤ مليون من ألمانيا الاتحادية .

ولكن التحويل الأسامي يجب أن يكون في الطباع والاخلاق لانقاذ  
البلاد . إن ثلاثة أرباع الشعب مازالوا متعلقين بالارض ، يفلحونها  
بوسائل بدائية ، وفي أسوأ الشروط ، لأن الجفاف يعيث فيها من ٩  
إلى ١٠ أشهر في العام . وقامت أعمال ري هامة ، ووزعت الأسمدة ،  
وساعدت على محاصيل مشرفة في ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، أي ٣٩ مليون طن  
رزاً ، و ٣٠ مليون طن حبوباً ، و ٣٦٠٠٠ طن كاوشوكاً خاماً ،  
و ٤٠٠٠٠٠ طن شايًا . ولم يتناول هذا التقدم ، مع ذلك ، إلا نصف  
الأراضي الممكن زراعتها . أما تربية الحيوانات فقد رأينا أن التقاليد  
الدينية تحرم كل أمل بنموها .



ولذا فان التصنيع يفرض على موجهي الهند عاملاً من العوامل الهامة لازدهارها . وساعدت الخطط الثلاث الأخيرة ، في هذا الاعتبار ، على تسجيل انجازات هامة . ففي الخمس عشرة سنة الأخيرة انشئت ، في الواقع ، ثلاثة معامل للفولاذ وبعض معامل للامنت ومعامل للنسيج ، ومعامل لتكرير السكر ، ومعامل للورق والمنتجات الكيميائية . ولذا ازداد بصورة محسوسة انتاج الفحم وفلزات الحديد وسبائك الفولاذ ، وأدوات الدراجات والسيارات والراديوات وماكنت الحياطة ، والمراوح الكهربائية .

وبعد أن أنهت السيدة انديرا غاندي تحريرها للسيامي ، أخذت على عاتقها مهمة تحرير الشعب الهندي من البؤس الذي يشقه كالقدر ورفعته إلى مصاف الشعوب الحرة . هذا وان السلام في داخل البلاد وخارجها أمر لا مندوحة عنه لتحقيق هذا المشروع العظيم .

## الباكستان

لقد ازداد الفصل بين الحزب الهندي في المؤتمر والعصبة الاسلامية بعد الحرب العالمية الثانية ، حتى انه نزع من بريطانيا العظمى كل أمل بصيانة وحدة شبه الجزيرة الهندية المستقلة .

وهكذا ولدت الباكستان ، كياناً اثنوغرافياً أكثر منه جغرافياً ، لأنها أخذت بعين الاعتبار بصورة خاصة التبعيات الدينية والعرقية .

وتشكلت أرضان منفصلتان ب ٢٠٠٠ كم من الكتلة الهندية :

١ - الباكستان الغربية وتتألف من بلوچستان ، والاقليم الشمالي - الغربي ، وبنجاب الغربية وصحراء السند .

٢ - الباكستان الشرقية ، وتضم قسماً من البنغال ومنطقة سيليت في آسام .

وتغطي الباكستان مساحة ٦٦٣ ٩٤٧ كم<sup>٢</sup> وتضم شعباً مؤلفاً من ١٠٥ ملايين نسمة ، والمسلمون فيه بنسبة ٧٣٪ .

ولم تحصل التسوية ، التي تدخلت في ١٩٤٧ ، على مشايعة اجماعية . فقد انفجرت الاضطرابات بعد قليل في الدول الجديدة ، ووضعت المسلمين والهندوكيين والسيخ في نزاع . وأنتج تعصب كل من الطرفين ، أحياناً ، إبادة حقيقية ، ومذابح اتبعت بحركات شعبية . وفي فترة سنة واحدة غادر الهند إلى باكستان ستة ملايين ونصف من المسلمين ودخلوا الباكستان ، بينما هجر البلاد خمسة ملايين ونصف من المؤمنين الهندوكيين بعد أن شعروا أن أمنهم أصبح مهدداً . وأبرم اتفاق في نيودلهي في ١٩٤٨ أمن حماية الأقليات ووضع حداً للهجرة . واليوم يوجد ٣٥ مليون من المسلمين المستقرين في الهند ، بينما يعيش ٢٠ مليون من الهندوكيين في الباكستان ، وبخاصة في الاقليم الشرقي من البنغال .

وما فتئت العلاقات تزداد سوءاً بين البلدين ، حتى الشكل الحاد لنزاع مسلح ، وبدأت الحرب فعلاً بين الهند وباكستان ، في ٧ كانون الأول ١٩٧١ ، وتقدمت جيوش الهند نحو الباكستان الشرقية واحتلت العاصمة دكا ، واعترفت الهند بتشكيل « بنغلادش » أي بنغال الحرة التي أعلنها الزعيم مجيب الرحمن وأصبح لها رئيساً ، وأخذت الدول تعترف بدولة بنغلادش هذه ، في كانون الثاني ١٩٧٢ .

دولة ذات رأسين

لقد أنتج التشكل المضطرب للباكستان هذه الحالة المتناقضة لدولة

مقسمة إلى قسمين متباعدين جداً ولكل منهما عاصمة : كاراتشي في الغرب ، وداكا للقطاع الشرقي ومصالحه الادارية . وبالتالي أصبحت داواليندي العاصمة الاتحادية .

وتنتمي الشعوب الراسخة على هاتين الأرضين إلى أمر روحانية متميزة : عربية من جهة ، وهندية - ملاوية ، من جهة أخرى ، ولا يوجد بينهما شيء مشترك إلا الدين . وتخضع إلى تقاليد مختلفة وتتكلم لغات مختلفة ، وتبنى الجانبان اللغة الانكليزية لتكون لغة البلاد الرسمية .

وقد تابع الماريشال أيوب خان د رجل الباكستان القوي ، زمناً طويلاً حلم « اسلامستان » الذي يضم في اتحاد واحد جميع الدول الاسلامية في الهند ، ولكن ندائه لم يوقظ ، حتى الآن ، إلا صدى ضعيفاً جداً .

وعلى الصعيد الاقتصادي ، كانت النتيجة الاولى لتقسيم ١٩٤٧ ارجاع الباكستان إلى الحياة الزراعية . وأرضها مهيأة لذلك ، وتنتج بوفرة الحبوب والقطن والشاي والفواكه والجوت ، وهي ثالث مجز بهذه المادة الأخيرة على السوق العالمية . وتربية الحيوانات فيها مزدهرة . ولكن معامل النسيج التي تنتج الجوت والقطن والصوف ( أكثر من نصف الانتاج الهندي ) والمدابغ وكل صناعة الجاود توجد في الجهة الأخرى من الحدود . وكان من الممكن أن يفيد الاقتصاد المتكامل كلا البلدين لو أنها أقامت علاقات حسن جوار . إلا أن خلافاتها السياسية حالت دون كل تعاون جدي .

ولتحمي الباكستان استقلالها قامت بتنمية تصنيعها . وساعدت الخطط المعدة بدءاً من ١٩٥٥ والعون الخارجي على تقديم مدهش في مضمار الانتاج والمبادلات ومستوى الحياة . ولكن الحالة تدهورت بعض الشيء ، في بداية عام ١٩٦٧ تحت تأثير عدة عوامل ظرفية .

وتقوم باكستان بصورة موازية ببرنامجي تنمية : برنامج حوض نهر الاندوس ، الذي يجمع انشاء سدين عظيمين وشبكة أقنية ري هامة ؛ وبرنامج الكفاح ضد ملوحة الاراضي لأن أهميتها حيوية لمستقبل باكستان الغربية ، حيث ثلاثة أرباع الأراضي الممكن زرعها مهددة بالعقم . ويمول نصف خطط التنمية من قبل الدول الأجنبية .

ووضع تقدم الاقتصاد بمجموعه بالزيادة السريعة في الدخل القومي . فقد انتقل من ٢٤٥ مليار روبية في ١٩٥٨ إلى ٨٢٠ مليار في ١٩٦٦ . وزاد الانتاج الصناعي بنسبة ٩٪ في السنة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ ، والانتاج الزراعي بنسبة ٣٪ . وتضاعفت الصادرات من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦ وانتقلت من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ مليون دولار .

ويميل عجز الميزان التجاري إلى التناقص : فقد كان ٥٠٠ مليون في ١٩٦٤ ، وأصبح ٣٠٠ مليون في ١٩٦٦ .

### برمانيا ( بورما )

تقع برمانيا في ملتقى الهند والصين والتايلاند ( سيام ) ولاؤس ، وعاشت بعد الحرب العالمية الثانية دوراً طويلاً من الفوضى ولم تشف منها تماماً . لقد احتلها اليابانيون عام ١٩٤٢ وجعلوا من عاصمتها رانغون مركزاً لعملياتهم في المحيط الهندي ، ثم حررها اللورد مونتباتن في ١٩٤٥ ، واسترجعت استقلالها في ١٩٤٧ . وبعد ستة أشهر غادرت الامبراطورية البريطانية برمانيا ، وما لبثت أن مزقتها بالحال الأحزاب والشيع المتنازعة على السلطة .

وأعيت القبائل المتمردة الحكومة الشرعية : الشيوعيون الستالينيون

والتروتسكيون الذين يتجهزون في معارك حقيقية منظمة . وفي آخر ١٩٤٩ جاء نحو ١٠.٠٠٠ رجل من جيش تشانغ كاي - تشيك ، أثناء هزيمتهم ، وبحشوا عن ملجأ لهم في جبال برمانيا وزادوا الفوضى أيضاً . وعدا ذلك ، يؤلف هؤلاء الهاربون خطراً عظيماً في الحد الذي يمكن أن يقدم وجودهم في برمانيا حجة لتدخل بكين . وفي ١٩٥٤ حشد رئيس الحكومة أو تاكين نو جيشاً قومياً مؤلفاً من ١٠٠.٠٠٠ رجل ، وأعلن مشابحته لمذهب نـرو المحاييد ، وسهر على إقامة علاقات حسن جوار مع الصين الشيوعية والحفاظ على استقلال البلاد .

ويبلغ امتداد برمانيا ٦٧٨.٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، تحفرها وديان عميقة قائمة العدوات بين هضاب التيت و يون - ثان . وإقليمها المداري وأمطارها الغزيرة تهبط لها أرضاً خصبة جداً . فهي أول مصدر للرز في المنطقة ، بانتاج سنوي يبلغ ٦ ملايين طن . وتربتها التحتية غنية بالتنغستين الذي الذي يستخرج منه ٥٥٠٠ طن في العام ، أي ١٠٪ من الانتاج العالمي . وشعبها يقدر بـ ٢٤.٧٠٠.٠٠٠ نسمة وأكثرية بوذية .

## سيلان

حصلت سيلان منذ ١٩٤٦ من بريطانيا العظمى على دستور مضي بها نحو الاستقلال . وخول هذا الاستقلال في العام ١٩٤٨ قبل أن يواتيها الزمن بالمطالبة به . وهي تمتد على ٦٥.٠٠٠ كم<sup>٢</sup> ، ويرتفع شعبها إلى ١١.٢٠٠.٠٠٠ نسمة ، ويتألف في اكثريته العظمى من السنغاليين ، وأيضاً من الملاويين ، والهنود التاموليين ، والفارسيين ، والموريس . وعرفت القليل من الاضطرابات السياسية ، إذا استثنينا مقتل رئيس حكومتها

س . و . باندانا وايكه ، في ٢٥ ايلول ١٩٥٩ ، الذي خلفته زوجته على رأس الشؤون العامة .

ومنذ ٢٥ آذار ١٩٦٥ ، وجه سيلان دودليه سينانا ياك ، زعيم حزب الوحدة الوطنية الذي استلم السلطة منذ ١٩٥٣ . وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية فقد تبنى سوجهو الجزيرة حياد الهند ، وإن كان موقفهم مناصراً للغرب بوضوح ، وهذا ما جر عليهم سفيرة اليسار المتطرف . ومع ذلك نفذوا اقتصاداً من نموذج اشتراكي بتأميم الشركات الأجنبية ، والمصارف ، وشركات التأمين وانشاء صناعات دولة .  
والشاي هو المورد الأساسي الزراعي لسيلان ونجدها ربع الانتاج العالمي .

## القضايا الاقتصادية والسياسية في الشرق الأقصى

### خطة كولومبو

لم يعرف الشرق الأقصى السلام منذ آخر الحرب العالمية الثانية . إن عدداً عظيماً من البلاد التي تؤلفه مازالت تتخبط أيضاً في اضطرابات أليمة . وإذا اطرحت جميعاً مفهوم الاستعمار وانتهت بكسب الاستقلال السيامي ، فهذا الاستقلال ، بالنسبة للكثير منها ، يظل ضعيفاً ، مادام التهديد يمارس ضدها من الخارج ، والشروط الاقتصادية غير الملائمة تجعلها تابعة للمشاريع الأجنبية القوية .

ولتنمية انتاج هذه البلاد ورفع مستوى شعوبها وضعت ، في العام ١٩٥٠ ، خطة كولومبو ، لفائدة هذه الدومينيونات البريطانية السابقة ومن ثم شابعنها دول لم تكن تابعة للكمونولث .

وعقدت ثلاثة مؤتمرات تمهيدية : في سيدني ، في أيار ١٩٥٠ ، وفي لندن ، في ايلول ١٩٥٠ ، وفي كولومبو ، في شباط ١٩٥١ ، ساعدت على رسم الخطوط الكبرى لمشروع ضخيم يتضمن ، بخاصة ، استغلال الأراضي البور ، وأعمال ري ، وزيادة انتاج الحبوب ، وتنمية انتاج الطاقة الكهربائية ، وانشاء الطرق ، والسكك الحديدية ، والأفنية ، والمواني ، والمعامل ، والمدارس ، والمستشفيات ، الخ .

وشارك اثنان وعشرون بلداً في خطة كولومبو ، منها ستة عشر من جنوب وجنوب - شرقي آسيا : الهند ، الباكستان ، مالايو ، افغانستان ، بوتان ، نيبال ، مالديف ، كوريا الجنوبية ، التايلاند ، كمبوديا ، لاوس ، فيت - نام الجنوبية - وست دول تقع خارج هذه المنطقة : بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة ، كندا ، اوستراليا ، زيلاندة الجديدة ، واليابان .

وهذه الدول الاثنتان والعشرون ممثلة في داخل لجنة استشارية تجتمع في جميع الاعوام في احدى عواصمها لدراسة التقدم المنجز خلال السنة المنصرمة وتوزيع تبعات الممارسة الجديدة . وتشترك أيضاً في أعمال اللجنة وفود منظمات دولية مثل مكتب المساعدة الفنية للأمم المتحدة من أجل آسيا والشرق الأقصى ، والبنك الدولي للتعمير والتنمية ، ويدعى لتمويل القسم الأعظم من البرامج التي أعدها المجلس .

وعدا ذلك وظفت مؤسسات خاصة رؤوس أموال هامة في المناطق المعنية ، حتى ان حكومات البلاد المصنعة قبلت أن تحولها اعتمادات طويلة الأجل ومساعدة فنية عظيمة . وهكذا فان المساعدة ، التي أتت تحت أشكال مختلفة في نطاق الحطة ، ارتفعت إلى ٣٥٠٠ مليون جنيه استرليني

من أجل السنوات العشر الاولى من وضعها موضع التنفيذ ، وقد قدم البنك الدولي منها ٤٢٠ مليون .

ووضعت خطة كولومبو ، في شكلها البدائي ، لتعمل حتى ٣٠ حزيران ١٩٦١ . ولكن الأعمال التي تكفلت بها كانت بعيدة عن نهايتها ، ولذا مددت اللجنة الاستشارية مرتين حياة المنظمة التي يجب أن تبقى في مكانها حتى ١٩٧١ ، اللهم إلا إذا أعطيت لها مهلة جديدة .

### منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا

ولكن القضايا الاقتصادية لم توضع وحدها في الشرق الأقصى . ففي قلب هذه القارة الدائمة التطور ، ما فتئت جمهورية الصين الشعبية ، منذ ١٩٤٩ ، تقوي مواقعها ، وتفرض اشرافها على التبت ، وتزيد ضغوطها على كوريا ومونغوليا ، وتحرض أو توحى بالثورات الشيوعية في الكثير من بلاد جنوب شرقي آسيا ، في لاوس ، في كمبوديا ، في فيت - نام ، وفي اندونيسيا بخاصة .

ولقد أدرك موجهو واشنطن الخطر الممثل بتوسع يربح باستمرار ويمكن أن يجتاح كل هذا القطاع من العالم ويجد نفسه على درجة من القوة يمكنه من أن يمنع عنه وصول المؤثرات الغربية . وفي ١٩٥١ ، ردوا على اعتراف بريطانيا العظمى بنظام بكين ، بدعوة عضوين هامين من الكومنولث ( الأبيض ) ، أستراليا ونيوزيلاندة الجديدة ، ليقعوا مع الولايات المتحدة الميثاق : أستراليا - نيوزيلاندة الجديدة - الولايات المتحدة بغية حماية بلاد المحيط الهندي ضد كل محاولة تهدمها من الخارج . وفي السنوات التالية ، بدت هذه المحاولة تديبوا نافهاً ، وبخاصة بعد نجاحات الصين الدبلوماسية وتقسيم كوريا وتقسيم الهند الصينية .



وغداة مؤتمر جوينف قامت الحكومة الامريكية ببيادة مجلس دولي جديد يضع أسس منظمة دفاع في هذه المنطقة ، نوع من نسخة آسيوية عن منظمة معاهدة حلف شمال الاطلسي . وهكذا اجتمع في مالميللا ممثلو اوستراليا ، الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، زيلاندة الجديدة ، الباكستان ، الفيليبين ، والتايلاند ، وأعلنوا اشتراكهم في منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا التي تشكلت في ٨ ايلول ١٩٥٤ .

اقترح الميثاق الجديد فرض حد واضح ودقيق للأطماع الارضية للصين الشعبية وذلك بأن ثبت عند خط العرض ٣٠°٢١ شمالاً منطقة الأمن التي تمتد عليها تغطيته .

وتشهر ديباجة المعاهدة إلى إرادة الموقعين في « تنسيق جهودهم بغية دفاع جماعي لصيانة السلام والأمن » ، وفي الوقت نفسه « تشجيع الازدهار والتنمية الاقتصادية لجميع شعوب المنطقة التي تغطيها المعاهدة » .

وفيا يختص بالدفاع ، تهدف منظمة معاهدة جنوب - شرقي آسيا إلى « ابقاء وزيادة الامكانيات الجماعية والفردية للبلاد الموقعة ، ومقاومة الهجومات المسلحة ، وكذلك منع ومقاومة النشاط الهدام الآتي من الخارج ... » ( المادة ٢ من المعاهدة ) .

وبعد مؤتمر جوينف ١٩٦٢ ، الذي كرس حياده ، تخلت لاؤس رسمياً عن حماية المنظمة الآتفة الذكر ، وتبعها بعد قليل كمبوديا . وانطلاقاً من ١٩٦٥ ، لم تمثل فرنسا في اجتماعات المنظمة إلا بمراقب .

من بانرونغ الى هافانا : العالم الثالث يطالب بمطامح تحت الشمس

وبينا تفتتح في جوينف المفاوضة المدعوة لانهاء الحرب الاولى في

الهند الصينية ، انعقد مؤتمر جديد وضم في كولومبو خمسة رجال دولة آسيويين . ومن ٢٨ نيسان إلى ٢ أيار ١٩٥٤ ، تباحث رؤساء وزراء الهند وباكستان واندونيسيا وبرمانيا وسيلان بغية تقرير موقف مشترك أمام الدول الكبرى التي تعد نفسها لتثبيت مستقبل شعوب جنوب - شرقي آسيا وربما مستقبل جميع ممتلكاتها السابقة في العالم . وتحت ظواهر انسانية ألم تكن خطة كولومبو محاولة لاسترداد المستعمرات السابقة !

وهكذا ولدت فكرة مجابهة واسعة اشترك فيها زعماء الدول الافريقية الحديثة الاستقلال أو التي تسكن أيضاً في سبيل تحريرها .

وأشارت « الكتلة الافروآسية » ، المشكلة في الأمم المتحدة في ١٩٥٢ ، إلى وحدة وجهات نظر أمم القارتين التي تبدي خصائص واحدة من التخلف وتتضامن مع بعضها ، وترى من مصلحتها أن تتحد لحل مشاكلها .

وفي ختام مهمة التحري التي عهد بها إلى الرئيس سوكارنو النقي من جديد برفقائه الأربعة في بوغور ، في اندونيسيا ، في ٢٨ و ٢٩ كانون الأول . وقرروا جميعاً الدعوة إلى مؤتمر يعقد في بالندونغ ، من ١٨ إلى ٢٤ نيسان ١٩٥٥ ، وتشترك فيه « دول كولومبو الخمس » ، باعتبارها دولاً داعية ، وأربع وعشرون بلداً آخر منها ١٤ دولة من افريقية والشرق الأوسط .

ومها يكن من أمر ، فإن التجمع الأفروآمي لا يؤلف ، بشكل من الأشكال ، رداً على تجمع منظمة معاهدة جنوب - شرقي آسيا ، في شهر ايلول السالف . وأسدل الستار على مسرح جونييف منذ زمن طويل . وبالرغم من تحفظات الرئيس آيزنهاور وفوستر دالس قسمت الهند الصينية ووطد السلام من جديد ولو بشكل ضعيف .

وكان يقصد شيء آخر .

إن دولاً تختلف أنظمتها كالصين الشعبية وامبراطورية اثيوبيا ، والتايلاند وليبريا ، وفيت - نام الشمالية واليمن اضطرت إلى الاعتراف أن الاستقلال الذاتي السيامي وحده ، مهما غلا الثمن ، يبدو عاجزاً عن تأمين تحريرها .

لقد ولد العالم الثالث ، وطالب بمكانه تحت الشمس ، أي إعادة صهر كلمي للبنىات الاقتصادية العالمية . وللبدء ، إعادة النظر بأسعار المواد الأولية التي يعتبر المحرز الأسامي لها وتجنّي الدول الصناعية منها أفضل ربح . كان مؤتمر باندونغ حادثاً من أعظم حوادث ما بعد الحرب ، و « لحظة حاسمة لـ ٦٥٪ من سكان الكوكب » . ففيه استطاعت تسع وعشرون بلداً ، حديثة العهد بالحرية أو لم تتحرر بعد من الوصاية الأجنبية ، أن تسمع صوتها لأول مرة وتلقي نداءً مؤثراً للتعاون الدولي . وقد أضاف إليه نهرو دوراً من الصعيد الأول . فقد عمل على قبني « مبادئ باندونغ العشرة » التي تفرض بخاصة : احترام حقوق الانسان واحترام أهداف ومبادئ شرعة الأمم المتحدة ؛ واحترام سيادة الدول وسلامتها القومية ؛ ومساواة الشعوب والأمم ؛ وعدم التدخل في شؤون الدول الداخلية ؛ وتسوية الخلافات بالطرق السلمية ؛ واعلاء شأن المصالح المشتركة والتعاون . إن الـ ٢٩ وفداً المشتركة في أعمال باندونغ تمثل البلاد التالية : الهند ، الباكستان ، اندونيسيا ، بورما ، سيلان ، أفغانستان ، الصين الشعبية ، التايلاند ، كمبوديا ، لاؤس ، فيت - نام الشمالية ، فيت - نام الجنوبية ، نيبال ، الفيليبين ، مصر ، سورية ، الاردن ، العراق ، لبنان ، العربية السعودية ، اليمن ، اثيوبيا ، ليبيا ، ايران ، تركيا ، ساحل الذهب ( الذي أصبح غانا ) ، ليبريا ، اليابان .

ومن ٣ إلى ١٥ كانون الثاني ١٩٦٦ انعقد في هافانا « مؤتمر القارات الثلاث » بغية متابعة حركات التحرير في امريكا اللاتينية لبرنامج باندونغ ، وبدأ أن محركيه ، مع ذلك ، متشددون وغير متسامحين وعدوانيون أكثر من رجال التجمع الافروآمي . ولم يتبنوا كهؤلاء الأواخر مبدأ « الحياذ الابطحاي » بين الكتلتين الحرة والماركسية ورفضوا فكرة التعاون الصريح مع البلاد المجهزة الغنية وأعلنوها حرباً حقيقية على الدول « الاستعمارية الحديثة » الغربية .

وقد أعطى أحدهم، المهدي بن بركة ، الذي لاقى مصرعه المفجع بعد شهرين ، القدوة عندما صرح ، في الأول من ١٩٦٥ أمام اللجنة التحضيرية<sup>١</sup> في القاهرة :

إن شعوب العالم الثالث التي تأملت طوال قرون من الاستغلال والذل ، وحكم عليها بالتخلف الاقتصادي والثقافي ، تملك مع ذلك موارد كبرى غير مستغلة لم تفقد ، حتى الآن ، إلا في تسهيل الرخاء والابهة لأقلية ممتازة ... نحن كلنا لنا عدو واحد مشترك : الامبريالية .

ودار المؤتمر في جو الحماسة الثورية ولاقت الخطب المؤثرة الهتاف الحار .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الزيادة التي لا يمكن اجتنابها في فزورم تتجابه فيها وفود ٨٢ بلداً ، ٢٨ منها لآسيا ، فإن أعمال مؤتمر القارات الثلاث ، كأعمال باندونغ ، ساعدت بخاصة على ايضاح الثغرات التي يجب أن تسدها الدول التي توصلت إلى الاستقلال السيامي لتجعل ، أخيراً ، من سيادتها واقعاً حياً .

وظهرت هذه الثغرات أيضاً في مؤتمر نيودلهي المنعقد تحت حماية

الأمم المتحدة وعقد جلساته طوال شهري شباط وآذار ١٩٦٨ . وبالرغم من حضور ٢٥٠٠ خير ، وزراء مالية واقتصاد ، مندوبي ١٣٦ بلداً « غنية » ومتخلفة ؛ وبالرغم من دعوة السيدة غاندي المؤثرة ، لم تخرج أي خطة متماسكة في التعاون تتعلق ، بخاصة ، بإعادة تسعير المواد الأولية . وحمل ممثلو العالم الثالث في ختام هذا النقاش الطويل انطباعاً عميقاً من تبدد الأوهام .

### الحوار الضروري

لقد فهمت خطة كولومبو بوضوح في الشرق الأقصى لمساعدة هذه الدول الفتية الناشئة على التغلب على صعوباتها . وبضمنت منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا قطاعاً اقتصادياً يتم بتنمية البلاد الداخلة في منطقة نفوذها . والمؤسسات الغربية أخيراً عديدة : كالمسابك الحكومية أو المشاريع الخاصة ، وهي توظف رساميل عظيمة في هذه المنطقة .

ولكن الذين يفيدون من هذه المساعدة كان يفرحون أن يكتشفوا فيها فخاً . وبأنحرف التعاون الاقتصادي ألم هدف الحماة السابقون إلى أن يستعيدوا بيد ما أعطوه باليد الأخرى ؟ من هنا الحوف المبرر أحياناً من « الاستعمار الحديث » الذي يمزج عطائه بالضغط السياسية التي لا يتسامح بها والتي تفرض على البلاد المساعدة نظاماً من اختيارها .

وعلى الطرف الآخر ، الحوف من الشيوعية ، مدمرة النظام المبني على المشروع الحر ، يشل كثيراً من التعاطفات التي لا تطلب إلا التعبير عن نفسها . ألا ترجع المبادرة بنجدة البلاد المتخلفة إلى اللعب لعبة الغر

المغفل ، تسليم الأسلحة إلى العدو ؟ هذا ما يتساهله آخر حماة الامبريالية التي ولى زمانها .

وينسى هؤلاء أن الشيوعية الآسيوية تختلف عن الماركسية الأوروبية . لأن مفهوم نزاع الطبقات فيها قلما يفهم كمفهوم للقومية الغاشية . ولقد أظهرنا في بداية هذه الدراسة ان زعماء الكفاح في سبيل التحرير يفكرون بتحرير بلادهم من السيطرة الأجنبية أكثر مما يفكرون باحلال دكتاتورية الطبقة السكادحة .

ولا شيء يمنع فتح حوار في الشرق الأقصى لولا أن التدخل الأمريكي الغاشم في فيت - نام قد أتى ليغطيء حدوده ويصلب موقف محدثينا المتوقعين . إن منافسة خطيرة توضع اليوم الولايات المتحدة ، التي تحاول فرض تفوقها بالقوة في هذه المنطقة من العالم ، في معارضة الصين المعتزة بقوتها الجديدة كل الجدة .

وهذان الاتجاهان لا يمكن دعمهما أيضاً ، فهما يهددان بالنفوذ إلى نزاع يرفض الفكر تحديد نتائجها . لذا يجب التقرير ، والأبكر هو الأفضل ، بمجابهة واسعة لوجهات النظر بين الدول المصنعة بشكل عال والبلاد التي هي في طريق النمو . وعلى هذه أن تقبل من الاولى المساعدة الشريفة والكرمية ما أمكن . ولكن عليها أن تبني بأيديها الخاصة ، وفي احترام الكرامة البشرية ، النظم الحديثة ، الاقتصادية والاجتماعية ، التي تضعها تدريجياً على قدم مساواة مع الديوقراطيات الكبرى . وعندئذ تبلغ هذه البلاد رشدها وتصبح أمماً حقيقية .

# تیت الاغوم

Arosemena , Gomez

آروسیمینا غومین

Ashkenasi, L. آشکینازی. ل.

Assam آسام

Athénagoras آثیناغوراس

Attlee, C. آتلی کلیمانت

Auriol (V.) اورپول، فانسان

Avila, Camacho آویلا کاماشو

Azikiwé, N. آزیکویه

## B

Badoglio, P. بادولپو

Balaguer, j بالاغیر

Bandanaraiké باندانارایکه

Bandung باندونف

Baodaī باؤدای

Barangé بارانجیه (قانون)

Barbade بارباد

## A

Acheson, dean آتشیسون، دین

Adenauer, K. آدیناور، کونراد

Adjoubei, A. اجوبی

Adulyadejj ادولایدی

Aidit, D. N. ایدیت

Alessandri, j الیساندري

Amory, H. آموری

Anders, w. اندیرس

Anthonioz انطونیوز

Aramburu (P.) آرامبورو

Arbenz, j. اربنز

Arevalo, j. j. آریفالو

Argenlieu, g. thierry d'. آرجانلیو، غ. تییری دو

Arias, A. آریاس

Armand, L. آرماند، ل

Arnhem آرنهم

Billoux. F.	بیو	Barrientos	باریانتوس
Blanc	بلان	Barth, k.	بارت، ک.
Blum, L.	بلوم	Basutoland	باسوتولاند
Boganda, B.	بوغاندا	Batista, F.	باتیستا
Bohy, G.	بوهمی	Baudouin Ier	بودون الاول
Bonomi, j.	بونومی	Bayeux	بایو
Boris III	بوریس الثالث	Bech, j	بیش
Borneo	بورنیو	Bechuanaland	بیشوانالاند
Bosch, j	بوش	Beel, M.	بیل
Botswana	بوتسوانا	Belaunde terry, F.	بیلوندیری، ف.
Boulganine (N.)	بولغانین	Bénélux	بینیلوکس
Boun oum	بون اوم	Bénés, E.	بینیش
	بورجیس - مونوری	Beran	بیوان، مونسنیور
Bourgès-Maunoury		Beria, L	بیریا
Bouthan	بوتان	Bermudes	برمودا
Bowden, h.	بودین	Betancourt, R.	یتانکورت
Bradley	برادی	Bevan, A	بیفان
Brandt, w.	براندت، فیلی	Beveridge, w.	بیفیریج
Brasilia	برازیلیا	Bevin	بیفن
Bratislava	براتیسلاوا	Beyen, j. - w.	بین
Brazzaville	برازافیل	Biafra	بیافرا
Brejnev, L.	بریجنیف	Bidault, G	بیدو، جورج
	بریتانو، ه. فون	Bierut, B	بیروت
Brentano, H.von			





D

Daladier, E	دالاديه	Colembo	كولومبو
Dalat	دالات	Comecon	كومبيكون
Dallas	دالاس	( مجلس المساعدة المتبادلة والتعاون )	
Dalton, H.	دالتون	الاقتصادي ) .	
Debray, R.	ديبري	Comores	كومور
Debré, M-	دوبريه		كوستا ا سيلفا
Defferre, G.	ديفير	Costa E silva (A.DA)	
De Gasperi, A	دوغاسپيري	Costa Rica	كوستاريكا
Delbos, y	دلبوس	Cot, P.	كوت
	ولغادور شالبود	Coty, R.	كوتي
Delgado Chalbaud		كودنهوف - كاليرجي ، ر.	
Delouvrier, P.	دولوفريه	Coudenhove - Kalergi, R.	
Demirel, S.	ديميريل	Cousins, F.	كوزنز ، ف
Denicola, E	دونيكولا	كوف دومورفيل ( موريس )	
Depreux, E	ديپرو	Couve de Murville, M.	
Dewey, T. E	ديوي -	Coventry	كوفنتري
Diaz Ordaz, G.	دياز اورداز	Crips, S.	كريس
Diem, Ngo Dinh	ديم ، نغو دينه	Croce, B.	كروتشيه
Dien Bien Phu	دين بين فو	Crosland, A.	كروسلاند
Dimitrov, G.	ديميتروف	Cuba	كوبا
Djilas, M	جيلاس	Cumbernauld	كمبرناولد
Dobi, j	دوبي	Curaçao	كوراساو
		Cyrankiewicz, j	شيرانكيويتش

Estimé, D استیمیه

Eyskens, G ایسکنس

F

Fanfani فانفانی

Farge, y. فارج

Faure, E فور ، ادغار

Faure, M فور

Fierlinger, Z. فیرلنجر

Figueres, j. فیغوریس

Flandin, P. E. فلاندان

Fock, j. فوک

Fontainebleau فونتینبلو

Fortknox فورنوکس

Fouchet, C. فوشیه

Fourtseva, E فورتسیفا

Frei, E. فرای

Frey, R. فری

Frieden فریدن

Fronidizi, A. فروندیزی

G

Gagarine, y. A. غاگارین

Dorticos, O دورتیکوس

Dossetti دوسیتی

Durate, Eva دورات ، ایفا بیرون

Dubcek دوبشیک

Dulles, J. F. دلس ، جان - فوستر

Dumbarton Oaks دمپرتون اوکز

Dupong, P. دوبون

Dutra, E. G. دوترا

Duvallier, F. دوفالیه

Duvieusard دوفیوزار

E

Echandi, M. ایشاندی

Eden, A. ایدن

Edimbourg, duc d' ادمبره دوق

Einaudi, L. اینودی ، ل

Eisenhower, D. D. ایزنهاور

Elisabeth II الیزابیت الثانية

Equateur اکواتور

( خط الاستواء ) ، ( جمهوریة )

( اکواتور او اکوادور )

Erhard, L. ایرهارد

Erler, F. ایرلیر

Grâce - Berleur	غراس - برلور	Gaillard, F.	غايارد
Grenelle	غرونيل	Gaitskell	غيتسكيل
Grol, M.	غروول	Gallegos, R.	غاليفوس ، ر
Gromyko	غروميكو		غاندي ، السيدة انديرا
Gronchi, G.	غرونشي	Gandhi, indira	
Grotewohl, O.	غروتفول	Garcia Godoy	غارسيا غودوا
Groza, P.	غروزا	Gaulle, Ch. De	غول ، شارل دو
Gueorguiev, K.	غورغيف ، ك	Gdansk	غدانسك
Guevar, E	غيفارا	Gdynia	غدينيا
Guichard, O.	غيشار	Geismar, A.	غيسمار
Guido, j. M.	غيدو	Gerbrandy	غيربراندي
Gürsel	غورسيل	Gerö, E	غيرو
Gutt, C.	غوت	Gerstenmaier	غريستماير
			غورغيو - دي ، ج
		Gheorghiu - Dej, G.	
			جيسكار ديستنج
Haïti	هايتي	Giscard d'Estaing,	
Hallstein, W.	هالشتاين ، و	Glassboro	غلاسبورو ، مؤتمر
	همرشولد ، داغ	Goa	غوا
Hammaraskjoeld, D.		Goldwater, B.	غولدوتو ، ب
Harmel, P.	هرمل ، ب	Gomulka, W.	غومولكا
Harriman, A.	هاريمان	Gottwald, K.	غوتوالد
Hatta, M.	هاكا	Gouin, F.	غون ، ف
Havane	هافانا	Goulart, j.	غولارت

Humphrey, H.	همنفري ، ه	Hawaii	هاواي
Hunedoara	هونيدوارا		هايا دولاتوريه ، ر
Huysmans (C.)	هويسمان	Haya de la Torre, R.	
Hyde Park	هايدپارك	Heath, E	هيث
		Hegedus, A.	هيجيدوس ، آ
I		Heller, W.	هيلار
ايانيز دل كامبو		Herriot, E	هريو
Ibanez del Campo, C.		Hertenstein	هرتنشتاين
Illia A.	ايليا	Hertzog, j. E.	هرتزوغ
امبيرت باريراس		Heuss, T.	هويس
Imbert Barreras		Hiro-Hito	هيرو - هيتو
ايريانا ( غينه الجديدة ) الغربية		Hiroshima	هيروشيما
Irian		Hiss, A.	هيس
		Ho chi minh	هوشي منه
J		Hoffa, j.	هوفا
Jacquinet, L.	جاكينو ، ل	Hoffmann, j.	هوفمان
Jay, D.	جاي		هيوم ، اليك دوغلاس
Jdanov	جدانوف	Home, Alec D.	
جان دولو كسمبورغ		Honduras	هوندوراس
Jean de Luxembourg		Hoover, H.	هوفر
Jeanneney , Y . - M .	جانيني	Horthy, M.	هورتي
Jenkins , R	جانكينز		هوفويت - بواني
Jivkov , T .	جيفكوف	Houphouet - Boigny	
Jodl	جودل	Humbert II	همبرت الثاني
Jodrell Bank	جودريل بنك		

Kiesinger, K. G. كيسنجر  
Kim il Sung كيم ايل سونغ  
Kim Sung Soo كيم سونغ سو  
Kttikachorn, T. كيتيكاشورن  
كنوك - لو - زوت ، مؤثر

Knokke - Le - Zoute  
Koenig كونينغ  
Kolarov, v. كولاروف  
Kominform كومنفورم  
Koniev, j. S. كونييف  
Kossyguine, A. كوسيغين  
Kouznetsov, V. كوزنيتسوف  
Kovacs, B. كوفاكس  
كريشنامينون

Krishna menon, V.K.  
Kubitschek, j. كوبيتشيك

L

Lacerda, C. لاسيردا  
Lacoste, R. لاکوست  
Laniel, j. لانيل  
Laos لاؤس  
Lapira, G. لاپيرا  
Larrazabal, W. لارازابال

Johnson , D جونسون  
جونسون ، ل ، ب  
Johnson , L . B .  
Jouhaud , E جوهر  
Joukov, G. K. جو كوف  
Jovanovic جوفانوفيك  
Jugov, A جوغوف  
Juin, A. جوان  
Juliana جوليانا ، الملكة  
Juliao, F. جولياؤ

K

Kadar, j. كادار  
Kaganovitch كاغانوفتش  
Kallai, G. كالي  
Kardelj كارديلي  
كارلوفي - فاري ( كارلباد )  
Karlowy - Vary  
Kasavubu, D. كازافوبو  
Kefauver, E. كيفوفر  
Keenedy, j. كينيدي ، ج  
Kennedy, «R. كينيدي ، ر  
Keynes, j. كينز ، ج  
Khrouchev خروتشوف



Mayer, R.	ماير	Maleter. P.	ماليتير
Mazilli, M. de	مازيللي	Malraux, A.	مالرو
Medina Angaritas	ميدينا أنغاريتاس	Mamai	مامايا
Meir, G.	ماير ، غولدا	Manille	مانيللا
Melun	مولن	Maniu, J.	مانيو
Mendérès, A.	مانديريس	Mansholt, S.	مانشولت
	مانديس فرانس ، بيير		ماوتسيه - تونغ
Mendés France, P.		Maotsé — Tong	
	ماندين مونتينغرو		السوق المشتركة ( الوحدة الاقتصادية
Mendez Montenenegro ( Y . C )		( C.E.E	الاوربية
Menthon, F. de	ماتون	Marcilhacy, P.	مارسيلهاسي
Menzies, R	مانزيس	Marcinelle	مارسينيل
Mezzogiorno	ميوزوجيورنو	Mariannes	ماريان ، جزر
	ميشيل ملك رومانيا	Marjolin, R	مارجولين
Michel de Roumanie		Marshall ( G. C.)	مارشال
Mihailovitch, D.	ميهايوفيتش ، د		مارتينيك ، جزيرة
Miklos	ميكلوس	Martiniques	
	ميكولايتشيك ، س	Martino. G.	مارتينو
Mikolajchyk, S.		Masaryk, J.	مازاريك
Mikoyan, A	ميكويان	Massu, j	ماسو
Mindszenty, Y.	ميندسزانتى ، ج	Matsu	ماتسو ( ارخبيل )
Mero Cardenas	ميرو كاردوناس	Maudling, R.	ماودلينغ
Mitterrand, F.	ميتيران ، ف	Maurer, I. - G.	مورير
Mobutu, Y.	موبوتو	Mayer, D.	ماير





Peralta Azurdia, E. بيرالٲا ازورديا  
 Peretti, A. بيريتي  
 Perez JiMenez بيريز جيمينيز  
 Peron, Eva بيرون ، ايٲا  
 Perou بيرو  
 Pescadores بسكادور ، جزر  
 Petain, Ph. بيتان ، فيليب  
 Peter, J. بيتير ، ج  
 بوتي - كلامار ( اغتيال )  
 Petit - Clamart  
 Petkov, N. بيتكوف  
 Pflimlin, P. بفليمٲن  
 فام فان دونغ  
 Pham Van Dong  
 Philippines الفيليبين ، جزر  
 Phnom Penh فنوم بن  
 Pholien فولين  
 Picado, T. بيكادو  
 Pie XII البابا بيوس الثاني عشر  
 Pieck, W. بيك ، و  
 Pierlot, H. بيٲرلو ، ه  
 Pierre II بطرس الثاني  
 Pinay, A. بينيه  
 بينيه -- رويٲ ( خطٲة )  
 Pinay - Rueff

Odria اودريا  
 Okinawa او كيناوا ، جزيرة  
 ONgania, J. C. اونغانيا  
 Openheimer, R. اوٲنهايمر ، ر  
 Ortoli, F. اورتولي  
 Ouganda اوغاندا  
 Ovando, A. اوفاندو

P

Pan Mun Jom بان مون جون  
 بارك شونغ هي  
 Park Chung Hee  
 Parodi بارودي  
 Pari, F. باري  
 Patton, G. S. باتون  
 Pauker, A. بوكر  
 Paul VI بول السادس  
 Pavelitch, A. بافوليتش  
 باز ايستنسورو ، ف  
 Paz Estenssoro, V.  
 Pearl Harbor بيرل هاربر  
 Pearson, L. بيرسون  
 Pentagone باتاغون

Québec	کيبيک
Quemoy	کيموي ، ارخبيل
Queuille , H.	کوي
Quezon , M.	کونزون
Quirino	کوپرينو

R

Raab , J	راب
Radescu , N.	راديسکو
Rajk , L.	راجک
Rakosi , M.	راکوزي
Ramadier , P.	راماديه ، ر
Rankovitch , A.	رانکوفيتس
Rapacki , A.	راباکي
Reichstag	رايخشتاغ
Reid Cabral	رايد کابرا
Reims	رئس
Renard , A.	رونار
Reuther , W.	رويتر ، و
Revers , G.	روفيير
Rey , H.	ري ، ا
Rey , J.	ري ، ج
Reynaud , P.	رينو ، بول
Rhee , S.	ري ، سينهان

Pineau , C .	پينو
Pisani , E.	پيزاني
Pleven , R.	پليفين
Podgorny , N .	بودغورني
Pompidou , G.	پومپيدو ، ج
Porto Riko	پورتوريکو
Port Talpot	ميناء تالبوت
Posnanie	پوسنانيا
Potsdam	پوتسدام
Poujade , P	پوجاد ، پ
Poujade , R.	پوجاد ، ر
Powell , R.	پاول ، ر
Poznan	پوزنان
	برادو اوغارتيشه
Prado Ugarteche , M	الاعارة والتأجير ( قانون )
Prêt - Bail	
Profumo , J	پروفومو
	پونتا دل ايست ( مؤتمر )
Punta Del Este	
Puric	پوربک

Q

Quadros , J	کوادروس
-------------	---------

Samoa	ساموا	Rhodes	رودس
Sandys, D.	سانديس	Ridgway, M.	ريدجوي ، م
Saragat, G.	ساراغات	Robles, M.	روبل
Sarawak	ساراواك	Roclore, M.	روكلور
Sarre	سار	Rocquencourt	روكنكور
Satomo	ساتومو	Roosevelt, F. D.	روزفلت
Sauvageot, j.	سوافجو ، ج	Rosenberg, J.	روزنبرغ ، ج
Schaus	شاوس	Rostock	روستوك
	شيرميرون ، و	Roth, w.	روث
Schermerhorn, W.		Roxas, M.	روكساس
Schmid, C.	شميد	Rueff J.	روئيف
Schroeder, G.	شرودير	Ruhr	رور
Schumacher, K.	شوماخر ، ك	Ruiz cortines	رويز كورتينيس
Schuman, R.	شومان	Rusk, D.	رسك ، دين
Segni, A	سيغني	S	
Senanayake, D.	سيناناياك ، د		
Sforza, C.	سفورزا	Saint - Domingue	سان دومينغ
	شاستري ، لال بهادور	Sainteny, j	سانتوني ، ج
Shastri, L. B.		Saint - Laurent	سان - لوران
Shore, P.	شور		سان - بيير - و - ميكلون
Sik, O.	سيك	Saint - Piere - Et-Miquelon	
Siles Suazo	سيليس سوازو	Sakhi-t	ساخيت
Simeon II	سيمون الثاني	Salan, R.	سالان
Simla	سيملا	Salvador	سالفادور

Stresemann, G.	شتريزمان	Sin - Kiang	سين - كيانغ
Stuttgart	شتوتگارت ، خطاب	Siroky, V.	سيروكي
Subasic, L.	سوبازيك	Slansky, R.	سلانكسي
Suharto	سوهارتو	Smith, I.	سميت ، ايان
Sukarno, A.	سوكارنو	Smrkovsky, j.	سمركوفسكي
Sunay	سوناي	Smuts, J.C.	سمتس
Sun Yat - Sen	سن يات - سين	Soloviev, W.	سولوفيف
Svoboda, L.	سفوبودا	Somoza, A.	سوموزا
Swaziland	سوازيلاند	Songgram P.	سونغرام
T		Sorbonne	سوربون
Taejon	تيجون	Souphanou Vong	سوفانو فونغ
Taft, R.	تافت	Souslov, M.A.	سوسلوف ، م. أ
	تافت - هارټلي ( قانون )	Soustelle, j.	سوستيل ، جاك
Taft-Hartley		Souvanaphouma	سوفانافوما
Tahiti	تاهيتي		سباك ، بول - هنري
Tarente	تارنت	Spaak, P. - H.	
Tchervenkof, V.	تشرفنكوف	Spoutnik	سپوتنيك
Texeiralott	تيسيرا لوت	Spychalski, M.	سپيشالسي
Thailand	تايلاند	Staline, j.	ستالين ، جوزيف
Thanarat, S.	تانارات ، س	Stalingrad	ستالينغراد
Thorez, M	توريز	Stettinius, E.R.	ستيتينيوس
	تورنيكروفت ، ب .	Stevenson, A.	ستيڤنسون
Thornycroft, P.		Stoica, C.	ستويكا
	تاريخ عصرنا ( ٢٩ )	Stoph, W.	شتوف ، و

Untung اوتونونغ  
Urrutia اوروتيا

V

Valera (E.DE) دو فاليرا  
Valluy, j. فالوي  
Van Acker, A. فان اكير ، آ  
فاندنبرغ (آ . ه . ا)  
Vandenberg (A.H.)  
فاندين بوبنانتس .  
VandenBoeynants (P.)  
Van Houtte, j. فان هوت ، ج .  
Van Mook فان موك  
Vanzeland, P. فان زيلاند ، ب  
Varga فارغا  
Vargas, G. فارغاس  
Vatican فاتيكان  
فيكتور ايمانويل الثالث .

Victor Emmanuel III  
Viêt-Nam فيت - نام  
Villaroel (G.) فيلارويل  
فيليدا موراليس

Villeda Morales  
Vo Nguyên Giap فو نغوين جياب  
فوروشيلوف (ك .)  
Vorochilov (K.)  
Vostok فوستوك

Thurmond ثورموند  
Tibet تيبيت  
Tildy, Z. تيلدي  
Tillon, CH. تيلون ، ش  
Tinh تينه  
Tirana تيرانا  
Tito تيتو  
تيكسيه - فينيانكور

Tixier - Vignancour (j.L.)  
Tobago توباغو  
Togliatti, P. تولياتي ، ب  
Togo توغو  
توريس بوديه (ج)

Torres Bodet (j.)  
Trudeau (P.E.) ترودو  
Trujillo, R. تروجيلو ، ر .  
ترومان ، الرئيس .

Truman (H.S.)  
Tschombé, M. تشومبه ، م .

U

Ulate, O. اولات  
Ulbricht, W. اولبريخت  
Ulm اولم  
U Nu اونو

Y

Yalta	يالطا
Yalu	يالو ، نهر
	ايديفوراس قوينتيس
Ydi Goras Fuentes	
Yoshida	يوشيدا
Yun Posum	يون بوزوم

Z

Zapotocky (A.)	زابوتوكي
Zeller	زيلر
Zog ler	زوغر الاول ، الملك
Zorine, V.	زورين
Zuiderzee	زويدرزيه
Zurich	زورينخ

W

Wake	ويك ، جزيرة
Walker (P.G.)	ولكر فوردون
Wallace (G.)	والس
Wallace (H.)	والس . هـ
Warren (E.)	وورين .
Wavell, A.P.	وافيل .
Werner, P.	ويرنر
	ويسن اي ويسن
Wessin Y Wessin	
Westerling	وستولينغ
	وستمورلاند ، و .
Westmoreland, W.	
Wilhelmine	ولهابين ، الملكة
Wilson, Charles	ولسون شارل
Wilson (H.)	ولسون ، هارولد
Wysznski (S)	فيشنسكي





# الفرس

## تاريخ عصرنا

سنة ١٩٤٥

## المقدمة

### الفصل الأول

#### فرنسا

فرنسا ٧ . من الحرب الحارة إلى الحرب الباردة ( ١٩٤٤ -  
١٩٤٧ ) ١٠ . الحرب ١١ . التسيير ١١ . الاصلاحات ١٢ . التطهير  
١٣ . المكانة ١٣ . الامبراطورية ١٤ . السياسة ١٥ . الدستور ١٦ .  
الاستقالة ١٨ . الاخفاق الأول ١٩ . الأزمات ٢٠ . الحياة الصعبة  
للجمهورية الرابعة ( ١٩٤٧ - ١٩٥٤ ) ٢٢ . طرد الشيوعيين ٢٣ .  
القوة الثالثة ٢٤ . أحد عشر رئيساً لمجلس الوزراء ٢٥ . السنة الفظيعة  
٢٧ . تهديم أو غزو ٢٨ . الحرب و « القضية » ٢٩ . التحالف  
الانتخابي ٣٠ . قانون بارانجه ٣١ . معجزة بينيه ٣٢ . وكيل الافلاس  
٣٣ . دورات فرساي الثلاث عشرة ٣٤ . نهاية الامبراطورية وموت

- النظام ( ١٩٥٤ - ١٩٥٨ ) ٣٥ . من جونيف إلى تونس ٣٦ .  
منازعة وحدة الدفاع الأوروبية ٣٧ . المؤامرة ٣٧ . حل المجلس ٣٨ .  
٦ شباط في الجزائر ٣٩ . المسألة الجزائرية ٤٠ . الجمهورية الخامسة  
والخلاص من الاستعمار ( ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ) ٤١ ، دستور ( ١٩٥٨ )  
٤٢ . من سلام الشجعان إلى تقرير المصير ٤٣ . حركة الجنرالات ٤٤ .  
انطلاق طيب ٤٦ . الدبلوماسية المنسجمة ٤٦ . نحو ما بعد الدغولية  
( ١٩٦٢ - ١٩٦٨ ) ٤٨ . حرية العمل ٤٩ . النفس الثاني ٥٠ .  
منعطف ابار ( ١٩٦٨ ) ٥١ .

## الفصل الثاني

### بريطانيا - العظمى

- بريطانيا العظمى ٥٥ . الكلام للبلاد ٥٦ . الخلاص من الاستعمار  
دون دموع ٥٨ . الرفاء وسوابقه ٥٩ . الحلف الكبير ٦٢ . توازن  
ميزان المدفوعات ٦٤ . أفول الآلهة ٦٦ . « الحرية المحافظة تسير »  
( ١٩٥١ - ١٩٥٥ ) ٦٨ . من قف وانطلق الى نيدي ( ١٩٥٥ -  
١٩٦١ ) ٦٩ . التخطيط المحافظ ( ١٩٦١ - ١٩٦٣ ) ٧١ . من  
الحلف المعتدل إلى السويس ( ١٩٥١ - ١٩٥٧ ) ٧٣ . ماكملات  
و « ربح التغيير » ٧٧ . الرجل ذو الغليون في الرقم ١٠ دوتنغ ستريت  
٨٢ . الاتجاه نحو اوربه ٨٧ .

## الفصل الثالث

### بريطانيا - العظمى والكومنولث

- بريطانيا - العظمى والكومنولث ٩٢ . تحرير الهند والباكستان

- وسيلان ٩٥ • ( ١٩٤٧ - ١٩٥٤ ) ، عصر الكومنولث الذهبي ١٠٠ •
- افريقية في الكومنولث ١٠٦ • الكومنولث والوحدة الاقتصادية الأوروبية
- ١١٠ • قوى الكومنولث المتشعبة ١١٤ • مستقبل الكومنولث ١١٧ •

### الفصل الرابع

#### المانيا الاتحادية والمانيا الديمقراطية الشعبية

- المانيا الاتحادية والمانيا الديمقراطية الشعبية ١٢٠ • بين الشرق والغرب ١٢٤ • لكل كتلة المانيا خاصة بها ١٢٨ • فوائد الدوام
- ١٣٣ • البنيات والقضايا ١٣٥ • المانيا في اوروبا الست ١٣٩ •

### الفصل الخامس

#### إيطاليا

- إيطاليا ١٤٠ • دفع الأحزاب السرية ١٤١ • من المقاومة إلى الاعتدال ١٤٣ • استقرار الجمهورية ١٤٦ • الوسط الأيسر وتوتراته
- الداخلية ١٤٨ • الكاثوليك والشيوعيون ١٥٣ • مزايا التجربة ١٥٥ •

### الفصل السادس

#### البنيلوكس

- البنيلوكس ١٦٠ • مراحل البنيلوكس ١٦٢ • دروس البنيلوكس
- ١٦٤ • اللوكسمبورغ ١٦٥ • بلجيكا ١٦٧ • القضية الفلاماندية ١٦٩ •
- الحرية الاقتصادية لا تسير ١٧١ • كشف الحلاص من الاستعمار ١٧٣ •
- الازدهار الجديد ١٧٤ • البلاد المنخفضة ١٧٥ • بقطة المنازعات القديمة ١٧٦ •
- قانون التنظيم الاقتصادي ١٧٨ • من أعماق الهوة إلى الازدهار ١٧٨ •
- من اندونيسيا إلى السوق المشتركة أو القلق الميتافيزيكي ١٨٠ •

## الفصل السابع

### دمج اوروبا

المدخل ١٨٢ . الحرب وما بعد الحرب ١٨٣ . السنة الحاسمة ( ١٩٤٧ / ١٨٩ ) . التحقيقات الأوروبية الاولى ١٩٤ . ميلاد اوروبا الصغرى ٢٠٠ . حلول البديل والسوق المشتركة ٢٠٦ . اوروبا : الغولية والدمج ٢١٢ . سنوات ١٩٦٠ : ازيمات ومجادلات ٢٢٠ . منظورات المستقبل ٢٣١ .

## الفصل الثامن

### اوروبا الاشتراكية

مؤتمر يالطا ٢٣٧ . الاتحاد السوفياتي ٢٣٨ . الستار الحديدي ٢٣٩ . نهاية ستالين ٢٤١ . القيادة الجماعية ٢٤٣ . المؤتمر العشرون ٢٤٧ . أزمة كوبا ٢٤٩ . الفريق الجديد : كوسيغين - بريجنيف ٢٥٢ . النهوض العجيب ٢٥٧ . بولونيا ٢٦٠ . الربيع في تشرين الأول ٢٦٣ . ميلاد جديد ٢٦٥ . تشيكوسلوفاكيا ٢٦٧ . ضربة براغ الثانية ٢٧٢ . المنظورات الاقتصادية الجديدة ٢٧٦ . الجمهورية الديمقراطية الألمانية ٢٧٨ . البلاد المنعزلة ٢٨٢ . هونغاريا ٢٨٤ . التحرير ٢٩٠ . رومانيا ٢٩٢ . اقتصاد في عز توسعه ٢٩٨ . بلغاريا ٣٠٠ . البانيا ٣٠٤ . يوغوسلافيا ٣٠٦ . الارث الثقيل ٣١٢ .

## الفصل التاسع

### الولايات المتحدة

الشروط العامة ٣١٧ . الاجماع الامريكى ٣١٧ . حزب الجمهوريين .

والديموقراطيين ٣٢٠ . القضايا الحديثة العهد ٣٢٢ . ترومان أو الحرب الباردة ( ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ) ٣٢٥ . النصر ٣٢٥ . العودة إلى السلام ٣٢٩ . مساعدة البلاد الحرة ٣٣٤ . اعادة انتخاب ترومان ( تشرين الثاني ١٩٤٨ ) ٣٣٧ . الماكارتية ( ١٩٥٠ - ١٩٥٤ ) ٣٤٠ . حرب كوريا ( ١٩٥٠ - ١٩٥٣ ) ٣٤٤ . نتائج حرب كوريا ٣٤٧ . آيزنهاور أو من الدحر إلى التعايش ( ١٩٥٣ - ١٩٦٠ ) ٣٤٩ . دالس والدحر ٣٥٢ . نحو التعايش ٣٥٥ . المشكلة السوداء ٣٥٩ . رئاسة آيزنهاور الثانية ( ١٩٥٦ - ١٩٦٠ ) ٣٦١ . الفضائح ٣٦٣ . الصعوبات ٣٦٦ . الترددات الامريكية - السوفياتية ٣٧١ . ركود القضية السوداء ٣٧٥ . انتخابات ( ١٩٦٠ ) ٣٧٧ . كينيدي أو الانفراج ( ١٩٦١ - ١٩٦٣ ) ٣٧٨ . الحدود الجديدة ٣٧٨ . التوترات مع الاتحاد السوفياتي ٣٨٣ . الانفراج ٣٨٧ . جونسون والخطر الأصفر ( ١٩٦٣ - ١٩٦٨ ) ٣٨٨ . المجتمع العظيم ٣٨٩ . انتخاب ( ١٩٦٤ ) ٣٩١ . الزبدة أو المدفع ٣٩٣ . الحرب في فيت - نام ٣٩٥ . امريكا الحالية ٣٩٨ . قوتها ٣٩٨ . ضعفها ٣٩٩ .

## الفصل العاشر

### امريكا اللاتينية

امريكا اللاتينية ٤٠١ . امريكا اللاتينية غداة الحرب العالمية الثانية ٤٠٣ . البيرونية ٤٠٥ . قومية فارغاس الاستبدادية ٤٠٩ . القومية الديموقراطية ٤١١ . في بيرو ٤١١ . في فينيزويلا ٤١٣ . في غواتيمالا ٤١٤ . الثورة البوليفية ٤١٧ . المكسيك : الثورة النظامية ٤١٩ .

الموجة الاصلاحية الثانية ١٩٢٣ . في الأرجنتين ١٩٢٣ . البرزيل : من  
الذرائعية إلى الاستيلاء على السلطة ( برونسيامتو ) ١٩٢٦ . الاصلاحات  
الفينيزويلية الكبرى ١٩٣٠ . الكاستورية في كوبا ١٩٣٤ . التطور الداخلي  
١٩٣٦ . العلاقات مع الولايات المتحدة ١٩٣٧ . العلاقات مع امريكا  
اللاتينية ١٩٣٩ . من أزمة تشرين الأول ١٩٦٢ إلى التعايش ١٩٤٠ . حلف  
التقدم ١٩٤٢ . عصر الاستيلاء على السلطة ١٩٤٣ . في بيرو ١٩٤٤ . في  
غواتيمالا ١٩٤٥ . في هوندوراس ١٩٤٥ . في الايكواتور ( جمهورية خط  
الاستواء ) ١٩٤٦ . في بوليفيا ١٩٤٦ . خلاف قناة باناما ١٩٤٨ . الديمقراطية المسيحية  
في شيلي وفي امريكا اللاتينية ١٩٥٠ . أزمة سان دومينغ ١٩٥٣ . من حرب  
العصابات إلى التعايش ١٩٥٧ . نظام الدول الامريكية ١٩٥٩ . القضية  
الزراعية ١٩٦١ . التفجر السكاني ١٩٦٣ . التطور الاجتماعي ١٩٦٤ . البنيات  
الاقتصادية ١٩٦٦ . الدمج اللاتيني - الامريكي ١٩٦٨ .

### الفصل الحادي عشر

## الشرق الأدنى

### منطقة معقدة

الشرق الأدنى منطقة معقدة ١٩٧٠ . عشرون سنة من التطور السريع  
( ١٩٤٥ - ١٩٦٨ ) ١٩٧٣ . عروض ما بعد الحرب ( ١٩٤٥ -  
١٩٥١ ) ١٩٧٤ . ميلاد امرائيل في ١٩٤٨ ونتائج ١٩٧٦ . الجهد الانغلو-  
ساكسوني : حلف بغداد ( ١٩٥٥ ) ١٩٧٧ . الرد السوفياتي : اسوان  
والسويس ( ١٩٥٦ ) ١٩٧٨ . نهضة الناصرية وطموحها ومشاكلها ( ١٩٥٨ )  
١٩٧٩ . التوازنات الجماعية والتوترات الداخلية ١٩٧٧ . التنمية ١٩٥٤ .  
الشرق والعالم ١٩٥٨ . فرنسا ١٩٥٩ . بريطانيا العظمى ١٩٥١٠ . الولايات  
المتحدة ١٩٥١ . الاتحاد السوفياتي ١٩٥٢ . الصين ١٩٥٣ .

## الفصل الثاني عشر

### الشرق الأقصى

- التقديم ٥١٤ . اليابان ٥١٧ . حلم اليابان الجنوبي ٥١٧ . لا قوى  
مسلمة إطلاقاً ٥١٧ . النظام البرلماني ٥١٩ . الفلاحة والرعاية : مكان  
محدود ٥٢١ . اقتصاد في عز توسعه ٥٢٣ . العلاقات الخارجية ٥٢٤ .  
الصين ٥٢٦ . نهاية الاتحاد المقدس في الصين : ماو ضد تشانغ ٥٢٦ .  
الجمهورية الشعبية ٥٢٧ . القفزة الواسعة إلى الأمام والنزاع الصيني -  
السوفييتي ٥٣٠ . القنبلة ٥٣٢ . الثورة الثقافية الكادحة ٥٣٤ . كوريا  
ونخط العرض الثامن والثلاثون ٥٣٩ . التدخل الأمريكي ٥٤١ . كوريا  
الشمالية ٥٤٢ . كوريا الجنوبية ٥٤٣ . الفيت - نام ٥٤٥ . حرب  
الهند الصينية ٥٤٥ . اتفاقات جونيف ٥٤٩ . فيت - نام : تجربة  
قوة ثانية للولايات المتحدة ٥٥١ . باليه الجنرالات ٥٥٣ . الناييلاند ٥٥٥ .  
اللاؤس ٥٥٦ . كمبوديا ٥٥٨ . ماليزيا الكبرى ( الملايو ) ٥٥٩ . اثنتا  
عشرة سنة حرباً أهلية ٥٦٠ . اندونيسيا سوكارنو واندونيسيا الجيش  
٥٦٣ . الفيليبين ٥٧٠ . الهند بين عالمين ٥٧٢ . الصين جبار خطير  
٥٧٣ . شاستري ( الصغير ) يخلف نهرو الكبير ٥٧٥ . قضية كشمير  
٥٧٦ . انديرا غاندي ٥٧٨ . مكافحة الجوع ٥٧٩ . الاقتصاد المخطط  
٥٨٠ . الباكستان ٥٨١ . دولة ذات رأسين ٥٨٢ . برمانيا ( بورما )  
٥٨٤ . سيلان ٥٨٥ . القضايا الاقتصادية والسياسية في الشرق الأقصى  
٥٨٦ . خطة كولومبو ٥٨٦ . منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا ٥٨٨ . من  
باندونغ إلى هافانا : العالم الثالث يطالب بكماله تحت الشمس ٥٨٩ .  
الحوار الضروري ٥٩٣ .

## أسماء الأشهر في البلاد العربية

يناير	=	كانون الثاني
فبراير	=	شباط
مارس	=	آذار
أبريل	=	نيسان
مايو	=	أيار
يونيه	=	حزيران
يوليو	=	تموز
أغسطس	=	آب
سبتمبر	=	أيلول
أكتوبر	=	تشرين الأول
نوفمبر	=	تشرين الثاني
ديسمبر	=	كانون الأول



## كلمة شكر

جزيل الشكر لكل من أسهم

في نشر هذا الكتاب









تاريخ العصر الوسيط

من اواخر العصر الروماني الى القرن الثاني عشر

تاريخ العصر الوسيط

من القرن الثاني عشر الى عصر النهضة

تاريخ عصر النهضة

تاريخ القرن السابع عشر

تاريخ القرن الثامن عشر

تاريخ النصف الاول من القرن التاسع عشر

تاريخ النصف الثاني من القرن التاسع عشر

تاريخ القرن العشرين

١٩٠٠ - ١٩٤٥

التاريخ الدبلوماسي

١٩٤٠ - ١٩٥٨

تاريخ عصرنا

منذ ١٩٤٥

قضايا عصرنا

منذ ١٩٤٥

تاريخ الحركات القومية ( يقظة القوميات الأوروبية )

اربعة اجزاء